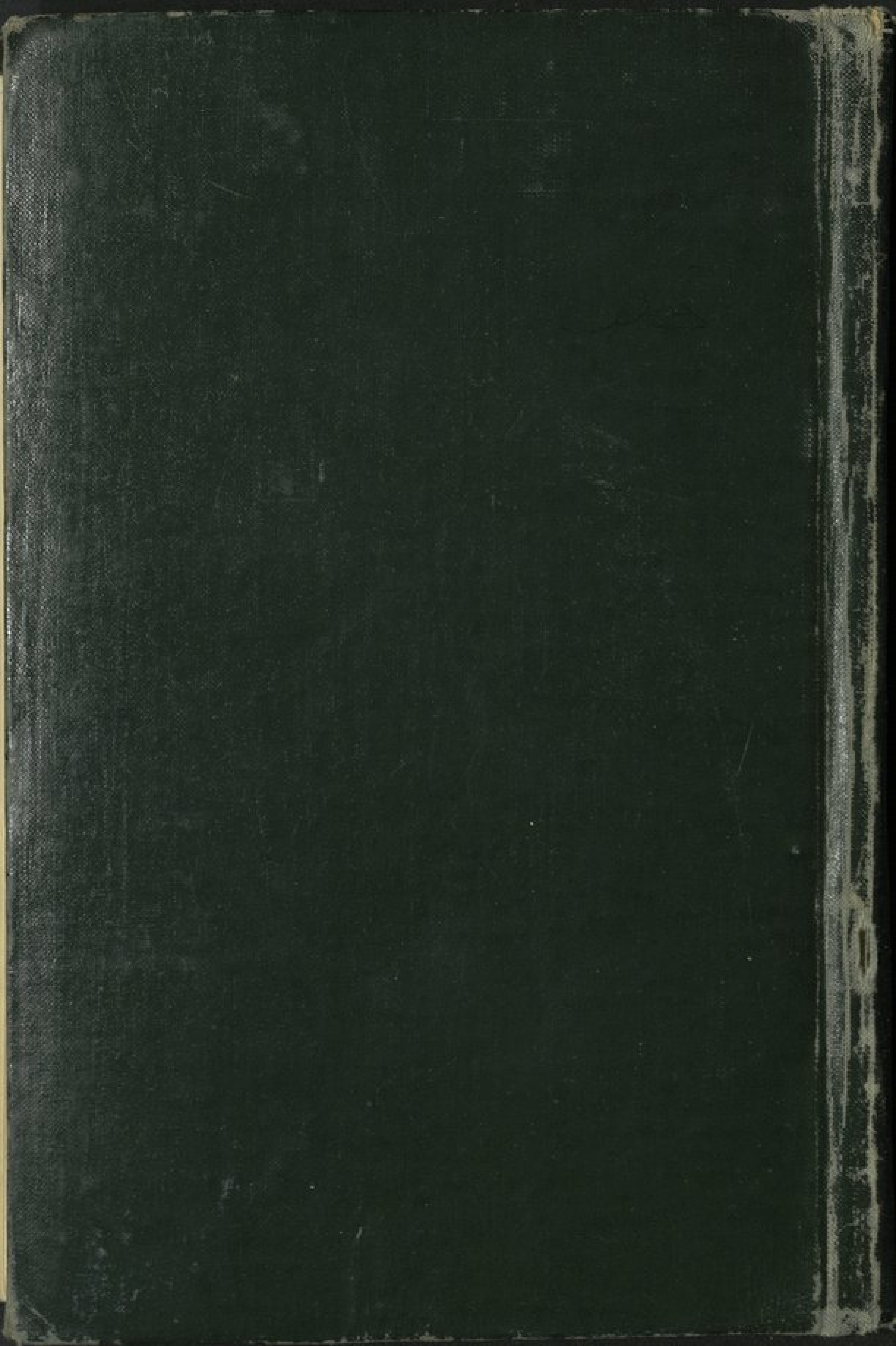
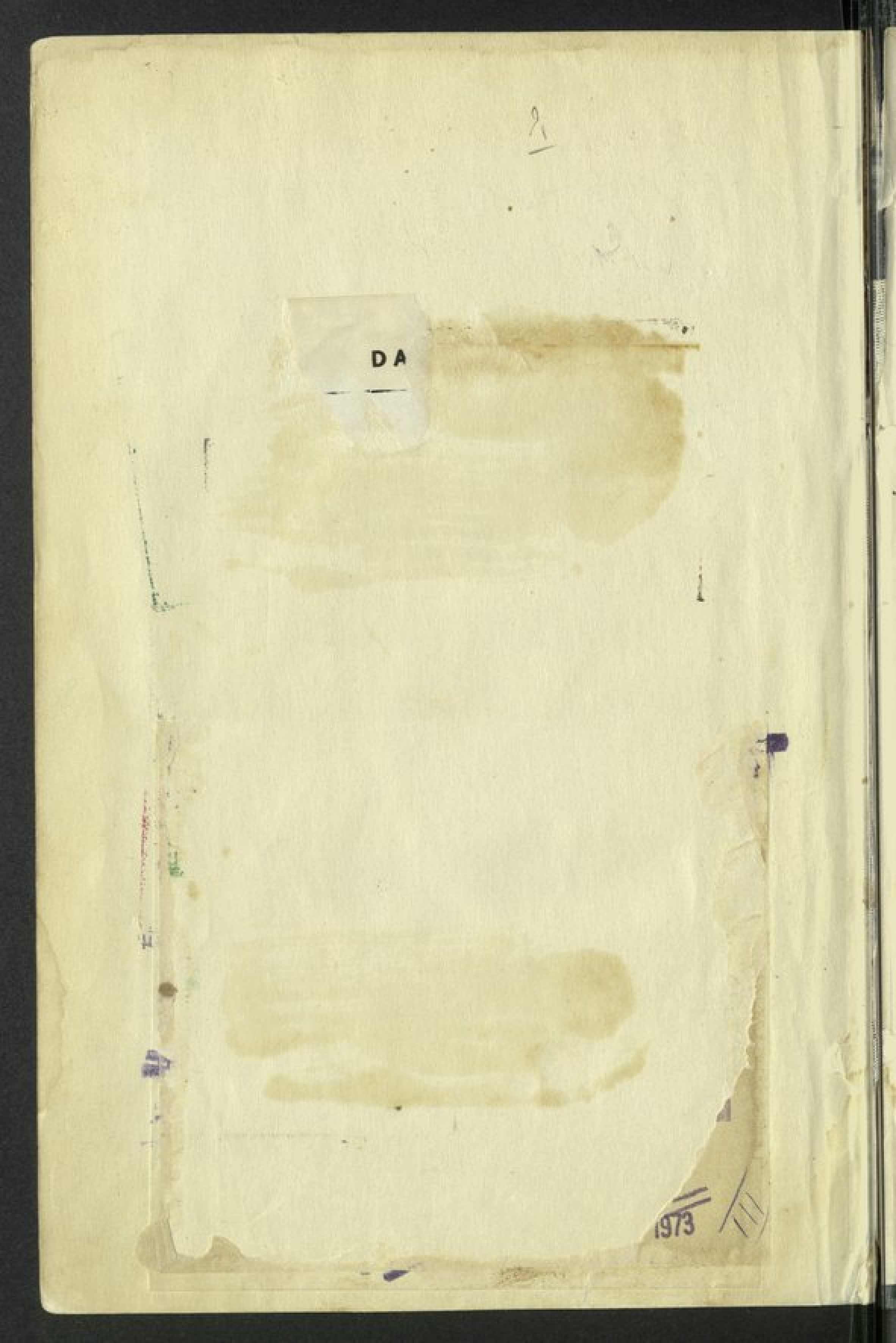
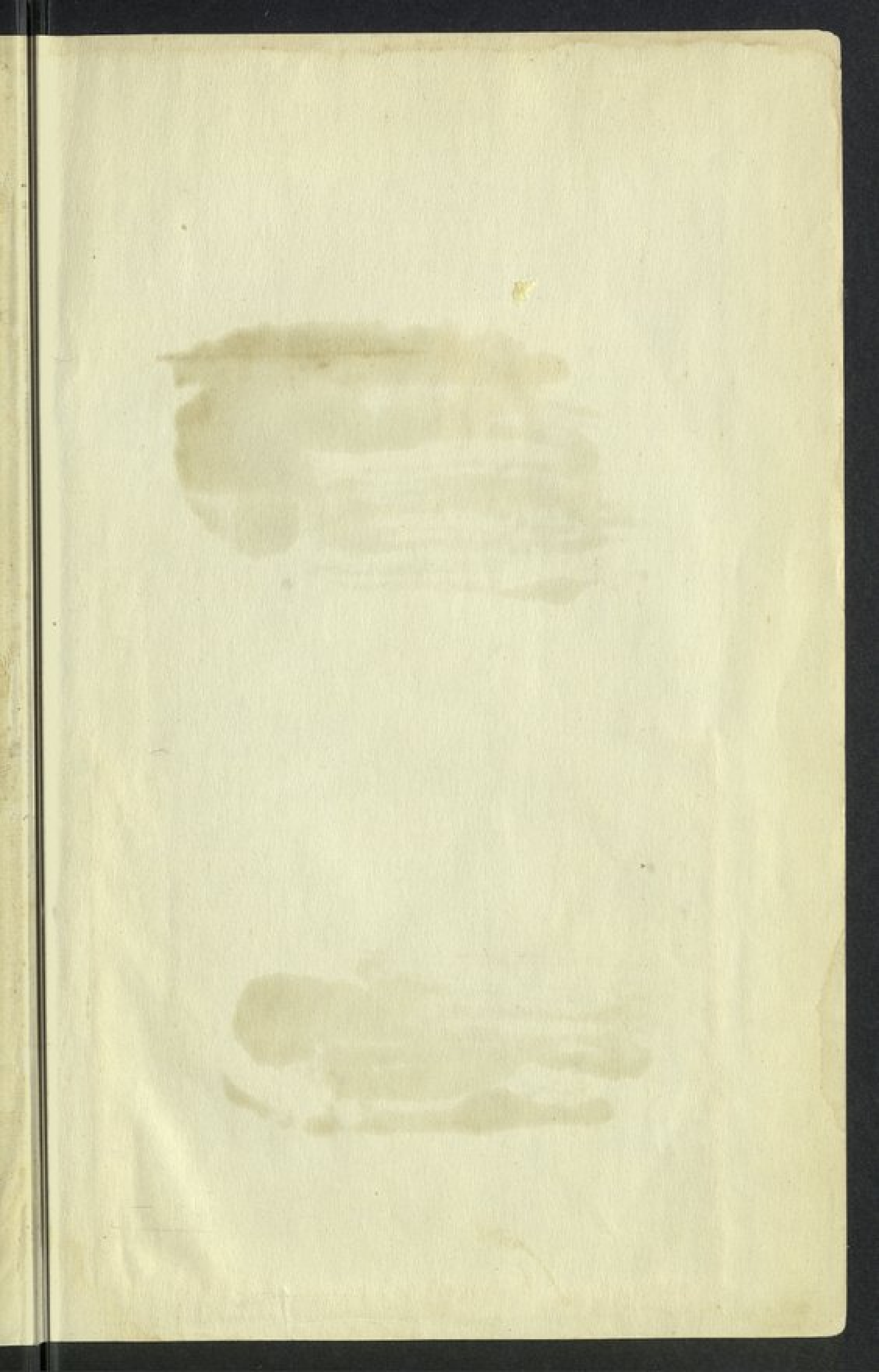
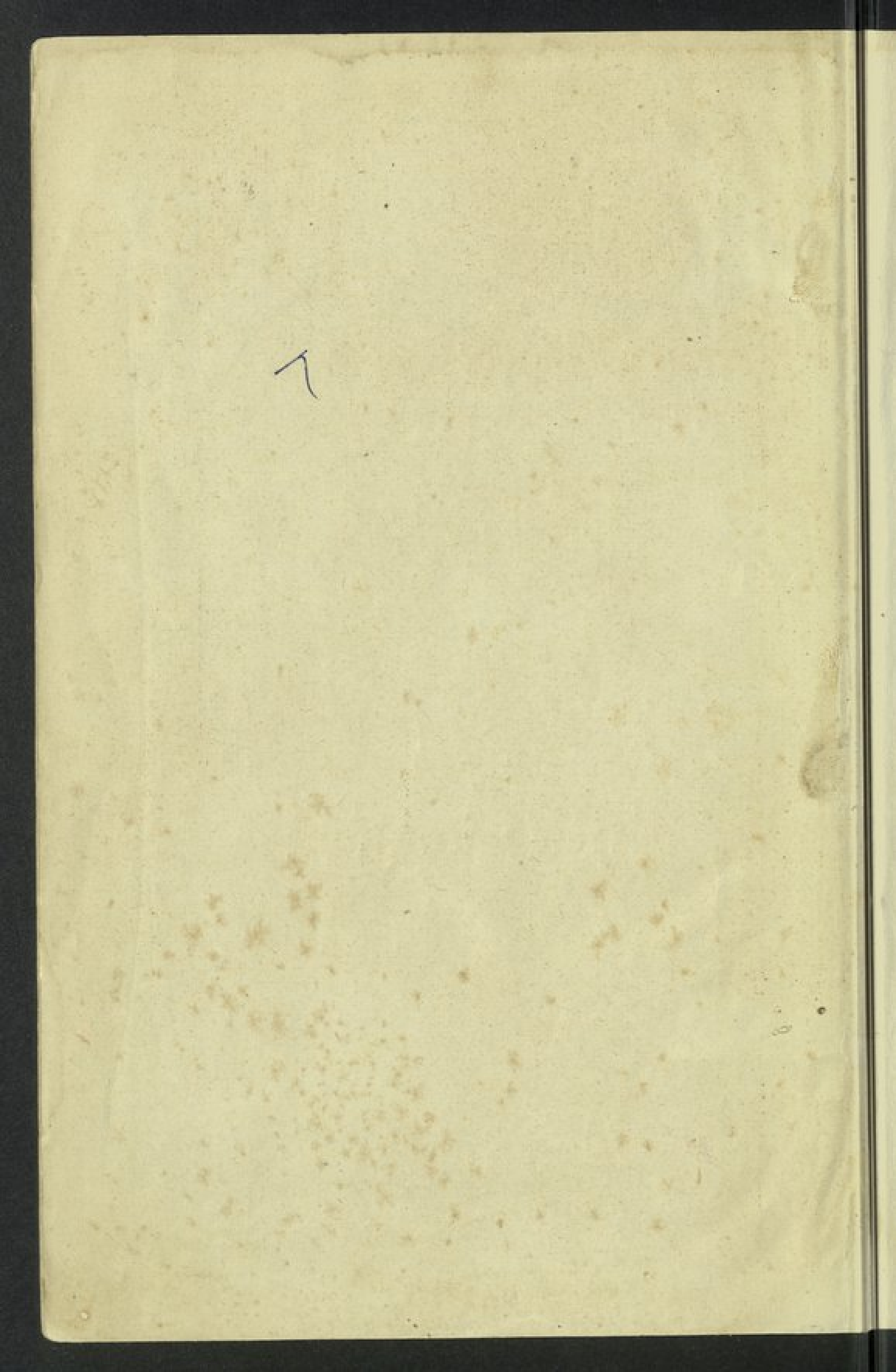








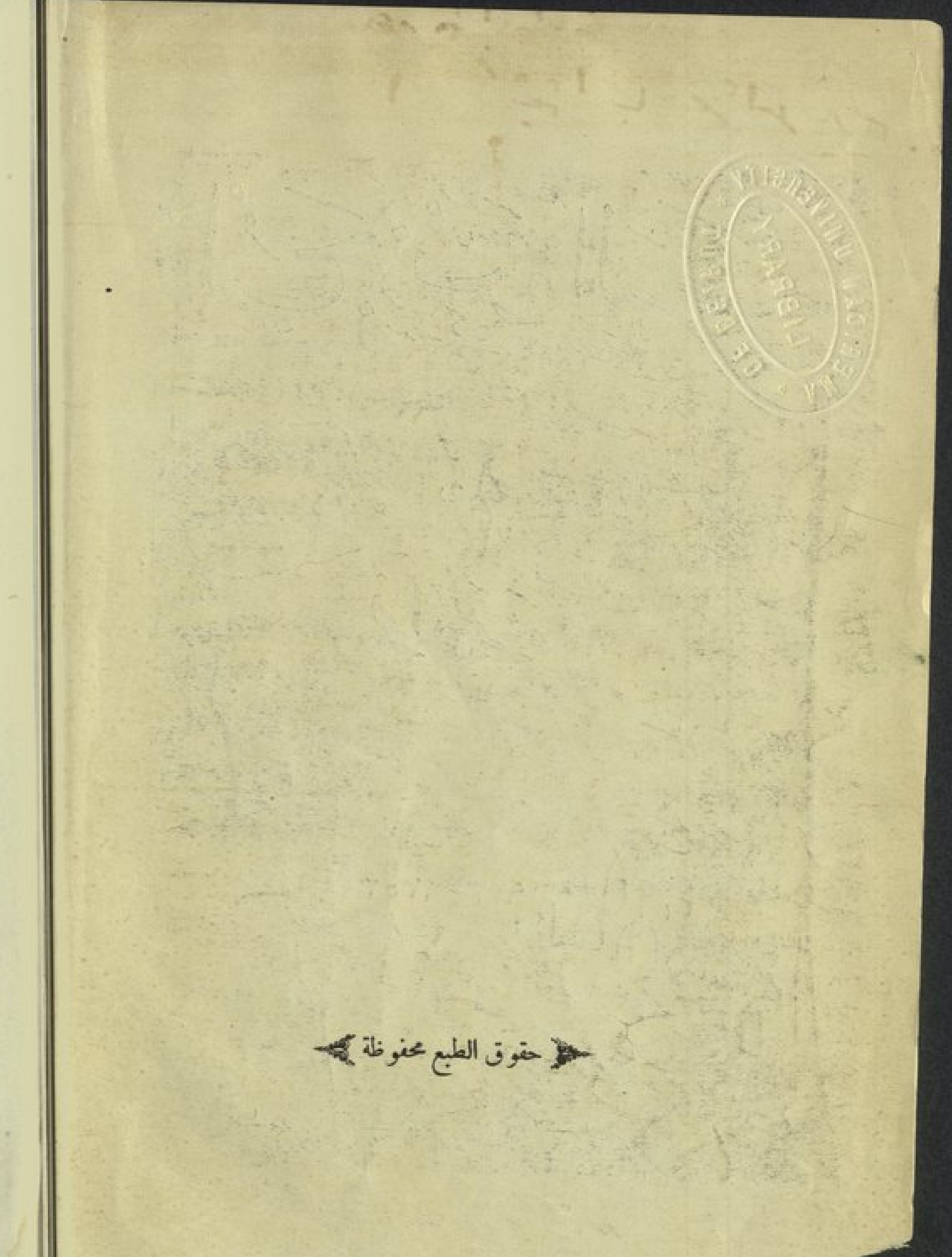
قَلْبُ جَزِيْرَةِ العَرَبْ

بقلم

فؤاد حمزه

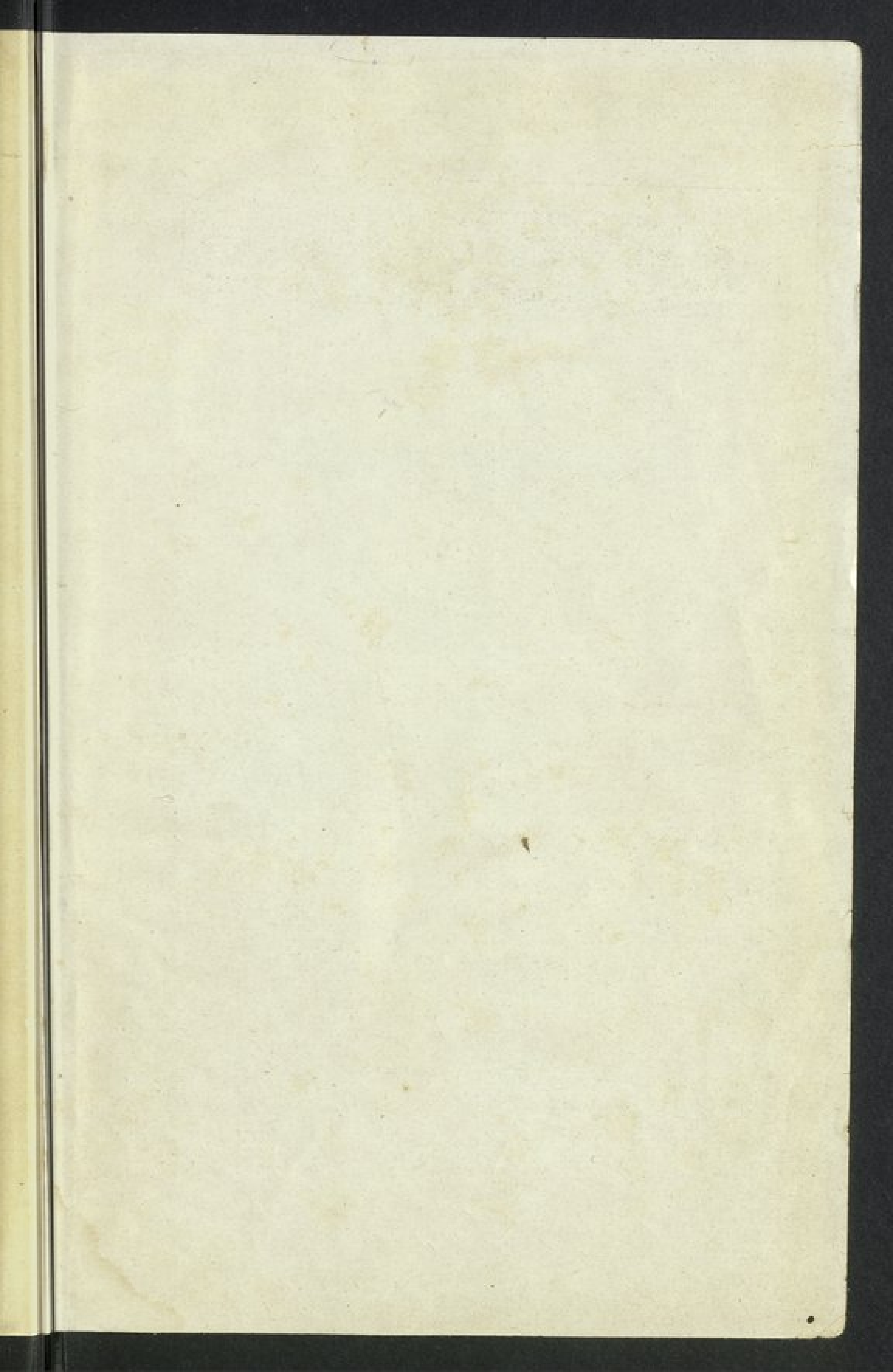
١٣٥٢-١٩٣٣

المطبعة السلفية - ومكتبتها
لصاحبهما محب الدين الخطيب





جلالة الملك عبد العزيز آل سعود



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الكتاب

باسمك اللهم وبحمدك

أما بعد ، فقد حملني على وضع هذا الكتاب شعوري بنقص خزانتنا العربية وافتقارها الى مؤلف جامع لأحدث المعلومات الجغرافية والطبيعية والاجتماعية ، عن البلاد العربية ؛ وحاجة الجمهور الى مرجع حديث ، سهل التناول ، يجمع ما تفرق من المعلومات العامة فى الكتب العربية القديمة ، وكتب المستشرقين والرواد الاوربيين مما لا وجود له فى اللغة العربية .

والحقيقة أن جميع الذين يعنون بالشؤون العربية ويتتبعون تاريخ التطورات الحديثة والنهضات الوطنية فى بلاد العرب ، يشعرون بهذه الحاجة ، ويدركون الصعوبات الجمة فى التنقيب فى بطون الكتب العديدة ، عن معلومات مبعثرة هنا وهنالك فى طيات الصحف القديمة ، أو ثنايا التفاصيل المملة التى يسردها الرواد فى سياق رحلاتهم .

فرأيت أن أقوم بسد هذا الفراغ فى خزانة الكتب العربية ؛ بوضع هذا المؤلف الصغير ، وقد ضمنته جميع ما يحتاج اليه جمهور القراء والكتاب من المعلومات العامة عن قسم عظيم من البلاد العربية ـ وهو القسم الذى يعرف الآن باسم : المملكة العربية السعودية ويشمل المقاطعات المعروفة باسم : الحجاز وعسير

ونهامة ونجد وما يتبعها من الملحقات .

ومما لا شك فيه أن فى جرأتى على الاقدام على الاضطلاع بهذا العبء الثقيل وسط المتاعب العديدة ومهام المنصب الدقيقة ، ما يدعو الى العجب . غير أنى استخرت الله فى تأليفه وأقدمت على جمع مواده وتنميق أبوابه وفصوله فى أوقات كنت أنتاشها انتياشاً ، وعذرى رغبة كامنة فى النفس للمساهمة فى خدمة القضية العامة بقدر الطاقة وبنسبة ما تسمح به الاحوال والظروف ، ولم أدّخر وسعاً فى التحرى والتحقيق عن صحة المعلومات التى وردت فيه ، وهى - حسبما أعتقد - أدق وأحدث ما وصل اليه علمنا فى الوقت الحاضر ، فجاء الكتاب ملخصاً لابحاث المتقدمين وجامعا لتدقيقات التابعين والمتأخرين .

وأحب أن أسجل هنا ثنائى العاطر على جميع الاصدقاء والاخوان الذين تفضلوا بادلاء ملاحظاتهم القيمة ، وارشاداتهم الثمينة فى مواضع عديدة من الكتاب ؛ وأخص بالشكر حضرة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز الذى شجعنى على المضى فيه ثم سمو الامير عبد الله بن عبد الرحمن الذى تفضل بمراجعة قسم القبائل . ولا يسعنى أيضا إلا الثناء المستطاب على الاستاذ محب الدين الخطيب الذى بذل كل ما فى وسعه من جهد لاتقان الطبع وتصحيح الاصول ، وأعتذر أيضا عما حصل فى الملازم الاولى من الكتاب من أخطاء مطبعية لم يمكن تلافيها نظراً لبعدى عن محل الطبع .

وانى لارجو أن يقع كتابى هذا موقع الرضى عند قارئيه ، وأن أكون قد وفقت فعلا الى ما قصدته من خدمة لبلاد العرب وأبناء العرب كما أننى أرجو ممن يلاحظ نقصا فيه أن يرشدنى الى مواضعه .

والله ولى التوفيق .

مكة المكرمة فى : ١٢ ربيع الاول ١٣٥٢
٥ يوليو ١٩٣٣

فؤاد حمزة

فهرس المواضيع

أنظر الفهرس الهجائى فى آخر الكتاب

القسم الاول

الاحوال الجغرافية والطبيعية

القسم الثانى

السكان والاحوال الاجتماعية

القسم الثالث

القبائل العربية

القسم الرابع

تاريخ البلاد

الملاحق

فهرس الرسوم

القسم الاول

الاحوال الجغرافية والطبيعية

ويحتوى على تسعة فصول ، منها فصل يبحث فى

الشؤون الادارية الحاضرة

فى البلاد

أسانيد هذا القسم من الكتاب

	اسم الكتاب	اسم المؤلف
١	مجموعة المعاهدات من ١٩٢١ — ١٩٣١	وزارة الخارجية للمملكة العربية السعودية
٢	معجم البلدان ٨ مجلدات	ياقوت الرومى
٣	صفة جزيرة العرب (طبعة أوروبا)	الهمْدانى
٤	الرحلة اليمانية	الشريف شرف بن عبدالمحسن
٥	تاريخ نجد	السيد محمود شكرى الألوسى
٦	دائرة المعارف البريطانية (مادتا بلاد العرب والعرب)	
٧	شمال الحجاز	المستشرق الويس موزيل Alois Musil
٨	شمال نجد	المستشرق الويس موزيل Alois Musil
٩	جزيرة العرب	المستشرق الويس موزيل Alois Musil
١٠	قلب جزيرة العرب	سنت جون فلبي Mr. H. St. John Philby
١١	بلاد الوهابيين	سنت جون فلبي Mr. H. St. John Philby
١٢	دليل بلاد العرب	قلم استخبارات وزارة البحرية الانكليزية : Hand Book of Arabia by British Admiralty
١٣	بلاد العرب	وزارة الخارجية البريطانية : Arabia, British Foreign Office.
١٤	صحارى بلاد العرب	شارلس دوتي : Arabia Deserta by; Charles Doughty.
١٥	فى مجاهل بلاد العرب	الكابتن شيزمن : In Unknaun Arabia by; Cheeseman.
١٦	الخليج الفارسى	السير ارنولد ولسون : The Persian Gulf by; Col. Sir Arnold Wilson.
١٧	تاريخ بلاد العرب وشعوبها	كريشتون : History of Arabia and its peoples. by; Crishton.
١٨	العربية السعيدة	برترام توماس : Arabia Felix by; Bertram Thomas.
١٩	تقارير رسمية وصحف ومجلات مختلفة	

الفصل الأول

الحدود والسواحل

تقع المملكة العربية السعودية بين البحر الاحمر غرباً والخليج الفارسي شرقاً ومبدؤها من الغرب عند الدرجة ٣٢ والدقيقة ٣٠ ومنتهاها الشرقي من جهة الخليج الفارسي عند الدرجة ٦٠ من الطول الشرقي ، وهي محدودة من الشمال بأراضي شرق الأردن والعراق والكويت ومن الجنوب ببلاد عُمان وحضرموت واليمن

ولم تعين حدودها بصورة قطعية إلا مع الكويت والعراق ، وقد عينت الحدود بين نجد وشرق الاردن ، أما بين الحجاز وشرق الاردن فما زال الحد غير معين[1] .

ويمتد خط الحدود الشمالية مع الكويت والعراق وشرق الاردن من نقطة واقعة على الخليج الفارسي هي (رأس القليعة) كما يلي :

من نقطة واقعة جنوب رأس القليعة وممتدة على جانب الخط المحاذي لنصف الدائرة الحمراء المبينة في المادة الخامسة من الاتفاق الانكليزي التركي سنة ١٩١٣ الى ملتقى خط العرض ٢٩ من العرض الشمالي بنصف الدائرة الحمراء[2] المشار اليها

---

(١) عينت الحدود بين نجد والكويت بموجب بروتوكول وقع عليه في العقير سنة ١٩٢١ وعينت الحدود بين نجد والعراق بموجب بروتوكول وقع عليه في العقير ايضا بنفس التاريخ. وأما الحدود بين نجد وشرق الاردن فقد عينت بموجب معاهدة حدة التي وقعت في نوفمبر سنة ١٩٢٥

(٢) الدائرة الحمراء هي مساحة من الارض واقعة ضمن محيط دائرة مركزها في الكويت نفسها وطول نصف قطرها ٤٠ ميلا

ومن هذه النقطة على خط مستقيم الى نقطة تقاطع وادى العوجا بالباطن شمال الرقعى التى هى مبدأ الحدود العراقية النجدية . ثم يمتد من هذه النقطة على خط مستقيم الى الامغر التى هى النهاية الجنوبية للحدود العراقية ، ومن الامغر يمتد على خط مستقيم الى انصاب ثم يتجه شمالا بغرب الى الجميمة ثم يتجه شمالا الى بئر عثيمين ومن هنالك يمتد الى الغرب حتى بئر الايفية ثم ينحرف الى الشمال الغربى ماراً ببئر المناعية فجديدة عرعر ومنها الى مكور ثم من مكور الى جبل عنزة الواقع فى جوار نقطة تقاطع خط العرض الشمالى ٣٢ بخط الطول الشرقى ٣٩ وعند هذه النقطة تبتدىء الحدود مع شرق الاردن ، ويمتد خط الحدود من هنا الى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٣٧° بخط العرض الشمالى ٣٠ — ٣١ ويتبع خط الطول الشرقى ٣٧ الى نقطة تقاطعه بخط العرض الشمالى ٢٥ — ٣١ ومنها يمتد على خط مستقيم الى نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٣٨° بخط العرض الشمالى ٣٥ ، ٢٩° .

وتوجد بين المملكة العربية السعودية وبين الكويت منطقة حياد واقعة بين رأس القليعة فى الشمال ورأس مشعاب فى الجنوب على ساحل البحر وبين خط يمر غرباً بشرق من الشق الى عين العبد وبين ضلع الارض المسمى بالشق والواقع فى غربيها . كما أنه توجد بينها وبين العراق منطقة محايدة هذه حدودها :

من نقطة تقاطع وادى العوجا بالباطن حيث تبدأ الحدود بين كل من نجد والكويت والعراق الى الامغر الذى هو منتهى الحدود العراقية من الجنوب ممتدة غرباً بجنوب الى بئر أنصاب فى الحدود النجدية ومن هذه النقطة يمتد الخط الى الشرق الجنوبى حتى الوقبة وينحرف من الوقبة الى الشمال الشرقى حتى الرقعى (وأما بينها وبين شرق الاردن فان الحدود لم تحدد اعتباراً من نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٣٨° بخط العرض الشمالى ٣٥ ، ٢٩° الى النقطة الواقعة غربى العقبة

بميلين حسبما حددت بموجب الاتفاق الانكليزى التركى سنة ١٩٠٦ لتعيين الحدود بين مصر وتركيا ، وظلت منطقة العقبة ومعان الداخلة فى ذلك التحديد غير محددة ولم يبتّ فى مصيرها حتى الآن) .

أما الحدود مع اليمن فانها ماز الت معلقة كذلك بسبب الاختلاف الناشىء على حدود المقاطعة الادريسية التى وضعت تحت حماية جلالة الملك عبد العزيز آل سعود سنة ١٩٢٦ ثم ضمت الى أملاك جلالته نهائياً عام ١٩٣٠ فبموجب المعاهدة التى أعلنت بها الحماية على تلك البلاد اعتبرت البلاد الادريسية كما كانت حدودها حينما عقدت معاهدة الصداقة بين السيد محمد على الادريسى وجلالة الملك عبد العزيز عام ١٣٣٩ غير أن الحدود الواقعية التى تدخل ضمن سلطان كل من المملكتين ممتدة من ميدى الى شمال صعدة متبعة وادى مخلاف الى حدود نجران ويام الجنوبية

ويعتبر معظم الربع الخالى (يوجد بحث عن الربع الخالى فى القسم الجغرافى من هذا الكتاب) من ملحقات نجد بسبب خضوع كافة القبائل الموجودة فيه له وتأديتها الزكاة لعماله عاماً بعد عام .

ويبلغ طول ساحل المملكة من العقبة الى ميدى ١١٠٠ ميل تقريباً .

ويبلغ طول الساحل من رأس معشاب الى قطَر ٣٥٠ ميلا كما أن خط الحدود من العقبة الى رأس مشعاب يبلغ ٧٥ ميلا .

ومن ميدى الى الخليج الفارسى ٨٠٠ ميل .

فاذا قيست مساحتها السطحية على ذلك المنوال كانت المملكة العربية السعودية عبارة عن (٤٥٠ الف ميل) مربع تقريباً .

عرض الجزيرة ٧٠٠ ميل
طول « ١٢٠٠
[illegible]

السواحل

يمكن القول أن الساحل الشرقى للملكة يتألف من شاطىء أكثره رملى تخترقه رءوس وخلجان ليست كبيرة الاهمية ففى مبتدأ خط الشاطىء من الجنوب خليج كبير نوعا ما فيه جزائر البحرين المعروفة حتى رأس القليعة على خط شبه مستقيم لا شذوذ فيه إلا فى مواضع قليلة . وهنالك بعض الجزر المحاذية للشاطىء أهمها جزائر البحرين المارة الذكر ثم جزيرة دارين (هى فى الحقيقة ثلاث جزر) ثم جزيرة أبى على ثم جزيرة جنة وجزائر أخرى صغيرة متناثرة هنا وهنالك . وتوجد على محاذاة قسم غير قليل من الساحل شعاب مرجانية ليست بذات أهمية مثل تلك الموجودة على الساحل الغربى للمملكة . ويشذ عن استقامة الشاطىء الشرقى ثلاثة رءوس لها أهمية تقل وتكثر بالنسبة الى موقعها فهنالك رأس تنورة الواقع بين القطيف والجبيل وهو ممتد فى داخل البحر الى مسافة تستطيع السفن البخارية أن تقرب منه لافراغ شحناتها فيه . ثم رأس مشعاب الى الشمال من ذلك . ثم رأس القليعة حيث تبدأ حدود منطقة الكويت .

ويمكن القول ان هذا الساحل يحتوى على ثلاثة أخوار صالحة للملاحة : أولها الجوف الكبير الكائن بين البحرين وقطر والساحل العربى وفيه مرفأ العقير . وهذا الخليج قليل العمق كثير الصخور المرجانية والشعاب وليست له أهمية طبيعية إلا لوقوعه بين البحرين والحسا وكونه المرفأ الوحيد القريب من هذه المقاطعة

وأما الخليج الثانى فهو الكائن الى جنوبى رأس تنورة بينه وبين القطيف وهو فى حالته الحاضرة غير صالح لاقتراب السفن منه لاسيما لظاهرة عجيبة فيه بارزة

للعيان وهى ارتفاع المد الى درجة عظيمة ثم انخفاض الجزر الى أدنى حدوده فيتعذر سير السفن فيه .

وأما ميناء الجبيل الواقعة شمالى رأس تنورة فانها أحسن من ميناء القطيف ولكنها ليست قابلة فى حالتها الحاضرة لرسو السفن الكبيرة فيها .

والخليج الثالث هو الكائن شمالى الجبيل وهو مسدود من ثلاث جهات بجزيرة أبى على من جهة البحر والساحل من الجهتين الاخريين .

وفى وسطه أيضاً جزيرة جنة وهى الى الشمال من جزيرة أبى على .

ولكن الميناء الطبيعى الذى يمكن أن يصبح الميناء الوحيد للساحل الشرقى للمملكة هو ميناء رأس تنورة .

وبقرب هذا الساحل مغاصات اللؤلؤ الشهيرة .

وأما الساحل الغربى للمملكة وهو الممتد من ميدى الى العقبة فانه أكثر استقامة من الساحل الشرقى وأطول منه أيضاً ويمتد على محاذاة القسم الكبير من الشاطىء شعاب مرجانية تعيق سير الملاحة وتهددها ، وكما أن فى هذا القسم من الساحل جزائر مرجانية غير أن معظمها لا أهمية له ماعدا جزائر فرسان فى الجنوب وأما الجزر الاخرى فنها غير صالحة للسكن إلا الجزر الثلاث المقابلة لجدة والجزيرة المقابلة لينبع فان الثلاث الاولى منها معدة لتكون محجراً صحياً كبيراً والاخيرة مازالت غير مستعملة ولكنها قد تصبح يوماً ما محجراً آخر لينبع

ليس فى هذا الساحل خلجان مهمة سوى خليج العقبة وما بقى من الخلجان فانه عديم الفائدة قليل الاهمية .

ان الموانىء على هذا الساحل كثيرة ومع أن كلا من جيزان والقحمة والبرك والقنفذة والليث وجدة ورابغ وينبع واملج والوجه والعقبة مفتوح للسفن فان الموانىء المهمة هى جدة وينبع والعقبة وبالرغم عن أن ميناء جدة محاط بشعاب

مرجانية كثيرة تعيق الملاحة وتكون خطراً على السفن فانها أعظم الموانىء على الساحل الغربى للمملكة .

أما من حيث التشكيلات الطبيعية فان ميناء رابغ هى الميناء الاكثر انطباقا على الشروط اللازمة للموانىء بيد أن وقوعها فى منتصف المسافة تقريباً بين مكة المكرمة والمدينة المنورة ووجود ميناءى جدة وينبع أقرب منها الى البلدتين المذكورتين فان أهميتها التجارية من وجهة الملاحة الخارجية قليلة القيمة فى الوقت الحاضر .

الفصل الثانى

العوارض الطبيعية والمناطق الجغرافية

السراة – المنطقة الساحلية الغربية – منطقة الهضاب والنجود – المنطقة الجبلية المنطقة النجدية – جبل شمر – نجد والعارض – السهول والرمال – النفود الكبير – الربع الخالى – الدهناء – الصمان – المنطقة الساحلية الشرقية

أهم الصفات الطبيعية البارزة للمملكة العربية السعودية هى سلسلة جبال السراة (الحجاز) التى تخترقها على محاذاة الساحل الغربى من الشمال الى الجنوب. ان هذه الجبال تكوّن القسم الشمالى والاوسط من سلسلة جبال السراة التى تقسم جزيرة العرب الى قسمين شرقى وغربى متجهة على محاذاة ساحل البحر الاحمر من شمالى مَدْين الى اليمن وهى نظراً لقربها من الساحل الغربى فان انحدارها اليه شديد وقليل المسافة بينما ان انحدار هذه السلسلة الى الجهة الشرقية خفيف وتدريجى .

وقد سميت هذه السلسلة حجازاً لانها حجزت بين ساحل البحر الاحمر وهو هابط عن مستواها و بين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة الى الساحل الغربى . وقد سمي القسم الهابط عن مستوى الحجاز الى الغرب بتهامة ، وسمي القسم الشرقى منه نجدا [1] .

---

(١) لم نتبع فى هذا التقسيم ما جاء فى كتب العرب عن البلاد العربية ، بل اننا حصرنا المناطق بصفة تقرب فهمها من الذهن . وها نحن أولاء نذكر هنا التقسيم الذي كان العرب يقسمون هذه البلاد اليه . قال ياقوت (مجلد ثالث صفحة ٢١٩) : فصارت بلاد العرب من هذه الجزيرة التي نزلوها وتوالدوا فيها على خمسة أقسام عند العرب فى أشعارهم وأخبارهم : تهامة والحجاز ونجد والعروض واليمن . وذلك ان جبل السراة وهو أعظم جبال العرب وأذكرها اقبل من ثغرة اليمن حتى بلغ أطراف بوادى الشام فسمته العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور وهو تهامة وهو هابط وبين

وقد نشأ عن هذا التكوين الطبيعي للجبال الحجازية أن قسمت المملكة العربية السعودية من الوجهة الطبيعية الى مناطق جغرافية لكل منها صفات تميزها عن الاخرى مع اشتراكها معاً فى خواص أخرى عمومية شاملة لكل المملكة. وتسهيلا لمعرفة ذلك يمكننا أن نتخذ جبال الحجاز قاعدة لهذا التقسيم الطبيعي وتمييز المناطق الجغرافية الآتية[1]:

أولا — المنطقة الساحلية الغربية: وهى ممتدة من أقصى الجنوب الى منتهى خليج العقبة فى الشمال وتسمى تهامة وقد تقال مضافة الى القسم الذى تحاذيه فيقال تهامة اليمن وتهامة عسير وتهامة الحجاز. والحقيقة ان التهائم ليست عبارة عن المنطقة الساحلية السهلة فحسب بل انها تشمل أكثر المنطقة الواقعة الى المنحدر الغربي لسفوح جبال الحجاز. وقد تضيق هذه المنطقة الساحلية وتتسع فى أماكن معروفة فيبلغ اتساعها فى بعض الاماكن ٤٠ ميلا وهذا أقصى اتساع لها وقد تضيق فى أماكن أخرى الى أن تصبح الهضبات القريبة من الساحل متصلة بالشاطىء رأساً وأكثر

نجد وهو ظاهر فصار ما خلف ذلك الجبل فى غربيه الى أسياف البحر من بلاد الاشعريين وعك وكنانة وغيرها ودونها الى ذات عرق والجحفة وما صاقبها وغار من أرضها الغور غور تهامة وتهامة تجمع ذلك كله وصار ما دون ذلك الجبل فى شرقيه من صحارى نجد الى أطراف العراق والسماوة وما يليها نجداً ونجد تجمع ذلك كله وصار الجبل نفسه وهو سراته وهو الحجاز وما احتجز به فى شرقيه من الجبال وانحاز الى ناحية فيد والجبلين الى المدينة ومن بلاد مذحج تثليث وما دونها الى ناحية فيد حجازاً والعرب تسميه نجداً وجلسا وحجازاً والحجاز يجمع ذلك كله. وصارت بلاد اليمامة والبحرين وما والاهما العروض وفيها نجد وغور لقربها من البحر وانخفاض مواضع منها ومسايل أودية فيها والعروض يجمع ذلك كله وصار ما خلف تثليث وما قاربها الى صنعاء وما والاها من البلاد الى حضرموت والشحر وعمان وما بينها اليمن وفيها التهايم والنجد واليمن تجمع ذلك كله.

(١) مع ان هذا التقسيم يمكن أن يكون صحيحاً بالنسبة الى كافة المملكة الا اننا نلفت النظر الى حقيقة واضحة وهى أن تسلسل المناطق التي شرحناها لا ينطبق كل الانطباق على جميع الاماكن فالمنطقة الاولى مثلا تصدق على كافة الساحل الغربي مع ملاحظة كون اتساعها فى جهات عسير هو أضيق منه فى الشمال والمناطق الاربع الباقية لا تظهر فى جهات عسير بوضوح تام كما هى الحال فى الشمال. فان المنطقة الثانية مثلا هى فى عسير مفقودة لان جبال عسير تنحدر بشدة الى الساحل وتؤلف القسم المسمى بالعقبة وهو منطقة جبلية تحاذى منطقة الساحل صعبة المرتقى.

هذه المنطقة الساحلية رملى شديد الحرارة قليل الانبات . وجميع المدن الساحلية تقع فى هذه المنطقة .

ثانياً — منطقة الهضاب والنجود وهى الموازية للمنطقة الساحلية والمتصلة بها مباشرة ويبلغ معظم ارتفاع هذه الهضاب ٦٥٠ متراً وفى الحقيقة ان هذه المنطقة محسوبة من تهامة وانما ميزناها عن المنطقة الاولى بالهضاب التى تتألف منها وكون الاولى سهولا رملية قليلة الارتفاع ولا يتجاوز عرض هذه المنطقة الاربعين ميلا وقد يتسع الانفراج ويضيق بالنسبة الى الاماكن القريبة منه . وتقع مكة المكرمة فى هذه المنطقة وتنتهى عند سفح المنطقة الجبلية الاصلية .

ثالثاً — المنطقة الجبلية المرتفعة وهى الممتدة من شمالىّ مَدْيَن الى حدود اليمن ويتراوح ارتفاعها من ٥٠٠٠ قدم الى ٨٠٠٠ (وحرّة العويرض والحسمة وحرة خيبر ٦٠٠٠ — ٨٠٠٠ قدم شرق مكة ٥٠٠٠ قدم) ومناخ هذه المنطقة فى شرقيها معتدل لطيف وتكثر فيها الأشجار فى سفوح الجبال وفى الأودية والسهول المختلفة فيها . وتقع تيماء وخيبر والحناكية والطائف وغامد وزهران وبنى شهر وأبها فى هذه المنطقة .

(رابعاً) المنطقة المترامية الأطراف ، والممتدة من سفوح المنطقة الجبلية الحجازية المار ذكرها الى الدهناء التى تفصل بينها وبين ساحل الخليج الفارسى . ونظراً لاتساع هذه المنطقة ، والاختلاف البين فى مناطقها الكثيرة من حيث التكوين الجغرافى والجيولوجى نفضل أن ندرسها بصورة مفصلة نوعا ، ومن أجل تلك الغاية نحاول تصنيفها على قسمين :

١ ـ الاقسام الجبلية المرتفعة التى يمكننا أن نسميها نجداً .

٢ ـ السهول والرمال والصحارى المحيطة بها .

يبلغ عرض هذه المنطقة اعتباراً من منتهى المنطقة الرابعة الى الدهناء مايقرب من (٥٠٠ ميل) ومع أن الصفة الماثلة فيها هى صفة النجود المنحدرة بتؤدة وميل

مطرد الى جهة المشرق فان فى ثناياها تبايناً عظيما من حيث تكوين التربة وطبيعة التكوين الجغرافى والجيولوجى . فالاقسام الجبلية التى ترتفع عن المستوى العمومى للمنطقة التى أطلقنا عليها اسم نجد والتى تبتدىء من شرقى جبال الحجاز تكاد تكون منحصرة فى جبلى طيء (اجا وسلمى) اللذين يسميان فى الوقت الحاضر مع المنطقة المجاورة لهما بجبل شمّر وفى المنطقة الجبلية الاخرى الكائنة فى أطراف جبل الطويق الذى يعترض نجداً ممتداً من الشمال الشرقى الى الجنوب بشكل يقرب من شكل الهلال .

١ — جبل شمر

تقع هذه المنطقة الجبلية بين الحافة الجنوبية للنفود الكبير [١] من الشمال ووادى الرمة من الجنوب وبين واحة تيماء من الغرب والغوطة [٢] والدهناء من الشرق وهى مؤلفة من جبلى أجأ وسلمى .

أجأ وسلمى جبلان قال ياقوت عنهما انهما عن يسار سميرا . وأجأ أحد جبلى طيء وهو غربى فيد وبينهما مسير ليلتين وفيه قرى كثيرة ومنازل طيء فى الجبلين عشر ليال من دون فيد الى أقصى أجأ الى القريات من ناحية الشام ، وبين المدينة والجبلين على غير الجادة ثلاث مراحل وبين الجبلين وتيماء جبال ذكرت فى مواضعها من هذا الكتاب منها : دير وغريان وغسل وبين كل جبلين يوم وبين الجبلين وفدك ليلة وبينهما وبين خيبر خمس ليال .

وقال موزيل [٣] عن اجأ : انه سلسلة تمتد لمسافة ٦٥ كيلو متراً من الجنوب الغربى

---

(١) النفود الكبير هو القطعة النسيجة من الارض الرملية اعتباراً من الجوف الى جبل شمر ومن شرقي تيماء الى الدهناء . انظر فى الصفحات التالية .

(٢) غوطة الجوف لاغوطة دمشق .

(٣) شمال نجد ص ٨٨

الى الشمال الشرقى ومتوسط عرضها فى الجهة الغربية ١٠ كيلو مترات وارتفاعها عن سطح البحر ١٤٠٠ متر الغربى ومتوسط عرضها فى الجهة الشمالية ٢٠ كيلو متراً وارتفاعها ١٧٠٠ متر ، وليست السلسلة سلسلة بالمعنى الصحيح بحيث أنها جبال متصلة بل انها عبارة عن جبال متلاصقة تفصل بينها أودية وشعاب مختلفة ويمكن حساب هذه السلسلة كأنها مؤلفة من ثلاثة جبال متوازية أعلاها السلسلة الوسطى

ويقسم اجأ فى الجنوب مضيق المرمى والى شمال المرمى توجد قمتان معروفتان باسم أبو رزومه وحوشان . وأهم جبال السلسلة هى الدريجة والمريتبة والريدة والاغيق والصباح والجاغ والسروال والجليحد والجبار وأعلاه جبل الفرع . وفى القسم المتوسط تقوم جبال أخرى أهمها الظلما والبلطا والصهبان وشطار .

وأما الشعبان والمضايق فأهمها : المختلف وعقنقلة والسلف والجو .

وذكر موزيل[1] : تمتد سلسلة جبال سلمى الى مسافة ٥٥ كيلو متراً من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وسط بيداء منبسطة ومتوسط عرض السلسلة ٧ كيلو مترات ومع أن السلسلة لاترتفع عن سطح البحر أكثر من ١١٠٠ متر فان وجودها فى وسط هذا المنبسط يجعلها تظهر أرفع بكثير من حقيقتها .

وتتألف السلسلة فى الحقيقة من عدد لايحصى من الجبال والآكام التى تفصل بينها أودية وشعبان عديدة . ومنتهى السلسلة من الجنوب الغربى جبل الجديد الذى يمتد بشكل ثلاثة قرون بارزة يوجد على جهة الجنوب الغربى منها آكام الرمان . أما الجديد فينفصل عن جبل الشرا وجبل الشطية بوادى الشق ، والى المنتهى فى الشمال الشرقى للسلسلة توجد واحة العدوة . أما الشعبان التى تفصل جبال السلسلة بعضها عن بعض فأهمها : شعيب العنش وشعيب السبعان وشعيب المديسب وشعيب الحر وشعيب اللكام ، المشهورة فى التاريخ العربى ويبلغ طولها من

(١) كذا ص ٧٦

الشرق الى الغرب ٣٠٠ ميل ومن النفود الى وادى الرمة ١٥٠ ـ ٢٠٠ ميل .

أما جبل اجأ فهو الى الشمال من جبل سلمى وهو فى نفس الوقت أعلى السلسلتين واتجاهه من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى وهو مرتفع عن السهل المحيط به بمقدار ١٠٠٠ قدم ويبلغ أقصى ارتفاع فيه عن سطح البحر عند جبل الفرع خمسة آلاف و ٥٠٠ قدم ويمتد بالاتجاه الذى ذكرناه الى مسافة مائة ميل بعرض يتراوح من ١٥ الى ٢٠ ميلاً ، وأما جبل سلمى فانه دون الأول ارتفاعاً وأقل منه مساحة . ولا يختلف الاثنان من حيث التركيب الجيولوجى ولا الشكل أيضاً . وأما المسافة الفاصلة بين الجبلين فانها لاتزيد عن عشرين ميلا من الارض السهلة المنخفضة وفى سفح جبل اجأ وعلى بعد لايزيد عن ميلين تقوم بلدة حائل عاصمة هذه المنطقة .

ويقال بالاجمال ان منطقة جبل شمر منطقة هضاب مرتفعة عن السهل الكائنة فى وسطه وتتميز بجبليها المتوازيين اجأ وسلمى وفيها انحدار من جهة الغرب الى الشرق الشمالى ومتوسط الانحدار هذا يزيد عن ٢٥٠٠ قدم .

٢ — نجد أو العارض

تطلق كلمة نجد على الأرض المرتفعة وتستعمل اصطلاحا لتدل على المنطقة الوسطى من جزيرة العرب وهى المنطقة الواقعة شرقى الحجاز الى الدهناء فى الشرق . وقد اختلف الجغرافيون العرب فى تحديد المكان الذى تبدأ نجد فيه من جهة الحجاز إلا أن المعترف به أنها تبدأ من ذات عرق ونخلة وهو مكان يبعد عن وادى السيل المشهور فى الحجاز ببضعة أميال ، ويقال ان مَن رأى حضناً فقد أنجد[١] .

غير أننا هنا نطلقها على المنطقة الواقعة بين الدرجة ٢٧ من العرض الشمالى وبين الدرجتين ٤٣و٤٧ من الطول الشرقى .

---

(١) قال ياقوت حضن جبل بأعلى نجد وهو أول حدود نجد بينه وبين تهامة مرحلة .

وهذا التحديد يشمل الارض التى يحدها جبل شمر من الشمال ومنطقة الهضاب الحجازية شرقى سلسلة جبال الحجاز وعسير من الغرب والصحراء الكبيرة (الربع الخالى) من الجنوب والدهناء الفاصلة نجداً والاحسا من الشرق. واذا قيست الابعاد بالمسافات كان طول نجد من أقصى نقطة شمالى القصيم الى أقصى نقطة جنوبى وادى الدواسر ٤٥٠ ميلا وعرضها من غربى الوشم الى شرقى السدير ٣٠٠ ميل.

ويقسم نجداً سلسلة من الجبال تسمى العارض تتجه من الشمال الى الجنوب بشكل مقوس نوعاً وتقوم عليها وفى أطرافها الدساكر النجدية وفى أعلى مكان من السلسلة تقوم منطقة من المناطق النجدية المهمة وهى منطقة السدير. وبعد أن تجتاز السلسلة هذه المنطقة تنقسم الى شعبتين شعبة شرقية تتجه الى الجنوب الشرقى الى أن تغور وسط الصحراء وتسمى العرمة، وشعبة غربية تمتد الى الجنوب وتغور قليلا ثم تظهر ثانية وتتجه فى وجهة غربية جنوبية وتسمى الطويق.

وفى الحقيقة ان البلاد النجدية يمكن اعتبارها كسلسلة من الواحات المتشابهة فى التشكيل، المختلفة فى الكبر والمساحة، تمتد من القصيم الى وادى الدواسر على أطراف سلسلة جبل الطويق. ومعدل ارتفاع هذه السلسلة عن سطح البقاع المجاورة له ٦٠٠ قدم.

وسنأتى على ذكر هذه الواحات وتفصيل ما فيها فى موضع آخر من هذا الكتاب ولكننا لا نرى بأساً من أن نسردها هنا مرتبة بالتسلسل من الشمال الى الجنوب وهى القصيم والسدير والوشم والعارض (أو وادى حنيفة) الخرج الحريق الافلاج والوادى (أى وادى الدواسر).

واذا قلنا ان المنطقتين السالفتى الذكر هما المنطقتان الجبليتان فى البلاد الواقعة ما بين الحجاز والخليج الفارسى فليس معنى ذلك أنه لا توجد جبال اخرى خلافها فى هذه المنطقة، فقد سبق لنا أن ذكرنا أن هذه المنطقة يطلق عليها جميعها اسم

نجد لكونها مرتفعة عن تهامة ، ولكن بعض الأقسام فيها أكثر ارتفاعا من الاقسام الاخرى :

فبلاد عسير مثلا تنحدر بميل بسيط من الجنوب الغربى الى الشمال الشرقى الى أن تتصل بوادى الدواسر والعارض ولكنها تحوى جبالا عديدة كبيرة الاهمية ، وان ما ذكرناه هو أهم المناطق الجبلية ذات الصفة البارزة .

٣ — السهول والرمال

سبق أن ذكرنا أن المنطقة الخامسة مؤلفة من السهول النجدية ومن الأقسام الجبلية وقد أوردنا فيما مضى ما يخص الاقسام الجبلية ، وها نحن أولاء نذكر فيما يلى الاقسام الصحراوية :

النفود :

معنى النفود الرمال الكثيفة الصعبة المرور تسفيها الرياح فتولف كثباناً متسلسلة . ولم نجد لهذا الاصطلاح أثراً فى اللغة العربية القديمة ولكننا نعتقد أنه استعمال حديث مأخوذ من نفد أى سار الى الهلاك والعلاقة بين هذه الرمال وبين الهلاك أن داخلها يكون معرضاً لخطر الهلاك .

وأما الرمال التى يطلق عليها اسم النفود فى الوقت الحاضر فقد كانت تعرف بأسماء أخرى فى القديم فالنفود الكبير الشمالى بين الجوف وجبل شمر كان معروفا باسم عالج ، والنفود الجنوبى المسمى بالربع الخالى كان معروفا باسم رملة يبرين .

واذا أطلقت كلمة النفود شملت جميع الاراضى الرملية الكثيفة فهى تشمل الدهناء مثلما تشمل الاحقاف أو الانفاد الاخرى فى البلاد العربية .

واذا استثنى النفود الكبير فان الانفاد الاخرى تعرف بأسماء مواضعها التى

تضاف اليها فيقال نفود السر ونفود العروق ونفود الخبوب وما شابه .

أما النفود الكبير فقد ورد الوصف الآتى عنه تحت اسم عالج . قال : البكرى ان رملة عالج كانت ملكا لقبيلة كلب ثم لقبيلة بحتر من طىء بينما ان قسمها الجنوبى الغربى كان ملكا لفزارة . وقال أبو زياد الكلابى ان رملة عالج تمتد من قرب محطة زرود الى الدهناء . وقال ان عالج تمتد الى الحجاز بقرب وادى القرى وتيما .

وقال ياقوت[١] رملة بالبادية مسماة بهذا الاسم بين فيد والقريات ينزلها بنو بُحتر من طىء وهى متصلة بالثعلبية على طريق مكة . لاماء بها ولا يقدر أحد عليهم فيه وهو مسيرة أربع ليال وفيه برك اذا سالت الاودية امتلأت . وذهب بعضهم الى ان رمل عالج هو متصل بوبار[٢] .

وقالت دائرة المعارف البريطانية[٣] ان الحد الشمالى لهذه الصحراء الواسعة يكاد يسير على محاذاة خط العرض الثلاثين الشمالى ممتداً الى الغرب والشرق لمسافة ٤٠٠ ميل بعرض ٢٠٠ ميل من الشمال الى الجنوب ومع ان المياه معدومة فيه فانه فى الحقيقة أكثر نباتاً وشجراً من الحماد لأن كثبان الرمل فيه مكسوة بشجر الغضا وغيره من النباتات كالعذر والاثل . وتوجد فى النفود بعض آبار فى مقاطعة الحجرا الى الشمال الشرقى منه وآبار أخرى فى الجهة الجنوبية القريبة منه . وقد وصف الويس موزيل فى كتابه عن شمالى نجد أرض النفود هذه وذكر تركيبها وأحوالها والاصقاع المجاورة لها وصفاً دقيقاً ، نحسبه أدق ما كتب عن هذه القطعة .

وقد قطع النفود من الجوف الى الحيانية متبعاً الطريق من الشقيق الى خب الضب فخب الجروان فخب الصحة فالحيانية ، وانحدر من هذه الى الجبيل فالثعلبية الواقعة على درب الحج من الكوفة وعاد على محاذاة الحد الجنوبى لنفود الى قرب جبل أجأ ومنها الى الدلا فى الحجاز وعاد مرة أخرى الى قرب حائل بطريق متجهة

---

(١) مجلد ٦ ص ٩٩

(٢) وبار آثار خربة وسط الربع الخالى تبعد مايقرب من مئة وخمسين ميلا عن ساحل ظفار .

(٣) مجلد ٢ ص ٢٥٨

الى الشمال أكثر من الطريق التى حضر فيها الى العلا وخبر أحوال النفود وما فيه من أودية وشعاب وطعوز وقعور .

وقد اختلف فى سعة الرقعة التى يشملها النفود الكبير هذا وتوهم بعضهم انها عظيمة جداً ، حتى ان دائرة المعارف البريطانية فى طبعتها الثالثة عشرة قدرت أبعاد النفود تقديراً يختلف عما هو معلوم الآن .

بيد ان الأبعاد الحقيقية قد تعينت فى الوقت الحاضر بصورة دقيقة لاشبهة فيها. ويبلغ عرضها من الشرق الى الغرب ٢٨٠ ميلا وطولها من الشمال الى الجنوب ١٤٠ ميلا ويمكن تشبيه النفود بمثلث أحد رءوسه يبعد مسيرة يوم عن شرقى تيماء الى المنتهى الجنوبى لحفرة الجوف عند الشقيق ويمتد الى الجنوب حتى سفح جبل أجأ والى الشرق الشمالى الى آبار الحيانية ولكن القسم الرملى العسير المرور والخالى من المياه هو القسم الممتد من الشقيق فى أطراف الجوف الى الجبة .

ويقول البدو ان النفود يمتد من الجوف الى اليمن ، وفى هذا القول شئ غير قليل من الحقيقة لأن النفود الشمالى الذى نصفه هنا يتصل ـ مع استثناآت معينة ـ بالنفود الكبير الآخر فى جنوبى المملكة والمسمى باربع الخالى وذلك بواسطة انفاد متقطعة وسط البلاد هنا وهناك و بواسطة الدهناء التى يمكن حسبانها كامتداد رملى بين النفودين الشمالى والجنوبى .

ويبلغ معدل ارتفاع أراضى النفود الشمالى عن سطح البحر ٢٥٠٠ قدم ففى الشرق والشمال يبلغ الارتفاع ٢٠٠٠ قدم وفى الغرب والجنوب ٣٠٠٠ قدم .

وليست أرض النفود الشمالى عبارة عن سهول رملية كثيفة فحسب ، بل ان معظمها كثبان ترتفع وتنخفض فى أماكن عديدة وتكون فى الغالب صعبة المرتقى ويبلغ ارتفاع بعضها ٣٠٠ ـ ٥٠٠ قدم عن مستوى الارض المجاورة .

ولا يوجد فى القسم الوعر من النفود آبار معروفة ، ولكن فى أطرافه من جوانبه الاربعة آبار تردها القوافل والرعاة ، فالمسافة بين الشقيق والجبة لاماء فيها

مطلقاً ولكن الجبة نفسها عبارة عن قعرة منخفضة عن مستوى ما بجوانبها من الرمال بمعدل ٣٠٠ قدم وفيها ماء غزير تمنعه سلسلة من الآكام الكلسية من هجمات الرمال حين هبوب الرياح والعواصف . والبئر الاخرى الموجودة وسط النفود بين الجبة وحائل هي بئر قانة . وتوجد آبار أخرى بين الجبة والحيانية كما ان هنالك آباراً أخرى في الجهات الجنوبية من النفود عند أم القلبان والهزول والعبيقة . وربما كانت هنالك آبار أخرى لايصلها الا بعض البدو من المعتادين على اختراق مجاهله والعارفين بالقعرات الموجودة فيه .

وتمرّ القوافل في النفود من طرق معلومة تخترق الرمال والكثبان أهمها الطريق مابين الجوف وجبل شمر بطريق الشقيق والجبة ، والطريق الآخر من الجوف الى الحيانية ومنها الى حائل (وهذا القسم هو الجزء الاخير من درب الحج بين حائل والعراق) والطريق من الجبة الى تيما وتبوك .

ويكون عبور النفود سهلا أو صعباً بالنسبة الى (١) تعدد الاكثبة الرملية وقرب بعضها من بعض (٢) طبيعة الرمال المؤلفة منه وهل هي غرانيتية أو كلسية أو رملية (٣) تعرضها للامطار أو عدمه . ففي زمن القيظ يكون المرور من النفود عسيراً جداً ولذلك فان القبائل لاتدانيه في ذلك الفصل . الا ان فصلي الشتاء والربيع في النفود من أحسن الاوقات التي تستجلب القبائل اليها ففي هذين الفصلين يكثر الكلأ للرعي ويكون الحطب الضروري للبدوي مبذولا فترى الماشية منبثة في أطرافه وجوانبه من كل حدب وصوب .

وللنفود مميزات خاصة به أهمها سلاسل الاكثبة الرملية والطعوز والافلاق والقعور والخبوب .

فالاكثبة الرملية هي الهضاب التي تعلو عن مستوى سطح الارض المجاورة وهي في الغالب مؤلفة من الرمال الرقيقة التي تسفيها الرياح وبهذا الاعتبار كان للرياح تأثير كبير في تكوّن الاكثبة وتشكلها . والطعز هو أعلى الكثبة الرملية .

ويكون فى الغالب بشكل حذوة الفرس ويختلف قطرها من قدمين الى ٥٠ قدما وارتفاعها من ١٥٠ الى ٥٠ قدماً .

ولكن الظاهرة المخصوصة بالنفود أكثر من سواها هى القعرة أو الفلق وهى فقرة فى الارض يحيط بها الطعز الهلالى المار الذكر ويختلف سطح القعر عن البقعة المجاورة فى انها صلبة أو حصباء وتلك رمال . وميل الافلاق هذه يكون بحسب اتجاه الرياح ونظراً لأن أكثر هبوب الرياح فى هذه المنطقة من الغرب والشمال الغربى كان ظاهر الهلال مائلا الى الغرب وبطنه المحتوى على القعر والفلق الى الشرق أو الشرق الجنوبى . وقد يوجد فى بطن القعر ماء يرده الرعاة والقوافل .

وأما أرض الخب فانها قطعة من النفود مستطيلة أرضها حصباء تحيط بها من جوانبها آكام رملية ينمو فيها العشب نمواً حسناً ، وعبورها أسهل من البقاع الاخرى فى النفود . ومن الغريب أن الآكام المحيطة بها تمنع الرمال من طمرها فتظل دوما على حالها .

ويغلب نزول المطر فى النفود فى أواسط شهر نوفبر عقيب الرياح الهابة من المشرق . ولم يذكر أن نزل فى النفود ثلج ولكن كثيراً ما ينزل عليها شؤبوب من البرَد ، ولم يشاهد أن الماء فى النفود ينجمد مهما هبطت درجة الحرارة . وأما هذه فان هبوطها وصعودها غير منتظم وقد يكون فرق الحرارة فى الاربع والعشرين ساعة بالغاً حداً عظيما فبينما الحرارة على أشدها بالنهار واذا بالبرودة تبلغ أقصى حدها ليلا .

وأما الانفاد الاخرى التى تلى النفود الكبير فى الاهمية فانها تنفصل عن الدهناء (التى سنأتى على وصفها قريباً) مابين القصيم والسدير غربى الزلفى وكأنها هى والدهناء تحجز جبال اليمامة (العارض والطويق والعرمة) بينها فالدهناء تحيط بها من المشرق وهذه الانفاد تحيط بها من الشمال والغرب .

قال فلبى [1] : تمد الدهناء الكبيرة ــ التى ليست فى الحقيقة الا امتدادا من النفود

---

(١) بلاد الوهابيين ص ٨٦

السكبير — كراعاعريضاً من الرمل حول النهاية الشمالية لهضبة الطويق فى اتجاه جنوبى يبدأ ما بين الزلفى وعنيزة مكوناً ثلاث أصابع الى الشرق الجنوبى اعتباراً من النقطة التى يصل اليها عند حد الوشم الشمالى . أما القسم الشرقى من هذه الثلاثة وهو أقلها عرضاً فانه ينفصل عن مرتفعات السدير بمقاطعة الحمادة ، ويعرف باسم النفود الشرقى ونفود شقرا وطريف الحبل فى أقسامه المختلفة .

والنفود الثانى هو النفود الواقع الى الغرب من الوشم واسمه فى الشمال نفود البطرا وفى الجنوب نفود قنيفذة .

والى الغرب من هذا النفود يقوم نفود آخر أعظم من الأولين هو نفود السر يبلغ عرضه ٢٧ ميلا ، ويقوم بين النفود المتوسط ونفود السر سهل منبسط يدعى المروطة وهو يفصل بين نفودى قنيفذة وبطرا فى الشرق ونفود السر ودلقان فى الغرب .

ويقوم الى الجهة الشمالية الغربية من السر نفود آخر يقع بين المذنب والرس واسمه نفود الشقيقة .

ولجميع هذه الانفاد ميزة واحدة تشترك فيها مع النفود السكبير فى الشمال ولا سيما من حيث تكوين الطعوز والافلاق والقعور .

٤ — الربع الخالى

« الربع الخالى » اسم حديث لمنطقة شاسعة من الرمال كانت تعرف فيما مضى باسم رملة يَبرين . قال ياقوت[1] : « يبرين رمل لا تدرك أطرافه عن يمين مطلع الشمس من حجر اليمامة . . . . وفى كتاب نصر : يبرين من أصقاع البحرين به منبران ، وهناك الرمل الموصوف بالكثرة بينه وبين الفلج[2] ثلاث مراحل وبينه

(١) م ٨ ص ٤٩٤ (٢) المظنون أنها الافلاج اليوم

و بين الاحساء و هجر مرحلتان وهو فيما بينهما و بين مطلع سهيل .

وقال الهمدانى [١] : وعن يمين البحرين ودونها يبرين واثان موضع فيه نخل كثير لبنى ودعة ويبرين نخل وحصون وعيون جارية وغير جارية وسباخ .

وقال أيضاً [٢] : يبرين فى شرق اليمامة وهى على محجة عُمان الى مكة وكأنها أدخل فى محاذاة اليمامة الى الجنوب شيئاً و بينهما و بين حضرموت العجم بلد واسع لا يقطع و منظرها من اليمامة بين المشرق والجنوب ، وما بين يبرين و بين البحر الرمال ولها طريق الى اليمامة و الى البحرين ، وهى أرض منقطعة بين الرمال وهى ذات نخل كثير من الصفرى و البرنى وذات زرع قليل وبها نبق كبار على هيئة بعض البهرة وساكنها من لحوم العرب أى بطون العرب ويقال طخوم مثل لحوم ، ثم استخرجتها من أيديهم قشير ، ثم أخرجت القرامطة بنى قشير عنها .

و أما ابعاد هذه المنطقة فهى غير محددة على وجه الصحة و المعروف بين العرب انها تبدأ من جنوبى واحة يبرين العائدة لآل مرة على مسيرة ثلاثة أيام منها نحو الجنوب و تمتد الى الهضاب الموازية لساحل البحر الهندى فى الجنوب ، والى الجهة الغربية والغربية الجنوبية من هذه المقاطعة توجد مساحات شاسعة من الرمال الرقيقة المعروفة بالاحقاف ، وهذه يروى عنها أنها مغراق تبتلع الاجسام الثقيلة التى تطؤها .

وظل جهل الناس بهذه المنطقة المترامية الاطراف كبيراً بالرغم عن وجود كثيرين من البدو ممن اخترقوها فى سيرهم من الشمال الى الجنوب ومن الشرق الى الغرب وعاشوا فيها وذلك لعدم تدوين شىء عن أحوالها أو نشره. وقد سمعتُ جلالة الملك عبد العزيز يذكر أنه فى بعض سنى ضيقه فى أيامه الاولى كان يعتصم بأطراف الربع الخالى وانه أقام فيه مدة متوالية تقرب من أربعين يوماً ، وقد بُذلت

(١) ص ١٣٧ طبعة اوروبا (٢) ص ١٦٥

جهود عديدة للوقوف على أحوال هذه المنطقة وما حوته من أناس وحيوان و نبات وما فيها من جبال وو ديان ومياه وغدران الى أن وفق فى السنتين الأخيرتين رجلان من مجازفى الانكليز الى اختراقها أحدهما وهو المستر برترام توماس من الجنوب الى الشمال الشرقى مجتازاً أطراف الرمال الكثيفة الشرقية وثانيهما المستر سنت جون فلبى من الشمال الى الجنوب الى نقطة متوسطة ، كان وصلها المستر توماس واتجه منها غرباً الى منتهى وادى الدواسر .

ولسنا هنا فى معرض الدخول فى تفاصيل الرحلتين الآنفتى الذكر ، ولا كيفية القيام بهما ، وانما نكتفى بذكر أن المستر برترام توماس حاول اختراق منطقة الرمال الكثيفة عدة مرات ولم يتح له الوصول الى غرضه إلا فى شتاء عام ١٩٣٠ - ١٩٣١ ففى ذلك الوقت أكمل معداته للسفر من ظفار على شاطىء المحيط الهندى ماراً بسلسلة جبال القارة المشرفة على المحيط الهندى ومؤخرها يتصل بأقليم المهرة المعروف فى تلك الجهات بنجد . وفى ١٩ ديسمبر سنة ١٩٣٠ كان بقرب شيصور [1] التى تبدأ منها المنحدرات الشمالية للبلاد النجدية هذه حيث المنتهى الجنوبى لمنطقة الرمال . وقد استغرق اختراقه الرمال من شيصور الى قرب شبه جزيرة قطر مايقرب من شهر . وكانت طريقه على محاذاة الحافة الشرقية للربع الخالى الصحيح حيث تكثر المياه والآبار والخيران .

وأما المستر فلبى فانه اتبع طريقاً آخر للسير . فسار من الهفوف (الحسا) فى أواخر شهر يناير سنة ١٩٣٢ الى واحة جبرين ومنها اتجه جنوباً الى حيث يكون الربع الخالى فى متوسط نقاطه من كل الجهات عند بئر نيفا [2] وانطلق من هناك فى اتجاه غربى مطرد الى مسافة ٢٥٠ ميلا فوصل الى بلدة سليل فى منتهى وادى الدواسر . ومن أجل التدقيق فى العمل وربط النتائج التى حصل عليها هو بالنتائج

---

(١) تقع على نقطة تقاطع خطى الطول الشرقى والعرض الشمالى

(٢) تقع هذه الابار عند نقطة تقاطع خطى الطول الشرقى ٥ ٣ ٤٩° والعرض الشمالى ٥٠ ١٨°

التى حصل عليها المستر توماس فى الشتاء السابق فقد وصل فلبي الى آبار شنة الواقعة على خط العرض ١٨ درجة و ٥٩ ثانية. دقيقة

وكان من نتائج الرحلتين الآنفتى الذكر أنه أمكن معرفة كثير من الحقائق الجغرافية والجيولوجية والاجتماعية لمنطقة الربع الخالى الشاسعة التى يجوز لنا أن نحددها بانها واقعة بين خطى العرض ١٨ و ٢٤ من العرض الشمالى والخطين ٤٦ و ٥٤ من الطول الشرقى.

نعم ان الرحالتين توماس وفيلبى لم يتمكنا من زيارة كافة أصقاع الربع الخالى، وبقيت أمام طلاب الارتياد مساحات أخرى يجب تعرف أحوالها، إلا أنهما وفقا بصورة جازمة الى إيضاح المهم من طبيعة هذه البلاد وتكوينها وما فيها من تضاريس طبيعية وأحوال عمرانية واجتماعية [1] مماسنصفه بايجاز فيما يلى:

قال توماس [2] يتألف الربع الخالى من أراض صحراوية يكاد يكون قسماها الشرقى والجنوبى الى حد يقرب من ثلث مساحتها كلها عبارة عن أراضى الهضبات والقسم الباقى عبارة عن أوقيانوس من الرمال المنتشرة نحو الشمال والغرب

---

(١) كان المستر برترام توماس وزيرا للمالية فى حكومة سلطان مسقط، فاتيحت له الفرصة للوقوف على أحوال القسم الجنوبى من بلاد العرب وزيارة بعض الاماكن البعيدة عن العمران ودراسة أحوال تلك البلاد وما فيها. وقد اخترق الربع الخالى فى أطرافه الشرقية عام ١٩٣٠ — ١٩٣١ وكان قبل ذلك ببضع سنوات يواصل البحث والارتياد عن أحواله وأحوال سكانه ومعايشهم، وقد وضع عن رحلاته العديدة هذه محاضرات ورسائل وكتبا عديدة اهمها كتابه عن اختراق الربع الخالى وقد سماه (العربية السعيدة) ونشر بمعرفة يوناتان كايب بلندن.

وأما المستر سنت جون فلبي فان معرفته بالبلاد العربية مشهورة منذ ان كان موظفا فى الحملة العراقية أيام الحرب العمومية وقد وضع عن رحلاته فى البلاد العربية ثلاثة مجلدات اسمى الاثنين الاولين منها باسم «قلب البلاد العربية» والثالث باسم «بلاد الوهابيين» ومنذ بضع سنوات ترك خدمة حكومته وأقام فى جدة متعاطيا التجارة وجل قصده من ذلك حسب كلامه أن يفوز ببغيته العظمى يوما ما وهو اجتياز الربع الخالى وارتياد مجاهله. وقد وفق فى النهاية الى الوصول الى غرضه وتم له الفوز الاكبر بالقيام برحلته الجريئة فى مطلع العام الحالى ١٩٣٢. وقد وضع عن رحلته الاخيرة هذه كتابا يصف فيه مشاهداته كما أنه قدم تقريرا مفصلا حوى ملخص ماتيسر الوقوف عليه فيما يتعلق بالربع الخالى. وقد كتبت هذه الاسطر قبل أن ينشر كتابه.

(٢) العربية السعيدة ص ١٨٠

وتسمى الهضاب الجنوبية نجداً والشرقية سيحا فى قسمها الشمالى وجادة الخراسيس فى قسمها الجنوبى حالة كون المناطق الرملية معروفة باسم الرمل أو الرمال .

وقد وجد المستر توماس أن حافة الرمال الجنوبية تمتد على محاذاة الساحل الجنوبى للبلاد العربية من رملة مغشن [١] الى شمالى حضرموت فى مسافة تتراوح بين ٢٠٠ ـ ٢٥٠ ميلا ، وان انحدار هذه الحافة هو من الجنوب الى الشمال ومن الغرب الى الشرق مما يدل دلالة صريحة واضحة على كيفية نشوء هذه الرمال فى الازمنة الجيولوجية واتصالها بالقارة العربية الافريقية التى كان البحر الكريتاسى يحدها من الشرق . وذكر أيضا أن حافة الرمال من جهة المشرق تتجه الى الشمال والشمال الشرقى اعتباراً من رملة مغشن السالفة الذكر على مسيرة أربعة أيام للجمال حتى قرن السحامة ومنها تتجه شمالا الى قرب خليج فارس .

وفى أواسط منطقة الرمال ترتفع سلسلة عروق الضحية الكاسية على شكل نعل فرس ترتكز قاعدته على هضبات المنطقة النجدية المتاخمة للمحيط الهندى ويمتد ساعده الغربى على محاذاة خط الطول الشرقى ٤٩° الى قرب خط العرض الشمالى ٢٠° وأما ساعده الشرقى فيسير على محاذاة خط الطول الشرقى ٥٣° الى قرب خط العرض الشمالى ٢٢°٣٠َ . وهذه المنطقة هى بحق منطقة الرمال الكثيفة فى الربع الخالى ولا يسكن فيها من القبائل إلا الموغل فى الهمجية والوحشية والمتحمل لشظف العيش ومتاعب الحياة . وأهم هذه القبائل أربعة : قبيلة آل مرة بافخاذها ، وقبيلة آل كثير بفخذيها المعلومين : آل راشد وبيت أمانى ، وقبيلتا العوامر والمناصير والاولى تسكن فى الشمال والغرب والثانية فى الجنوب والاثنتان الاخيرتان فى الشرق والشمال الشرقى من الربع الخالى .

ويمكن القول أن الربع الخالى يقسم البلاد العربية من الوجهة الجيولوجية ، ويؤلف بين أقسامها حداً فاصلا بارز الصفات والتكوين . فقد أوضحنا فى البحث العائد لطبقات الارض كيف أن الابحر التى كانت فى الاعصر الجيولوجية

---

(١) تقع رملة مغشن بين درجتى الطول الشرقى ٥٤ و ٥٥ ودرجتى العرض الشمالى ١٩ و ٢٠

ممتدة من سواحل البحر الابيض المتوسط الى الحماد فالنفود الكبير فالمنحدرات الشرقية لسلسلة جبال السراة كانت تلاطم فى أطراف الربع الخالى مناطق أرضية تختلف من حيث التركيب الجيولوجى عن جاراتها . فما كان واقعاً من البلاد العربية الى الغرب والشمال الغربى والجنوب من الربع الخالى هو فى الحقيقة قسم من المنطقة الافريقية جيولوجياً حالة كون ما كان منها واقعاً الى الشرق والشمال الشرقى منه هو من حيث التكوين الجيولوجى جزء من بلاد إيران ، وقد وضح ذلك من تركيب الصخور والطبقات الارضية فى هذه المناطق من البلاد العربية .
وأما تكوين الربع الخالى نفسه فمن غير الممكن تعيين صلته بأى القسمين إلا أنه مما أمكن جمعه من نماذج الرمال والصخور المأخوذة من جهات مختلفة فيه يمكن القول بأنه مكون من سطح كلسى الاصل تكسو الطبقات العليا منه رمال يشوبها كثير من حبيبات الكلس والجير ، وقد وجد توماس وفلبى بقايا متحجرات بحرية ومائية فى جهات عديدة لايدع وجودها مجالا للشك فى أن البحر كان فى الأعصر الجيولوجية غامراً هذه المنطقة بمياهه المالحة فى العصرين الجيولوجيين المعروفين باسم العصر الايوسينى والكريتاسى .

وأما ارتفاع الربع الخالى عن سطح البحر فيختلف كثيراً بالنسبة الى المواقع فهو فى الجنوب أعظم ارتفاعاً منه فى الشرق والشمال إذ بينما يكون ارتفاع الهضبات الجنوبية عند جبال القارة ٢٠٠٠ قدم فان ارتفاع المنطقة الواقعة على حافة الرمال لايزيد عن ١١٠٠ قدم وقوة الانحدار لاتزيد عن ٩٠٠ قدم فى مسافة لاتبلغ مائة ميل ، ومن حافة الرمال الجنوبية الى حافتها الشمالية عند بنيان [١] يبلغ مجموع الانحدار ٩٠٠ قدم فى مسافة تقرب من ٣٠٠ ميل . ومن المفيد هنا أن نذكر وصف المنطقة التى اخترقها المستر توماس من حيث الارتفاع وعرض كل قسم على حدة

---

(١) بنيان واقعة على نقطة تقاطع خط الطول الشرقى ٣٠ ١ ٥ ° بخط العرض الشمالى ٣٠ ٤ ١٦ ٢٣ °

ننقله عن كتابه الآنف الذكر مبتدئين فيه من الجنوب الى الشمال :

المسافة بالاميال	نوع الأرض
٢٠	(١) أرض مرتفعة ذات لون أحمر تكثر فيها الأكثبة
٤٠	(٢) أرض مرتفعة أقل تضريساً ذات رمل أحمر وفيها تلال تشبه نعل الفرس
١٠٠	(٣) سلاسل بيضاء متوازية تعترضها أودية ذات لون أحمر
٠٧٠	(٤) رمال متماوجة ذات لون أبيض
٠٥٠	(٥) رمال متماوجة ذات لون أبيض فيها تلال ذات لون أحمر
١٠٠	(٦) هضاب وسبخات وتلال حمراء على التوالى

ولم يمكن التحقيق عن الرمال التى دعيت بالبحر السافى ، وهى الرمال الرقيقة التى تبتلع الاثقال التى تطأها ، وانما قد تكرر ذكرها فى جهات الاحقاف الى الغرب الجنوبى من الربع الخالى حيث ذكر الالمانى فون فردى كثيراً عنها ، وأما توماس فانه ذكر أرضاً أخرى تدعى أم الصميم تبلغ مساحتها يومين على سير الجمل فى كافة الاطراف فانها مغراق لا يمكن اجتيازها ، والغالب أنها من نوع السبخات التى تصادف فى سائر أنحاء البلاد العربية ، فاذا كان الجو رطباً كان العبور منها مستحيلا لرخاوة طينتها وقلة مقاومتها للاثقال .

وأما المياه فى الربع الخالى فانها قليلة بل معدومة فى جهاته الغربية وكلما اتجه الى الشرق ازدادت كمية المياه وقلّ عمقها داخل الارض . وقد كانت طريق المستر توماس فى منطقة يمكن أن ندعوها بحق كنها حافة الربع الخالى الحقيق الشرقية . فهذه المنطقة مملوءة بالآبار والخبران إلا أن أكثر مائها مر لا يستساغ مطلقاً ويبلغ عمق البئر فى بعض الأماكن ٣٠ باعاً أو أكثر . ويقل هذا العمق فى الجهات الشرقية الى أن يصبح ضحضاحاً قليل العمق بالمرة . ويمكن قسمة المياه الى ثلاثة أقسام : (١) الغدران والخبارى التى يجتمع فى باطنها ماء المطر (٢) الآبار العظيمة

العمق ذات الماء الذى يمكن شربه (٣) الآبار المتوسطة أو القليلة العمق وهى ذات ماء مالح أجاج لايشرب . فالمنطقة التى اجتازها المستر توماس غنية بالآبار من النوعين بينما أن المنطقة التى اخترقها فلبى من نيفا الى سليل وتبلغ أكثر من ٢٥٠ ميلا معدومة من الماء من جميع أنواعه .

ونظراً لانعدام الماء (ماعدا أيام الامطار) فى المنطقة الواقعة الى الغرب من الطريق التى سلكها توماس وهى المنطقة التى يصح أن يطلق عليها اسم الربع الخالى فان الحياة الحيوانية والنباتية تكاد تكون معدومة فيها . وقد ذكر المستر فلبى أنه بعد خروجه من واحة جبرين لم يشاهد على طول الطريق الممتد الى أواسط الربع الخالى ثم من نيفا الى سليل أى انسان كان ، مع أن المدة كانت ٥٣ يوماً على سير الابل . والذى يتراءى لنا أن قلة ارتياد البدو لهذه المنطقة انما هو ناشئ فى الغالب عن قلة المياه والمراعى أكثر مما هو ناشئ عن المفاوز والمخاطر . فالمرور من جهات مسقط وعُمان وظفار وحضرموت الى شمال الجزيرة وغربها أمر لاصعوبة فيه إلا من جهة قلة المياه والمراعى ، وكانت محجة عمان الى مكة تمر وسط الربع الخالى الى يبرين ومنها الى الافلاج ، وهنالك طريق أخرى ما بين نجد والمحيط الهندى عن طريق أواسط الربع الخالى أيضاً . وهذه الطريق هى التى ورد ذكرها فى الاساطير القديمة أن المر واللبان من ظفار ، كانت القوافل تجلبه منها . وقد انعدمت الطرق التى كانت تخترقها القوافل ، وضاعت آثارها ، أولا لهجرها بعد اكتشاف الطرق البحرية ، وثانياً لأن الرياح الشديدة الهبوب تسفى الرمال بشدة فتتغير معالم الارض وطبيعتها وتنقل الاكثبة الرملية من مكان الى آخر .

وقد ذكر لنا بعض من قابلنا من البدو الذين زاروا تلك الانحاء أن عشب الربع الخالى وماءه يجعلان دم الحيوان أسود فاحماً ، ولم يتسن لنا تعليل هذه الظاهرة الفسيولوجية إلا بملوحة العشب والماء .

وأما من حيث العمران فقد كان الشائع عند البدو أن فى الربع الخالى آثار

عمران عديدة خلفها الاقدمون من حضارات بائدة ، وكانوا يتناقلون أقوالا متناقضة عن وجود خرابات فى وبار القريبة من بئر مغينمة التى زارها المستر فلبى ووجدها بئراً غزيرة الماء ، وكان المقول ان وبار [١] هذه تقع على بعد مرحلتين ثلاث من واحة جبرين وعلى طريق القوافل التجارية من ظفار وأنها كانت تظهر وتختفى بفعل الرياح الموسمية التى تقشع الرمل عنها فتظهر آثار خرائب وقلاع وقصور عديدة حتى دعيت باسم قصور أم الحديد والحديدة . وقد حقق المستر فلبى بنفسه عن هذه الاشاعات وزار المكانين المشار اليهما وهما يقعان ما بين درجتى الطول الشرقى ٥٠° و ٥١° والعرض الشمالى ٣٠ و ٢١° و ٢٢° فوجد أن ما كان يسميه البدو آثار عمدان وخرائب قصور دامرة إن هو إلا بقايا مخروط بركانى عظيم خمد منذ أزمنة متطاولة وبقيت من آثار اندفاعه متحجرات بركانية محروقة ثقيلة الوزن وبلون الحديد فكان البدو يظنونها آثار قلاع وخرائب . وقد جلب المستر فلبى معه بعض حجارة هذه المنطقة وجلب أيضاً حبوب الدخان البركانى المتبلور الذى يسميه البدو باللؤلؤ الاسود ، وشاهد كاتب الاسطر هذه الحبوب فاذا بها أصغر من حجم الحمص بقليل خفيفة الوزن سوداء اللون براقة المظهر .

وسيكون من آثار رحلتى توماس وفلبى اللتين لخصنا ما كان من نتائجهما العلمية أن البياض الذى اعتادالناس تركه على خرائط البلاد العربية باسم « الربع الخالى » سيملأ بأسماء الاماكن والآبار والهضاب والرمال المختلفة وسينقص الحماس الذى كان يشعر به جميع من يعنى بالبلاد العربية لمعرفة حقيقة هذا القسم ، وتصبح أسماء مغينمة وشنة ونيفا وأبو بحر وهدبة ودكاكة وبنى زينان والعويرق وغيرها من الاسماء المعتادة كالدهناء والدهان وخف وغيرها .

خامساً — منطقة الدهناء . وقال ياقوت فى معجمه [٢] وهى سبعة أجبل من

---

(١) قال ياقوت م ٨ ص ٣٩٢ ان وبار كانت من محال عاد بين رمال يبرين وحضرموت ونجران واقليم مهرة

(٢) مجلد ٤ ص ١١٥

الرمل فى عرضها بين كل جبلين شقيقة وطولها من حزن ينسوعة الى رمل يبرين . وهى من أكثر بلاد الله كلأ مع قلة مطر ومياه ، واذا أخصبت الدهناء ربعت العرب جميعاً لسعتها وكثرة شجرها ، وقد جعلوا رمال الدهناء بمنزلة بعير وجعلوا أقاعها التى شخصت من عجمتها نحو الينسوعة ثفناً كثفن البعير وهى خمسة أجبل على عدد الثفنات فالجبل الاعلى منها الأدنى الى حفر بنى سعد واسمه خشاخش ، والجبل الثانى يسمى حُماطان ، والثالث جبل الرمث ، والرابع معبر ، والخامس جبل حُزوى .

وقال الويس موزيل [١] : الدهناء فرع من النفود لايتجاوز عرضها الثلاثين كيلو متراً لكنها تمتد الى مسافة مئات الكيلو مترات ، وتبدأ فى الشمال من نقطة واقعة على بعد خمسين كيلو متراً عن درب الحج من جهة العراق عند طريق المريط الفاصل بينها وبين النفود وليست رمال الدهناء شاهقة ولا يتكون فيها قعور وطعوز وافلاق كالنفود ولكن فيها النوازى وهى سهول رملية رملها نحفاح يستر طبقة صخرية منها أرض لبيد وفيها أيضاً الدحول [٢] .

ومياه الدهناء حالياً قليلة ولكن فيها آثار آبار حفرها الاقدمون فى أراضيها وطمرتها الرمال الآن .

وقال فلبى [٣] : ان الدهناء عبارة عن سلاسل رملية وآكام وكثبان متقطعة متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٠٠ ـ ١٥٠٠ قدم ، وتخترق الطريق الموصلة بين الحسا والرياض عند جسرا من جهة المشرق وبعد مسيرة نحو ثمانية أميال يصل المار الى سلسلتى بنى بنالى وبعد هذه تشتد كثافة رمل الدهناء ويصبح السير فيها أكثر صعوبة من الاول حتى يصل الى مزعلات التى يبلغ عرضها نحو ستة أميال وبعدها من المنطقة الاولى نحو عشرة أميال وأما القادم من الكويت

---

(١) شمال نجد ص ١٦٠
(٢) الدحل شق فى باطن الطبقة الصخرية بين الصمان والدهناء يجتمع فيه ماء المطر ويظل فيها مدة .
(٣) قلب جزيرة العرب مجلد أول ص ٤٩ و ٢٧٣

والعراق بطريق الدبدبة فانه يصل الى عريق الدحول الذى هو مبتدأ الدهناء من هذه الجهة ولكنه ليس منها بل لابد للمسافر من السير مقدار ستة أميال أو سبعة لكى يصل الي الدهناء الحقيقيـة ويحتاج قطع الدهناء من عريق الدحول الى قطر مايقرب من مسيرة يوم و بُعد أحد الموقعين عن الآخر يبلغ خمسة وعشرين ميلا منها ١٥ ميلا ذات رمل كثيف صعب المرور . وقد ذكر نلبى طريقين من هذه الجهة وعد من أقسام الدهناء مريط ومخيط وأرض عقل يفصل بينها خبوب أهمها خب النوم وخب الرضم .

ونقول ان لفظ الدهناء يطلق على أسياف رملية منفصلة عن النفود الشمالى وواصلة بينه الا فى مسافة قصيرة بين النفود الجنوبى الكبير المسمى بالربع الخالى وتنتشر الدهناء بشكل حبال وخيوط وألسنة رملية بينها فجوات صلبة والدهناء بمجموعها تفصل بين مرتفعات العارض والقصيم والسدير وبين سواحل الحسا والكويت ويرى بعضهم وجوب اطلاق اسم الدهناء على القسم المتوسط من جبل السلسلة الشرقية من هذه المنطقة . وجبال الرمال الدهناوية عائق من أهم العوائق التى تمنع المسير اذ أنها مؤلفة من سلسلة من الاكثبة قد تكون متصلة وقد تكون موزّعة بشكل غير منتظم ولا متسلسل غير أن الذى يجعل افتراق هذه الاصقاع ممكنا هو كون هذه الاسياف قليلة العرض وبين الواحد والآخر خبّ صلب القاع وكون عرض الدهناء كلها ليس عظيما جداً تبدأ الدهناء من جوار آبار لينة فى الباطن وتمتد الى الشرق الجنوبى والجنوب مسافة لا تقل عن ٦٠٠ ميل قبل أن تبتلعها لجة رمال الربع الخالى ، ولا يبلغ عرضها فى مبدإها الشمالى أكثر من ١١ ميلا ولكنها على بعد ٤٠ ميلا من الجنوب عن لينة تستعرض وتصبح ١٥ ميلا ويبلغ ارتفاع بعض كثبانها ٥٠ قدماً وتسير من هذه الجهة فى وجهة جنوبية شرقية الى مسافة ١٠٠ ميل حيث يكون عرضها ١٥ ميلا أيضاً وهنا تتقاطع مع وادى الرما (وادى الرمّا بخلاف من يقرأه بالرمة) وتظل على ذلك الشكل الى مسافة خمسين

ميلا أخرى ثم تبتدىء بالانقسام الى الحبال التى هى الظاهرة المميزة لها وتصبح هذه الحبال بعد مسافة قصيرة أربعة ويختلف عرض كل حبل من نصف ميل الى أربعة أميال بينما يكون عرض السهل الخب الفاصل بين الحبال ما يقرب من نصف ميل الى خمسة أميال أيضاً .

ثم يزيد عرض الدهناء كلما اتجهت للجنوب الى أن تبلغ معظمها حينما تنقسم الى سبعة حبال . وتسير الدهناء مسافة أخرى فى اتجاه جنوبى الى مسافة ١٢٠ ميلا أخرى حيث تقطعها طريق الحسا ـ الرياض وهنا يكون عرضها ١٨ ميلا فقط .

ويحد الدهناء من شرقيها مقاطعة سهلة مرتفعة تعرف بالصمان سنأتى على وصفها فيما يلى .

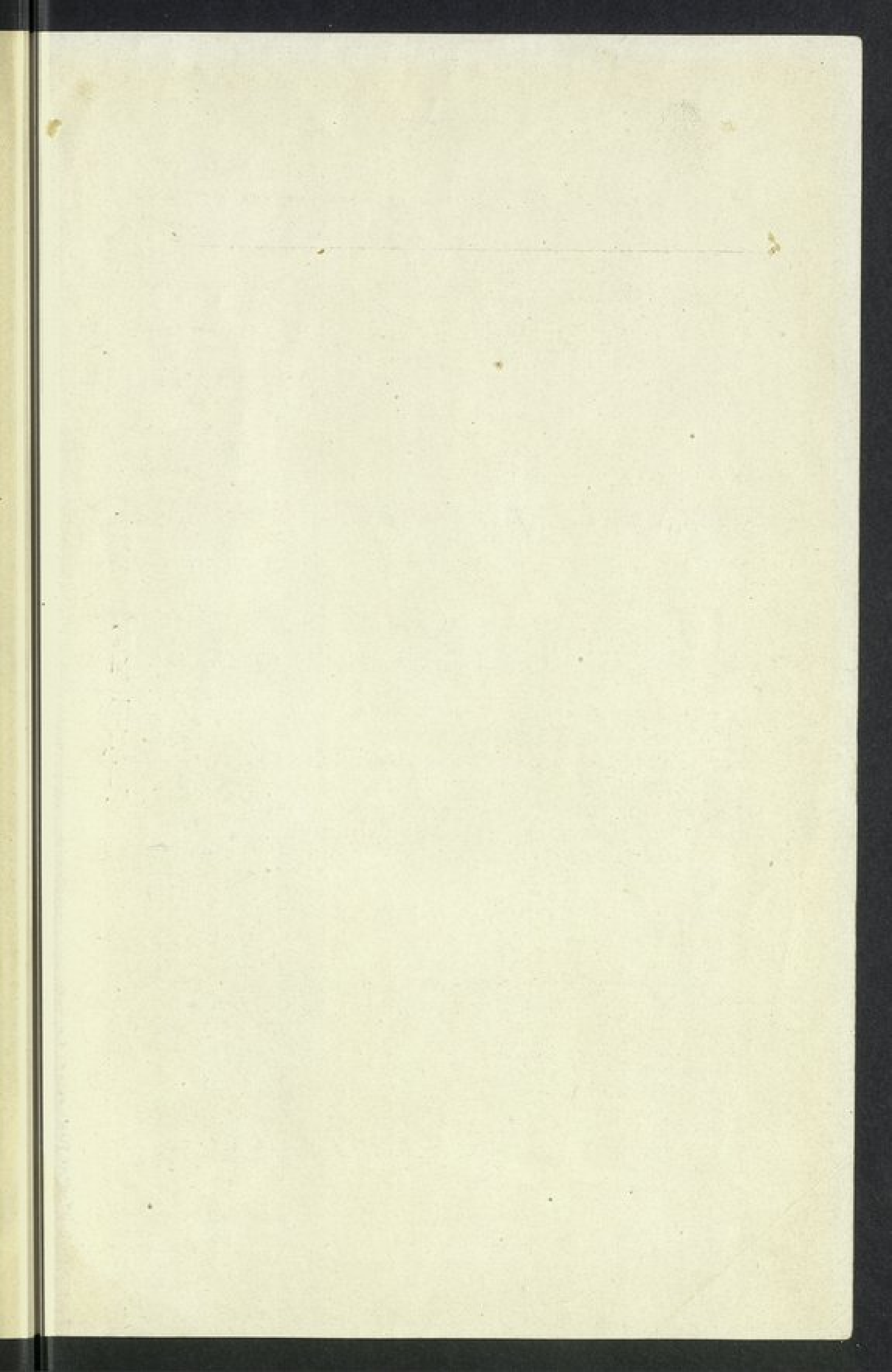
والطرق المطروقة التى تخترق الدهناء من الشرق الى الغرب أهمّها ثلاث : أحداها وأقصاها نحو الشمال الطريق التى تصل بين العراق والكويت من جهة الدبدبة وهى ممتدة من عريق الدحول الى بطرا ، والثانية من الكويت بطريق الصافة ووادى الرمة الى الزلفى والقصيم ، والثالثة من الحسا الى الرياض عن جسرا وبنى بدالى ومزعلات الى أبو جفان فالرياض . وقد عدّ الشيخ يوسف ياسين هذه العروض فوجدها من حفر بنى سعد الى الصمان (١) عريق عنق الجمل (٢) عريق أبا شمام (٣) عريق الحمرانى (٤) السراوى الاول (٥) السراوى الثانى (٦) جهام (٧) الدحول أو حجلان[1] .

---

(١) اجتاز كاتب هذه الاسطر الدهناء فى طريقه من الكويت الى الرياض بالسيارة يوم ١٨ يوليو ١٩٣٢ وكانت طريقة السير كما يأتى : الكويت ـ قرية العليا ـ منيفة ـ الحمير ـ أم العصافير المهيريات ـ قلع كارة الفرج ـ دحل ابا الجرفان ـ خبارى الثماثيل ـ دحل الهشامى ـ عريق الدحول المرباخ وهو أول الدهناء ـ عرق جهام ـ خبة الجندلية ـ عرق السرووخبته ـ عرق الرويكب وخبته ـ عرق عمر وخبته ـ عرق الحمراوى وخبته ـ عريق الشمام ومنها الى رماح ومنها الى الرياض



مكة المكرمة



سادساً — منطقة الصمان : هذه هي المنطقة الجغرافية السادسة في المملكة اعتباراً من ساحل البحر الاحمر ، وهي واقعة بين الدهناء غربا والمنطقة السهلية الساحلية شرقا ، ويختلف عرضها من ٥٠ الى ٩٠ ميلا ، وهي فى الشمال أعرض منها فى الوسط والجنوب ، ويبلغ متوسط ارتفاعها عن سطح البحر ١٢٥٠ قدما .

أما أرض هذه المنطقة فمن الممكن حسبانها كامتداد لمنطقة سهول الحجرا وتتكون من الحجر الرملي على شكل تلال متقاربة فى بعض أنحائها أحجار كلسية . ومع ان الصمان هضاب كما ذكرنا فان فيها مساحات شاسعة مؤلفة من سهول تنحدر تدريجاً فى هبوطها الى جهة الساحل . ويوجد بقرب هذه المنطقة مجمع ثلاث آبار مهمة : الحفر والصافة والوبرا ، ولكن الصمان يغلب عليه الجفاف ولا يوجد فيه ماء يذكر إلا ماتجمع بعد الامطار .

سابعاً : المنطقة الساحلية الشرقية يبلغ عرضها خمسين ميلا وهى أرض رملية تشبه فى تكوينها أرض التهائم فى جهة الساحل الغربى وهى قليلة الانبات إلا فى الواحات الواقعة فى أطرافها وهى القطيف والحسا . والمياه فى هذه الواحات كثيرة جداً وقد أطلق اسم الحسا على هذه المنطقة من كثرة الاحساء (واحدها حسو) وهو الينبوع الذى يمكن حفره على مسافة قريبة من سطح الارض .

الفصل الثالث

طبقات الارض والتكوين الجيولوجى

الأعصر الجيولوجية — تكوين الطبقات

---

١ — الاعصر الجيولوجية

مازال بحث طبقات الارض فى المملكة محتاجاً الى درس وتدقيق عميقين ، وتكاد المصادر التى يصح الاعتماد عليها تكون معدومة عدا بعض أبحاث متفرقة عن أقاليم معينة فى البلاد . والناظر الى إحدى الخرائط الجيولوجية للبلاد العربية بكاملها يرى عليها اشارات تدل على أن المعلومات اللازمة عن الطبقات الارضية فيها ناقصة لايركن اليها . وقد ذكر الاستاذ أريك كرنكل فى كتابه « جيولوجية العالم » أن بلاد العرب وسوريا وشبه جزيرة سينا كانت فى وقت من أوقات الادوار الجيولوجية القديمة قسما من افريقيا الشمالية الشرقية . ان اخدود البحر الاحمر ووجود صخور ابتدائية متشابهة التكوين فى الطبيعة والزمان على جانبي هذا البحر اعتباراً من شبه جزيرة سينا وخليج العقبة متبعة القسم الشمالى الشرقى من افريقية حتى جهات رأس الرجاء الصالح — كل ذلك يدل دلالة قوية لاتحتمل الشك على أنه قد قامت فى الازمان الجيولوجية قارة عظيمة مؤلفة من هذه النواحى ويفصلها عن القارة اليوراسية بحر كبير بقيت لنا من آثاره الكتلة العظيمة المائية التى نسميها الآن بالبحر الابيض المتوسط . وهذا البحر القديم يظن أنه فى الازمنة

الجيوراسية كان محيطاً بالاطراف الشمالية والشرقية لهذه القارة العظيمة بشكل منحن يحيط بها اعتباراً من شمالى شبه جزيرة سينا مجتازاً وادى عربة حتى محاذاة النفود الشمالى الكبير حتى منطقة جبل الطويق فى العارض وينحدر من هذه المنطقة الى جهات الجنوب لتلاطم أمواجه أطراف جبال اليمن الشمالية مجتازاً أيضاً المنطقة التى يسترها البحر الاحمر الآن حتى بلاد الصومال ومحاذاة الساحل الشرقى لافريقيا . وإن صح أن هذا البحر قد وجد فى تلك الازمنة — وليس لدينا ماينفي وجوده نظراً لوجود البقايا البحرية مخزونة فى طيات الطبقات الارضية فى المنطقة التى انقشع عنها — فانه من المحتمل جداً أن تكون المواقع التى عليها الآن مدينة حائل والدوادمى والقاعية كانت فى ذلك الوقت على ساحل ذلك البحر القديم بينما أن موقع هضبات الدغم (شرق الرياض) كانت جزيرة فى وسط البحر[1] . وكانت سينا والعقبة وتبوك والعلا فى تلك الأيام قريبة من شاطئ ذلك البحر أيضاً ، بينما أن جبال الحجاز وعسير وبلاد نجد حتى جبلى اجأ وسلمى وجبل النير والعارض كانت قسما من القارة القديمة المشار اليها . ولم تزد الحركات الارضية والاندفاعات الداخلية فى العصر الجيوراسى شيئاً فى حجم البلاد العربية عدا ماتكوّن من هضاب جبل الطويق وارتفاعها عن سطح ذلك البحر وصيرورتها أرضاً برية . وتلا بحرَ العصر الجيولوجى الجيوراسى عصرُ آخر عرف بعصر البحر الكريتاسى الذى كان طائفاً بنفس الاماكن فى الشمال والجنوب بينما أنه كان فى الجهات الواقعة على جانبى جبل الطويق (وهذه من العصر الجيوراسى) يضيف الى البقاع الارضية الطبقة الرملية المعروفة بصخور الرمال الغربية . ويظن أن هذا البحر كان يغطى منطقة خليج

---

(١) هذه ملاحظة أبداها لاول مرة المستر فلبي وظهر مايؤيد صحتها بعد أن فحص علماء اخصائيون فى طبقات الارض طبيعة الصخور التي تتألف منها هذه الهضبات فوجدت مشابهة لتركيب الصخور والطبقات الموجودة فى الحجاز ومخالفة جدا عن تكوين الارض التى كان يسترها ذلك البحر القديم .

فارس ورأس عُمان كما نعرفهما الآن ، والمنطقة التى نعرفها بالدبدبة والصمان وربما كان الربع الخالى من ضمنها ، والمظنون أيضاً أن مياه هذا البحر كانت تلاطم نفس الشواطئ التى كان البحر القديم يلاطمها ولم تأخذ البلاد العربية شكلها الاخير الذى نعرفه الآن لها فى هذه الازمنة التاريخية إلا بعد انقشاع المياه عن سطح البقاع التى كان يغسلها وارتفاع تلك البقاع الارضية عن مستوى سطح البحر . ثم تلا هذا العصر حركات أرضية سببت تكوين أخدود البحر الاحمر وانقسام القارة العظيمة الى قسمين : قسم غربى البحر الاحمر نعرفه الآن بافريقيا ، وقسم آخر شرقيه هو بلاد العرب . وقد تكوّنت بلاد عُمان والجبل الاخضر بحركات أرضية مماثلة بالرغم عن أنه لم يثبت للآن كون تلك البقعة من جزيرة العرب كانت يوماً من الأيام قسما من بلاد إيران أم لا [١] . ومما تجب الاشارة اليه لاهميته فى تكوين البلاد العربية إجمالا عمل البراكين التى نرى من آثارها الآن الشئ العظيم ، فجميع هذه الحرار التى سنذكرها فيما يلى من الفصول إن هى إلا اندفاعات بركانية خلفت لنا الحجارة السوداء النخرة فوق الرمال القديمة فأمسكتها عن التفتت والزوال .

٢ — تكوين الطبقات الارضية

أما التكوين الطبيعى للصخور والطبقات الارضية فى هذه البلاد فانه مماثل تمام المماثلة للطبقات التى تؤلف المنطقة الغربية للبحر الاحمر اعتباراً من الساحل المصرى الى أقصى الجنوب . وأكثر هذه الصخور من الصخور الابتدائية المؤلفة من الغرانيت والشيست ويتخلل هذه الطبقات الصخرية أخاديد مستوية تخترقها فى مواضع عديدة منها وقد تجمع فيها ما رسب من الصلصال والرمل والصخر الرملى

(١) أكد المستر برترام توماس فى كتابه المسمى «العربية السعيدة» ص ٢٦٢ أن بلاد عمان كانت فى الاعصر الجيولوجية قسما من بلاد ايران . وايد رأيه هذا الدكتور ج . م . ليز فى مقال نشره عام ١٩٢٨ فى مجلة الجمعية الجيولوجية الملكية .

وفتات الصخور الابتدائية وطبقة الصخور الكريستالية تبتدىء من قرب خليج العقبة وشبه جزيرة سينا ممتدة الى الشرق حتى قرب حائل والى الجنوب حتى أطراف مكة ويقع الى الجهات الشمالية من هذه المنطقة الواسعة الأطراف منطقة متسلسلة التكوين يتألف حضيضها من الصخور الرملية البحتة التي يعلوها فى بعض الاماكن صخور كلسية عند جهات الجوف والقصيم . وقد تراكمت فوق الطبقات الغرانيتية والرملية طبقات أخرى من مقذوف البراكين (اللافا) والسوائل الاندفاعية التي تجمدت بمرور الزمان وغطتها وحفظتها من الانحلال والانتقال بهبوب الرياح والعوامل الجوية الاخرى وتكون من هذه الاندفاعات السهوب المرتفعة المعروفة باسم (الحرات) .

ويمكن تلخيص تكوين الطبقات الارضية فى هذه البلاد بما يأتى :

(١) الصخور الابتدائية : وهى عبارة عن المنطقة الجبلية الحجازية من الشمال الى الجنوب مما لم يستره لا البحر الجيوراسى ولا الكريتاسى وهى الصخور المتبلورة التي تكونت منذ تكون قشرة الارض .

(٢) الجهات التي كانت مستورة بالابحر ثم انقشعت المياه عنها واصبحت عبارة عن أرض مستوية تغطيها قشرة رملية أوغرانيتية أو صلصالية ، وأكثر المنطقة الجغرافية الرابعة من هذا القبيل .

(٣) الجهات الرملية والغرانيتية ، التي تعلوها طبقة المقذوفات البركانية ، وهى مناطق الحرات .

(٤) مجارى الاودية الكبيرة التي باطنها من الطبقات الصلبة الابتدائية تغطيها قشرة من الحجارة الملساء والرمال والصلصال ، التي تفتتت بالعوامل الجوية ورسبت فوق مستوى الاودية .

ويمكن القول إجمالا ان الطبقات الارضية المترسبة لم يحدث فيها بعد تكونها ما غير وضعها وتوظيفها بعضها فوق ببعض . فهى من هذا القبيل منتظمة الوضع لااختلاط ولا عوج فيها . وما شذ عن هذه القاعدة يمكن مشاهدته فى مواضع قليلة مثل خليج العقبة المؤلف بحد ذاته من تقعر الطبقات الارضية واختلاط بعضها ببعض ، ومثل البحر الأحمر نفسه الذى لا يشك فى أنه مؤلف من تقعر طبقات الارض الواقعة بين سلسلتى جبال الحجاز شرقا وجبال الساحل الغربى غرباً .

الفصل الرابع

الجبال

وخط تقسيم المياه

سبق لنا أن أوضحنا فى الصفحات السابقة شيئاً غير قليل عن الجبال حين ذكرنا للمناطق الطبيعية المختلفة فى المملكة ، وبينا هنالك كيف ان الصفة البارزة للمملكة هى هذه السلسلة الجبلية المستطيلة الممتدة من أقصى الشمال الى أقصى الجنوب والتى تقسم المملكة الى مناطق بارزة الفروق والتكوين . فالسلسلة الجبلية هذه تبدأ فى الشمال حيث تدعى عند معان وأطرافها جبال الشراة ، ثم انها تزداد ارتفاعا كلما اتجهت نحو الجنوب الى أن تبلغ أرقاها فى جهات عسير . وتوجد فى السلسلة قنن مرتفعة تبلغ ثلاثة آلاف متر فوق سطح البحر . وتقع بين حناياها الجبال الأودية العظيمة المتكونة من تقعر الطبقات الارضية حينما كانت قشرة الارض فى دور برودتها . وكما سبق أن أوضحنا فى القسم الخاص بالمناطق الطبيعية فانه يمكننا قسمة المناطق الجبلية الى أقسام عديدة بحسب متوسط ارتفاعها عن سطح البحر . غير ان المهم فيها هى السلسلة الوسطى التى تشبه العمود الفقارى للبلاد بكاملها ، وهى بحق الخط الرئيسى لتقسيم المياه فى الجهات الغربية فانها تنقسم الى سطحين مائلين أحدهما متجه الى المشرق والآخر الى المغرب ، وتصفى السطح الغربى الأودية الكثيرة التى تسيل مياهها الى البحر الأحمر كما ان الاودية المتجهة الى جهة الشرق تصفى السطح المائل الشرقى للسلسلة.

وأما تكوين هذه السلسلة فانه بسيط جداً اذ يحوى الصخور الابتدائية

الكريستالية المتكونة من تجمد قشرة سطح الارض والصخور الاندفاعية وغلب صخورها يتكون من الصخور البلاطونية وفى بعض الاحيان الميتامورفيـة وأهم تركيبها الغرانيت والشيست كما سبق أن أوضحناه فى موضعه من بحث الطبقات الجيولوجية .

وتعرف فى هذه السلسلة جبال معينة باسماء مخصوصة عرفت بها منـذ أقدم الازمنة وظلت محافظة على هذه الاسماء الى الآن . ففى الشمال تقوم السلسلة المعروفة باسم جبال الشراة ويليها فى الجنوب سلسلة جبـال الحسمة التى تقع الى شرقيها وجنوبيها الشرقى الحرات العظيمة الشمالية . وفى منطقة جبـال الحسمة توجد قنن عديدة شاهقة إلا ان أعظم ارتفاع فيها لايتجاوز ٢٠٠٠ متر فوق سطح البحر . ومن أهم هذه الجبال المرتفعة جبل مبارك وجبل اللوز والمقلع وجبل الشفا وجبـل أرنب . والى الجنوب من هذه السلسلة عند جهات المويلح وضبـا والوجه توجد عدة جبال لها ارتفاع محسوس أهمها جبل المويلح وجبل شار والى الجهات الجنوبية من الحسمة جبل الشرارة وغنمات وشيبان والى غربى خط السكة الحديدية الحجازية مابين تبوك والعلا تقوم عدة حرات مرتفعة عن سطح البحر وعن مستوى الارض المجاورة لها . وأهمها فى هذه الجهة حرة الراحة وحرة العويرض المهمة الواقعة غربى مداين صالح تماما وبغربها جبال عنتر وفصد والقعيد ونهر ، والى الجنوب من هذه الجبال توجد سلاسل آكام ممتدة على محاذاة الساحل بارتفاع لايزيد عن ألف متر وفى الوسط منطقة جبلية أخرى متوسط ارتفاعها ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ متر وفى الاولى جبل الغوصة والمشقق ومرتبة وعرمة وهجينة وأعلى منها كلها رُضوى الى الشرق من ينبع اذ يبلغ ارتفاعه مايقرب من ألفى متر . وفى أطراف المدينة الى الشمال والغرب والجنوب منها عدة جبال مشهورة أهمها أحد ١٢٠٠ متر والرحلة والفرع والحمض وبين مكة والمدينة سلسلة متصلة من هذه الجبال أهمها جبـال نصع وبنى أيوب وصبح وتعلو فى الجنوب الشرقى من مكة الى ارتفاع غير قليل فيتألف من ذلك

سلسلة جبل كرا (٢٢٠٠ متر) وسلسلة الجبال الخلفية وأهمها برد والفرنيت والشفا ونجير وذكا والى الشمال من هذا يشرف جبل حضن على سهل ركبة الى الجهة المشرق منه ثم فى الجهات الجنوبية جبل السعدية والابانين وطور الاخضر والعقبة وجبال عسير بكاملها . ولا يفوتنا أن نذكر فى أطراف مكة جبل أبى قبيس وقعيقعان وجبل النور وثور وجبال نعمان وعرفات وكبكب وغيرها . والى شرقى السلسلة العظيمة الحجازية الممتدة من الشمال الى الجنوب تبتدىء الهضبة النجدية التى يمكن حسبان معدل ارتفاعها لايزيد عن ألف متر . وفى وسط البلاد النجدية الى الشرق تماما من المدينة تقوم منطقة العارض بجبالها المشهورة قديماً وحديثاً وأهمها سلسلة الطويق وسلسلة العرمة مما ذكرناه تفصيلا فى تقسيم المناطق الطبيعية . وفى ديار شمر سلسلتا أجأ وسلمى وقد مرّ ذكرهما وما احتوياه من هضاب وقنن . وجبال العارض وشمر هى فى نفس الوقت تقسم المناطق الموجودة فيها الى سطوح مائلة مختلفة لانصباب المياه ، ولذلك يمكن حسبانها من الخطوط الاساسية لتقسيم المياه فى المملكة .

الفصل الخامس

السهول - السبخات

جميع المناطق الساحلية فى المملكة تتألف على الغالب من السهول والفيافى . وقد ذكرنا فى البحث العائد للمناطق الطبيعية بعض أوصاف السهول وتكوينها وأوردنا ذكراً كثيرها ، وقد أهملنا ذكر بعض المواقع المنبسطة فى ذلك المكان لاننا قصدنا إذ ذاك الى ذكر المناطق الطبيعية بصرف النظر عما تحويه من العوارض الطبيعية والجغرافية . فالسهل الساحلى الغربى المسمى بتهامة فى غالب مواضعه (تضاف تهامة الى الموضع الجبلى المعاقبة له فيقال تهامة اليمن وتهامة عسير وتهامة الحجاز الخ) وتختلف سعة هذه السهول كما يختلف تكوين بعضها مع أن الصفة الغالبة فيه كونها من رسوب فتات الصخور والرمال ، تعلوها فى بعض الاماكن حجارة الحرات السوداء .

وتوجد فى المناطق الداخلية فى البلاد سهول مترامية الاطراف ، واسعة الارجاء يسير فيها الانسان مسيرة أيام دون أن يجتاز آخرها . ومن أهم هذه السهول فى جهة الحجاز سهل ركبة المشهور الذى يحده من الشرق جبل حضن ، ومن الجنوب جبال عشيرة والعرجية والطائف ، ومن الغرب سلسلة جبال الحجاز العليا . ويمتد من نواحى عشيرة التى تبعد عن الطائف ٦٥ كيلو متراً الى جهات المويه ، وأرض هذا السهل الواسع مؤلفة من الطبقات الرسوبية الصلصالية تعلوها فى أماكن قليلة حصباء سوداء أو خلافها .

والى الشرق والشرق الشمالى من ذلك سهل هضبة قنلة الواقع بين الأرض عند القاعية ونفود الدلقان وبين سهل الدوادمى من الشمال .

وسهل ماروطة بين نفودى السر وقنيفذة .

وسهلا الحمادة والبطينة بقرب أضرما من الزلفى الى الغطغط .

وسهل الدبدبة الذى لا يدرك الطرف آخره والذى يكثر الضلال والتيه فيه من أعظم السهول وأوسعها مسافة وأصعبها مفاوز ومجاهل وأقلها معالم يستدل عليها فى أثناء السير ، وهى واقعة الى شمالى المنطقة الساحلية الشرقية والصمان والتى غربيها سهل الروضة المشهور أيضاً .

وهنالك سهل متسع بين بريدة والقصيبة على طريق حائل .

وأرض الصوان من السهول الواسعة المترامية الاطراف تقع بين النفود الشمالى الكبير ووادى السرحان وسكة الحجاز الحديدية .

والى الجهات الجنوبية من الحسا يقع سهلان عظيمان ينتهيان بالربع الخالى وهما سهل البياضة وسهل حريصان .

ونسبة سعة هذه السهول الى سعة المملكة تتجاوز ٢٥ — ٣٥ فى المائة من مجموع مساحتها السطحية ، وأهم تركيبها الطبيعى الرمل والصلصال .

السبخات

من مناطق السهل التى لم ندمجها ضمن السهول مناطق واسعة أيضا تسمى بالسبخات تؤلف مسافات سطحية عظيمة ، وهى أراض سهلة غالبها يحوى كثيراً من الاملاح المتجمدة. ولقد اختلف فى منشأها فقيل انها بقايا بحيرات مالحة أو بقايا الابحر القديمة التى كانت تغطى سطح كثير من أراضى هذه المملكة ، وقيل انها أمكنة تجمع فيها الكثير من الاملاح وتكونت منها بمرور الزمان هذه السبخات التى نذكر فيما يلى أهمها وأكثرها شهرة :

سبخة رابغ بين جدة ورابغ

سبخة المدينة المنورة .

سبخة قريات الملح .

سبخة حضوضاء فى وادى السرحان .

سبخة القصيبة على طريق بريدة — حائل .

سبخة الاوشازية فى نجد .

سبخة الحسا بينها وبين الخليج الفارسى .

سبخة جبرين عند واحة جبرين الى الجنوب من الحسا .

سبخة الجبيل بقرب الجبيل .

وهنالك سبخات صغيرة يطول شرحها ، وانما أهملنا ذكرها لصغرها وعدم اشتهار أمرها . وفى مواضع كثيرة فى هذه السبخات ممالح أو مياه مالحة يعمل أهلها على استخراج الملح منها .

الفصل السادس

الأنهار والوديان

والبحيرات والواحات والبراكين والحرات

لايوجد فى المملكة أنهار يصح أن يطلق عليها هذا الاسم ، ونظراً لجفاف مناخها وهبوط أرضها وعدم وجود الجبال العالية التى تمسك الابخرة وتحتفظ بها لتتبرد وتنهمل مطراً إلا فى الجهات الغربية منها ، ثم بُعد هذه السلسلة الجبلية عن البحار الكبيرة التى تكثر فيها التبخرات المائية ، جعلت كل أراضى جزيرة العرب جافة مجدبة محرقة قليلة المياه . نعم ان فى جهات كثيرة من البلاد عيونا وينابيع عديدة وانما لايجوز إطلاق اسم الانهار عليها ، ففى جهات الحسا والقطيف سواقى عديدة تؤلف بمجموعها كميات هائلة من الكتل المائية هى دون الانهار .

ومياه الامطار نظراً لصلابة الجبال ولتكوينها الصخرى لايمتصها أديم الارض ولا يبتلعها جوفها بل ان أكثرها ينزلق عن سطوحها بسرعة فائقة الى مسايل الاودية وهذه تصبها فى البحار أو فى الفيافى والقفار . والاودية فى أنحاء المملكة مع قيامها بهذه الوظيفة المهمة توجد لها وظائف حيوية أعظم أهمية من هذه وهى كونها تؤلف معظم الاراضى الزراعية التى عليها مدار اعتماد أهل البلاد فى معاشهم وزراعتهم .

ومن الممكن تفريق اتجاه هذه الوديان بالنسبة الى السطح المائل الرئيسى فى

البلاد وهو سلسلة الجبال الحجازية . فالأودية التى تصفى سطح السلسلة الغربى دافعة بمياهه الى البحر الاحمر كثيرة جداً ومنتشرة على طول الساحل تقطعه فى أبعاد مختلفة . وأهم هذه الأودية هى كما يلى :

وادى التيم يصب بقرب مدينة العقبة مبتدئاً من سلسلة جبال الشراة .

وأودية الجوشية والمرحق ووادى الأبيض الذى ينحدر من جبال الحسمة ماراً بأودية فرعية صغيرة الى مكان ينفصل عنه فيه وادى مراخ ثم أودية القوز ومراخ الصغير واليعنونة كلها تصفى منطقة الحسمة وتصب فى البحر على الساحل الواقع بين العقبة والخريبة .

وأودية الغار والطريان والجدايل والصور تصب مابين الخريبة والمويلح .

وأودية داما وأزلم والدخان والسر والحبية وزاطة وسهبيل مابين ضبا والوجه .

ووادى المياه ووادى الحمض والحيران والعمق تصب مابين الوجه وأملج .

ووادى رضوى يصب شمال ينبع .

ووادى المسيجيد ورابغ والقضيمة مابين ينبع وجدة .

ووادى الاسود والسعدية والشافة الشامية وقنونة ويبا وكنى وبارق وجيزان وخلب وتعشر والسيل مابين جدة وميدى .

وأما فيما بين الجبال فهنالك أودية عظيمة أيضاً تخترقها فى أماكن عديدة أهمها ما يأتى مبتدئين بذكرها اعتباراً من الشمال الى الجنوب :

وادى العويند الى الغرب من تبوك ووادى الأخضر شرقيها ووادى الجزل غربى العلا على محاذاة السكة الحديدية الحجازية فى اتجاه شمالى جنوب ووادى الحمض بين المدينة والحناكية ووادى العقيق والرقوب والصفرا والحمرا جنوبى المدينة وشرقيها .

ووادى السيل ووج ولية فى أواسط جبال الحجاز ووادى فاطمة المشهور

الذى ينتهى به وادى السيل و يصب فى البحر جنوبى جدة بقرب الحمرة .

وأودية بارق والنماص وقنونة وصبيا وأبها والدوم والريم وأطود والضلع .

ووادى الرمة وهو من أعظم الاودية فى بلاد العرب يبدأ بقرب المدينة عند وادى الرقوب الى أن يصل الى أواسط نجد عند القصيم فيخترقها حتى يصل الى الدهناء .

ووادى بيشة وهو من أعظم الاودية وأهمها وهو ينحدر من سفوح جبال عسير الشرقية والشرقية الشمالية و يتجه الى جهة الشمال والشمال الشرقى الى أن يتصل بوادى الدواسر .

ووادى الدواسر وهو واد عظيم ينقسم الى عدة شعاب و بطاح وفى أطرافه قبائل عظيمة معروفة باسمه وهو ينتهى بقرب جناح الربع الخالى الغربى عند سليل .

ووادى نجران من الاودية العظيمة أيضاً وهو فى الحقيقة مجموعة أودية كبيرة .

ووادى حنيفة واليمامة هو الوادى العظيم المشهور الذى يخترق أواسط نجد و يمدها بالمياه الارضية التى يستقى الاهلون منها و يروون أرضهم بها .

وهنالك عدا ما ذكرنا أودية كثيرة جداً صرفنا النظر عنها لكثرتها أولا ولعدم اشتهارها وكونها فروعا تندمج فى الاصول التى وصفنا .

ومعظم الاودية وأهمها تقع بالقرب من المنطقة الجبلية فى البلاد ، أى فى القسم الغربى منها حول جبال الحجاز . والأودية الأخرى المشهورة الموجودة فى الداخل انما هى وادى الدواسر ووادى حنيفة ووادى الرمة والثلاثة من أعظم الوديان وأشهرها .

الواحات

الواحة عبارة عن بلاد خصبة قابلة للزراعة وسط بلاد مجدبة رملية أو جبلية فهى فى البر كالجزيرة فى البحر . وكافة البلاد الزراعية فى المملكة واحات أو أودية .

وتختلف الواحات من حيث التكوين الطبيعى وصفة التربة وسعة المساحة وخصب الارض أو جدبها ، غير أنها تشترك فى خاصة واحدة عامة وهى كونها تشذ عما جاورها من الاصقاع فهذه بلاد مجدبة قليلة الانبات وتلك خضراء منبتة غزيرة المياه وفيرة المراعى .

وتصادف الواحات الحقيقية فى أماكن عديدة فى المملكة . فهنالك واحة الجوف وسكاكة فى شمالى النفود الكبير وفى أسفل مجرى وادى السرحان وهما من أخصب الواحات وأكثرها حاصلات وأوفرها ماء .

وواحة تيما على حافة النفود الكبير الغربية من الواحات الواسعة الخصبة التربة.

وواحة العلا واقعة على خط السكة الحديدية الحجازية بقرب وادى القرى على بعد ٦٠ ميلا الى الجنوب من تيما.

وواحة خيبر تقع ضمن منطقة حرة خيبر الصحراوية وتبعد عن المدينة المنورة مقدار ٦٠ ميلا الى جهة الشمال .

وأراضى المدينة المنورة بذاتها تحسب من جملة الواحات وان عدت كذلك فانها من أعظم الواحات وأكثرها سعة وخصبا .

وواحة ينبع النخل الى الشرق من مدينة ينبع تشمل بضع عشرة واحة منتشرة هنا وهنالك .

وتربة والخرمة واحتان واقعتان الى الشرق الجنوبى من الحجاز بقرب جبل حضن وهما فى الحقيقة مجموعة واحات صغيرة متناثرة وسط البلاد الصحراوية والوديان ومثلهما واحتا رنية وبيشة الواقعتان الى الجنوب والشرق منهما .

والبلاد النجدية المعمورة والآهلة بالسكان يمكن عدها سلسلة من الواحات التى تبدأ من الشمال بواحات جبل شمر فالقصيم فأواسط نجد حتى أقصى وادى الدواسر

ولسنا نخطئ ان دعوناها واحات وان كان معظمها واقعاً فى مجارى الاودية العظيمة التى ذكرناها فيما سبق .

والحسا مقاطعة تمثل الواحات بكل معنى الكلمة وهى من أعظم الواحات المعروفة وأكثرها زرعا وخيرات ومثلها واحة القطيف الواقعة على ساحل الخليج الفارسى عند جزيرتى دارين وتاروت .

والى الجنوب من الحسا واحة جبرين المشهورة الواقعة بقرب الطرف الشمالى من الربع الخالى .

البحيرات

لايوجد بحيرات فى البلاد بالمعنى المفهوم من كلمة البحيرة وقد يمكن تسمية السبخات المارة الذكر باسم البحيرات الجافة الا ان فى أماكن كثيرة من البلاد مستنقعات مرزغية فى جهات الحسا والقطيف لايصح أن يطلق عليها اسم البحيرات كما انه لايمكن أن يطلق على البرك والخبارى الوقتية التى تتكون من تجمع مياه المطر وانحباسها فيها برهة قصيرة .

البراكين

لاتوجد فى الوقت الحاضر براكين ثائرة وانما توجد آثار براكين خامدة منذ أزمنة طويلة أحدثها خموداً بركان بقرب المدينة ذكر انه ثار فى القرن السادس الهجرى .

وتوجد مواضع كثيرة هى عبارة عن فوهات بركانية أو بقايا الاندفاعات والسوائل النارية المنبعثة من جوف البراكين .

والحرّات فى الأساس تكونت من الاندفاعات البركانية العديدة فى الازمنة القديمة كما سنصفه فيما يلى :

الحرات

توجد فى أنحاء عديدة من البلاد و بالاخص الجهات الغربية منها مناطق واسعة تسترها مقذوفات البراكين والسائل البركانى فأصبحت ذات شكل غريب يسترعى الانظار . فهذه المناطق السوداء ذات الحجارة النخرة المحروقة بالنار أو الحجارة المؤلفة من السائل البركانى المتجمد تسمى بالحرات واحدادها حرة . ولا يعلم بالضبط الأعصر الجيولوجية التى تكونت فيها هذه الحرات ولا كيفية تكوينها وأيها تكون قبل الآخر ويظن انها حصلت فى أواخر العصر الجيوراسى . والظاهر من شكل هذه الحرات والأماكن الواقعة فيها يدل على انها كائنة فى الغالب فى المناطق المرتفعة عن مستوى الاراضى الواطئة التى كانت فى الأعصر الجيولوجية مستورة بالمياه البحرية و بعض هذه الحرات يبلغ مستوى عظيما وفيه جبال وجرف وهوات وفجوات عديدة .

وأهم هذه الحرات حرة العويرض الواقعة الى جهة الغرب من درب الحاج الممتد من تبوك الى العلا على محاذاة سكة الحجاز الحديدية ويبلغ طول هذه الحرة أكثر من مائة ميل بعرض يكاد يقرب من ذلك ومتوسط ارتفاعها عن سطح البحر ٥٠٠٠ قدم كما ان أعلى مواقعها جبل عنازة الذى يزيد ارتفاعه ٧٠٠٠ قدم عن سطح البحر .

وحرة خيبر من أعظم الحرات وأوسعها مسافة بالرغم عن انها أقل ارتفاعا وأقل تشققاً وانحداراً من حرة العويرض حتى ان الكثيرين سموها الحرة الصحراوية دلالة على طبيعة تكوين سطحها وهى تمتد من شرقى خيبر الى الشرق والجنوب ويبلغ طولها مرحلتين من الشرق الى الغرب ومرحلتين من الشمال الى الجنوب .

والى الجنوب من حرة خيبر منطقة سهلة تنحصر بينها وبين حرة بنى سليم المعروفة بحرة المدينة أيضا . وهى من حيث المساحة لاتقل كثيراً عن حرة خيبر وان كانت فى بعض مواضعها تعلو عنها .

وهنالك حرار أخرى عظيمة غير ما ذكرنا منتشرة فى سائر البلاد وأهمها واقع فى المنطقة الممتدة من تبوك حتى قرب مكة المكرمة . وقد ذكر جغرافيو العرب عدداً عظيما منها وذكروا ان بعضهم عد أكثر من مئتى حرة .

فحرة البس تمتد من المويه شمال ركبة الى مسافات بعيدة فى الشمال والشمال الغربى .

وحرة الخشب تمتد من عشيرة فى أول سهل ركبة الى أن تتصل بحرة البس المشار اليها آنفاً .

وقد ذكر ياقوت كثيراً من الحرار أهمها حرة أوطاس وحرة تُقدة وحرة حَقل وحرة راجل وراهص والرجلاء وحرة رُماح فى الدهناء وحرة واقم والوبرة وبنى هلال .

الفصل السابع

الحرارة والمناخ

الرياح والرطوبة والأمطار والسيول

من المعلوم أن العوامل الجغرافية التي تؤثر فى مناخ اقليم من الاقاليم هى البعد عن خط الاستواء والارتفاع عن سطح البحر . وقد كان من جراء وقوع هذه البلاد فى منطقة قريبة من خط الاستواء ومن وجود أماكن مرتفعة عن سطح البحر أو هابطة عنها ووجود مناطق أخرى قليلة الارتفاع ، انه يمكن مصادفة أحوال اقليمية ومناخية مختلفة فى أنحاء المملكة ، ولكن الصفة العادية فى البلاد هى الحرارة الشديدة الراطبة فى السواحل والحرارة الجافة فى الأماكن البعيدة عنها ، غير أن هنالك أماكن عديدة ذات هواء معتدل وجو لطيف منها جميع الأماكن المرتفعة عن سطح البحر وسط سلسلة جبال الحجاز . وأما فى أواسط الجبال كنجد مثلا فانه بالرغم عن اشتداد الحرارة فى وسط النهار فانها تكون محتملة فى الليل وفى طرفى النهار . وأشد الحرارة الراطبة تقع فى سواحل الخليج الفارسى وفى تهامة وبالاخص ما كان منها واقعاً الى الجنوب . وأما الحرارة الجافة فأشد ما تكون فى جهات مكة حيث الاراضى الغرانيتية والصخور القديمة السوداء تزيد فى قوة انعكاس الحرارة فكأنها تصب على أطرافها أشعة محرقة من شهب الحرارة الجافة المحرقة . والذى يزيد فى وطأة الحر الجفاف الزائد من جهة والاختلاف العظيم بين درجتى الحرارة

العظمى والدنيا من جهة أخرى اذ قد يبلغ الفرق بينهما أكثر من ٢٠ درجة سنتغراد خلال الاربع والعشرين ساعة ويظهر هذا الاختلاف على أشده في المواضع المنبسطة التي يكثر فيها الاشعاع ليلا .

وفي الحقيقة انه في الامكان تقسيم البلاد من جهة اشتداد الحرارة واعتدالها الى مناطق عديدة لكل منها ميزات خاصة . فالمناطق الساحلية سواء في الشرق أم في الغرب ذات هواء حار جداً أيام أشهر القيظ تشوبه رطوبة لزجة تجعل تأثيره في الاجسام شديداً لا يطاق . وأشد هذه المناطق حرارة ورطوبة في آن واحد جهات تهامة وسواحل الخليج الفارسي ، وهنالك منطقة تهامية جبلية يشتد فيها الحر ويهب فيها السموم اللاذع في أشهر الصيف والقيظ وهذه المنطقة هي ما صاقب مكة والمدينة في الغرب والحسا في الشرق غير أن الجو يعتدل في أوائل نوفمبر من كل سنة ويدوم اعتداله الى أواخر شهر فبراير ثم تشتد الحرارة حتى تبلغ أشدها في أواسط أغسطس وسبتمبر . وفي جهات مكة يتبدل الطقس الحار الجاف في سبتمبر وأكتوبر وتهب رياح جنوبية ذات رطوبة تجعل السكنى في مكة صعبة جداً لاختلاط الحرارة بالرطوبة . وفي منطقة جبال الحجاز وعسير يظل الجو معتدلا حتى في أشد أشهر القيظ وفي جهات الطائف وجبال الشفا وعسير لا يشعر السكان أنهم في بلاد حارة وهذا بالطبع مسبب عن ارتفاع هذه المنطقة عن سطح البحر ارتفاعا يعدل الحرارة المسببة عن القرب من خط الاستواء . وأما المنطقة النجدية فانها بالرغم عن اشتداد درجة الحرارة فيها في وسط النهار أيام القيظ فان اقليمها معتدل بالنسبة الى اقليم الحجاز بسبب الارتفاع وقلة الرطوبة وسهولة اشعاع الحرارة ولذا فان ليالي هذه المنطقة تكون على الغالب لطيفة . وجبل شمر أعدل هواء وأبرد جواً من جو البلاد النجدية الجنوبية . وأما في الشتاء فكثيراً ما يجمد الماء في بعض الأصقاع الجبلية

الا أن البلاد لاتعرف الثلج أبداً وانما قد يسقط البرَد فى كثير من الجهات و بعض البرد يكون كبيراً جداً لا يصادف مثله فى البلاد المعتدلة والباردة .

وقد نشرنا فيما يلى جداول تبين درجات الحرارة فى أوقات مختلفة وفى أماكن عديدة ليعلم القارىء منها نسبة اختلاف هذه الحرارة و درجة اشتدادها .

الجدول الأول[١]

يبين تبدلات درجة الحرارة فى مدينة جدة من مقياس فهرنهيت[٢]
خلال الاثنى عشر شهراً عام ١٩٣١

الشهر	الدرجة العظمى	الدرجة المتوسطة		الدرجة الصغرى
		العظمى نهارا	الصغرى ليلا	
يناير	٨٣	٨٠	٧٣	٦٨
فبراير	٨١	٧٨ ٠٥	٧١	٦٥
مارس	٨٩	٧٩	٧٤	٦٦
ابريل	٩٠	٨٥	٧٤	٧٠
مايو	٩٩	٨٨	٧٩	٧٣
يونيو	٩٩	٩٣	٧٩	٧٤
يوليو	٩٧	٩٣	٨٥	٨١
أغسطس	٩٧	٩٣	٨٨ ٠٥	٨٥
سبتمبر	٩٦	٩١ ٠٥	٨٥ ٠٥	٨٠
أكتوبر	٩٣	٨٩	٨١	٧٩
نوفمبر	٩٣	٨[illegible]	٧٧	٧٣
ديسمبر	٨٤	٧٨ ٠٥	٧٣	٦٥

(١) تفضلت المفوضية البريطانية باعطاء هذا الجدول . والقياسات كانت تؤخذ يومياً بكل انتظام فى دارها بجدة .

(٢) درجة الحرارة بمقياس فهرنهيت تساوي ٥/٩ من درجة سنتغراد .

الجدول الثانى

يبين درجة الحرارة العظمى والصغرى التى سجلت
فى أماكن مختلفة فى المملكة

بمقياس سنتيغراد

المكان	الدرجة العظمى في شهر أغسطس	الدرجة الصغرى في شهر يناير
مكة المكرمة	٤٧	١٥
المدينة المنورة	٤٥	٦
الرياض	٤٥	١
الحسا	٤٦	٥
واحة جبرين		صفر
جدّة	٤١	٩
حائل	٣٩	صفر
بريدة	٤٠	٥
الطائف	٣٧	صفر
النفود الكبير	٤٦	صفر

ومن مطالعة هذين الجدولين يعلم أنه اذا استثنينا المناطق الجبلية المرتفعة فان الفصول الاربعة فى الجهات الاخرى انما هى فى الحقيقة والواقع على ثلاثة أنواع الربيع ويشمل فصل الامطار ولا نسميه بالشتاء نظراً لاعتدال جوه بحيث أنه لا يبعد عن طقس الربيع فى البلاد المعتدلة وفصل الصيف وهو حار على الاجمال وفصل القيظ وهو أشد الفصول حرارة . ويحسب أهل البلاد الفصول والمواسم بحساب البروج الاثنى عشر مبتدئين بها من برج الحمل[1] وهو أعدل الفصول

(١) يصادف دخول برج الحمل فى نقطة الاعتدال الربيعى فى ٢١ مارس من كل سنة

فالثور والجوزاء فالسرطان فالاسد فالسنبلة فالميزان فالعقرب فالقوس فالجدى فالدلو فالحوت .

وقد نشرنا فيما يلي جدولا يبين هذه الفصول وما يقابلها من الاشهر الشمسية :

جـدول

يبين البروج التى يجرى حساب الاشهر بها وما يقابلها من الأشهر الشمسية

اسم البرج	المدة التى تقابله من الاشهر الشمسية	الفصل
برج الحمل	من ٢١ مارس الى ٢٠ ابريل	
« الثور	« ٢ ابريل « ٢٠ مايو	الربيع
« الجوزاء	« ٢١ مايو « ٢١ يونيو	
« السرطان	« ٢٢ يونيو « ٢٠ يوليو	
« الأسد	« ٢١ يوليو « ٢١ أغسطس	الصيف
« السنبلة	« ٢١ أغسطس « ٢١ سبتمبر	
« الميزان	« ٢٢ سبتمبر « ٢١ اكتوبر	
« العقرب	« ٢١ اكتوبر « ٢٠ نوفمبر	الخريف
« القوس	« ٢١ نوفمبر « ٢٠ ديسمبر	
« الجدى	« ٢١ ديسمبر « ٢٠ يناير	
« الدلو	« ٢١ يناير « ١٩ فبراير	الشتاء
« الحوت	« ٢٠ فبراير « ٢٠ مارس	

الرياح

تختلف الرياح شدة وجفافا أو طراوة وعذاوة باختلاف مهابّها . فالريح الشمالية في الحجاز تكون في السواحل لطيفة باردة والجنوبية رطبة تضيق الانفاس والغربية باردة رطبة والشرقية جافة حارة شديدة اللفح . وأما في المناطق الاخرى فالشمال تكون دائماً كالسموم والشرقية تسمى صبا والجنوبية وَمْداً والغربية كالشمالية والرياح تكاد تكون في كافة المواسم والفصول قوية تهب بقوة فتسفي الاتربة وتسبب حركة دائمة ومجاري مضطردة بين البلاد المنخفضة والمرتفعة . فالسموم في مكة والمدينة وأغلب البلاد النجدية يمتد أكثر أشهر الصيف والقيظ والجبال تكون دائمة الرياح صيفاً وشتاء . وكلما اشتدت الهاجرة وحرارة القيظ في تهامة ، اشتدت حركة الرياح أيضاً بالنسبة الى الفصول وتبلغ أشدها في أوقات الحر الشديد وفي أوائل الوسمي حيث تصحبها عواصف وبروق ورعود يهطل المطر على أثرها . وريح الصبا في الحجاز من أنعش الرياح وأحسنها تأثيرا في الجسد ، وبعكسها السموم والومد .

الرطوبة

سواحل تهامة مشهورة برطوبتها وكذلك سواحل الخليج الفارسي وتكون الرطوبة شديدة جداً في فصلي السنبلة والميزان حيث يكون الطقس غير محتمل يضيق النفس لاسيما إذا كانت الرياح بحرية أو جنوبية .

وأما في مكة والبقاع التي تصاقبها فان الرطوبة فيها منعدمة إلا في الاسد والسنبلة وبعض الميزان ترافق تلك الرطوبة الرياح الجنوبية أو الومد (وهو

الطقس الذى ينحبس فيه الريح) فيكون فعل الحرارة أشد فتكا من الحرارة الجافة فى أشهر الصيف .

وأما المدينة المنورة وما صاقبها من الاصقاع النجدية فانها أكثر اعتدالا من جهات مكة بالرغم من أن فصل الصيف فيها شديد الحرارة كثير السموم .

وفى جهات الطائف يظل الطقس جافا طيلة الصيف الى أن تنتهى الايام الغبر وتدخل الخضر ، والايام الغبر تنتهى فى أواخر شهر أغسطس حيث ينقطع هبوب الرياح الشمالية والغربية الجافة التى تثير الاتربة والغبار ويخالط الهواء بعدها بعض الرطوبة المنعشة والمسببة عن هطول الامطار فى هذا الفصل فيعتدل المناخ لمخالطة الرطوبة للهواء الجاف وتخفيف أثره .

وأما نجد الاوسط والاعلى فان الرطوبة فيه قليلة غير أنها بدرجة تكفى لتعديل أثر الجفاف .

ولم نستطع الحصول على أرصاد متوالية عن تحولات درجة الرطوبة إلا فى جدة فنشرنا عنها الجدول الآتى [1] :

---

(١) الارصاد الواردة فى الجدول أخذت بواسطة المفوضية البريطانية بجدة .

جـــدول

يبين درجة الرطوبة فى مدينة جدة والنسبة المئوية لبخار الماء الموجود فى الهواء

سنة ١٩٣٠	النسبة المئوية
يوليو	٧٢
أغسطس	٧٠
سبتمبر	٧٠
أكتوبر	٧
نوفمبر	٦٥
ديسمبر	٧٢و٥
سنة ١٩٣١	
يناير	٧٢و٥
فبراير	٦٣
مارس	٦٠
ابريل	٦٥و٥
مايو	٦٨
يونيو	٦٣
يوليو	٥٦
أغسطس	٦٦و٥
سبتمبر	٧٣
أكتوبر	٧٠
نوفمبر	٦٧
ديسمبر	٦٤

الامطار والسيول

الامطار فى هذه البلاد اكسير الحياة للبادية والحاضرة وهى على الاجمال قليلة جداً بالنسبة الى شدة احتياج البلاد اليها . وتكثر وتقل بالنسبة الى اختلاف المناطق كما أنها تهطل فى مواسم مختلفة . فجبال الحجاز وعسير التى تحجز بعض الابخرة المتصاعدة من البحر الاحمر ومن المحيط الهندى المسوقة برياح المونسون يهطل فيها المطر فى فصل هذه الرياح الموسمية وذلك على الغالب فى أشهر الخريف من أواخر أغسطس حتى أواخر ديسمبر بينما الأمطار فى الجهات النجدية لاتهطل إلا فى ديسمبر ويناير وفبراير . ومع أن الامطار تهطل متقطعة وفى فترات لاتدوم طويلا فانها تكفى لغمر البلاد التى نزل فيها بالمياه ولسير الاودية والسيول التى لايشاهد مثلها فى البلاد الاخرى . وقد يعجب الانسان كثيراً ان سمع أن السيول تخرب البلاد وتقلع الاشجار وتجرف كل ما يقف فى سبيلها من عمار وشجر وحيوان مما يستغرب حصوله . ولكن الواقع أن البلاد بكاملها يسترها الماء بعد هطول المطر مدة لاتتجاوز الساعة والغيث المدرار حين نزوله بقوة وغزارة فائقة للتصور حتى أن الانسان ليعجب كيف أن بلاداً برمتها كانت من قبل بضع دقائق تحرق الجسد بحرارة أرضها إذا بها الآن كبحيرة واسعة الارجاء أو كنهر متلاطم مزبد متدفق .

ويهتم الناس فى هذه البلاد بالمطر ويترقبون هطوله ويتناقلون أخباره وحين دخول فصوله يشرعون فى التطلع الى حركات السحب والعواصف الجالبة له حتى إذا هطل الغيث سُرّى عن الناس واطمأنوا على سنتهم أنها سنة خير وخصب .

والبداة أكثر الناس اهتماما بالامطار يتوقعونها ويستخبرون عن أماكن نزولها لكى ينتقلوا اليها بماشيتهم التى هى عماد حياتهم . ونظراً لأنهم أكثر

السكان اهتماما بالامطار تراهم يعلمون بالفصول و يقسمونها الى أقسام لكل اسمه الخاص به . ويمكن القول إجمالا أن البدو يقسمون السنة الى خمسة فصول مبتدئين بها منذ ظهور نجم سهيل فى أواخر شهر سبتمبر فيشمل الفصل الاول المسمى السفرى (الخريف) من أول اكتوبر حتى أول يناير والشتاء من أول يناير الى أواخر شهر فبراير والسماك ومدته ٥٠ يوما ثم الصيف من آخر السماك حتى أوائل يونيو ثم يلى ذلك فصل القيظ وينتهى بالسفرى .

فأمطار الحجاز على الاجمال تقع فى فصل السفرى و بعضها يقع فى الشتاء وأما نجد فان مطرها الوسمى يقع فى فصل الشتاء وهم يسمون المطر باسماء مختلفة بحسب الفصول التى يقع فيها فهنالك الوسمى والشتوى والسماكى والصيفى . والوسمى فيه ثلاثة أنواع : السهيلاوى (الذى يهطل حين ظهور سهيل) والثروى (الذى يهطل عند ظهور الثريا) والجوزاوى (الذى يهطل عند ظهور الجوزاء) وأهم الامطار وسم الثروى فعليه مدار الاعتماد فى نمو الاعشاب والاشجار .

ويرافق الامطار فى الغالب رعود وبروق عظيمة وهذه يوجد كثيرون من الخبراء يعلمون هل هى جالبة للمطر أم خُلَّب .

وفى المدينة يزيد نزول المطر عن مكة وجدة وفى بعض السنين تكون الامطار فى نجد أكثر بكثير من ذلك غير أنه لاتوجد لدينا قياسات يعتمد بها عن هذه الامطار ومقاديرها .

أما السيول وفعلها فحدث عنه ولا حرج وكل الاودية التى ذكرناها فى بابها المخصوص تفيض بالمياه فى موسمها و تقذف بها الى البحر أو الى وسط البيداء .

وفيما يلى جدولان يبينان معدل المطر عام ١٩٣١ فى كل من مكة المكرمة وجدة:

جـــدول

يبين وقت هطول المطر وكميته فى مدينة جدة(١) عام ١٩٣٠ و ١٩٣١

الشهر	الكمية بالانش	السنة
اكتوبر	٢	١٩٣٠
نوفمبر	١/٢	
ديسمبر	١/٢	
مارس	١/٢	١٩٣١
نوفمبر	٢	
ديسمبر	١/٢	

جـــدول

يبين وقت هطول المطر وكميته فى مكة المكرمة (٢) عام ١٩٣٠ و ١٩٣١

الشهر	الكمية بالانش	السنة
ينـاير	٦٠ ٪	
ينـاير	٧٦ ٪	
فبراير	٥ ٪	١٩٣٠
سبتمبر	٣٠ ٪	
اكتوبر	٩٠ ٪	
ديسمبر	٥٫٥٠ ٪	
سبتمبر	٥٠ ٪	
نوفمبر	٢٠ ٪	١٩٣١
ديسمبر	٢٥ ٪	
مارس	٤٫٥٠ ٪	

(١) من أرصاد المفوضية البريطانية بجدة (٢) من ارصاد مديرية الصحة العامة .

الفصل الثامن

الشئون الأدارية والاوضاع الحكومية

تمهيد ـ صلة الحجاز بنجد وعلاقتهما المشتركة ـ الحكومة المركزية
فى كليهما ـ أقسام نجد ـ تشكيلات الحجاز ـ الامارات

تمهيد

من الواضح ان بحث أحوال الادارة وأوضاع الحكومة كان يقتضى فصله عن القسم الأول من الكتاب . فقد كانت نيتنا كذلك ورسمنا لما اعتزمنا خطة قضت الظروف علينا بالتحول عنها . وذلك اننا كنا عازمين على درس هذا البحث باطناب كاف فى قسم مستقل يتناول مختلف الأوضاع الحكومية والتشكيلات الادارية والفعالية الحكومية فى جميع نواحيها . وقبل أن يتيسر لنا ذلك صدر الأمر الملوكى الكريم[1] فى ٢١ سبتمبر سنة ١٩٣٢ بتوحيد أجزاء المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها وضم بعضها الى بعض تحت اسم جديد هو المملكة العربية السعودية . وقضى الأمر المشار اليه بوضع نظام أساسى للبلاد بأجمعها على أساس هذه الوحدة واحداث تشكيلات ادارية جديدة تنطبق على الوضع الجديد . فتحتم علينا أن نتحول عن خطتنا الاولى منتظرين صدور النظام الاساسى العتيد والتشكيلات الادارية المقبلة وان نعالج فى فصل واحد ملحق بالقسم الجغرافى والطبيعى وضع البلاد الراهن كما كان ـ وكما هو للآن ـ زمن قيام المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها .

---

(١) نشر رسميا فى جريدة أم القرى فى عددها رقم ٤٠٦ الصادر فى ٢٢ جمادى الاولى سنة ١٣٥١ (٢٣ سبتمبر سنة ١٩٣٢)

صلة الحجاز بنجد

اكتسبت المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها وضعها الاخير الجغرافى عام ١٩٢٦ (١٣٠٤ - ٣٤٥) وكانت قبل ذلك عبارة عن السلطنة النجدية وملحقاتها والمملكة الحجازية فبعد استخلاص جلالة الملك عبد العزيز آل سعود للحجاز من أيدى الاشراف عام ١٣٤٤ واعلان ملكية جلالته على الحجاز أيضاً وبعد اعلان السلطنة النجدية وملحقاتها - مملكة - لم يصدر أى نظام أو دستور يحدد علاقات كل مملكة بالاخرى أو يرسم حداً أرضياً بينهما كما انه لم يوضع أى ترتيب يمكن أن يعلم منه درجة ارتباط العلاقة بينهما ومقدار اشتراكهما فى الاوضاع الادارية والحكومية . وقد صدرت تعليمات أساسية عينت شكل البلاد الحجازية ولكنها لم تشر أية اشارة الى علاقات الحجاز بنجد .

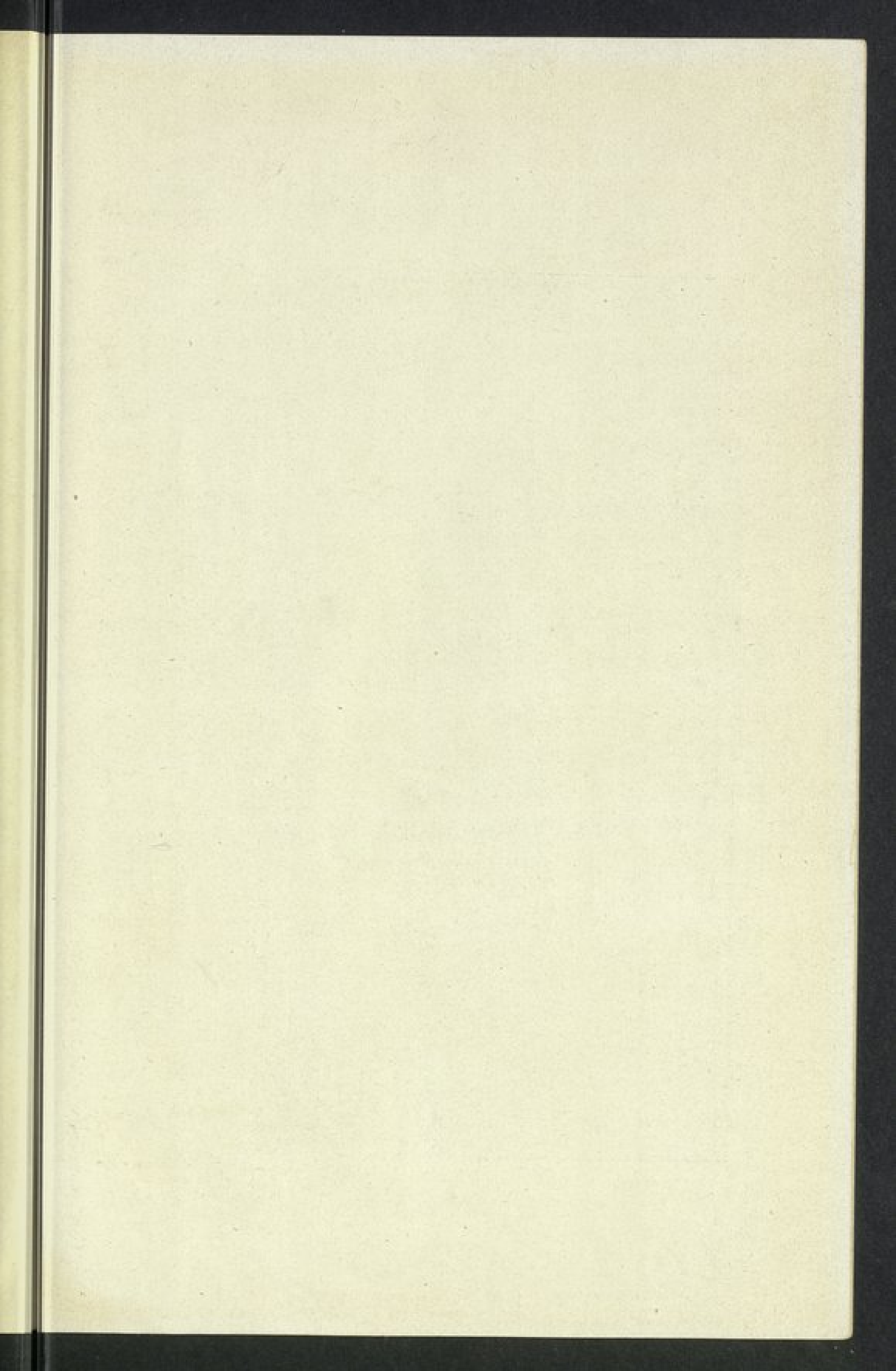
أما من الوجهة الحقوقية والقانونية فان كلا من الحجاز ونجد كان مملكة مستقلة عن الاخرى لاتجمع بينهما الا رابطة العرش المشترك وشخص الجالس على هذا العرش ، ولكل مملكة أوضاعها الخاصة وعاصمتها وتشكيلاتها المختلفة .

وأما من الوجهة العملية الواقعية فقد كانت الصلات بينهما أحكم من ذلك بكثير والعلاقات والمنافع المتبادلة أكثر جداً مما يظن . فلم يكن بينهما أى نوع من الفوارق والحواجز الجمركية أو التباين الحكومى أو الحدود الجغرافية . وكانت سياستهما الخارجية واحدة يتولاها شخص واحد باسم البلادين لاباسم كل منهما على حدة . وكانت بينهما علاوة على ذلك روابط متينة من حيث الدفاع والمواصلات والبريد والبرق والقضاء بالرغم عن ان درجات الصلة والانفصال فيها لم تتعين بأى شكل قانونى صريح .

هذا من حيث صلة المملكة الواحدة بالمملكة الاخرى . وأما من حيث التشكيلات الادارية والانظمة الحكومية فقد كان لكل منهما نظام خاص وترتيب متبع لايشبه الآخر . وربما كانت أوضاع المملكة الحجازية أقرب الى الاوضاع



المدينة المنورة



الغربية من أوضاع المملكة النجدية وملحقاتها التى كانت تنهج فى ذلك نهجاً خاصاً قضت عليها به طبيعة أراضيها وأمزجة أهلها وأحوالها المعاشية إجمالا . وها نحن أولاء نذكر صفة ما كانت عليه كلتا المملكتين قبل اعلان توحيدهما واندماجهما فى جسم (المملكة العربية السعودية) ، مبتدئين بذكر صفة المملكة النجدية وملحقاتها .

الحكومة المركزية في نجد وملحقاتها

الملك مصدر السلطات جميعها وفى يده تصريف شؤونها على النحو الذى يريده وقوله هو القول الفصل فى كل الامور ولا يقيد هذه السلطة المطلقة الا أحكام الشرع الشريف ولا يوجد الى جانب جلالته هيئة وزارية تعاونه فى تصريف الامور وإدارة الاحكام . بل ان لجلالته ديواناً فيه موظفون دائمون لانجاز الاعمال وعرضها على جلالة الملك وتلقى أوامر جلالته فيها . فما كان من الامور مختصاً بالشرع أحيل الى القضاء للحكم فيه على الوجه الشرعى . وما كان من الامور خاصاً بالشئون الادارية والسياسية والمالية والعسكرية فصل فيه جلالته . وليس لهذه الاعمال أشخاص مسئولون عن تصريفها وتحمل نتائج أعمالهم فيها على هيئة وزراء أو مديرين .

أما ادارة المقاطعات من الوجهة الادارية فانها تتم بمعرفة أمراء يعينهم جلالة الملك من وقت الى آخر ويستمدون سلطتهم من جلالته فيما يتعلق بالشئون الادارية والعسكرية والمالية ومن الشرع فيما يتعلق بالمسائل الشرعية . ولا توجد مدة معينة لتوليهم العمل ويظلون فى عملهم مادام رضى جلالته عليهم .

الاقسام الادارية فى نجد

لايوجد نظام موضوع تتعين به الاقسام الادارية وسلطات الأمراء فى الملحقات و واجباتهم . ويجرى العمل فى ذلك تبعاً للتعامل القديم والعرف الجارى . و يمكن بهذا الاعتبار ارجاع الاقسام الادارية فى بلاد نجد وملحقاتها الى الشكل الذى كانت عليه منذ القديم وحصرها فى خمسة أقسام رئيسية وهى :

أولا — امارة نجد أو العارض ومقرها فى الرياض التى هى فى نفس الوقت عاصمة نجد

ثانياً — امارة القَصيم

ثالثاً — امارة جبل شمّر

رابعاً — امارة الحسا

خامساً — امارة عسير السراة

و يتبع كل مقاطعة من هذه المقاطعات الكبيرة عدة نواح وتسمى كلها بالامارات بدون تمييز بين ما كان منها فى السعة والاهمية بدرجة الولاية أو القضاء أو الناحية . الا اننا فى ذكر هذه الاقسام اعتبرنا كل جهة تخرج زمن الحرب بَيْرقا امارة وقد يتبعها عدد كبير من المدن والقرى .

الامارات التابعة للعارض

أولا — امارة الرياض عاصمة نجد ويتبعها كثير من القرى والامارات البدوية وأهم بلدانها الدرعيّة والمنفوحة وأضْرُمَا والخرج وسَدُوس .

ثانياً — الحوطة وأهم قراها نعام والحلوة .

ثالثاً — الحريق ومركزها بلدة الحريق .

رابعاً — وادى الدواسر المعروف بالافلاج وفيه من القرى والبلدان عدد عظيم أهمها ليلا ودام وسليل والبديع .

خامساً — الوشم ومركزها بلدة شقراء ومن بلدانها المهمة ثرمدا وحريملا ومرات والوشيقر .

سادساً — السدير ومركزها المجمعة ومن بلدانها المهمة الزلفى وجلاجل وحرمة .

سابعاً — المحمل وأهم قراها ثادق والبير والصفرة .

ثامناً — امارة أهل الوديان وتشمل عدة بلدان وواحات أهمها رنية وتربة والخرمة .

تاسعاً — امارة بيشة و أهم قراها قلعة بيشة .

عاشراً — الامارات البدوية المرتبطة بالعارض رأساً ولبعض هذه الامارات مراكز عديدة من الهجر المحدثة مؤخراً الا ان أهمها (١) امارة سبيع والسهول وهم بدو العارض (٢) امارة عتيبة وأهم قراها الدوادمى والشعرا وهجر الاخوان العديدة (٣) امارة قحطان نجد (٤) وقد تحسب امارة مطير فى الارطاوية تابعة للعارض رأساً .

الامارات التابعة للقصيم

فى القصيم بلدتان مهمتان الاولى عنيزة والثانية بريدة . ومع ان الاولى تحسب من القصيم جغرافيا الا انها من حيث الادارة مستقلة ولها بيرقها وعليها جهاد خاص فهى من هذا القبيل يمكن حسبانها خارجة عن ادارة القصيم . وبناء على ذلك تكون الامارات التى فى القصيم كما يأتى :

أولا — امارة عنيزة

ثانياً — امارة القصيم ومركزها بريدة ويتبعها عدد كبير من القرى المنتشرة على طول وادي الرمة الذي يخترق القصيم من غربه الجنوبي الى شماله الشرقي .

ثالثاً — امارة الرس ويتبعها قصر ابن عقيل وصبيح والنبهانية .

رابعاً — امارة المذنب ويتبعها عدد من القرى ايضاً منها البكيرية وانجرا والشيحيات .

الامارات التابعة للجبل

أولا — امارة حائل ويتبعها الجبة والمستجدة حتى الشقيق .

ثانياً — امارة تيماء على طرف النفود الكبير .

ثالثاً — امارة خيبر عند الحرة المشهورة .

رابعاً — الامارة البدوية التابعة للجبل تشمل (١) امارة حرب (٢) امارة عنزة وهتيم (٣) امارة شمر (٤) امارة الارطاوية ان لم تكن مرتبطة بالعارض .

وقد كان وادي السرحان تابعاً من حيث الادارة للجبل الا انه فصل في السنوات الاخيرة عنه وجعل ارتباطه الاداري والمالي بالحجاز .

الامارات التابعة للحسا

أولا — امارة الحسا ويتبعها عدد كبير من القرى يبلغ أكثر من خمسين قرية . ومن المعلوم ان الحسا كانت على زمن الحكومة العثمانية متصرفية . وأهم قراها المبرز والمفوف والجشة ومرفأها بلدة العقير التي تبعد عن الحسا مسافة ٨٥ كيلو مترا .

ثانياً — امارة القطيف وهي التي كانت معروفة بهجر وفيها قرى كثيرة

أهمها صَفْوة والعوّامِيّة والدمام وسنابس . ويمكن حسبان جزائر دارين وتاورت والزُّفيعة قسما منها .

ثالثاً — امارة الجبيل وأهم قراها العينين .

رابعاً — الامارات البدوية المختلفة وأهمها (١) امارة آل مرة (٢) امارة بنى هاجر (٣) امارة بنى خالد (٤) امارة العجمان (٥) امارة مطير السفليين فى قَريَة (٦) امارة المناصير (٧) امارة العوازم والرشايدة .

الامارات التابعة لعسير

أولا — امارة ابها ويتبعها قرى وبلدان عديدة فى كنف السراة وسفوحه .

ثانياً — امارة شهران وأهم قراها سوق ابن مشيط أو خميس مشيط .

ثالثاً — امارة قحطان وأهم قراها سنحان .

رابعاً — امارة رجال المع وأهم قراها الشّعبين ورِجال .

خامساً — امارة نجران .

عسير تهامة

ومن الضرورى أن نلحق بنجد مقاطعة واسعة فى تهامة عسير دُعيت فى وقت من الأوقات بالمقاطعة الادريسية وهى تشمل ثلاثة أقضية وهى :

أولا — قضاء صبيا او مخلاف السليمانية ويتبعه مخلاف بنى شعبة وأهم قراه الشقيق والدرب وقنا البحر .

ثانيا — قضاء جيزان ومركزه بلدة جيزان التى هى مرفأ المقاطعة .

ثالثا — قضاء أبى عريش ومرفأه بلدة المضايا ومركزه بلدة ابي عريش .

الحكومة المركزية فى الحجاز

للمملكة الحجازية نظام أساسى صدر بشكل تعليمات أساسية فى ٢١ صفر سنة ١٣٤٥ الموافق أول سبتمبر سنة ١٩٢٦ وقد جاء فى المادة الخامسة منها «أن تكون جميع ادارة المملكة الحجازية بيد صاحب الجلالة الملك عبد العزيز الاول ابن عبد الرحمن الفيصل آل سعود وجلالته مقيد باحكام الشرع الشريف».

وقد حصرت أعمال الدولة الرئيسية بموجب التعليمات الاساسية فى ستة اقسام: الشرعية والداخلية والخارجية والمالية والمعارف العمومية والعسكرية. وهذه الاقسام يتولاها مديرون ورؤساء يرأسهم نائب عام لجلالة الملك.

ثم صدرت فى أوقات مختلفة تعديلات جوهرية لهذه التعليمات الاساسية أهمها ما كان متعلقاً بنظام مجلس الشورى ووزارتى المالية والخارجية.

ولكن أعظم تعديل أدخل عليها هو التعديل الوارد فى نظام مجلس الوكلاء الصادر فى شهر شعبان سنة ١٣٥٠ (يناير سنة ١٩٣٢) [١]. فانه قضى باحداث مجلس للوكلاء على طراز مجالس الوزراء فى البلاد الاخرى ويتألف من رئيس المجلس الذى ينوب عن جلالة الملك فى أثناء غيابه عن الحجاز أيضاً ومن وكلاء الخارجية والمالية والشورى. ويستمد المجلس سلطته من حضرة صاحب الجلالة الملك. والوكلاء مسئولون بالتضامن لدى جلالة الملك عن السياسة العامة للدولة وكل منهم مسئول أيضاً عن أعمال وزارته.

وبموجب النظام المشار اليه والتعديل الذى أدخل عليه بعد نشره تغيرت تشكيلات الادارة المركزية التى نص عليها فى التعليمات الاساسية الاصلية

---

(١) نشر فى العدد ٣٧٠ من جريدة أم القرى الصادرة فى ٧ رمضان ١٣٥٠

فجاءت كما يلي :

رئاسة المجلس

وزارة الخارجية

وزارة المالية

وزارة الداخلية

مجلس الشورى

وربطت الدوائر الآتية بوزارة الداخلية وهي :

ادارة الصحة العامة والاسعاف

ادارة المعارف العمومية

ادارة البريد والبرق والتلفون واللاسلكي

رئاسة القضاء الشرعي والمحاكم الشرعية

ادارة الامور العسكرية بقسميها النظامي والبدوي

ادارة الاوقاف والحرم الشريف

ادارة البلديات

ادارة المياه وعين زبيدة

ادارة المحاجر البحرية

ادارة خفر السواحل

ادارة الشرطة العامة

ادارة الملحقات

الاقسام الادارية بالحجاز

قسمت المملكة الحجازية من حيث الادارة الى امارات يتولاها أشخاص

يدعون بالامراء . ولم يفرق فى التقسيم بين الامارات الكبيرة والصغيرة بل كلها تسمى امارات بالرغم عن أهمية البعض وسعة رقعته . وقد كانت البلاد أيام الحكومة العثمانية متمشية على التقسيم التقليدى المعلوم : الولاية ـ والمتصرفية ـ والقضاء ـ والناحية . ولكن هذا الترتيب لم يراع .

وهذه أسماء الامارات مبتدئين بسردها من الشمال الى الجنوب :

أولا : امارة قريات الملح فى طرف وادى السرحان من الشمال الغربى . وأهم قراها كاف وعِثرة والصعيدى ومَنوَة

ثانياً : امارة الجوف أو وادى السرحان الادنى وقد كانت من قبل مرتبطة بامارة جبل شمر ثم فصلت عنها وجعلت من حيث الادارة والمالية تحت اشراف مكة . وأهم بلدانها الجوف التى كانت معروفة باسم دومة الجندل وسكاكة .

ثالثا : امارة تبوك ومركزها بلدة تبوك على خط السكة الحديدية الحجازية وتشمل كافة العربان المقيمين فى أطرافها من بنى عطية والحويطات وغيرهم .

رابعا : امارة العلا ومركزها بلدة العلا على خط السكة الحديدية أيضاً ويتبعها من العربان هتَيم وولد على وبعض حرب .

خامسا : امارة ضبا على ساحل البحر الاحمر وتشمل كافة منطقة تهامة حتى منتهى الحمود مع شرق الاردن . ومن بلدانها المويلح والخريبة والحقل ويتبعها العلقيقات وكافة حويطات التهم .

سادسا : امارة الوجه ومركزها بلدة الوجه على ساحل البحر الاحمر ويتبعها من البدو كافة قبائل بلى .

سابعا : امارة املج بين الوجه وينبع . ويتبعها بعض أقسام جهينة

ثامنا : امارة ينبع ويتبعها قبائل جهينـة وفى هذه الامارة فرع صبح من الاحامدة وفيها من البلدان ينبع النخل و بدر .

تاسعا : امارة المدينـة المنورة وهى من أوسع الامارات وأعظمها شأنا فى البلاد ويتبعها أكثر الحروب من صبح و الاحامدة وذوى عبد الله من مطير وفيها الحرم المدنى وأماكن الشهداء .

عاشراً : امارة رابغ ومركزها بلدة رابغ ذات المرفأ الطبيعى الجميل و يتبعها أكثر مسروح من حرب الحجاز .

حادى عشر : امارة القضيمة الواقعة بين رابغ وجدة وهى وان لم تكن فى مصاف الامارات الكبيرة إلا أنها ليست موضوعة لا تحت سلطة رابغ ولا تحت سلطة جدة .

ثانى عشر : امارة جدة وتمتد من القضيمة شمالا حتى طريق جبل السعدية جنوبا و الى الهضاب الساحليـة شرقاً . وجدة مرفأ الحجاز الاكبر ويقابلها الجزر المستعملة للمحجر الصحى .

ثالث عشر : امارة مكة المكرمة العاصمة وتمتد من حدود القضيمة الى جبل السعدية فى الجنوب والى الشرق حتى سلسلة كرى و يتبعها وادى فاطمة الكثير الخيرات والمساكن وهو المعروف قديماً ببطن مر ومر الظهران .

رابع عشر : امارة الطائف ومقرها بلدة الطائف وتمتد من حرة البس وسهل ركبة الى أواسط جبال الحجاز الجنوبية . وقد كانت غامد وزهران تابعة لها إلا أنها فصلت عنها مؤخراً لكى تؤلف امارة جديدة .

خامس عشر : امارة غامد وزهران فى أواسط جبال الحجاز على محاذاة الليث شرقا ومركزها بلدتا الباحة والظفير .

سادس عشر : امارة بنى شهر ومركزها بلدة النماص

سابع عشر : امارة الليث ومركزها بندر الليث على شاطئ البحر الاحمر ويتبعها الى البلاد ديرة ذوى حسن

ثامن عشر : امارة القنفذة ومركزها بلدة القنفذة وهى ثغر عسير السرة ومركز مهم للتجارة .

القسم الثاني

السكان والاحوال الاجتماعية

ويقع في سبعة فصول

أسانيد هذا القسم من الكتاب

١ ـ كتب المستشرق موزيل .

١ شمال الحجاز

٢ شمال نجد

٣ صحارى بلاد العرب

٤ عادات وتقاليد الرّوَلا

٢ ـ كتب المستر فلبي .

١ ـ قلب جزيرة العرب

٢ بلاد الوهابيين

٣ تاريخ بلاد العرب

٣ ـ تقارير رسمية وصحف ومجلات مختلفة

٤ ـ دائرة المعارف البريطانية

٥ ـ شعوب آسيا للاستاذ بكستون

٦ ـ العربية السعيدة لتوماس

1 — By Prof. A. Musil

1. Norther Hedjaz

2. " " Nejd

3. Arabia Deserta

4. Mannars & customs of the Rowala Bedwoins.

2 — By Mr. St. J. Philby

1. The Heart of Arabia

2. The Land of the Wahhabis

3. The History of Arabia.

5. By Prof. Buxton. The Peoples of Asia.

6. — Arabia Felix by B. Thomas.

الفصل الأول

عدد السكان

لا يوجد إحصاء رسمي يعلم منه العدد الصحيح لسكان المملكة . وقد كثر الخلط من قديم الازمنة فى تقدير عدد سكان جزيرة العرب بكاملها . فالبعض يبالغ جداً فى تقديره كما أن البعض الآخر يخطىء خطأً كلياً فى حسبانه أنها قليلة السكان غير مأهولة إلا فى بعض أقسامها

أما الحقيقة التي لاريب فيها فهى أن كلا الفريقين مخطىء فى تقديره وقد أصبحنا الآن على علم يقرب من الحقيقة فيما يتعلق بعدد السكان لاسيما بعد أن علمت أمور لم يكن العلم بها متيسراً من قبل . فالحجاز مثلا ، وقد كان يحسب من أفقر البلاد وأقلها سكاناً ، علم الآن أن فى جباله عدداً كبيراً من القبائل المتحضرة التى تقطن فى القرى والدساكر وتعمل فى الزراعة والملاحة . وقد كانت هنالك مبالغة أو على نقيضها تقليل كثير فى عدد سكان القبائل ، ولم يوجد احصاء لا للقبائل ولا لعدد أفرادها . وقد حاولنا أن نسرد فيما يلى ماتوصلنا الى تخمينه بالتقريب وهو لا يعدو الحقيقة كثيراً بعد أن علمت نتيجته والاحصاء الذى قامت به الحكومة فى أوائل عام ١٣٥١ فى مدن الحجاز :

المقـــاطعة	الحـاضرة	البـادية
	عـــدد الســـكان	
الحجـاز	٤٠٠٠٠٠	٧٠٠٠٠٠
تهامة عسير	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
عسير السراة	٦٥٠٠٠٠	٢٥٠٠٠٠
نجد	٨٠٠٠٠٠	١٣٠٠٠٠٠
الحسا	١٠٠٠٠٠	٢٠٠٠٠٠
الملحقات الأخرى	١٥٠٠٠٠	٣٥٠٠٠٠
المجموع العمومى	٢,٢٠٠,٠٠٠	٣,٠٠٠,٠٠٠

فيكون مجموع السكان فى سائر أنحاء المملكة بين خمسة ملايين وستة ملايين نسمة على وجه التقريب . وأما من جهة الاصول فإن غالب السكان من العرق العربى الصريح ويوجد فى بعض الأنحاء خليط من العناصر الاخرى نخمنها كما يلى :

عـــدد	
١٥٠٠٠٠	موالى
٢٠٠٠٠٠	زنوج وأحباش وتكرور من العناصر السوداء
٢٠,٠٠٠	أرقاء (ذكور واناث)
٢٥٠٠٠	عناصر صفراء من الجاوا والصين والتركستان (فى مدن الحجاز)
٢٠٠٠٠	عناصر أخرى
٢٠,٠٠٠	صقالبة وترك واعجام وافغان
٤٣٥,٠٠٠	المجموع

وهنالك طبقة مخصوصة من السكان تسمى بأهل الهجر أدمجناها بين القسمين مع أنها عنصر مهم جداً فى سكان نجد والحسا وبعض الملحقات ، واذا اعتبرنا مادوّن فى كتاب الأعطية من عدد المستحقين للأعطية ومادوّن فى ديوان أهل الجهاد من المحاربين علمنا أن عدد أهل الهجر لايقل عن ٢٥٠ الى ٣٠٠ ألف نسمة

وقد يسأل عن نسبة عدد الاناث الى الذكور . فالجواب على هذا السؤال بالرغم من أنه من المستصعب جداً فان معرفتنا بالاحوال الاجتماعية فى البلاد وكثرة الزواج بين سكان الحاضرة والبادية يجعلنا نجزم بأن نسبة عدد الاناث فى سائر أنحاء المملكة ضئيل جداً بالنسبة الى عدد الاناث فى البلاد الاخرى ولا شك فى أن عددهن لايقل عن عدد الذكور .

وأما نسبة الاميين الى الذين يقرأون ويكتبون فمن المستحيل حصرها إلا أن حاضرة الحجاز وحاضرة نجد يغلب فيها وجود الذين يقرأون ويكتبون نظراً لاضطرارهم الى معاملة الناس من جهة واضطرارهم الى القيام بالفرائض الدينية وقراءة القرآن من جهة أخرى ، وليس فى استطاعتنا إبداء أى رأى حاسم فى الموضوع .

وسنذكر فى الصفحات الآتية من هذا القسم بعض ما تهم معرفته من جهة أصول سكان المملكة ، ثم نتبعه ببحث عن أحوال السكان بالنسبة الى الطرق المعاشية التى يتبعونها والله المستعان .

الفصل الثانى

أصول السكان فى المملكة

العنصر الغالب فى المملكة هو العنصر العربى السامىّ. ويوجد فى المملكة فى جهات عديدة منها خليط من الأقوام غير العربية ممن يحسب فى الوقت الحاضر من العرب نظراً لاقامتهم بينهم وتكلمهم لسانهم. الا أنهم متحدرون من سلالات غير عربية انتقلت الى البلاد العربية وامتزجت بأهلها بفعل الاختلاط والتزاوج أو الحروب أو الغزوات.

وفى مدن الحجاز أجناس غير عربية جاءتها بسبب الحج ومكثت فى البلاد فأصبحت منها.

وسنذكر فى مكان آخر ما نعلمه عن هذه الجماعات.

أما العرق العربى المتغلب فى هذه المملكة لغة ودماً فانه من الاقوام السامية الصريحة الدماء التى حافظت على ساميتها أكثر من أخواتها. وقد اختلف فى اى العروق هو الام فى النوع السامى، فذهب البعض الى أن الاقوام السامية القديمة مثل الآراميين والفينيقيين والكلدانيين هى الام. بينما أن فريقاً آخر ذهب الى أن العبرانيين هم الاصل ولغتهم العبرانية هى أم اللغات السامية. فى حين أن فريقاً ثالثاً يذهب الى أن العرب هم أصل العرق السامى، ومن أرومتهم تفرعت

الاقوام الاخرى و تشعبت قبائلها ، ولهذا الفريق شواهد تاريخية عرفية ولغوية وجغرافية يدعم بها أقواله و يثبت حجته .

و يختلف العلماء كذلك فى مهد العرق السامى و موطنه الاول كما اختلفوا فى أقدم شعوبه من قبل . ولهم فى ذلك نظريات وآراء متضاربة نسردها فيما يلى بايجاز :

فهنالك من يقول ان أصل العرق السامى من بلاد ما بين النهرين ، فيها نما ومنها تفرع و انتشر . و يستشهدون على صحة قولهم بالهجرات العبرانية وأقوال التوراة وأقوال مستشرق ايطالى معروف اسمه اغنازيو جويدى ، ويتخذون من هجرة ابراهيم الخليل من العراق الى فلسطين ثم انتقال ابنه اسماعيل الى الحجاز برهاناً على صدق مدعاهم . . . . نعم ان انتقال ابراهيم الخليل الى فلسطين وهجرة ابنه اسماعيل وقبيلة شمعون [1] الى الاراضى الحجازية توجد أدلة تاريخية على حصوله الا أن هذا لا يمكن اعتباره دليلا على أن النظرية المذكورة صحيحة بحيث يمكن تعميمها على أن قوم ابراهيم هم أقدم الامم السامية و المكان الذى وجدوا فيه هو مهد الساميين . وقد ظهر مؤخراً من البراهين ما أضعف قيمة هذه النظرية كثيراً وجعلها قليلة الاهمية كما يتبين ذلك فى موضعه القريب .

و هنالك من يقول ان مهد الساميين فى قارة افريقيا فى الحبشة والصومال أو فى نواحى مصر . و يدللون على صحة نظريتهم بما كان من اتصال بين الاقوام الافريقية المجاورة للبحر الأحمر و بين العرب و ما حدث من غزوات وحروب متقابلة من الجانبين وأخيراً بما وجدوه من تشابه فى الآثار واللغة وغير ذلك . الا أن القيمة العلمية لهذه النظرية ضئيلة جداً بحيث لا يعول عليها .

و أما القول الذى يصح أن يعتمد عليه فهو أن مهد العرق السامى هو بلاد

---

(١) المعول عليه أن قبيلة شمعون هاجرت من فلسطين الى أرض الادوميين ولم يثبت مكان استقرارها بصورة جازمة

العرب نفسها فيها نشأ ومنها شب ودرج وانتقل الى الجهات الاخرى المجاورة لبلاد العرب . وجمهرة العلماء المتأخرين تؤيد هذه النظرية وتحاول اثباتها بالأدلة والبراهين العلمية وقد اعانت الاكتشافات الاثرية الاخيرة هؤلاء العلماء على ذلك كما ان دراسة العِرق والاحوال الاتنوغرافية أدت الى قبول هذه النظرية وتلقيها كحقيقة علمية . ولسنا هنا فى معرض الدخول فى تفاصيل هذه البراهين ولكننا نقول ان الذى يمكن اعتماده فى هذا الباب هو ان الجزيرة العربية مهد العرق السامى وبالتالى منشأ العرب وموطنهم الأول .

وقد حدث فى الازمنة التاريخية كما فى أزمنة ما قبل التاريخ ان أقواما عديدة من الشعوب السامية هاجرت من مواطنها الاصلية فى أواسط جزيرة العرب الى الاقطار المجاورة فى الجهات الشمالية وكانت هذه الهجرات فى الغالب تتبع طريقاً يمكن أن يكون واحداً فى جميعها وفى فترات تقصر وتطول فى كل حالة منها . ويعلل العلماء هذه الهجرات بأسباب عديدة أهمها كثرة النسل وضيق أسباب المعيشة والجفاف والقحط والحروب والرغبة فى الاستيلاء والفتح والاستقرار فى البلاد الغنية المجاورة وامتلاكها . ويشبهون الجزيرة ببحر يرسل موجات بشرية فى فترات وحقب مختلفة تنتشر من المركز الى المحيط فتغذى البلاد المجاورة للعربة بأقوام جديدة صريحة الدماء صحيحة الاجسام صلبة الاعواد لم تبهظ أعباء المدنية كواهلها بمتاعبها ومشاقها .

وقد تعددت هذه الهجرات البشرية الواسعة النطاق فى الازمنة القديمة كما اننا نرى لها مظهراً واضحاً فى زماننا الحاضر فى انتقال الأعراب فى كل عام من أواسط الجزيرة الى أنحاء الهلال الخصيب انتجاعا للمرعى وهرباً من موسم الجفاف والقيظ اوسطها . وفى توسعهم الحالى وانتشارهم من أواسط نجد الى جهات العراق وسوريا

كما فعل آباؤهم واخوانهم الأقدمون من قبلهم[١].

والذى عرف عن هذه الهجرات السامية والتموجات العرقية مازال يفتقر الى كثير من البحث والتنقيب لمعرفة أسبابه ومداه ومضطربه، ولكن الذى عرف حتى الآن يدل على ان أول الهجرات السامية حصلت بانتقال الفلاحين السمريين من أواسط الجزيرة الى الجهات الجنوبية فيما بين النهرين فى الالف السنة الرابعة قبل الميلاد[٢] ثم تبعهم الكلدانيون (نسبة إلى كلدة) فالفينيقيون الى سوريا فالأكاديون (قوم حمورابى) الى العراق فالآراميون الى مابين سوريا والعراق. وانتقال الكلدانيين من الجزيرة العربية الى العراق يجعل النظرية الاولى التى سردناها آنفاً عن مهد الساميين عديمة الاهمية بالمرة، لان هذا الانتقال ضد النظرية لاعليها وقد حصل فعلا ان بلاد الحجاز سكنها قوم اسماعيل وهؤلاء قدموا فى الاصل من العراق الا انه بعد ردح من الزمن أينعت البلاد الحجازية ثانياً وأعادت لسوريا وفلسطين أضعاف ما أخذته منها من الاقوام. فقد انتقل أبناء اسماعيل بعد تكاثرهم فى الحجاز الى جهات مدين والبطراء والجادور واستقروا فيها وأنشأوا الآكام والقصور والحكومات.

ومن الهجرات العربية الأخيرة من أواسط الجزيرة الى الجهات الشمالية هجرة قبائل عدنان وافتراقها فى أوائل العصر الميلادى الاول ثم تلى ذلك هجرات الاقوام العربية الجنوبية بعد انهدام سد مأرب وتفرق العرب القحطانية حوالى أواسط القرن الثالث الميلادى وتلى ذلك الهجرات الاسلامية الاولى فى صدر الاسلام تلك الهجرات

---

(١) كثير من القبائل العربية تغرب وتشرق فى كل عام، وكثير من افخاذ هذه القبائل وعشائرها قد انتقل من أواسط الجزيرة الى أطرافها حيث استقر استقراراً دائما. دهذه قبيلة عنزة أصلها من الجهات الواقعة بين نجد والحجاز نراها هاجرت من مواطنها الاصلية واستقرت فى الجهات الشمالية وقد تكون هجرة عنزة آخر الهجرات السامية الحديثة. وكما أن البادية كانت تغذى الحاضرة فى التقدم فانها هكذا فى العصر الحاضر.

(٢) كتاب الاستاذ برستد التاريخ القديم.

التى حملت القبائل العربية من أواسط جزيرتها الى أقصى الشمال والغرب والشرق فوصلت طلائعها الى الاناضول وجبال القوقاس شمالا والمحيط الاطلسى و بلاد اسبانيا وفرانسا غربا وبخارى وتركستان شرقا .

وقد قسم مؤرخو العرب قومهم الى ثلاثة أقسام بحسب السلالات التى يتحدرون منها ، فذكروا من ذلك العرب البائدة وهى الأقوام العربية القديمة التى لم يمكن الحصول على تفاصيل كافية عن تاريخها مثل طسم وجديس وعملاق وسواها والقسم الثانى العرب العاربة وهى العرب المتحدرة من صلب يعرب بن يشجب بن قحطان والقسم الثالث العرب المستعربة وهى العرب المتحدرة من صلب اسماعيل وتسمى بالعرب العدنانية ، ومع ان أولئك المؤرخين نظروا فى ذلك التقسيم الى الاعتبارات التاريخية وقصدوا به الدلالة على التقسيم التاريخى للأمم العربية الا ان فيه كثيراً من الحقائق الدالة على التسلسل العرقى للشعوب العربية سواء قصد مؤرخو العرب ذلك أم لم يقصدوا .

أما مايقوله الاخصائيون المعاصرون من الباحثين فى العرق البشرى وأنواعه المختلفة عن تسلسل العرق العربى فانه مبنى على اعتبارات عديدة أساسها البحث العلمى فى التكوين الطبيعى والاستناد على علم الحياة والعرق البشرى والاجناس . والاعتماد فى تقسيم النوع البشرى الى عروق مختلفة فى زماننا الحاضر انما يكون على الغالب بمراعاة القواعد الآتية (١) التكوين الخلقى (٢) شكل القحف والجمجمة (٣) الزاوية الرأسية (٤) بروز الوجنتين (٥) غئور العينين (٦) شكل الانف (٧) لون البشرة (٨) حالة شعر الرأس .

جاء فى دائرة المعارف البريطانية تحت مادة (عرب) مايأتى :

لقد كان العرب من أقدم الازمنة التاريخية منقسمين الى جذمين كبيرين يمكننا باعتبار الوضع الجغرافى لكليهما أن ندعوهما عرب الشمال وعرب الجنوب

ويردّ كتاب العرب واليهود أصل عرب الجنوب الى قحطان بن عابر وأصل عرب الشمال الى اسماعيل وقد استوطنت عرب الجنوب وهم أقدم من اخوانهم أهل الشمال القسم الجنوبى الغربى من الجزيرة قبل ظهور الاسماعيليين باعصر عديدة . ويشمل الاسماعيليون علاوة على نسل اسماعيل المتحدر من صلب أبنائه الاثنى عشر، قبائل الأدوميين والمؤآبيين والعمونين والمديَنيين وسواهم وهذا التقسيم التاريخى غير المشكوك فيه والذى يمكن تمثيله الآن بالقسمة المتبعة فى تفريق العرب الى بادية وحاضرة سبب اختلافا فى الرأى كبيرا بين علماء الاتنوغرافيا . وقد أجمعت كلمة الثقات على أن العرب من العرق السامى بكل ماتحويه هذه الكلمة من المعانى الاتنوغرافية ، غير أن بعضهم يرى فى هذه القسمة أثرا باقياً يشير الى أصل ثنائى وقد أكد هؤلاء أن أصرح الدماء العربية توجد فى العرب المتحضرة التى أصلها حامىٌّ أفريقى وأن الاعراب هم عرب بالانتساب الى العربية فكانوا لذلك أقرب الى الساميين بصفتهم أولاد اسماعيل ويحاول القائلون بهذا الرأى أن يدللوا على صحة النظرية بحجج عديدة أهمها :

(١) التقليد التاريخى المتبع فى تقسيم العرب الى قسمين والعداوة التاريخية بينهما (٢) اتفاق كلمة المراجع والآثار السابقة للاسلام على أن العرب الصرحاء قطنوا الجهة الغربية الجنوبية من الجزيرة (٣) استعمال كلمة (حِمْير) الدالة على اللون المستق من الاصل الاحمر الافريقى (٤) المصطلحات اللغوية المنقولة من الافريقية الى الحميرية (٥) مشابهة نحو اللغة الاصلية للحبشية مع أنه يختلف عن نحو لغة الشمال (٦) شبه المنشآت اليمانية القديمة بمثيلتها الافريقية المصرية (٧) مشابهة التكوين الطبيعى للعرب الصرحاء فيما يتعلق بشكل الرأس وحجمه ونحافة البنية — للاصول الافريقية (٨) تشابه العادات (٩) سهولة التزاوج بين العرب الجنوبيين وبين الافريقيين بدون تمييز بين الاثنين اهـ . هذا ما جاء فى دائرة

المعارف البريطانية. غير أننا أوضحنا فيما سبق فساد نظرية الاصل الافريقى للعرق السامى بما لم يبق معه حاجة الى الدخول فى مناقشة جديدة حول الموضوع. وقد أصبحت جمهرة علماء الاتنوغرافية مجمعة على أن العرب من العرق السامى بل هم الأرومة وان أصل الساميين فى جزيرة العرب.

وأهم الباحثين من الاتنوغرافيين فى تكوين العرق العربى وبنيـة أفراده هو الاستاذ ساليكمان [1] فقد تمكن المذكور من فحص أقحاف كثيرة مأخوذة من أماكن عديدة فى بلاد العرب واختار فى الامر أن يقسم العرب من حيث الصفات العرقية الى ثلاث مناطق ولكنه لم يتمكن من اتمام ابحاثه إلا فيما يتعلق بالمنطقتين الشمالية والجنوبية، وقد ظهر له اختلاف بين فى شكل القحف الخاص بكل من القسمين فان اقحاف أكثرية عرب الشمال مستطيلة بينما ان أكثرية الاقحاف فى الجنوب مستديرة نوعا. وقد أخذ ساليكمان بعين الاعتبار ما يمكن أن يكون قد نشأ من اختلاط بين العرق العربى والاقوام المحادة له كما أنه لم يهمل بحث الاقليم وما يمكن أن يحدثه من أثر بين فى البنية وشكل الرأس بتطاول الادهار ومرور الحقب [2].

فاذا نظرنا الى العرق العربى فى ضوء الحقائق والنظريات المتقدمة تبين لنا

(١) جورنال الجمعية الملكية الانتروبولوجية - لندن مجلد ٤٧ ص ٢١٤ لسنة ١٩١٧

(٢) حينما أتم المستر برترام توماس رحلاته المنتهية باجتياز الربع الخالى من المحيط الهندى الى الخليج الفارسي قدم الى هيئة من العلماء نتيجة مقاسات انتروبولوجية أجراها على بعض أفراد القبائل ومعها قحف قديم وجد فى نقرة قديمة. فدرس السر ارثر كيث أشهر علماء هذا الفن والدكتور كروجان الاميركي تقارير المستر توماس ومقاساته ووضع الاثنان بالاشتراك تقريراً عن العرق العربي فى جنوب الجزيرة نشره المستر توماس على شكل ملحق لكتابه فجاء فى أكثر من ثلاثين صفحة، ويتفق العالمان مع الاستاذ ساليكمان فى أن الصفات العرقية لعرب الجنوب تختلف عن صفات عرب الشمال كما أنها تختلف عن صفات زنوج أفريقيا والهنود والفرس. فمن أراد الاطلاع على ذلك فليرجع الى كتاب المستر توماس «العربية السعيدة» ص ٣٠١ - ٣٣٣

أنه من أقوى العروق البشرية وأكملها تكويناً وخلقا . قال البارون دى لارى[١] الجراح العام للامبراطور نابليون فى أثناء حملته على مصر وسوريا ان « بنيتهم (أى العرب) الطبيعية أكمل من جميع الوجوه من بنية الاوربيين ، فان أعضاء حواسهم حادة للغاية وقاماتهم فوق معدل الانسان المتوسط اجمالا ، ووجوههم نضرة ، ولونهم أسمر وذكاؤهم متناسب مع كمال تكوينهم الطبيعى وهم من دون شك أعلى مما تتصف به الامم الاخرى بينما أنهم فى أشياء أخرى مساوون لتلك الامم »

ويمكن وصف العربى الاصيل بأنه ذو وجه بيضاوى منبسط وعينين براقتين سوداوين يعلوهما حاجبان كثيفان ، وأنف أقنى وجبهة مستوية لا عالية ولا منخفضة وهامة مرتفعة وبنيـة فى غاية الكمال وعضلات نشيطة قوية وأطراف معتدله متناسبة مع تكوين الجسم .

وأما من حيث الصفات المعنوية فالعرب مثال الذكاء والحلم والكرم والشجاعة والفروسية وحب الحرية وتعشق الاستقلال والحنكة والدهاء وسعة الحيلة كما أنهم مشهورون بالحذر والطمع والشك .

---

(١) دائرة المعارف البريطانية مادة « عرب » .

الفصل الثالث

الاجناس غير العربية

في المملكة

سبق لنا أن أوضحنا أن شبه جزيرة العرب هى مهد العرق السامى عموماً والعرق العربى خصوصاً ، وانه نظراً لانفصال الجزيرة عما جاورها بعوارض طبيعية بارزة جداً فقد كانت دائماً فى معزل عن الاقطار المجاورة بحيث أنه يمكن اعتبارها كوحدة جغرافية وبشرية مستقلة . ولكن الواقع يدلنا على وجود آثار كثيرة لاجناس أخرى غير عربية فى المملكة ، فمن أين جاءت هذه الاجناس وما هى أصولها ومتى وكيف جاءت ؟ .

ان الاجابة على بعض هذه الاسئلة ممكن كما أن الاجابة على البعض الآخر لايتسنى لنا معرفته على وجه الدقة فى الوقت الحاضر نظراً لقلة معلوماتنا عن تاريخ البلاد فى الاعصر التى قبل زمان التاريخ والحقب المتطاولة فى القدم .

وفى نظرنا أن مجىء هذه العناصر غير العربية الى البلاد حدث باحدى أربع طرق : أولا — بما جلبه الفاتحون والغزاة العرب من الاجناس غير العربية عن طريق الأسر والاسترقاق . ثانياً — ما بقى فى البلاد من آثار الغزاة والفاتحين الاجانب . ثالثاً — ما بقى فى البلاد وبالاخص فى الاقطار الحجازية من الراغبين فى التوطن والمجاورة من الحجاج الوافدين من سائر أنحاء العالم الاسلامى . رابعاً — ما جلبه تجار الرقيق من العناصر غير العربية عن طريق المتاجرة بالرقيق . ومما

لاشك فيه أنه فى غير مقدورنا أن نذكر أى الاجناس قد جاب بهذه الطريقة أو بتلك وانما نستطيع أن نذكر أهم هذه العناصر وأماكنها على وجه التقريب .

العناصر السوداء

نشاهد فى أنحاء مختلفة من المملكة عناصر سوداء مختلطة بالعناصر العربية . وتوجد قبائل ذات بشرة سوداء يخيل الى الناظر اليها أنه فى أواسط القارة السوداء وبين قبائلها . وهناك قبائل عربية ذات بشرة سوداء برمتها بالرغم من أنها تنتسب الى صميم العرب ، وفى واحة خيبر لايقطن إلا السود ، وهنالك قرى وأودية مختلفة لاتقطنها إلا عناصر سوداء ، ولا يسعنا أن نحقق كيف جاءت هذه العناصر السوداء وانما نستطيع أن نقول ان الانتقال من افريقية الى ساحل بلاد العرب كان معروفا من أقدم أزمنة التاريخ . وفى بعض الأماكن كان هذا الانتقال سريعاً ومؤثراً حتى غير سحن أقسام غير قليلة من القبائل العربية الصريحة الدماء . وتوجد وسائل كثيرة لاستيطان العناصر السوداء فى المملكة أظهرها توطن هذه العناصر إما عن طريق الحج وإما عن طريق الرق والعبودية وأهم هذه العناصر السوداء زنوج افريقية من تكرور وسودان وسنغال وأحباش وقد قدرنا عددها بما لايقل عن (٢٠٠٠٠٠) نسمة .

الهنود والافغان والترك والبخارى

توجد فى المدن الحجازية وبالأخص فى مكة المكرمة بقايا كثيرين من الهنود والافغان والترك والبخاريين الذين قدموا الى الاقطار الحجازية للحج ثم توطنوا فيها واتخذوها وطناً جديداً لهم واختلطوا بأهلها فأصبحوا لايفترقون كثيراً عن سائر السكان . ومن هؤلاء الاقوام من أصبح عزيز الجانب محترم المقام فى

نظر أهل البلاد بالرغم عن عنصره الاجنبي . وفى مكة غدة عائلات تمتُّ بأصلها الى الهنود ولكنها من أغنى البيوت وأكثرها جاهاً واشتهاراً بالعلم والفضل .

اهل الجاوى والصين والشرق الاقصى

يرجع زمن مَن توطن من هذه الاقوام فى البلاد المقدسة الى بضع مئات من السنين وقد كثر عدد الوافدين الى الحرمين من العناصر الصفراء مؤخراً وكثر الاختلاط بينها وبين السكان الاصليين فى مدن الحجاز حتى أصبح كثيرون منهم متولين لوظائف عديدة ذات أهمية ، الا أن العمل الاساسى الذى اتخذوه مهنة لهم هو الاشتغال بشئون الحاج والقيام على تعهده . ويبلغ عدد المتوطنين فى الحجاز من هذه العناصر الصفراء نحواً من (٢٥) ألفاً .

عناصر أخرى

وهنالك عناصر أخرى استهوتها العاطفة الدينية فجاءت الى الحجاز واتخذت منه مسكناً وشاركت أهله فى أعمالهم وطراز معاشهم . ولا يخلو الحجاز من وجود أفراد عديدين من سائر الامم الاسلامية . فالحج مجتمع يكثر فيه الازدحام ويجتمع فيه الاعجمى بالعربى والزنجى بالابيض والاحمر بالاصفر . تلك مشيئة الله ولن تجد لمشيئة الله راداً ولا مانعاً .

تقسيم السكان بحسب طراز معايشهم

الحاضرة — البادية — أهل الهجر

تختلف أقسام الاناسى بالنظر الى طراز معاشهم . وللبيئة والاقليم دخل عظيم فى تعيين شكل معيشة القاطنين فى صقع معين أو منطقة مخصوصة . ولما كانت طبيعة المملكة وأحوالها الاقليمية ذات طابع خاص لايشاركها فيه ماجاورها من الاصقاع — اللهم الا الأقسام المتممة للجزيرة العربية — كانت معايش السكان فيها على أنواع مختلفة . فنهم من يعيش على تعهد الماشية والسائمة والاستفادة من ألبانها ووبرها ونتاجها ، ومنهم من يعيش بالفلاحة والزراعة واستحصال خيرات الارض والشجر والحيوان ، ومنهم من يعيش بالتجارة والصناعة وما شاكلها .

وعلى هذا المنوال يمكن تقسيم سكان المملكة بحسب معايشهم الى الاقسام الآتية:

١ — الحاضرة

٢ — البادية

٣ — اهل الهجر

الحاضرة

فالحاضرة سكان المدن والأمصار والقرى والدساكر يقيمون فى بلاد عمروها وآكام أنشأوها وديار شادوها . ولما كان الاستقرار والتوطن فى مكان واحد أساس العمران والرقى فاننا نرى ان الاصقاع التى يقطنها هذا القسم من السكان

عامرة بالمدن مكتظة بالسكان الذين يسعون فى الارض وراء رزقهم . فمنهم من يتعاطى الزراعة والفلاحة ومنهم من يتعاطى أنواع الصناعات اللازم وجودها بين أهل المدن من عمارة وحياكة ونجارة وتجارة وخياطة وغيرها من الاعمال اليدوية الشاق منها والهين . ونجد أن العمران لايتأتى الا فى الاماكن التى تكثر فيها خيرات الارض والمياه أو تكون مباءة للناس اعتادوا على ارتيادها إما لتجارة أو لاسباب دينية وإما هرباً من البلاد الاجنبية أو توسطها بينها أو وقوعها على السواحل التى تصلح لرسو السفن الشراعية والبخارية وغيرها .

وقد شاهدنا أن أكثر العمران كائن فى الحرمين الشريفين والأماكن القريبة منهما المُوصلة اليهما أو فى وسط الواحات التى تكثر الخيرات والمياه والغلال فيها . فالمدن والقرى العامرة من نجد تقع وسط الوديان والواحات وقلما نجد قرية أو دسكرة أنشئت فى مكان لا ماء فيه أو لا تربة صالحة للزراعة .

وسنذكر فى موضع آخر من هذا الكتاب أهم المدن الكائنة فى المملكة ونذكر طرفاً موجزاً عنها ، كما أنه قد سبق لنا أن ذكرنا نسبة عدد سكان الحاضرة الى البادية بصورة تقريبية .

البادية

قال العلامة الحكيم ابن خلدون فى مقدمته « ان أهل البدو هم المنتحلون المعاش الطبيعى من الضرع والقيام على الانعام . وانهم مقتصرون على الضرورى من الاقوات والملابس والمساكن وسائر الاحوال والعوائد . ومقصرون عما فوق ذلك من حاجة أو كمال ، يتخذون البيوت من الشعر والوبر أو الشجر أو الطين والحجارة غير منجدة وانما هو قصد الاستظلال والكن لاماوراءه ، وقد يأوون الى الغيران والكهوف ... ومن كان معاشه فى السائمة والبقر فهم ظعن فى الاغلب

لارتياد المسارح والمياه لحيواناتهم . ومن كان معاشهم فى الابل فهم أكثر ظعناً وأبعد فى القفر مجالا لأن مسارح التلول ونباتها وشجرها لايستغنى بها الابل فى قوام حياتها عن مراعى الشجر بالقفر وورود مياهه الملحة والتقلب فصل الشتاء فى نواحيه فراراً من أذى البرد الى دفء هوائه وطلباً لماخض النتاج فى رماله . »

ويعيش أهل البادية على الغالب فى خيام من الشعر أو سواه لسهولة نقلها فى أثناء انتقالهم من مكان الى آخر . وأكثرهم مازال كما كان منذ أقدم الازمنة محافظاً على عاداته القبائلية ومحتفظاً بنظامه الاجتماعى الابتدائى فيكون البدو جماعات قليلة أو كثيرة يتصل أفرادها بروابط العصبية والقربى وكلما كانت العصبية قريبة كان الاجتماع أكثر .

والنظام الاساسى بين البادية هو نظام القبيلة وتتألف من أفراد تجمعهم روابط التحدر من أصل بعيد واحد . وسنبين فى موضع آخر كيفية تكوين القبائل والنظام الاجتماعى الذى ترتكز عليه .

أهل الهجر

هذه طبقة جديدة من الناس لم يكن لها وجود من قبل بهذا الاسم ، وسبب وجودها حديث العهد فقد كانت القبائل الموجودة فى المملكة على سابق بداوتها وجاهليتها الى أن شاء الله بعث الامام الملك عبد العزيز بن سعود لها فاهتدت الى الدين وتركت ما كانت عليه من أمور جاهلية وعادات عرفية قبائلية وتمسكت بأهداب الدين وتركت حياة البادية وانتقلت منها الى حالة السكون والاستقرار فأنشأ الملك لها قرى سميت بالهجر وسمى أهلها المهاجرين دليلا على تركهم الجهل وهجرهم الضلالات القديمة الى حيث يتعلمون دينهم ويتركون بداوتهم الى معيشة دينية هادئة .

ولا يختلف أهل الهجر عن البادية إلا فى تركهم معيشة التنقل بالخيام الى معيشة القرى ، وما زال أكثر عماد معيشة هؤلاء على الماشية كما كانوا زمن بداوتهم ويوجد كثيرون منهم انتقلوا الى حياة الزراعة وشرعوا فى حرث الارض واستغلال ثمراتها .

وقد بدأ انشاء الهجر منذ ١٨ عاما تقريباً فبلغ عدد ماأنشىء منها حتى الآن أكثر من مائتى هجرة .

ويمكن أن يحسب أهل الوديان الواقعة فى جبال الحجاز من هذا الصنف من الناس لانه بالرغم عن سكناه فى القرى والدساكر فانه مايزال فى عاداته وطراز معيشته وتعهده الحيوان وقيامه على الزراعة والفلاحة ، كما لا يزال اخوانه من أهل البادية .

الفصل الخامس

الدين

هذه البلاد مهد الاسلام و داره ومستقر شعائره وفيها بيت الله وحرمه وبلد النبي ومسجده . فلا عجب إذن أن لا يكون فيها شريك للاسلام ينازعه أو يقاسطه والبادية والحاضرة كلها على الاطلاق تدين بالاسلام ولا يوجد فى طول البلاد وعرضها من يعتنق ديناً آخر من أهلها . وانما هنالك فى بعض السواحل أفراد لايتجاوزون عدداً قليلا يقيمون مؤقتاً لتعاطى البيع والشراء أو القيام بوظائف مؤقتة فى مأموريات معينة .

وأما من حيث التشيع فيوجد فى بعض الجهات شيعة من الامامية وعددهم قليل فى الوقت الحاضر بينما أنه قد مضى على هذه البلاد أزمنة عديدة كان التشيع فيها هو المذهب الرسمى للحكومة ولقسم غير قليل من الشعب (١) .

ويوجد من الشيعة فى الوقت الحاضر أتباعٌ لمحمد بن الحنفية يقيمون فى جبل رضوى بقرب ينبع وهم على شيء عظيم من البداوة والتوحش والبعد عن مخالطة أهل المدن وأما عددهم فانه يكاد أن لايزيد عن عشرة آلاف ويبالغ بعضهم فى عددهم فيوصله الى ٢٥ ألفاً غير أن العدد الاول هو الاقرب الى الصحة فيما نعتقد وهؤلاء القوم مازالوا ينتظرون عودة محمد بن الحنفية من استتاره ليملأ الارض عدلا كما ملئت جوراً وظلماً . واتباع هذا المذهب أكثرهم من حرب وجُهينة

(١) أنظر القسم التاريخى

وبعض الموالى والاتباع المنضوين تحت سيطرتهم .

ويوجد فى الحسا أيضاً عدد غير قليل من الشيعة الامامية يقيمون متفرقين فى القرى المنتشرة فى الواحة وأكثرهم خليط من الاثنى عشرية والقرامطة ويتجاوز عدد الذين فى الحسا الخمسة والعشرين ألفاً بينهم قسم من بنى خالد المتشيعين

وأما واحة القطيف فانها تكاد تكون مؤلفة من الشيعة القرمطية وهم بقايا القرامطة الذين هددوا العالم الاسلامى فى القرن الثالث الهجرى وافتتحوا الحرمين الشريفين ونهبوا الحجر الاسود ووضعوه فى احدى قراهم فى القطيف . ويوجد فى القطيف أكثر من أربعين قرية سكانها كلها قرامطة ومع أن أكثرهم من العرب الصريحى الدماء إلا أن النعرة الدينية غلبت على العصبية الجنسية فلا يعلم هؤلاء إلا بتشيعهم القرمطى ويمكن أن يزيد عدد هؤلاء عن أربعين ألفاً يقيمون كما ذكرنا فى قرى واحة القطيف وفى الجزر المصاقبة للساحل فى تاروت ودارين والمسليمة وجنة وأبو على وغيرها .

وقد يكون هنالك فى أنحاء الحرمين بعض المنتمين الى التشيع إلا أنهم مهما بالغنا فى عددهم لايزيدون عن بضعة آلاف فى سائر الأنحاء الحجازية .

ويعلم من ذلك أن الشيعة فى البلاد لايبلغ عددهم مئة ألف .

وأما أهل السنة فانهم فى الفروع ينتمون الى المذاهب الاربعة المعتمدة فاهل نجد على الاطلاق يذهبون مذهب السلف الصالح وفى التفرعات يتبعون أقربها دليلا غير مقيدين بأحد الائمة وفى الاجتهاد يتبعون الامام احمد بن حنبل وقد أطلق على أهل نجد خطأ فى القرن الماضى اسم الوهابيين ونسب اليهم أنهم أهل مذهب جديد فى الاسلام إلا أن الحقيقة الآن أصبحت معروفة للناس . فاهل نجد سلفيون يقلدون فى المسائل الاجتهادية الامام احمد بن حنبل . وقد كانت دعوة الامام الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى القرن الماضى دعوة اصلاحية خالصة لوجه

الله سداها ولحمتها الدعوة الى الرجوع الى الاسلام الصحيح وترك البدع وهدم معالم الشرك والخرافات والاوهام، وأما نسبة المذهب الجديد اليهم فقد حدث بسبب اختلاط الدعاية التى بثت ضدهم بعناصر سياسية بقصد تنفير الناس منهم وعدهم خارجين عن الاسلام إلا أنهم مسلمون سنيون موحدون سلفيو العقيدة خالصو الايمان .

وأما الحجاز ففيه أتباع للمذاهب الاربعة ويكثر فى البادية اتباع الامام الشافعى وفى حرب يكثر أتباع الامام إبن حنيفة وفى المدن يكثر الاحناف أيضا، وسبب ذلك قرب عهد للناس بالحكومة العثمانية التى كان مذهبها الرسمى المذهب الحنفى وفى الحرم المكى مقامات أربعة للمذاهب الاربعة وكانت الصلاه تقام فى أوقاتها على المذاهب الاربعة وراء أئمة أربعة . وقد أبطلت هذه العادة منذ تأسست الحكومة الحاضرة وأصبح الامام فى الصلاة واحداً يتبعه الناس كلهم . والمذهب الرسمى للحكومة فى الوقت الحاضر هو كما ذكرنا السلفى الذى لايتقيد بمذهب معين فيما كان دليله أقرب الى الكتاب والسنة ولكنه يتبع اجتهاد الامام احمد بن حنبل فيما عدا ذلك .

وقد كان فى البلاد الحجازية بقايا من الطرق الصوفية المختلفة التى أبطلها كلها قيام الحكومة الحاضرة . فقد كان هنالك طرق مختلفة بين البادية من سنوسية وادريسية وقادرية وكيلانية وبكطاشية، غير أن شدة السلفيين على أهل هذه الطرق جعلت وجودها كالعدم .

وقبل أن نختم هذا الفصل لانرى بداً من ذكر مذهب الزيدية الشيعى الذى له أتباع فى جبال عسير المصاقبة لليمن غير أن عدد هؤلاء قليل جداً بجانب عدد اخوانهم الشوافع .

الفصل السادس

اللغة والشعر والنثر

اللغة

اذا استثنينا العدد القليل من مهاجرة العالم الاسلامى المجاورين فى الحرمين الشريفين فاننا نستطيع القول ان اللغة الوحيدة فى البلاد هى اللغة العربية وبارغم عن وجود العناصر الاجنبية عن العربية فى الحرمين الشريفين وما صاقبهما فان لغة التخاطب بين هؤلاء الاغراب أيضاً انما هى العربية . وبالنظر الى كثرة الوافدين فى موسم الحج الى بيت الله الحرام من أنحاء العالم الاسلامى وضرورة القيام على تعهدهم والعناية بشؤونهم فان كثيرين من أهل الحرمين يتقنون عدة لغات أجنبية يستطيعون بواسطتها أن يتفاهموا معهم .

وقد اعتور اللغة العربية فى المدن الحجازية وسواحل الخليج الفارسى شىء كثير من الوهن والضعف وخالطها كثير من الالفاظ والتعابير الاجنبية حتى ان الملاحظ ليدهش من كثرة الالفاظ المعربة والدخيلة مما دخل فى قاموس القوم وبالاخص العوام منهم ويحزن من ضعف شأن اللغة وقلة العناية بدراستها .

ولسنا هنا فى معرض الدخول فى تفاصيل هذه الكلمات الدخيلة أو العبارات الاعجمية ولكننا أوردنا قليلا من كثير مما هو شاهد على خفض حال اللغة العربية فى مدن الحجاز واختلاطها بكثير من اللغات الاعجمية واهمال أهلها لها .

واللغة الفصحى واحدة بالطبع فى جميع الأنحاء الا أن اللهجات المحلية تختلف اختلافاً بيناً . فلغة أهل الامصار الحجازية كما ذكرنا لغة عامية تشوبها كلمات وتعابير أجنبية عديدة وللكلمات مقاطع ونبرات ونغمات مختلفة قد بعدت عن أصلها العربى حتى ان الالفاظ الفصيحة هى بالرغم عن بقائها صحيحة التركيب قد تطرق الى تلفظها شيء حادث لا يشاهد عند سائر أبناء العرب .

وأما حاضرة نجد فانها أقرب الى اللهجة الفصيحة من حاضرة الحجاز وما سبب ذلك الا بعد أولئك عن مخالطة الاعاجم وقلة الدخيل فى لهجاتهم الأصلية ، ومع ذلك فان اختلاف اللهجات بين البلدان المختلفة واقع ومشاهد .

وأما البادية فان اطلاق تعريف شامل على لهجاتها غير ممكن أيضاً فهنالك بداة ماتزال لغتهم أقرب اللهجات منها الى اللغة الفصيحة بينما أن هنالك آخرين ليسوا من الفصاحة على شيء . وأهل نجد أصرح لغة من أهل الحجاز لقرب هؤلاء من الحرمين واختلاطهم بالاجانب وبعد أولئك عن كل تلك العوامل . ولكن أفصح اللهجات وأقربها الى الفصحى فيما نعتقد هى اللهجات اليمانية الواقعة ما بين جنوبى الحجاز وشمالى اليمن . وكثيراً ما سمعنا أهل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة ويتكلمون بما هو أقرب الى الفصيح من سواه . وبعض البداة من أهل هذه المنطقة يخرجون جملا يظن منها الانسان أنهم تمرنوا فى المدارس على اخراجها على ذلك النحو بينما أن الحقيقة هى بخلاف ذلك لانهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة فيجيء كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه . ويستعملون ألفاظا نظنها فى الاقطار العربية المتمدنة مهملة متروكة ولكنهم هم يستعملونها على البداهة .

وبالرغم عن وجود قبائل تتكلم باقرب اللهجات الى الفصحى فان هنالك كثيراً منهم يخرجون الحروف والالفاظ من الحلق على خلاف ما وضعت له كما أن هنالك

حروفا تنقلب الى أشكال وصور أخرى لا تخطر على البال وتنسى الشنشنة والتمتمة والكأكأة وغيرها بجانبها .

وانا نورد هنا على سبيل المثال بعض الحروف والاشكال التى يخرجها أهلها بها ليكوّن القارىء لنفسه رأياً فيما ذهبنا اليه :

الحرف	طريقة لفظه	مثال	القبيلة التى تنطق به
الجيم	ى	الجيم فى مسجد تلفظ ياء	أهل اليمن والنمور فى وادى محرم
القاف والكاف	تس	حكى - حتسى	أهل نجد
»	تش	بكى — بتشى	»
»	ك مفخمة	قال — گال	»
»	س	عبيكى — عبيسى	»
»	ج	العقير العجير	»
الضاد والظاء	ل	الظهر - اللهر	بنو سفيان
»		الضيف — الليف	»
الياء	بين الالف والياء	مطير -- امطاير	»
ال التعريف	م	البيت — أم بيت	أهل اليمن

وعربان شمر وسائر أهل الجبل يلفظون التاء المربوطة كالتاء الممدودة ، فيقولون للفهدة الفهدت ، والساعة الساعت ، كما أن بعضهم يقلب التاء المربوطة ياء فيقول فى الحويطات الحويطاى والشرارات الشرارى .

الشعر

الذين ينظمون الشعر الموزون فى البادية على البديهة قليلون جداً ولكن كثيرين فى البادية فضلا عن الحاضرة يقرضون نوعا من النظم هو دون الشعر الصحيح فلا يراعون فيه مايراعى فى الشعر الموزون ، ويسمون مايقرضونه شعراً

نبطياً . وهو من حيث أداء المعنى وافادة السامع يقوم مقام الشعر الصحيح ، وفيه كثير من التوريات والكنايات والمجازات ولكنه على كل حال لايتقيد بضوابط الصرف والنحو والمعانى والبيان . وقد أوردنا فيما يلى بعض الامثلة على هذا النوع من الشعر النبطى اخترناها من منظوم قبائل مختلفة .

نبط حجازى

من نظم خضر بن عويد النمرى ألقاها بين يدى سمو الأمير فيصل بن عبد العزيز فى الدار البيضاء :

انتبه للخط خليه بثَبَات	لاتعتّين فى عُلوم مقفيات
كم صبىّ فارق الدنيا ومات	راح مثل العيد ومن العايدين
اسمع أقوالى وجوّد فى الكتاب	شابت اللحية وشوف الراس شاب
مايبى يقعد على الدنيا شباب	كل منا للمحاسِب رايحين
وانتبه للضيف ياصقر الصقور	لافلا والله تخبر فالنفور
كثر الترحاب وعجل بالفطور	وقول هذا يسرّنا يامحسنين
انتبه للهجرة اللّى تستدير	فى البلد حاكم ومن تحته وزير
ضن قلبى غيرهم مايستخير	حكمهم طيب على اللّى طيبين
قرروها بالعساكر والسيوف	راح أبو فيصل نوى يصلى ويطوف
لازم الكرسى وله عسكر صفوف	من عيال الشرق معهم صادقين
روّع العاصى وردّه عن هواه	الى أن قال الموت أخير من الحياه
ناشر البيرق مكانه ماطواه	يرقب اللى بالخيانة عاثرين
وأمّن الخايف اذا راح الدروب	بالذهب يمشى الى ديرة حروب
بعد كانت تأخذ الطرق غصوب	شامهم فيصل وقالوا تائبين

نبط عتيبي

قال أحد العتبان مخاطباً عمه :

ياعمْ واوَجدي على وْساق[١] حُرَّة[٢] | بعيدة المِرْماح[٣] لو درتْ أنا الوُرك[٤]
نِشْرَب حطَافيل القِلْس يوم أفرّه | والجيش من فوق الجواعد[٥] لمن عرك
تجفل إليا[٦] سمعت مع الحزم[٧] فرّة | فرّة قطاةٍ حرّكت بيضها حرْك

فأجابه عمه :

أبوك ياللى طلبتك بَس حُرَّة | بينى و بينك سامْك العرش يقهرك
ما قلت بزَوْد[٨] قمّة خشم حرة | و بيتٍ كبيرْ وَضامرْ البطْن ينْهرك
عسْلوجة[٩] تلعب بعود المجرّة | تِنهَب قلوب أهل الهوى وانت تسْحَرْك
إن كان ربّك ناوى لك مَسَرّة[١٠] | أحْذر[١٠] حبال الاسباب و أظهرْك
وإن كان ربك ناوى لك مضرّه | لوْ إنْت برُوسِ الشواهق أحْدرك

نبط شمــــري

من شعر عبيد بن رشيد :

هيه ياللّى لك مع الناس وَدّاد | ماترحمون الحال ياعزوتى[١١] ليه
ماترحمون اللّى غدا دمعه أبْدَاد | طول الزمان وحرّق الدمعْ خديه
من شوفتى للغرّ ومزْبُور الانهاد | مُتْمَشْلِح يطَا على قِدَام رجليه
الشوك ماله عن مواطيه ردّاد | أيضاً ولاسِبْتٍ[١٢] قوى يُوقّيه
إليا عاد مانصل و نضرب بالحِدّاد | هبّيت ياسيف طوى الهم راعيه

---

(١) مصادرة أو نهب (٢) ناقة (٣) الخطى (٤) يقصدحينما يركبها يضع رجله حول عمود الشداد (٥) الجلود (٦) حينما (٧) الجبل (٨) أكثر (٩) من صفات الناقة الجيدة (١٠) انزل (١١) جماعتى (١٢) نعل

إلْيَاعادمانروتى حدوده من الاضداد ‏ ‏ وديه يم العرفجية (١) ترويه

وقال المذكور أيضاً :

أنا على راى وربعى على كون (٢) ‏ ‏ مُتْخَالِفِين وَاُسْرِى وَاُسْرِى الجماعة
انا وَلْدْ عَلى نضَايض كحيلان ‏ ‏ ربى خلقنى للسبايا وداعة
مانا هتيمى يُوَلَد من الضان ‏ ‏ ويُعْطِى لطلاب الجَنَايا رقاعه (٣)
النار ماتسقيك لو صرت عطشان ‏ ‏ ولايشرب المَضْمى (٤) حذامن ذراعه
أُضْرُب الكايِد وَلَوْ صرت بَلْشان (٥) ‏ ‏ وَعِنْد الوَلى وَصْل الحبل وانقطاعه
اما تجيب حر ومرجان ‏ ‏ والا فابليس يطير بشعاعه

نبط عنزى

قال أحد موالى العمارات فى امرأة عشقها منهم وأخرج من ديرتهم بسببها، فلما رحلوا عن المنزل عاد اليه يذكر المرأة ويبكيها :

ابكى هَلِى (٦) ياناس مالى بِمَلْيوم (٧) ‏ ‏ والظن من يبكى هَلَه ما يُلام
جيت المَراح وصار بالقلب مَاعُون ‏ ‏ منازل الخلان هم والعمام
هذا مَشب النار والمجر مَثلوم ‏ ‏ مركا دلال متعبات الشَّوام
وهذى مَرابِط خَيلهم دائم دَوْم ‏ ‏ عقب العيون مُرَوْبعات الهَوَامى
اقفوا (٨) كا طير قلب راسه الحموم ‏ ‏ بفج عميق ولا يندرى وَيْن (٩) هامى
أدنى منازلهم جثاثا ولَمْلُوم (١٠) ‏ ‏ وأقصى منازلهم مَدَاخِى النَّعام
اليالْفِيْت لديرة الاصحاب من قوم ‏ ‏ إفرح ترى حمد الرجال العلوم

(١) اسم مكان (٢) رأى (٣) ضريبة (٤) الظمآن (٥) مبتلى (٦) اهلى
(٧) ملوم (٨) سافروا (٩) اين (١٠) منازل

نبط عنزى من أهل الشمال

عيني جزت عن نومها بان الاصباح　　وعيني جزت عن نومها واسهرتني
جيت لمنازل ربعنا وجيت المراح　　ولقيت مركا [١] دلالهم ذكرتني
يادار لا تبكى أمرٍ مضى وراح　　دَوْر السنة يادار أرْجِيه ما يُثَنّى
فارقتنى يادار كالبدر وان لاح　　يوم ارحلت يادار ماشاورتني

نبط نجدى

كان راكان بن حثلين عند ماجد بن حمود الرشيد وأنشد الابيات الآتية وكان الغوية الشاعر حاضراً فى المجلس فكلفه ماجد أن يرد على راكان رداً يفحمه على أن يعطيه جائزة . قال راكان :

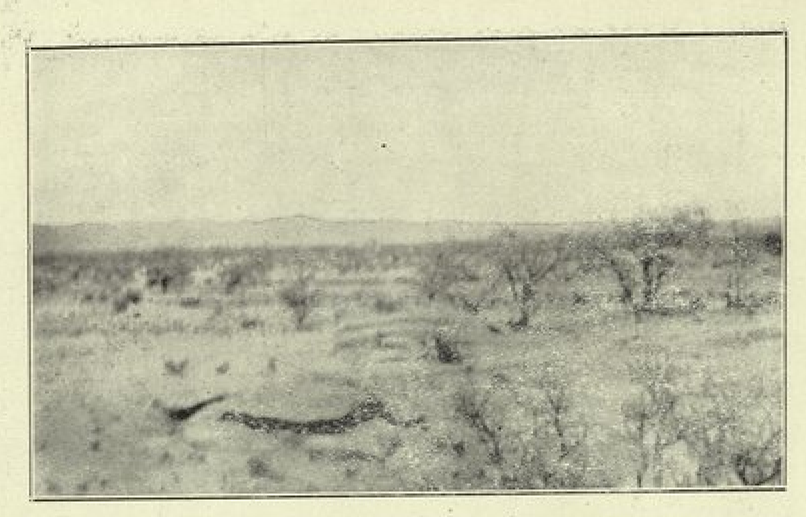
عِزّى لقلب ماتقضت شُطونَه　　لو قلت زَأت عبرةٌ جايدَلْها
وخَلّى اللى فى محاجر عُيونِه　　خيلٌ مشاهير تُطارد بأهلْها
أتْلَى العِلْم به يوم قَفَت ظُعُونه　　يم [٢] النفود وحَدُّه مقْطَع سهَلْها
ياهل مَرادِيم النَّفَى اللى تِجونَه　　ودّوا سلامى أنا فِدا اللى نقَلْها

فرد الغوية بالابيات الآتية :

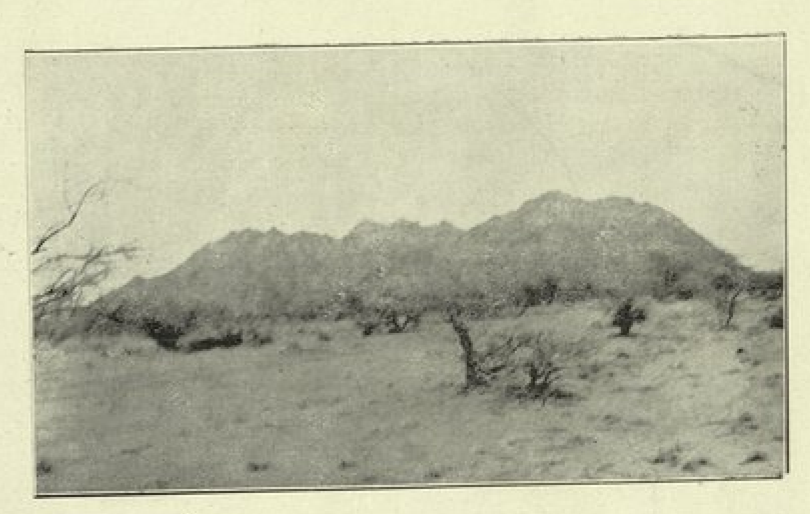
أقول لبيتٍ ما حَلى من فنونه　　آخذ جدايدها واخلى سملها [٣]
وقلبى على ماقامت تُصفّق رُكونُه　　دَلّيت أجيبُ القاف من مُحْتملها
وبالكبد نار كأنهم يشعلونه　　حرّق صناديق الضماير شعلها
على حبيب فوّتت بى ظُعونُه　　مرّت علىّ وصوّبتنى قبلْها
أتلى العلم به والخدم يتبعونه　　أقفَت تعدّ خطاه تمشِى مهَلْها

---

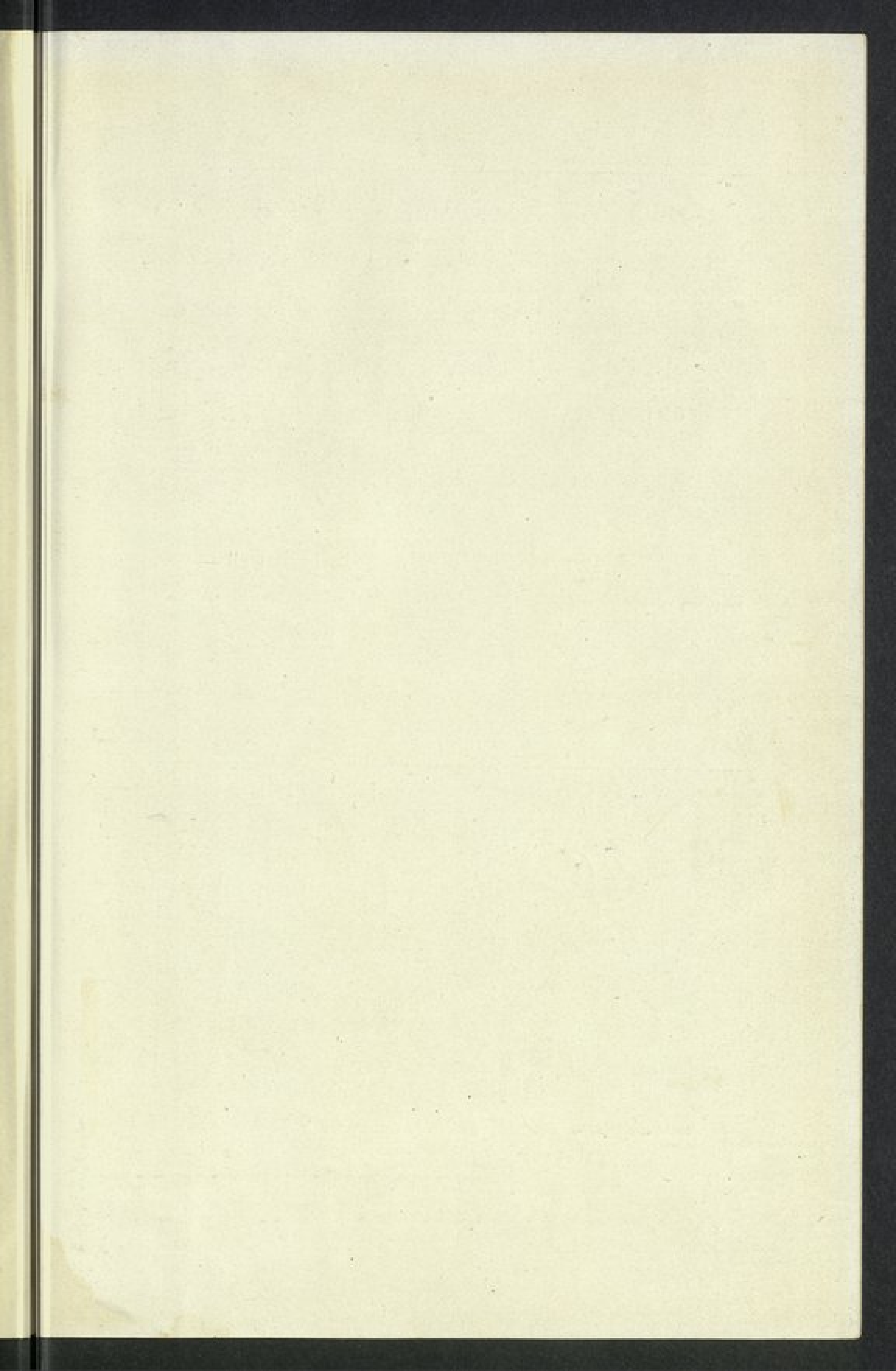
(١) الموضع الذي توضع عليه الدلال لصنع القهوة　(٢) جهة　(٣) البالى منها



٤ — السهل الذى يظن أنه مكان عكاظ بين بلدة السيل وجبل القانس



٥ — جبل القانس المشرف على السيل ووادى نخلة



على دين ماظهر مِثل لَوْنُه　　عنـدى فلا والله يُخْلَق مثْلَهـا
كود الغمر اللى يظهر من مُزُونه　　يُوكَد(١) على ساكن الوعر من سهلها
حسن الشهايا كالقحاوى سُنُونُه　　بين الشفايف كأنَّه يُمْرُس(٢) عسلها
والخشم(٣) حدّ مُصقّل يَشْذُرونَه　　والملح والقبلة مُفارق جَدَلها
البطن كالديباج لو تَلْمَسونه　　جدايد(٤) ما عُمُرْ المزيّن شَغَلها

النثر

ضعفت كتابة النثر بضعف اللغة اجمالا ، واندثرت الكتابة الانيقة الصحيحة من أكثر بقاع المملكة . أما فى البادية فقل أن يوجد من يكتب اللغة الصحيحة ، واما فى الحجاز وحاضرة نجد فانَّه توجد طبقة من المتعلمين والفقهاء وطلبة العلم يجيدون الكتابة إلا انهم أقلية ضئيلة . وقد تناولت النهضة الحديثة شبان الحجاز فشرعوا فى اقتفاء أثر من سبقهم من اخوانهم وأبناء عشيرتهم فى الاقطار العربية الاخرى ولكن البلاد ما زالت محتاجة الى زمن كافٍ لكى تخطو المرحلة التى خطتها أخواتها . وها نحن ننشر فيما يلى أنموذجاً من الكتابة المستعملة فى البادية ليعلم منه ضعف التركيب وركاكة العبارة وعدم التقيد بالقواعد الصرفية والنحوية .

كتاب كبار عتيبة الى جلالة الملك عبد العزيز

الى جناب الامام المكرم عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل سلمه الله تعالى

---

(١) يصعب　(٢) يعصر　(٣) الانف　(٤) غدائر

أبقاه آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . بعـد ذلك سلمك الله سمعنا بجهاد اخواننا الحروب واستأذناك فى القدوم اليك لانه ما بقى لدينا صبر ولا قرار إلا نشوفك ونتعرض لأمر الله ثم أمرك ووصلنـا هنا ومضى علينا عشرون يوماً مانبيّتنا [1] فى شيء وسمعنا فى قعودنا هذه ما كدر خواطرنا نُسَيّر [2] على العيال وعلى اخواننا أهل العارض ونسمع عندهم فى هالجرايد بين قادح ومادح وحنّـا حار بنا الترك وابن رشيد والشريف ماصارت فوايهم [3] مثل فَوايه ابن رفادة فارة منطلقة من جحرها . وفهمنا أن هذا دسايس يسوونها أهل الشر مع ما بلغنـا من أفعالها (. . . [4]) عبد الله ومراسيله للعربان الشماليين وغير ذلك من الامور الذى ماتخفى عليك بقى بالحاضر ياعبد العزيز كما قيل آية السيف تمحو آية القلم . ان كنت ياوالى [5] أمرنا شايف منا تقصير فأخبرنا به ونستغفر الله ونتوب اليه ان كان انك خابر اذا جانا أمرك توانينا عنه فهذه حجة لك علينا ان كان حنا اخوانك وخدامك المطيعين ذبحنا عدوك وذبحنا بنى عمنا دون ديننا وولايتنا وانت تعرف ذلك منا نرجو من الله ثم منك انك ترحمنا الله يرحمك وتفكنا من هذه العلة التى بكبودنا [6] حطت أعدائنا الحبة قبة والفارة أسد وحنا ممددين رجلينا أحد يزرع وواحد يركب لابن سعود وتعرف الخذلان كله باتباع أذناب البقر اليوم حنا طالبين الله ثم طالبينك يوم الله جمعنا فى هالمحل أن ترخص لنا نتبع اخواننا والله يوم جرا هذا الـكون من اخواننا وسمعنا برقيتهم لك وحنا لاعاد أكلنا ولا شربنا ولا عاد نمنا الليل وحنا مدخلينك على الله ثم مدخلينك على الله انك لاتحدثنا ولا تثبطنا من أمر فيه عز لدينا ردنيانا العدو ماينقلب صديق والشر دائم فى أهله وحنا بغينا لانجيك كلنا مرة واحدة لـكن نعرفك ماتحب التشويش وأخذنا الأمر بالآداب وقدمنا هذا

---

(١) أبأتنا (٢) نزور (٣) من فائهة اى رائحة . (٤) هنا ألفاظ لم تنشر . (٥) ولى أمرنا (٦) اكبادنا

المكتوب ورجانا من الله أن يمدنا بعنايته ثم ترخص لنا فان حصل المطلوب فنعم فان ماحصل فلا تلومنا ان جينا عند بابك وصحنا ونبرأ الى الله أن يكون الامر تجرؤا على أمرك أو لنا فيه حظ من حظوظ الدنيا انما هو حفظ لديننا ومحاماة لوطننا ونحن منتظرين الأمر من الله ثم منكم والله يحفظك والسلام

اخوانك وخدامك

عتيبة

كافة كبار الروقة وكبار برقة

فى الطايف

الفصل السابع

العادات

تمهيد ـ المأكل والمشرب ـ الملبس ـ التبرج والزينة ـ الافراح والمآتم ـ تربية الاطفال ـ الفروسية والخيول ـ معاملة الابل

تمهيد

قد طغى الاسلام منذ ظهوره على العادات والاحوال الاجتماعية التقليدية فبدلها تبديلا جوهرياً وطبعها كلها بطابع واحد ان انعدمت فروع كثيرة منه بتأثير العوامل المعاشية والاقليمية فان لبّه ما يزال محافظا على أصله برغم تبدل الأزمان واختلاف المناطق والبيئات . فالاسلام ـ كما سبق لنا أن أوضحنا ـ ليس ديناً فحسب ، بل انه دين و سياسة واجتماع . وكان من جراء ذلك أن العادات والتقاليد الاجتماعية المحلية غلب عليها الطابع الاسلامي فصارت عند جميع المسلمين متقاربة فى الاصول والفروع .

وليس من شك فى أن العادات المحلية تختلف أيضاً باختلاف البيئات والمواضع فالذى اصطلح عليه أهل البادية و تعارفوا على اتباعه قد يكون غير مؤتلف مع حالة أهل الحواضر والامصار . وللبداوة عادات بعضها انتقل بالتسلسل من الآباء الى الاحفاد و حوفظ عليه كما لو كان شِرْعَة لا يصح الاخلال بها . و بعضها نشأ بحكم الضرورة القاهرة من شظف العيش وضيقه ، وقساوة البادية ومرارة المعاش فيها

كما أن للحواضر عادات تستوجبها ضرورات الحياة الهادئة المرفهة من تنعم فى المأكل والمشرب وتبرج وزينة فى الملبس والمظهر ، ومن اشادة الآطام والقصور والاكثار من الفرش والخرثىّ وتنويع أسباب الراحة المادية بكل ما توصل الانسان الى ايجاده . وبالرغم عن أننا عممنا استعمال لفظة عادات أهل الحاضرة على جميع السكان الحضر فانه من الواجب أن لا يند عن البال أنه توجد اختلافات موضعية واقليمية عديدة بين مختلف الحواضر والبلدان . وكما أن هذا الاختلاف يشاهد على أتمه بين المدن المختلفة فانه يشاهد أيضاً فى مختلف الطبقات فى المدينة الواحدة . خذ لك مثلا : احدى مدن الاقطار المقدسة الحجازية فانك لا تستطيع أن تجد عادة أو عرفا عاما ينطبق على جميع أهل تلك المدينة بسبب اختلاف أطوارهم الناشىء عن اختلاط أجناسهم ولغاتهم وعروقهم وعوائدهم . فمكة المكرمة تتألف من خليط غير متجانس من الشعوب والامم الاسلامية التى وفدت اليها فى أزمان وأدوار متعددة وجاء كل واحد بعادات بلاده وعنعنات قومه فاكتسب من محيطه شيئاً جديداً لم يمحُ ما انغرس فى قلبه من عوائد ألفها ونشأ عليها هو وقومه فى بلادهم الاصلية .

ان اختلاط الوافدين الى الاقطار المقدسة من سائر أنحاء العالم الاسلامى قد نشأ عنه مزيج له الآن ميزات خاصة لا تشبه المزايا التى كانت للوافدين فى بلادهم الاصلية ولا هى تشبه المزايا التى كانت لاهل الحجاز قبل مجىء هؤلاء الناس اليهم . وقلّ أن يستطيع المرء فى مكة المكرمة وجدة أن يجد عائلات قديمة بل جل العائلات فيهما ممن هاجر اليها واستوطنها منذ زمان قد يطول ويقصر واختلط الدم الهندى بالعربى والمغربى بالاعجمى واليمانى بالاسود .

ولسنا هنا فى معرض الدخول فى تفاصيل العادات المحلية المختلفة فى أنحاء المملكة فذلك مما لم نأخذه على عاتقنا فى هذا الكتاب لا سيما لانه يستغرق من البحث والافاضة ما لا يتسع له ما خصصناه من صفحات . وانما نحب أن نورد

حقيقة واقعة هى أنه من الصعب أن يسرف الانسان فى تعميم العادات والاحوال الاجتماعية على جميع السكان فى الحواضر . ومن الضرورى التفريق بين عادات كل قطر .

وعادات البادية أقرب الى بعضها وأكثر تشابهاً من عادات الامصار ولا سيا عادات أهل المدن الحجازيه التى يظهر فيها هذا الخليط على أتمه .

المأكل

يُتناول الطعام فى الحواضر على ثلاث دفعات فى اليوم الواحد وتسمى واحدتها (وَجْبة) الاولى فى الصباح المبكر وتسمى فى نجد (الرِّيُوق) وفى الحجاز (فُكوك الرِّيق) والثانية فى الضحى وتسمى (غداء) والثالثة بين العصر والمغرب أو بعد المغرب وتسمى (عشاء) .

أما فى البوادى فالعمدة فى عدد الوجبات ومواقيتها على الظروف والتقادير ووجود الطعام وحالة الانسان الشخصيــة . إلا أن الغالب أن يكون العشـاء أهم الوجبات وأترفها .

ويتألف الريوق فى نجد من اللبن الرائب والعسل والتمر والزبدة فى الغالب وأما فى الحجاز فيختلف عن ذلك وبعضهم يتناولون الطعام المطبوخ فى الريوق أيضاً

وأما الغداء فى نجد فيتألف من الارز المطبوخ باللحم أو الجريش وهو نوع من البر المجروش يطهى بالحليب والمرق أومن المرقوق وهو نوع من الثريد أو من القرصان وهو نوع آخر من الثريد أو الشواء من اللحم .

ويتألف طعام العشاء من نفس الانواع إلا أنه يُعتنى به أكثر من الغداء وقد يزاد على الانواع الواردة فى العشاء أنواع من الحلوى المعمولة بالنشاء والحليب .

وتوجد أنواع أخرى من الاطعمة النجدية إلا أن ما ذكرنا هو أهمها وأكثرها

شيوعا واستعمالا . ومن الضروري إضافة الحنينة وهي نوع من عصيد التمر والدقيق والسمن المطبوخ معاً الى المآكل النجدية الفاخرة .

وقد يتفنن أهل الحواضر النجدية في طهي أنواع أخرى من المآكل لاسيما البقول والخضر إلا أن الاصناف التي أوردناها هي عمدة المعيشة المرفهة . فالبرغل والرز واللحم واللبن والتمر والسمن هي المواد الاساسية في المعيشة النجدية سواء منها معيشة الحاضرة أو معيشة البادية . وليس في معيشة الاخيرة مايستحق أن يذكر لعدم عناية البادية بمآكلها من جهة ولعدم تمكنها من الزيادة عن الكفاف الضئيل من العيش من جهة أخرى .

ويختلف طراز المآكل في الحجاز عنه في نجد من حيث تنويعها والعناية بطهيها . ولا يوجد طراز مخصوص يمكن تعميمه بل هنالك أنواع المآكل العربية الاصل أو المستعارة من الطراز التركي أو الهندي أو الجاوي . ويعتنى في الحجاز بالخضر أكثر مما يعتنى بها في نجد ولهم في طهي الخضر طرق عديدة وصنعة متقنة .

ويكثر استعمال الافاويه والابازير في الاطعمة النجدية والحجازية ، مثل الهيل والزعفران والعصفر والفلفل الاسود والكمون وغير ذلك من أنواع البهارات . ولكل أكلة خليطة مخصوصة بها تطلب من باعتها جاهزة .

وطعام أهل القرى الحجازية والبادية أبسط بكثير من أطعمة أهل المدن . فقد شاهدت أشخاصا ذكروا لي أنهم قبل وصولهم الى المدن لم يشاهدوا الارز ولم يذوقوه ومآكلهم هي في الأكثر من محصول ديرتهم وعوضاً عن دقيق البر يستعملون دقيق الدُّخْن والذرة ويصنعون من ذلك أرغفة كبيرة تشوى على الحجر أو في الطابون (١) وتوضع بعد نضجها في إناء وتمزج بالعسل والسمن وتؤكل على هذه الكيفية .

---

(١) فرن بسيط معمول من اناء كبير من الخزف يحمى جيداً وتلصق الارغفة على جدرانه ويسمى في بعض البلاد العربية باسم تنور .

المشرب

المشروب الوطنى فى البلاد بأجمعها هو القهوة العربية وتطبخ بعد حمص حبوبها وسحقها ، فى دلال من النحاس ويمزج بها نوع من البهار المعروف بالهيل . وبعضهم يستعمل القهوة بالزعفرن أو بالقرنفل . وعلى كل فانها لاتمزج بالسكر بل تستعمل مُرَّة . وفى الجهات الجنوبية من البلاد فى المنطقة المجاورة لليمن يستعمل الاهالى قشر القهوة مغلياً وممزوجاً بالسكر كما أنهم يخلطون الزنجبيل بالقهوة .

وقد شاع فى الازمنة المتأخرة استعمال الشاى شيوعا عظيما يكاد أن يكون عاماً فى البادية والحاضرة وان دام الامر على هذا المنوال فقد لايستغرب أن يحل محلها . ولا توجد أوقات معينة لاستعماله على نحو ماهو متبع فى البلدان الاجنبية ، وانما جرت عادة أهل الحجاز أن يستعملوه بعد الطعام . وقد يستعملون النوع الاخضر منه بعد الطعام خاصة وفى الاوقات الاخرى يستعملون الشاى الاحمر المعتاد .

ومما يشرب بكثرة عظيمة فى البادية وفى نجد على الاخص الحليب واللبن . وحليب الابل من أهم مواد الغذاء الرئيسية فى البادية . فالابل تشرب المياه التى تعافها نفس الانسان وتصفيها فى جوفها ثم تدرها للانسان حليباً لذيذ الطعم كثير الغذاء . ولا يستعمل حليب الابل الا للشرب مع انه قد يوجد بين البوادى من يخرج من دسمه نوعا من السمن يسمى الوَدَك . وأما حليب البقر والماعز والغنم فانه يخمر ويستخرج منه السمن ويشرب الباقى منه باسم مخيض أو شنينة . وجميع السمن يستخرج من اللبن الرائب [١] ولا يوجد من يستخرجه رأساً من الحليب . وأما الجبن فغير مستعمل فى نجد بعكس الحجاز فان أكثر الحليب يترك فى الآنية

---

(١) يسمى أهل نجد اللبن الحامض « رَوْبا »

الى أن تتجمع على سطحه طبقة الدسم فتؤخذ ثم يستعمل الحليب لاستخراج الجبن منه . ويوجد من يشرب حليب البقر والغنم والماعز قبل تخمره ممزوجاً بالزنجبيل واستعمال هذا يكثر فى جهات عسير .

هذه هى المواد المستعملة للشرب غير الماء القراح .

أما المياه فانها تختلف عذوبة وملوحة وصفاء بالنسبة الى المواقع المختلفة . ومنها ماهو محصول الينابيع والآبار ومنها ماهو من مياه الامطار أو الآلات المقطرة . وماء الشرب فى ينبع وجدة انما هو من الماء المستقطر من مياه البحر المالح .

ويوضع الماء فى المدن الحجازية فى أوانى خزفية يدعونها (أزياراً) لتصفيتها وتبريدها . وأما نجد والبادية فان الماء فيهما يوضع فى القُرَب على الغالب .

الملبس

بالرغم عن ان الملابس المستعملة فى أنحاء البلاد هى الملابس العربية ، فانه من الصعب ان نحصر أشكالها فى طراز واحد عام .

فلباس الرأس فى نجد وفى البادية بأجمعها هو الغُتْرَة [1] والعقال . وفى الحجاز هو العمامة أو الغترة فقط وتسمى الغترة فى الحجاز صِمادة . وتوضع الغترة على الغالب فوق طاقية صغيرة تعمل فى نجد من قماش الصوف وتحشى بقليل من القطن وفى الحجاز من قماش القطن الأبيض . والعقال على أنواع : فمنه عقال الصوف الاسود أو الأبيض ومنه عقال الصوف المقصب أو الحرير المقصب . وقد يستعمل البدوى قطعة من الحبل أو الجلد المفتول بمثابة العقال . ومشايخ الدين فى نجد وكافة الاخوان

---

(١) قطعة من القماش مربعة تطوى طيتين على شكل مثلث قاعدته تكون فى مقدمة الرأس فوق الجبين .

يضعون الغترة بدون عقال أو يعصبون على الغترة عصابة من قماش الشاش الرقيق . وأما فى بادية الحجاز وعسير فان العقال قليل الاستعمال وكذلك الطاقية وتستعمل الغترة كغترة وعصابة فى آن واحد . وفى مدن الحجاز تستعمل الغترة بأن تلف فوق كوفية من قماش القطن المُنَشَّى . وأما العمامة الحجازية فانها تتألف من قسم يشبه الطربوش بشكله الا انها تعمل اما من الخاصف واما من القماش المطرز بألوان زاهية من أخضر وأحمر وأسود وأبيض وتعصب العمامة البيضاء فوق هذه الاسطوانة من أسفلها ويترك أعلاها بارزاً لتظهر الالوان . وتكون الغتر اما من الصوف واما من قماش القطن الملون أو المرقط أو من قماش الحرير المطرز .

ولباس الجسم عموما يتألف من ثوب من قماش القطن وقد يكون الثوب ذا أردان تنتشر من المرفق أو بدون الاردان كما أنه قد يكون الثوب طويلا حتى كاحل الرجل أو قصيراً حتى الركبة أو دونها بقليل . وقد يستعمل حزام من القماش أو الجلد فوق متوسط الثوب كما هى الحالة بين بادية الحجاز وعسير أو بدون ذلك كما هي الحالة فى نجد و بادية شمال الحجاز . واستعمال السراويل تحت الثوب محصور فى طبقة مخصوصة بين البادية وحواضر نجد . وفى ماعدا ذلك فالثوب يستعمل من دون السراويل .

أما العباءة فانها الشعار العربى البيّن ، وهى من قماش الصوف الرفيع أو المتين توضع على المناكب فوق الاثواب . ومنها أنواع عديدة من حيث اللون والقماش والخفة والثقل . وهى من المعمولات المحلية لها أنوال ومغازل مختلفة ومنها شيء يجلب من خارج البلاد .

ذكرنا ان الثوب هو اللباس العام وليس معنى هذا انه لا يوجد ما يستعمل سواه . وانما خصصناه بالذكر لأنه اعم أنواع الملابس استعمالا بل يمكن القول انه هو الاساس والانواع الاخرى هى تبع له . وقد يلبس فوق الثوب نوع آخر من

الملابس يسمى زَبُون[١] وقد يزاد فوق كل ذلك وتحت العباءة معطف صوفى أو حريرى أو قطنى .

ويستعمل فوق الثوب فى مدن الحجاز والحسا غير الزبون والمعطف نوع آخر هندى الاصل يسمى « شَايَة » وهى مثل الزبون الا أنها تختلف عنه بأنها أقصر من الزبون ولها أزرار فوق الصدر . ولا يفوتنا أن نذكر الُجبَّة الحجازية أيضاً فانها تلبس فوق الشاية عوضاً عن العباءة . وتعمل الُجبب من جميع أنواع الاقمشة الصوفية والقطنية والحريرية الابيض منها أو الملون .

أما لباس الاقدام فهو النعال الوطنية المعمولة من الجلد المدبوغ فى البلاد بألوان مختلفة زاهية ولا تدخل المسامير فى صنعها بل تخاط بالخيطان أو السبوت . وأكثر البادية لا يستعمل النعال مطلقاً بل يسير البدوى حافى القدمين .

وملابس النساء تختلف بالطبع عن ملابس الرجال بحسب أحوالهن مع أن الاساس فى الاثنين واحد .

الزينة والتبرج

يطلق الرجال شعر الرأس كالنساء فى أكثر أنحاء البلاد ، ويضفر الشعر غدائر تتدلى على المنكب والاكتاف وتُضَمَّخ بالطيوب المختلفة . وأما المتقدمون فى السن من الرجال أو مشايخ الدين فانهم يقصرون شعر الرأس . وفى الحجاز يحلقونه أو يقصرونه كثيراً ، وأما النساء فمن البديهى أنهن يحتفظن بشعرهن كما هو ، ولم تدخل بينهن عادة قص الشعر .

ويطلق عموم السكان لحاهم ولا يحلقون منها إلا ما كان تحت الذقن أو ما نبت

(١) يسمى فى الخارج قنبازاً .

من الشعر على كراسي الخدود . وأما الشاربان فيتركان على حالهما وانما يقصران عملا بالحديث المأثور « حفّوا الشاربين واطلقوا اللحى » .

ولا يلبس الرجال الحلى الذهبية ولا غيرها . كما أنهم لايلبسون الملابس الحريرية إلا فيما ندر فى بعض المدن الحجازية . وأما النساء فليس عليهن حرج فى هذا الباب .

وعادة الاكتحال والتضمخ عادة فاشية عموماً بين النساء والرجال فى نجد والبادية كلها . وأحسن أنواع الطيب عود الند وعطر الورد وعطر العود والزباد(١) ولا توجد بين النساء عادة استعمال المساحيق .

ويتختم أكثر الرجال فى نجد بخاتم فضى فَصُّه من العقيق يحفر عليه اسم حامله ويلبس فى خنصر اليد اليمنى .

ويحمل الرجال بعض أنواع الاسلحة كالجنبيات أو المسدسات أو السيوف وقد شاهدنا أن كثيرين فى البادية يحملون عوض الجنبيات مُدًى عادية يستعملونها فى احتياجاتهم اليومية العديدة . وأكثر البدو يحملون علاوة على ذلك منقاشاً وملقطاً شعرياً وموسى صغيرة لاقتلاع الشوك من الايدى والأرجل .

وعادات الاستياك بمسواك من جذور شجر الاراك عادة عامة تقريباً . وهى مستحبة قبيل الصلاة مباشرة .

والنساء يستعملن الحناء لطلاء اليدين والرجلين وتلوينها بها .

الافراح والمآتم

أصبحت العادات المتبعة فى الافراح والمآتم خلاف ما كانت عليه قُبيل قيام الحكومة الحاضرة التى حملت الناس على عدم الخروج عن حدود الشرع

---

(١) عطر يستخرج من غدد بعض الحيوانات المسكية .

فيما يتعلق بذلك . فقد أبطلت عادة إحياء الموالد وحلقات الذكر المشهورة في الأمصار . ولم يعد في الامكان استعمال آلات الطرب التي كان استعمالها مباحا من قبل . وجل ما يمكن السماح به استعمال النقارة والحداء .

ففي حفلات الزفاف لايتعدى الامر اجتماع الناس للتهنئة واجراء العقد وحضور الوليمة . وفي مدن الحجاز يسير العريس في الليل الى منزل العروس بين المشاعل وسط لفيف من أقرانه وأصدقائه . ولا يكتب عقد الزواج بصك كما هي العادة في سائر الامصار إلا في حالات قليلة جداً .

وقد أبطلت عادات الندب على الموتى واللطم في الجنائز . وإكرام الميت دفنه بعد غسله والصلاة عليه فوراً .

ومن الحفلات التي كان لها أهمية كبيرة فيما سبق حفلات الختان وحفلات ختم القرآن . وبالنسبة الى أهل مكة فان حفلة السلام على من يعود من زيارة المدينة المنورة من أبهى الحفلات وأجلها .

وبمناسبة ذكرنا للختان لا نرى بداً من ذكر عادة سيئة من أقبح عادات بدو الحجاز وعسير وهي عادة سلخ الشاب المراهق في حفلة تتجلى فيها كافة ألوان الفظاعة والوحشية على ملأ من الناس ومشهد من أتراب المسلوخ وأقرانه . والويل والعار لكل شاب يظهر ألماً أو تململا بينما تعمل موسى السالخ في جلده وقد أبطلت هذه العادة القبيحة بعد أن كانت عامة بين كثير من قبائل الحجاز وعسير مثل هذيل وغامد ورجال المع وفهم وغيرهم .

تربية الاطفال

عناية البدو بأطفالهم قليلة جداً . فالطفل منذ ولادته رفيق والدته تحمله معها في أعمالها اليومية أو تتركه في الخيمة ان كان عملها فيها . وحينما يصبح الولد قادراً

على السير تستصحبه أمه أو اخوته معهم أثناء العناية بالانعام ورعيها . ولا يعتنى بالطفل من الوجهة الصحية والنظافة كما انه لايعتنى بتعليمه وتدريبه . ومتى أصبح قادراً على رعى الحيوانات بمفرده كلف بها وعهد اليه بحراستها والعناية بأمرها .

وأما فى الحواضر فالحالة تختلف بالطبع عما هى عليه فى البادية . فتربية الاطفال والعناية بهم من الوجهتين الصحيةو الدينيا ثم تعليمهم أمرمن أوامر الدين التى يراعيها الكثيرون .

ولا يوجد حد معين لبقاء الطفل مع أمه وانما الغالب انه بمجرد صيرورته قادراً على تدبير شؤون نفسه يتعلق بأبيه أو باخوته ، واذا راهق زُوّج وبعد الزواج قد يبقى مع والديه ولكنه فى الغالب ينفصل عنهما .

وسن الزواج ليس لها حدّ معين . وعادة تزويج القاصرين ما تزال جارية الى يومنا هذا .

الفروسية والخيول

لاجرم أن تكون عناية العرب بالخيل وبالفروسية عظيمة ، فالخيول العربية من أنجب الخيول وأصلحها عرقا . ويعتنى من الصغر بركوب الخيل والتمرن على ضروب المسابقات والالعاب . حتى اذا راهق الغلام العربى كان فارساً مغواراً يستطيع قيادة أشد الافراس شكيمة وأصلبها مراساً كما انه يستطيع اللعب على ظهرها واستعمال البندقية والرمح والسيف وهو يطارد بها .

والخيل اجمالا لاتركب فى الاسفار البعيدة ويحصر استعمالها فى الركوب فى المراحل القصيرة وفى الغارة عليها ساعة الهجوم على العدو . وفيما عدا ذلك تقطر وراء الابل بدون أن تركب .

والعادة فى ركوب الخيل أن تكون بدون لجام وبدون الركابتين ، وأحياناً بدون سرج بالمرة . ولا تستعمل الركابات فى الحروب مطلقا .

ونشأ عن اهتمام العرب بخيولهم وتفاخرهم بالأصيل منها أنهم اضطروا الى حفظ أنسابها وصنفوها فى أصول يعنون كل العناية بقيدها وتسجيلها. وأنواع الخيول العربية الاصيلة الموجودة اليوم كثيرة الا أن الممتاز منها محدود ذكرناه فيما يلى نقلا عن كتاب عنوانه: (حصان الصحرء) لمؤلفه المستر براون الامريكى [1]:

كحيلان ، عبيان ، صقلاوى ، حمدانى ، معنقى ، هدبان ، أبو عرقوب ، دحمان ، جلفان ، كبيشان ، مِلواح ، مخلد ، مّعوج ، ربدان ، ريشان ، سعدان ، سمحان ، شويمان ، طويشان .

معاملة الابل

لاتقلّ عناية العرب بالابل عن عنايتهم بالخيول وتزيد حاجتهم اليها عن كل ماعداها ، فانها ضرورية فى انتقالهم وفى حروبهم وغزواتهم ومن أجل حليبها ولحمها ووبرها. ويوجد كثيرون فى البادية لايملكون من حطام الدنيا إلا ناقة تدر عليهم من خيرها فيقتاتون به فى حياتهم القاسية .

وتملك هذه البلاد أكبر عدد من الجمال كما أنها تملك أجود الانواع وأحسنها ولأجواد الابل أنساب تحفظ ويعتنى بها مثل مايعتنى بنسب الخيول الاصيلة وهذه الاجناس يمكن حصرها فيما يلى :

الابل العُمانية وهى أسلس الانواع قياداً وأكثرها راحة .

الابل الُحرّة وهى أقوى من العمانية وأكثر جلداً وصبراً .

الابل الباطنية وهى مثل العمانية .

الابل الدَّرْعِية وهى مثل العمانية من حيث سهولة ركوبها ومثل الحرة من حيث قوتها .

---

(1) The Horse of the Desert, By W. R. Brown. P. 99 - 110

الابل الخوّارة وهى سهلة الركوب إلا أنها دون الاجناس الاخرى .

الابل الجَرْمِيَّة وهى أدنى أصناف الابل .

ويجمل بنا فى هذا المقام أن نذكر الاسماء الاصطلاحية التى تطلق على الابل فى نجد وهى :

الجمال : تفيد النوع مطلقاً .

الابل : تطلق على الاناث التى لا تركب وهى التى تلد وترضع صغارها ولـكنها لاتُحلب .

الناقة : واحدة من الابل سواء أكانت تُحلب أم لا .

المسح : الابل التى يستدر حليبها وهى غير التى يرضعها ولدها .

الجيش : انثى الجمل التى تستعمل للركوب فقط .

الذلول : واحدة من الجيش .

مْل : الذكور من الجمال إجمالا .

البعير : لايستعمل إلا للذكور .

الهجين : لاتستعمل فى نجد ولـكنها تعنى الذلول .

وتسمى الناقة الحبلى اللقحاء والتى تجر وراءها ولدها الخلفة والتى يسحبها ولدها الذى لايزيد عمره عن عشرة أشهر عشرة .

ولصغار الابل أسماء مختلفة بحسب السن التى تبلغها . فيقال للذى عمره أقل من سنة حوار وتمام السنة مفرودة ، وتمام سنتين حقَّة ، وتمام ثلاث سنين لقِيَّة ، وتمام أربع سنين جذعة ، وما فوق ذلك الى خمس سنين ثَنِيَّة ، وما فوق خمس سنين رباع .

والانثى من جميع هذه تسمى بَكْرَة والذكر قعُوداً .

"علم الأنساب معرفة لا تفيد وجهالة لا تضر"
ابن خلدون - المقدمة

القسم الثالث

القبائل العربية

فى

المملكة العربية السعودية

يقع فى فصلين وجداول تفصيلية تحوى فروع القبائل.

أسانيد هذا القسم من الكتاب

١ — سبائك الذهب فى معرفة أنساب العرب للسويدى .

٢ — الجزء الثانى من كتاب نهاية الأرب فى فنون الادب للنويرى .

٣ - الجزء الاول من كتاب صبح الأعشى للقلقشندى .

٤ — صفة جزيرة العرب للهمدانى .

٥ — دليل بلاد العرب لدائرة استخبارات وزارة البحرية البريطانية .

5 — The Hand Book of Arabia by I. D. Admiralty.

٦ — وزارة الخارجيـة البريطـانية :

6 — British Foreign Office (Arab Bureau)

1. The Hand Book of Asir — دليل عسير
2. „ „ „ „ Yemen — دليل اليمن
3. „ „ „ „ Hedjaz — دليل الحجـاز

٧ — المستشرق موزيل :

7 — By Prof. A. Musil

Arabia Deserta — صحارى بلاد العرب

Northern Nejd — شمال نجـد

Northern Hedjaz — شمال الحجاز

Manners & customs of the Rwala Bedwins — عادات و تقاليد الرولا

٨ — المستر سنت جون فلبي :

8 — By Mr. St. J. Philby

The Heart of Arabia — قلب جزيرة العرب

Arabia of the Wahhabis — بلاد الوهابيين

٩ — الكولونيل س . ب . ميلز :

9—By Col. S. B. Miles:

بلاد وقبائل الخليج الفارسى

The Countries and Tribes of the Persian Gulf.

١٠ — الرحلة اليمانية للبركاتى .

١١ — تقارير واحصاآت مختلفة .

الفصل الأول

أنساب القبائل العربية

محافظة العرب على أنسابها — الصعوبات فى رد الفروع الى أصولها

قال النويرى فى كتابه نهاية الارب فى فنون الادب « ومعرفة أنساب الامم مما افتخرت به العرب على العجم لانها احترزت على معرفة نسبها ، وتمسكت بمتين حسبها ، وعرفت جماهير قومها وشعوبها ، وأفصح عن قبائلها لسان شاعرها وخطيبها ، واتحدت برهطها وفصائلها وعشائرها ، ومالت الى أفخاذها وبطونها وعمائرها ، ونفت الدعى فيها ، ونطقت بملء فيها »[1].

ومع شدة عناية العرب بالمحافظة على أنسابها والتمسك بأحسابها ومراعاتها لتسلسل فروعها وأقسامها ، فانه من الصعوبة بمكان عظيم أن يتمكن الباحث من الوقوف على أصول جميع القبائل العربية الموجودة فى الوقت الحاضر بسبب ضياع قسم غير قليل مما كتبه الاقدمون عن الانساب ، وفقدان حلقات عديدة من سلسلة الانساب فى الاعصر المتوسطة أيام ضعف الدول العربية واختلاف أمرائها وقبائلها. ومن الواضح أنه حصلت خلال تلك الحقب هجرات قبائلية متعددة حلت فيها الواحدة محل الاخرى أو غلبتها على أمرها وأجلتها عن ديارها وشردتها بين القبائل فنسيها الناس وجهلوها . ومن أجل ذلك فاننا لم نحاول فى كتابنا هذا أن نرد الفروع الى أصولها القديمة إلا فى المواضع التى تثبتنا من صحتها ، وتركنا تحقيق

---

(١) مجلد ثان ص ٢٧٦

ماعدا ذلك الى محبي البحث والتنقيب واكتفينا بما هو موجود فى زماننا هذا من الفروع فسردناها بأسمائها المشتهرة بها . ومما يجب الاشارة اليه اننا شاهدنا بعض حالات تنحدر فيها فروع القبيلة الواحدة من أصول مختلفة بعيد بعضها عن بعض وقد نشأ ذلك على ما نعتقد عن تحالف الفروع فى زمن مضى لانستطيع تعيينه.

ونظراً الى أن الصعوبات التى اعترضتنا فى ارجاع فروع القبائل الحالية الى أصولها القديمة تعترض كل باحث فى الانساب ، والعلم بها مفيد من حيث ايضاحه طريقة تحول القبائل عن أسمائها الاصلية الى أسماء منتحلة ، ونشوء الفروع وصيرورتها قبائل مشهورة ، رأينا أن نذكرها فيما يلى اتماما للفائدة التى توخيناها من وضع هذا الكتاب .

أولا : تباعد الانساب وصيرورة القبائل شعوبا والعمائر قبائل والبطون عمائر [١] .

ثانياً : صعوبة الوقوف على التسلسل الصحيح للانساب لقدم العهد وعدم وجود المدونات .

ثالثاً : امكان اشتهار قبيلة من القبائل باسم فرد مشهور منها يغلب اسمه الاسم الاصلى [٢] .

رابعاً : انضمام أفراد الى قبيلة غير قبيلتهم بالحلف والموالاة [٣] .

خامساً : دخول أفراد قبيلة على أفراد قبيلة .

سادساً : تابعية أفراد معينين لقبيلة معينة كالموالى والأرقاء واشتهارهم باسم القبيلة الاصلية وهم غرباء عنها .

سابعا : اشتهار القبيلة باسم جديد لسبب من الاسباب .

ثامناً : تشابه أسماء القبائل بالرغم عن تباعد أصولها واختلاف أنسابها .

---

(١) صبح الاعشى م ١ ص ٣٠٩
(٢) صبح الاعشى م ١ ص ٣١٠
(٣) صبح الاعشى م ١ ص ٣١٠

تصوير ١٢٥ – ٢٧

الفصل الثاني

الاصطلاحات فى تقسيم القبائل

قال السيد أبو البركات الجوانى : « ان جميع ما بنت عليه العرب فى نسبها أركانها وأسست عليه بنيانها عشر طبقات [1] » :

الطبقة الاولى : الجذم وهى الاصل اما الى عدنان واما الى قحطان .

والطبقة الثانية : الجماهير أى الجماعات .

والطبقة الثالثة : الشعوب وهى التى تجمع القبائل .

والطبقة الرابعة : القبيلة « وهى التى دون الشعب وتجمع العمائر ، وانما سميت قبيلة لتقابل بعضها ببعض واستوائها فى العدد [2] . »

والطبقة الخامسة : العمائر وهى دون القبائل ، واحدها عمارة وتجمع البطون .

والطبقة السادسة : البطون وهى التى تجمع الافخاذ .

والطبقة السابعة : الافخاذ واحدها فخذ وهى أصغر من البطون وتجمع العشائر .

والطبقة الثامنة : العشائر وهى التى تتعاقل الى أربعة آباء .

والطبقة التاسعة : الفصائل وهى أهل بيت الرجل .

والطبقة العاشرة : الرهط وهى أسرة الرجل .

وتمثيل التفصيل : عدنان جذم . قبائل معد جمهور . نزار بن معد شعب ،

---

(١) نهاية الارب م ٢ ص ٢٧٧

(٢) نهاية الارب م ٢ ص ٢٨٤

(٣) نهاية الارب م ٢ ص ٢٨٦

مضر قبيلة ، خندف عمارة ، كنانة بطن ، قريش نخذ ، قصيّ عشيرة ، عبد مناف فصيلة ، بنو هاشم رهط [١] .

وقد اقتصر صاحب صبح الاعشى على ست طبقات مجاراة للماوردى وغيره من النسابين وهى : (١) الشعب (٢) القبيلة (٣) العمارة (٤) البطن (٥) الفخذ (٦) الفصيلة [٢] .

أما نحن فاننا سلكنا مسلك صاحب صبح الاعشى الا فى العمارة فاننا أسقطناها وجعلنا تصنيف القبائل على خمس طبقات ، ذكرناها فيما يلى مع مقابلها باللغة الانكليزية ، لضبط الاصطلاح و التدقيق فى استعماله :

(١) القبيلة مثل مُطير وعنزة . Tribe

(٢) البطن مثل ضَنَى وائل وضنى مسلم من بطون قبيلة عنزة Group

(٣) الفخذ مثل ولد على وولد سليمان والحسنة من أفخاذ بطون عنزة Division

(٤) الفصيلة أو البديدة أو العشيرة مثل الدغمان والمرعض Clan

(٥) الرهط أو العائلة مثل آل شعلان Family

وتمثيل ذلك عائلة شَعْلان تنسب الى فصيلة المرْعِض من نخذ الرُّولا من بطن ضَنَى مُسْلم من قبيلة عَنَزَة .

ومما تجب الاشارة اليه أننا رتبنا القبائل وصنفناها على حروف المعجم وصرفنا النظر عن تصنيفها من حيث العز والجاه والكفاءة والنسب . لان العرب يصنفون القبائل بهذا الاعتبار فى الطبقات الآتية :

الاولى : القبائل ذات العصبية وهى التى تتعادل فى الكفاءة والمجد والنسب .

الثانية : القبائل ذات العصبية ولكنها لا تستطيع رد أصولها الى أرومات

---

(١) نهاية الارب ٢ ص ٢٨٦

(٢) صبح الاعشى م ١ ص ٣٠٨ — ٣٠٩

عربية معروفة مثل الظَّفير والشَّرارات والعوازم والرَّشايدة .

الثالثة القبائل : التي لا يعترف لها العرب بالأصل فلا يصاهرونها ويسمونها صلبه مثل الصلبة وهتيم .

وتوجد فى نجد علاوة على ذلك طبقتان من طبقات الهيئة الاجتماعية القبائلية وهما الاولى بنو خضير ويقال ان أصلهم من الموالى ، والثانية الصنّاع وهم فى الحواضر مثل الصلبة بين البوادى .

ولم نحاول تقدير عدد نفوس كل قبيلة نظراً لصعوبته وتعسر الحصول عليه فى الوقت الحاضر .

واعتمدنا فى هجاء الاسماء على السماع والعرف السائد بين العرب .

واتبعنا نفس الطريقة غالب الأحيان فى ضبط طريقة التلفظ بالأسماء فجاءت الضوابط والحركات على الشكل الذى يتلفظ العرب به .

الفصل الثالث

جداول القبائل العربية

مرتبة على حروف الهجاء

(حرف الالف)
أحمر (بالأحمر)
أسمر (بالأسمر)
(حرف الباء)
بارق
بحر بن سكينة
بقوم
بلى
(حرف التاء)
تميم
(حرف الثاء)
ثقيف
ثمالة
ثواب
(حرف الجيم)
جحادلة
جعافرة
جعدة
جهينة
(حرف الحاء)
حارث (بال)
حرث (بال)
حرب
حسن
حلي
حويطات
(حرف الخاء)
خالد
خثعم
خزاعة
خضير
خميسين
(حرف الدال)
دريب
دعكيه
دواسر
(حرف الذال)
ذبيان (من غامد)
(حرف الراء)
ربيعة
ربيعة المقاطرة
ربيعة التهم
ربيعة ورفيدة
ربيعة اليمن
رجال المع
رشايدة
الريش
(حرف الزاى)
زبيد
زهران
زيد
(حرف السين)
سبيع
سعد
سفيان
سكينة
سهل
(حرف الشين)
شبيل
شرارات
شريف (أشراف)
شعبة

شَمْرَان
شَمَّر
شَهْر
شَهْرَان
شَلَاوَة
(حرف الصاد)
صُلْبَة
(حرف الطاء)
طُوَيْرِق
(حرف الظاء)
ظَفِير
(حرف العين)
عَبْس
عُتَيْبَة
عُجْمَان
عَرْيَان
عَسِير
عَطِيَة

عَلْكَم الهول
عَمْرو
عَنَزَة
عَوْف
عَوَازِم
عَيْر (بالعير)
(حرف الغين)
غَامِد
(حرف الفاء)
فُضُول
فَهْم
(حرف القاف)
قَحْطَان
قَرْن (بالقرن)
قُرَيْش
(حرف الميم)
مَالِك
مَالِك عَسِير

مُحَمَّد
مُرَّة
مَرْوَان
مَسَارِحَة
مُطَيْر
معْ (رجال المع)
أمْغَيْد
مَنَاصِير
مَنْجِحَة
مَهْدِي
مُوسَى
(حرف النون)
نَجْرَان
نُجُوع
نَشَّار
نُمُور

(حرف الهاء)
هَاجِر
هُتَيْم
هُذَيْل
هِلَال
(حرف الياء)
يَعْلَى
يَام

بالاحمر

ديارها فى وادى صُبح الى شمالى أبها على بعد بضعة عشر ميلا منها . ويحيط بها من القبائل بِالأسمر فى الشمال وشَهْران فى الشرق و بنو مالك فى الجنوب ورَبيعة ورَفِيدة فى الغرب . والقبيلة قسمان : متحضر و بادية ، وأهم فروع البادية آل موسى و بُحاشة و بنو ثَعْلبة .

بالاسمر

تقع ديار بِالأسمر شرقىّ تحايل و بينهم و بينها الرَّيْش و يحيط بهم من الشمال بنو شِهْر ومن الشرق شهْران ومن الجنوب بِالاحمر ومن الغرب الرَّيْش وهم قسمان :

١ ـ أهل الجبال

٢ ـ وأهل التهائم . وهؤلاء أكثر عدداً من الاولين .

أهل بَارِق

تتألف هذه القبيلة من أربعة أقسام : الُحمَيْدَة وآل مُوسَى بن على وآل إصْبَع وآل جبَالى . وديارهم تقع على مسافة ١٥ ميلا شمالى تحايل وطولها ٢٠ ميلا من الشمال الى الجنوب و ٣٠ ميلا من الشرق الى الغرب ، ويحيط بهم من القبائل بنو شِهْر من الشرق والشمال والرَّيش وآل دُرَيْب ورَبيعة التُّهمة من الجنوب وربيعة المَقاطِرة من الغرب .

وأكثرهم يسكنون فى القرى المنتشرة فى تلك البقاع .

بحر بن سُكَيْنَة

ديار هذه القبيلة بأطراف الطريق بين مَحَايِل و البِرْك على بعد بضعة أميال من محايل الى الجنوب الغربى حتى تصل الى مسافة بضعة عشر ميلا من البِرْك ويوجد فى شمالها آل موسى وفى شرقيها بنو ثوَاب ورِجال المَع وفى جنوبيها رجال المع أيضاً وفى غربيها بنو هِلال .

ويدّعى أفراد هذه القبيلة أنهم أقارب رجال المع .

البقوم

مقر البُقُوم جبل حَضَن وأطرافه حتى تَرَبَة والخُرْمَا ، وأصل البقوم من الازدِ وهم غير قليلى العدد إلا أن قسما منهم اختلط بعتيبة وجاراها فيما هى عليه . وأهم قسام البقوم :

المَرَازِيق

والمَوْرِكة

والـكَلْبِيَة

والرَواجِح

ومنهم حاضرة تقيم فى قرية القَصَب منهم عائلة آل زاحِم .

بِلِى (١)

مقر بلى جنوبى حويطات التهم وتمتد منازلها الى جهة الشرق حتى محطة دار

---

(١) تقيم بين هذه القبيلة عشيرة صغيرة العدد وتحتمى بها وهى المواهيب من عنزة ، وقد أشرنا اليها عند ذكرنا للسبعة فى عنزة .

الحرا . وهى من الازد ويقال لبلى مع جُهينة قُضاعة ، ولبلى فروع عديدة منها :
المعَاقِلَة ، الرُموط ، الفوَاضِلة ، الزَّبالَة ، الشَامَات ، الكَويّين ، أرُبطة الوَابِصة ، الُحرُوف ، الوُحَشة ، العِراضَات ، السَّهامَة .
وكبير بلى ابن رفادة الذى مقره الوجه وأطرافه . والامير اليوم هو ابراهيم ابن سليمان باشا بن رفادة .

بنو تَميم

أصبح أفراد هذه القبيلة من حاضرة نجد وجبل شمر وأكثر المدن والدساكر النجدية تحوى عناصر من تميم ، ونظراً لتحضرها فقد انعدمت من بينها المميزات التى تميز الافخاذ والعشائر ولم يعد بالامكان تفريقها الى فرق كما يفعل بالقبائل المحافظة على عصبيتها . غير انه يمكن القول ان الموجود فى نجد من تميم يمكن حصره فى ثلاثة بطون وهى :
أولا : بطن حَنْظَلَة بنَ مالِك بن زَيْد مَناة بن تَميم .
ثانياً : بطن سَعْد بن زيد مناة بن تَميم .
ثالثاً : بطن عمرو بن تميم
فمن بنى حنظلة الوُهبَة وهم بيت الشيخ محمد بن عبد الوهاب فى الرياض .
وآل بسَّام فى عنيزة والقضاة فى عنيزة منهم .
وآل شبَانَة فى المَجْمَعة ووَشِي وظَلَم وجوَى .

وآل معيوف فى جلاجل وآل مْنيف فى الحوطة ، وآل معَامِس فى الخطَامة ، وآل عبد الكريم فى حَرْمَة والخرَشا وآل جاسر وآل أبا حُسَيْن فى الوَشْم وفى وُشيقِر ، وآل فايز وآل مَسْنَد ، وآل عمر فى وُثَيْثِية ، وآل عتيق وآل مسعد فى القصب .

ومن الوهبة المعاضيد الذين منهم آل ثاني امراء قَطَر.

وأما بنو سعد بن زيد مناة فمنهم العَنَاقِر في ثَرمَدَا. منهم الشيخ عبدالله العَنْقري قاضي سُدَيْر وآل مُعَمَّر في سَدُوس، وآل أبو عليان وآل حسن في بُرَيْدَة.

وأما بنو عمرو بن تميم فمنهم المَزَاريع والنواصِر، ومن المزاريع آل حَمَّاد في الحُوطة وآل مُرْشِد في الحِلْوَة وآل عَون في القُوَيْع، وآل حماد هم أكثر تميم الموجودين في نجد عدداً. ويقسمون الى قسمين آل مرشد وآل حسين ومن المزاريع أيضا آل قاضي أهل الروضة وآل فوزان وآل فارِس وآل قاسم في الروضة وآل هُوَيْثِل في نَمِير، وآل عَطِيَّة وآل عسَّاف في المجمعة، وآل بكر في الرياض، والهلالات في عَرْقَة وغيرهم كثير في قرى نجد. ومن النواصر آل مُقْبل أهل أُضْرُما وأهل الداخِلة كلهم نواصرة وآل حَصْنان في شَقْرا والحَماضا في القَصَب.

بنو ثَوَاب ثوعة (٢٩٨٣)

قبيلة يمانية تقيم في جنوب مَحَايل على مسافة قريبة منها. ويقيم الى الشمال منها آل موسى والريش. والى الشرق منها بالاسمر والى الجنوب آل محيا والحارث من قبيلة ربيعة ورفيدة، والى الغرب قبيلة بحر بن سكينة.

وهي على قسمين: بدوي ومتحضر.

وأهم فروعها آل غَنِيَّة، وآل قُبيْص، وآل فُضَيْلة.

ثمالة

قبيلة حجازية الى جنوبي الطائف ذكرناها في فروع ثقيف

ثَقِيفْ

قد اختلف كثيراً فى نسب ثَقِيف . وكثير من يردها الى قُضَاعة من حِمْير . والمعول عليه أنها من هَوازن التى منهـا الشَّبَا بين أحد أفخاذ عتيبـة . ومنازل ثقيف فى جبال الحجاز بين مكة والطائف وعلى الاصح بينه وبين جبال الحجاز .

والمعروف بين المعاصرين أن ثقيفاً تقسم الى البطون الآتية :

١ — طُوَيْرِق : وهم قسمان حضر وبدو . فالحضر فيهم العشائر الآتية : الُجعيدات ، والخصافين ، والزحَّارية ، والفُضَّل . وأما بدو طويرق ففيهم العشائر الآتية وهى : الرُّوسان والغَرايين والترَا رِبَة ، والكَلَبة ، والعَبْدَة ، والظَّفيْرين ، والحُمْران .

٢ — بطن النُّمُور : وهم يقسمون بحسب منازلهم الى قسمين أهل الهَدَى وأهل وادى المُحْرِم . فاهل الهدى فيهم أربع عشائر وهى الكُمَّل ، واللُّمَطَة ، والغُرَبا ، والبَنِّى وهؤلاء يقال ان الحجاج بن يوسف منهم . وأما أهل وادى المحرم فهم أهل الخضْرَة والمشاييخ وأهل الدار البيضاء .

٣ — بطن ثُمَالَة : وهم ثمانية أقسام أهل الصُخَيرة ، وآل مُقبل ، والضبَاعِين والسَواعِدَة ، وآل زَيْد ، والسُّوَدَة ، والطوَال ، ويقـال أيضاً أن المشاييخ من ثمالة .

٤ — بطن بنى سَالم : وفيه عشائر العيَّاشَة ، والعَصَبي ، والمُنْحِف .

٥ — بطن عوْف : وهم فى وادى لِيَّة وبعضهم ينسبهم الى حرب . ومنهم عشيرة الغُنَّم

٦ — بطن سفْيَان : وهم فخذان بنو عُمَر وآل شَريف . أما بنو عمر فنهم العُسران ، وتميم ، والخضَرة ، وأما آل شريف ففيهم عشائر كثيرة أهمها أولا

آل سَاعِد ويقسمون الى الحَرْجَلِي (هؤلاء يقال انهم من بكر حلفاء قريش زمن الرسالة أى الجحادِلة) وآل حَسَن ، وآل عُبيد ، والسواعدة وآل منصور ، ثانيا : آل حِجة وفيهم الُخمس والبَهادِلة وأبو الدَّم وأبو الظُّهر وآل منيف ، وآل عيسى وهؤلاء ثلاث عائلات آل حسين وآل حمود وآل غُبَيْشَة ثالثا آل عائشة ومنهم الطَّلْحات والحَجلة وآل عُمر .

٧ — بطن قُرَيْش : [1] منهم الحضر والبدو . فالحضر يقسمون الى الُحصْنان الذَّراوة ، الزِنَّان ، المْطَرة والبدو أو آل غانم يقسمون الى هَوامِلة وآل على ، والهيافين ، والغَشامِرة ، ومن قريش أيضا القصْران ، وبنو صَخْر والُخرَتة .

٨ — بطن هُذَيْل : أنظر فروعه فى حرف الهاء .

٩ — ثقيف اليمن : وهم بقرب بنى مالك عند التُّرعة : ولهم أقسام عديدة أهمها فخدان عَنس وبنو يوسف فالاولون فيهم الجاهلى والنُّدَيبى وآل يعلى ، وبنو محمد ، والمُغدة ، والاحلاف ، والُحمدة ، وتقيم فى المليساء وآل مسعود ، وبنو يوسف وفيهم المَجْردِى والعَسْبلى والقُرَيْحى .

وينسب الى ثقيف اليمن بنو ذَيْبان وفيهم ثلاثة فروع ، بَكرى وبُرَيْدى وذيْبانى غير أن المقول أنهم يردون الى عبس لا الى ثقيف .

الجَحادِلة

تمتد ديرة الجحادلة من حدود حرب عند سُرُوم حتى الليث على شواطئ البحر وفى داخل البلاد الى جبل الشَّوْك وجبل السعدية . وتمتد من الجنوب الى الداخل حتى ديرة آل مَهدى وذوى بركات ومنهم من يقيم بين مكة وعرفات وبينها وبين شدّاد

---

(١) اسم هذا البطن قريش ولكنه ليس من الاشراف القرشيين بل هو توارد فى الاسمين .

ووادى محرم . وهذه القبيلة من أكثر القبائل الحجازية الصغيرة عدداً وأعظمها منعة . ويقال انها من بقايا بنى بكر حلفاء قريش على عهد النبى ﷺ . ومن فروع الجحادلة ما يأتى :

العليانيّة
الشَيْنِيّة
الحرْشيّة
الجَمْشيّة
الثُعْبانيّة
حَسْنانية
جَرْشيّة أو قرشية

ومن الفروع الاخرى آل مُنيف والحبرية وآل فهم وأهم فروعها :

آل سَهْم
آل مَدَاثِر
بنو بور
آل يام
آل زُحَيْن

الجَعَافِرة

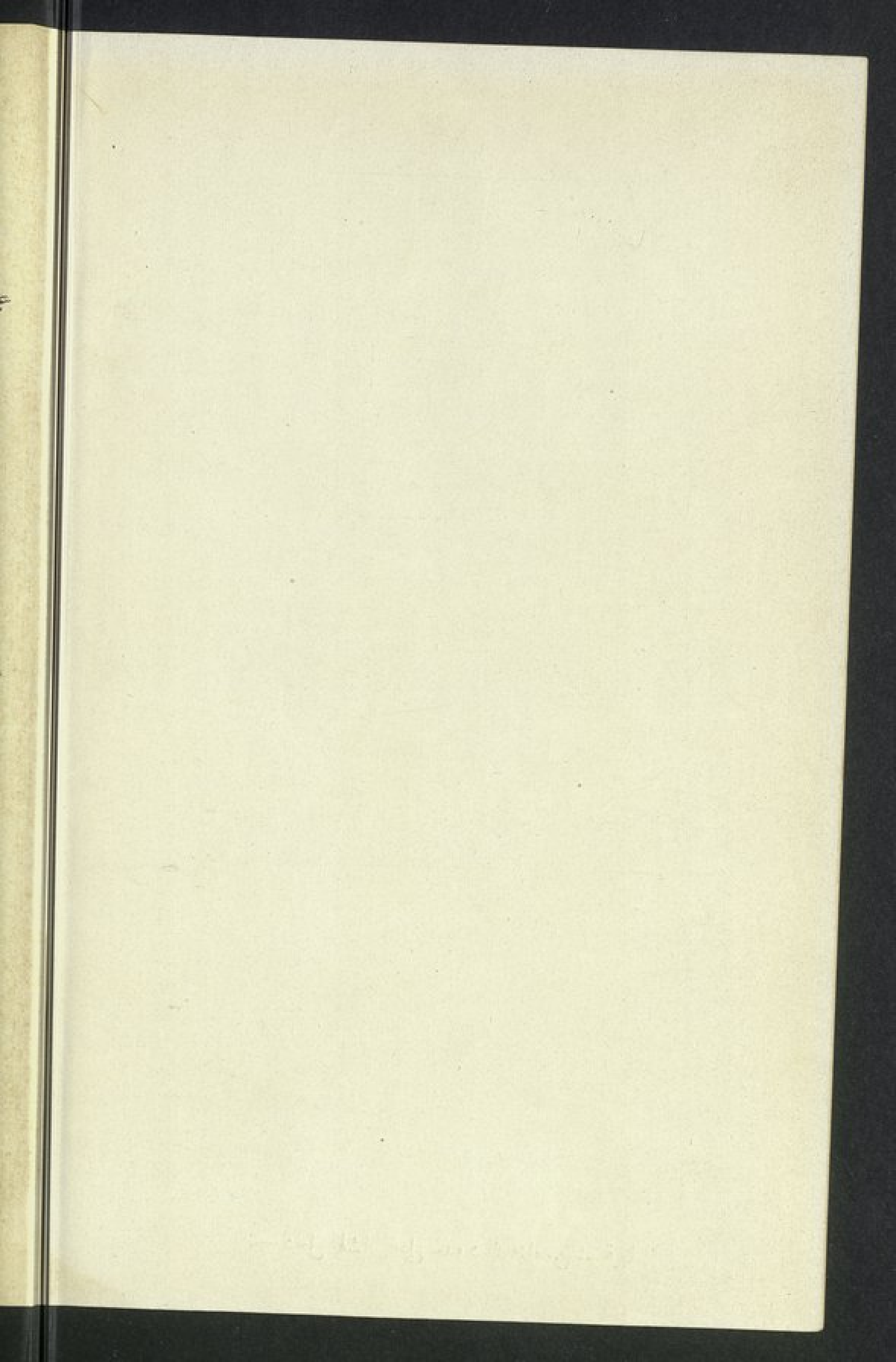
هذه احدى القبائل التى يتألف منها أشراف الحجاز المنقسمين الى ٢١ قبيلة وديرة الجعافرة شمالى جيزان .



٦ — مضيق العرجية الذى حصلت بقربه معركة بختنصر والعرب



٧ — دحل المشامى على حدود الدهناء من شرقيها



جُعْدَة

تقع ديرة بنى جُعدة بين المَسارحة و بنى مَروان الى الشمال من مدينة مِيدى على ساحل البحر حوالى وادى تَعْشَر .

بَلْحُرث

قبيلة صغيرة العدد تسكن بقرب ديرة المسارحة بين جيزان و ميدى .

جُهَيْنَة

تمتد منازل جهينة على الساحل من جنوبى ديرة بِلى حتى جنوبى ينبع . و القبيلتان بلى و جهينة من بقايا قُضاعة اليمانية كما هو المعول عليه .

و تقسم جهينة الى بطنين : الاول مالك والثانى موسى .

أولا : بطن بنى مالك فيه عدة أفخاذ و هى :

١ — فخذ القُوفَة و فيه عشائر عديدة . أهمها : القُضاة ، العُرْف ، الدَّبَّه ، الفَيْنَات ، الحُضَات ، الكُشُوش ، الحَشالِكَة ، المَرَاوات ، المَوالبَة ، المَشاعِلة ، الرَّبيات الكَتَنَة ، الرُجْبان ، الهَدْبان .

٢ — فخذ عُروة و فيه عشائر عديدة أهمها : الشَلاهبَة ، الجَمادنة ، الفُهُود ، المَسْعَد ، الوينان ، الجَامِلة ، الملادِية .

٣ — فخذ الزَوايْدَة و فيه العشائر الآتية : الُخضَرَة ، المسايِرَة ، العِقاب .

٤ — فخذ العوامرة و لم نطلع على فروعه .

٥ — فخذ رِفاعة و فيه العشائر الآتية : المشاهير ، المساوِنة ، الوَهْبان ، الرُّود .

٦ — فخذ بنى كلب وفيه من العشائر: العَرافين، الُحضَرة، الزُّهَيرات.

٧ — فخذ بنى ابراهيم وفيه من العشائر: الُحرَيبات، الصَراصِرَة، المسَافرة، الشَّطارة، الشَهابين، ذوو سعد، الفُقَهاء، ذوو سَليم، ذوو زيد، ذوو حُمُودة، الموالى، الُجرَسة، الحلائيث، الدَّسابكة، الشَناوِرَة، المنَادِقة، العَلاوِنة، الصفَّارين.

٨ — فخذ العيَّاشة وفيه من العشائر: الشقَّافا، النّفْران، العَبْسان، الفَداعين، الصَّيادِلَة، المساوِية، الصَّيايِدَة

ثانياً: بطن موسى وفيه الافخاذ والعشائر الآتية:

١ — فخذ الغُنَيم وعشائره هى: الزَرفان، النُّمسَة، المحَاسِنة، الحَمْدان، المقُبِلى، العَلافين، الفحَّامين.

٢ — فخذ ذيبان وعشائره: المَداجِنة، المُصْلَخ، الُمميمات، الغُربان، العُطَيْفات.

٣ — فخذ غَيمَة وعشائره: الِمسْكة، الحوَافِظة، المَساعِرَة، رُوس البعير، الُحميْد.

٤ — فخذ حُبَيْش وعشائره: المَساجِل والنُّبَسة والضواحكة.

٥ — فخذ السمُرة وعشائره: المرادِسة، النَّطاعِين، الطُبسة.

٦ — فخذ الفوايدة وعشائره: الشَوايِعة والعُرُود.

بلحارث

تقسم هذه القبيلة الى ثلاثة أقسام:

القسم الأل بنو الأوْس (يلفظها أهلها بنَيُوس) وفيهم الغَوْرِيَّة، والعبد الله والعُلثة، والضَبْعَة، والشُّمسَة، ومَتْعان، وبنوحيَّة، والبلاهِدَة، والعظاوِين،

والشواحِطَة ، والصُّلَيخات ، والمذَاهِبَة ، والجيَّاشَة ، والشَّدَّادِين .

والقسم الثانى : بنو شُعَيْث وفيهم الجابر والعنَاتِرة .

والقسم الثالث : آل موسى وفيه المُسَيْلات ، والجهارين ، وذوو حنيتِم ، وذوو حطَّاب ، وحُسَيكَة ، والخنشة وذوو كريم ، والمجَايشة .

وبعضهم يحسب الشَّلاوَة من بلحارث ، والبعض الآخر يحسب هذه الفروع السابقة من الشلاوة .

قبيـــلة حرب

أكثر قبيلة حرب من العرب العدنانية . قلنا « أكثر » لأن حرب ليست متحدرة من سلالة واحدة بل انها مجموعة أحلاف يدخل فيها كثيرٌ من العناصر البعيد بعضها عن بعض فى النسب .(١)

وأماكن هذه القبيلة القوية فى نجد و فى الحجاز . ففى الحجاز تمتد ديرتها من جنوبى يَنْبُع الى القُنْفُذَة على محاذاة الساحل وحول المنطقة الجبلية الممتدة من المدينة الى مكة الى قرب جبل أبانَيْن ثم تمتد شرقا الى داخل نجد بقرب وادى الرّما وحدّها الجنوبى درب الحج من بريدة الى مكة .

ان قسما كبيراً من عشائر القبيلة وأفخاذها يوجد فى الحجاز بينما أن قسما آخر يوجد فى نجد ، ولذلك لم نشأ أن نقسم القبيلة الى حرب النجدية وحرب الحجازية بل اننا جمعنا أفخاذها وعشائرها وذكرنا الديرة التى تقيم فيها سواء أفى نجد أم فى الحجاز .

---

(١) يضرب المثل باختلاط حرب فيقال : ان اختلف نسبك حرّب .

يمكن تقسيم قبيلة حرب الى ستة بطون[١] على الوجه الآتى :

البطن الاول : بنو على

البطن الثانى : الوُهُوب

البطن الثالث : الفُرَدَة

البطن الرابع : بنو سالم

البطن الخامس : بنو عَمْرو

البطن السادس : مَسْرُوح

البطن الاول من حرب : بنو على . يقيم بعض أفخاذ هذا البطن فى نجد والبعض الآخر فى الحجاز . فالذين يقيمون فى نجد هم العشائر الآتية :

---

(١) نظراً لما اشهر به حضرة صاحب السمو الامير الجليل عبد الله بن عبد الرحمن من معرفة تاريخ العرب وانساب القبائل فقد رجوت منه أن يتفضل بمراجعة هذا القسم من الكتاب فتفضل بابداء ملاحظات ومعلومات مفيدة جداً ومن جملتها عن حرب فانه ذكر عنها مايأتى :

حرب ينقسمون الى بطنين بنى مسروح وبنى سالم

ومسروح ينقسمون الى خمسة أفخاذ : بنو على ، وبنو عمرو ، وبنو السفر ، وعوف ومخلف .

فبنو على ينقسمون الى عشيرتين : الجبور ومنهم الفرم وولد مرير . والجبور ينقسمون الى بدائد : الكراشيف ، واللهامق ، والدواغرة ، والمشارطة ، والكلحة . والكتمد والفقوع .

وولد مرير ينقسمون الى بدائد : آل الدهيم والطرقا والعبدة .

وبنو عمرو ينقسمون الى خمس عشائر :

العطور ، والشعب ، والبيضان ، والفيادين ، والبدارين .

والعطور ينقسمون الى بدائد : الدوبة ، والربعة ، والطرمسان ، والحوامظة ، والمواعزة .

وبنو السفر ينقسمون الى ثلاث عشائر : الوهوب ، والفردة ، والفهدة .

وبنو سالم ينقسمون الى أفخاذ : مزينة ، وولد علا ، وولد بجيد ، وولد سليم .

ومزينة ينقسمون أيضا الى عشائر : آل مسعود ، وآل عريمان والحضنان ، والمشارية والهواملة

وولد علا ينقسمون الى عشائر : الجلا ، والقربان ، والحنانية .

وولد محمد ينقسمون الى عشيرتين : الاحامدة والزغيبات .

الكراشيف
الكلاهة
ولد مَريد
القُرون
المدَارِين
آل نَامى

والذين يقيمون فى الحجاز (بقرب المدينة) كبيرهم ابن رويثى وابن مسلطوهم

البدارين
خَفَارة
الفُردَة

البطن الثانى من حرب : الوُهوب ، وجميعهم فى نجد ومن هذا البطن العشائر الآتية :

المُضَيخ
العُويض
الُخلَصَة
الشَراذِين
المَضحان

البطن الثالث من حرب الفُردَة : ــ هذا البطن من القسم النجدى من حرب مع وجود قسم قليل منه بقرب المدينة الى الشرق منها . وأهم عشائره هى : الحمَّاد ، والهضَّان ، والفُرَيْد ، والنَّومان ، والدَّواميك ، ولخْلَيفة .

البطن الرابع من حرب بنو سالم : هـذا البطن من حرب من أكبر أقسام حرب ومنه من هم مقيمون فى نجد مثل ولد سالم والزكيات والهبَيرات ومنه من هم مقيمون فى الحجاز مثل الافخاذ والعشائر الآتية :

الاحامدة	بين المدينة وينبع
صُبْح	فى جبل صبح و بدر
الرَّحالة	من بئر عباس الى بئر ابن حصانى
الحناطيّات	وادى الخيف ووادى الصفرا
العُزَيْمات	» » » »
الجَماعِلة	» » » »
هَوازِن	بقرب وادى الصفرا
الظَّواهِر	وادى الصفرا
الرُّوَيثة	» »
المزَيْنات	فى شرق الحجاز .

البطن الخامس من حرب : بنو عمرو ، هذا البطن من حرب يقيم بعضه فى نجد وبعضه الآخر فى الحجاز ، فالقسم النجدى يشمل الافخاذ والعشائر الآتية تحت زعامة الدويبي :

الذُّوَبَا
الشَّطَارَة
البيضان
الغُربان
والشُّعوب

وأما القسم الحجازى فيشمل العشائر الآتية :

البكدية	بين الفرع ورابغ
المعْبَد	بقرب مكة
الحُمْران	بين مكة وجده
بنو جابر	بين مكة وجده
بشر	فى وادى فاطمة
عُبيدة	فى جبل ثبرا
الرَّبقة	فى جبل الفرع بقرب المدينة
مَنَاش	غرب المضيق بقرب الفرع
جَهْم	بين مكة والمدينة فى الفرع
بنو محمد	شمالى رابغ

البطن السادس من حرب : مسروح : — بعضهم ينسب بنى على الى مسروح ولكن هذا مختلف فيه وسيطرة مسروح فى الحجاز مشهورة . فانهم يملكون ثغر رابغ وقسما كبيراً من الأرض التى يمر منها درب الحج . وفى هذا البطن ثلاثة أفخاذ رئيسية هى :

الاول زُبَيْد [١] وعشائرها هى الصُحُف والعُصُوم والمغَارِبة والصيَّادة والوُفْيان والجعائِهَة والمنود والجَراجِرة والعَزارة والوَلَدِيّة والجُهَدَة والعِسْلان .

الثانى فخذ عوف وعشائره : سُوَيد والسَّهْلِيَّة واللّهابة والصَّفْران والكَنَادِرة .

الثالث فخذ ولد سالم والسَّعَدَيْن ومنهم القواد ومنازلهم على درب الحج شمال المدينة .

---

(١) من زبيد عشائر فى العراق شرق الحلة .

قبيلة الحويطـــات[١]

تقع منازل الحويطـات بين تيماء جنوبا والكرك شمالا ووادى السرحان والنفود الكبير شرقاً وساحل خليج العقبة وشبه جزيرة سينا غربا.

يقسم الحويطات الى ثلاثة بطون :

١ — حويطات التِهَمة (وأماكنها من ساحل البحر الى جبال الحجاز).

٢ — الحويطات العلوين(أو العلاوين أماكنها من منطقة الحِسْمَة الى الشراة).

٣ — حويطات ابن جازى (فى جبال الشراة وشرقيها) .

أما عشائر حويطات ابن جازى فهى :

المطَالِقة
الدَرَاوشة
العَامِرة
المرَايع
الدَمَّانية
العطُون
التَوايهة[٢]

وأما عشائر حويطات العلاوين فهى :

الصوَيلحين	الخُضَيرات	القدُمان
المَقابِلة	السَلَامين	العوَّاحة
المَحاميد	العَزاجين	السَلَامات

---

(١) يدعى الحويطات انهم من الاشراف ولكن هذا غير ثابت ويدعى آخرون انهم من بقايا الانباط والاقوام القديمة التي وجدت فى بلاد ثمود ومدين .

(٢) لم يعد لابن جازي سلطة الشيخ العام على كافة الحويطات وقد نازعه عوده ابو تايه المشيخة وأصبح عربه مضاهين لابن جازي فى السؤدد .

البُدُول السُروريين الفيالين
الصُقور المَناجِعَة

وتتألف حويطات التهمة التى تمتد منازلها على شاطىء البحر حتى مدينة الوجه جنوبا من العشائر الآتية :

ألعُمْرَان	العُبيّات
العُمَيرات	المَواسَة
المَساعيد	المَشاهير
الذّبابين	الفُرعان
الزّماهِرَه	الجَواهِرة
الطُقَيقَات[1]	القُبَيضات
السُلَيمانيين	الفَحّامين
الجَرافين	

أهل حلي[2]

تتألف هذه القبيلة من أربعة أفخاذ تقيم جميعها فى قرية حلى على البحر الاحمر وفى أطرافها ويمكن القول أنها تمتد من مسافة خمسة أميال شمالى حلى الى ١٥ ميلا جنوبيها وتمتد الى داخل البلاد الى مسافة بضعة عشر ميلا .

والافخاذ الاربعة هى :

عَبيد الامير[3] (ومنها عشيرة رحالة تسمى السّلاليع)
الغَوانِمَة

---

(١) المشيخة فى هذه العشيرة
(٢) لا توجد قبيلة بهذا الاسم وانما اصطلحنا على هذه التسمية لان الاربعة القبائل التى ذكرناها تعتبر جزءاً واحدا .
(٣) أصل هؤلاء سودان كانوا أرقاء ثم حرروا .

أولاد العلاونة (وهذا الفخذ أكبر الاربعة عدداً)
وكِنَانَة [١] (ولها عشائر أهمها الشوار وبنو يحيى)

ذوو حسن

تمتد ديارهم من شمالى الليث الى السكة الشامية جنوبى الليث واذا قيست بالاميال كانت مسافتها ٤٥ ميلا وتمتد فى الداخل حتى أول المضاب الساحلية. وهؤلاء يدعون أنهم من الاشراف غير أن أفعالهم لاتدل على ذلك، ومن أفخاذ ذوي حسن الفروع الآتية:

الصمدان	الحواتِمة	ذوو بركات	آل على
ذوو عِياف	آل عسّاف	الخُمْجان	سُبَيع
آل مهدى	الصّوامِلة	آل حسن بن حمدان	المجايِشَة
الصُعُوب	النُعَرة	القراسِمة	

خالِد [٢]

هذه القبيلة من أقدم القبائل العربية المعروفة، ومنازلها على ساحل الخليج

---

(١) من بقايا كنانة الشهيرة من مصر وهى وقريش من أصل واحد والظاهر ان قسما من هذه القبيلة هاجر الى السودان حيث بقيت آثاره الى اليوم فى كرد وفان وقسم موجودة آثاره فى مراكش.

(٢) علق الامير عبد الله بن عبد الرحمن على بني خالد بما يأتي:
بنو خالد يقسمون الى بطون وكل منهم ينتسب الى قبيلة.
اما آل حميد وفيه الرئاسة منهم آل عريعر، وثبلة.
والقرشة ينتسبون الى عبيدة من جنب.
و المهاشير ينتسبون الى بني هاجر.
والعمور ينتسبون الى الدواسر.
وأما الجبور فهم آل مقدام وبنو نهد وبشوتات والعماير، والصبيح، فالمعروف عنهم مثل ماقال ابن مشرف:

فلا تنس جمع الخالدي فانهم　　قبائل شتى من عقيل بن عامر

الفارسى مابين وادى المقطع فى الشمال ومقاطعة البياض فى الجنوب وتتوغل حتى منطقة الصُمَّان فى الغرب .

إن قسما لايستهان به من هذه القبيلة قد تحضر منذ زمن طويل واستقر فى نحاء عديدة من القصيم ، وسنذكر هنا القسم الذى ظل على بداوته ونذكر فيما يليه القسم المتحضر أيضاً .

أفخاذ هذه القبيلة هى : العَماير والصُبَيْح وبنوفَهد والمِقْدام والمَحاشِر والجُبُور والحُمَيْد ومنهم آل عُرَيعر .

وللعمائرفروع منها الدواوِدة وآل حسن . ومنها أيضاً فروع متحضرة سنذكرها ولآل صُبيح فروع أهمها : الحَيا والمَخازِم والزَّبن . وأما الافخاذ المتحضرة فهى

الدواودة من العمائر فى البحرين والقطيف

آل حسن فى جزيرتى المسلمية وجنة

الخالد فى المسلمية

آل رازِن فى المسلمية

آل شاهين فى جزيرة جنة

وأبو يمين من آل صبيح فى الجبيل وقطر

الظهيرات فى الحسا

هَدهُود فى الحسا

الُحميدَات فى القطر والبحرين

آل كِتَب فى الحسا

العَرافة فى القويعية

الدُوشان فى الزُلْفى

الحمْران فى الزلفى

الجبُور فى الجِشَّة بقرب الحسا

المحاشير فى المُسلميّة والكويت و العقير
المِقْدام فى الحسا
القُمّاز فى الملحم

خَثْعَم (١)

تقع ديرة خَثْعَم على طريق الطايف ـ أبها بين منازل شمران فى الشمال والغرب وبالقرن فى الجنوب والشرق . ومن أقسامها آل مُرّة والسّرْدان والمَزارِقة والسّلْمان .

خُزَاعة

من بقايا خزاعة الاقدمين منهم فى وادى فاطمة ، وفى الخبت عند القنفذة ، وفى الرّاك الواقعة الى الشرق الجنوبى من بَحْرَة وفى الضيّم .

خَمِيسين

تقع ديرة هذه القبيلة فى الآكام القريبة من حَرَض وهم الى الشرق من بنى مروان .

بنو خَضِير

اسم يطلق فى نجد على عدد كبير من القبائل التابعة للعرب من الموالى الذين لايستطيعون رد أصولهم الى أنساب معروفة بين القبائل العربية وهم منتشرون

(١) يردون أصلهم الى هاجر

فى سائر مقاطعات البلاد النجدية من وادى الدواسر الى جبل شمر . وقلما توجد مقاطعة لايكون فيها من بنى خَضِير أناس . وقد تمكنا من حصر أسماء بعض فروع هذه القبيلة كما يلى :

هَدهُود	مَرشُود	مُزَيعِل	نَقَاقَة	آل المَعْشُوق
حَمَادات	رَبيعة	جُمَيْعَة	آل زَيْد	
مُحَارب	جَدَعَة	عَتِيق	آل نَفِيسَة	

ومع أن أصل هذه القبيلة غير متصل باحدى القبائل المعروفة فى نجد فان كثيرين من بنى خضير قد أصبحوا أصحاب مقامات عاليـة وجاه عظيم . ومنهم أفراد اشتهروا فى التجارة والغنى أمثال القَصَابة والزُّهَير والفَضْل والنَّاصِر والحَمْدَان .

آل الدُّرَيْب

قبيلة صغيرة الى الغرب الشمالى من مِحَايِل . ويقيم الى شمالها آل مُوسى وجنوبيها بنو هِلال والى غربيها ربيعة التهم .

دُعَكَيْه

المعلومات عن دُعَكَيْه قليلة جداً ويقال انها متوحشة الى الدرجة القصوى ولا تعلم من معدات الحضارة الا القليل ويقال انها من هَمدان و بعضهم يردها الى آل مُرّة .

الدَّوَاسِر

أكثر الدَّواسِر متحضر ، والأفْلاج مملوء منهم والظاهر ان الدواسر أحلاف

يفتسبون الى جذمى العرب قحطان وعدنان . وبناء على ذلك فهم يقسمون الى قسمين الأول دَوْسَر وينسب الى تَغْلب والثانى زائد وينسب الى قحطان .

البطن الأول : آل دوْسر بن تَغلب وينقسمون الى خمسة أفخاذ وهى : المصَادِير ، والُحقْبان ، والُخييْلات ، والعُمُور ، والمشَادِية .

البطن الثانى ، آل زائد من قحطان وينقسمون الى فخذين :

الفخذ الأول : صُهَيْب

الفخذ الثانى : سالِم

أما الفخذ الاول ففيه عدة عشائر وهى :

عشيرة آل حسن وفيها عدة عائلات : الفُرجان والشُّكَرَة . وآل عمَّار وآل محمد والوَبارين ، والعجَالين وآل صُبْحى وآل حَمْدان ، وآل بوارِس ، والهوامِلَة ، والصَّخابِرَة ، والهواشِلَة ، والُخفْران ، والدَبايِن ، والشينيَة ، وآل بوعلى وآل ثاقِب ، والمِزْمان وآل قبْنان وآل نَشير ، آل مُبارك ، وآل واسط وآل مانِع .

وعشيرة المساعِرَة فيها عدة عائلات أهمها : آل أبو سبْاع ، وآل أبو الحسن والحِزْمان ، وآل أبو عَقيل والرُّمَضَة والقُودَة ، والجفارين ، والدُّمُوخ ، والَحباشة ، والَحناتيش .

أما الفخذ الثانى ففيه عدة عشائر أهمها :

عشيرة المخارِم ، عشيرة الرَّجْبان وعشيرة الوَداعين .

ربيعة (١)

١ — رَبِيعَة المقَاطِرَه

---

(١) جمعنا تحت اسم ربيعة كافة القبائل التى تسمى بهذا الاسم رغماعن اختلاف أصولها واهم اقسام ربيعة اثنان ربيعة النهائم وربيعة ورفيدة . وهاتان من حيث الاصل متحدتان الا أن الاخيرة فرع من قبيلة عسير التى تنقسم بدورها الى أربعة أقسام ذكرناها مجملة تحت عسير ومفردة فى مواضعها .

ديارهم على طريق القُنْفُذَة وَبارِق الى مسافة ٢٠ ميلا بين قريتي غار الهندي وجُمْعة ربيعة يوجد في شمالهم بنو راشد وفي شرقيهم الحُمَيْدَه وفي الجنوب ربيعة التهائم وفي الغرب بلَعْيِر ويقيم بينهم قسم من آل الدُريب المسمى بآل خُلَيْف

٢ — ربيعة التهائم

مساكن هذه القبيلة على طريق السكة الخلوية بين القنفذه و محايل بين قريتي معمل الخليف ومرخ . يوجد في غربيهم و شماليهم بلعير و ربيعة المقاطره و الُحمَيده وفي الشرق آل جبلي والدُريب وفي الجنوب بنو هِلال و أهل حَلِي .

٣ — رَبِيْعَة و رفِيْدَه

تمتد بلاد هذه القبيلة من مسافة بضعة أميال الى الشمال الغربي من أبها الى مسافة ١٥ ميلا عن مَحايل ويمكن القول أن منازلها تمتد مسافة ٣٥ ميلا من الشمال الى الجنوب و ١٠ اميال من الشرق الى الغرب : ويقيم الى شمال هذه القبيلة الرَيْش و الى الشرق بِلأحمر و بنو مالك و الى الجنوب علكم الهوْل و الى الغرب رجال المَعْ و بنو ثوَاب .

و تقسم القبيلة الى أربعة أقسام رئيسية : ربيعة الشام ورفيدة اليمن ورفيدة الشام و العُصْمَة .

٤ — ربيعة اليمن

تقيم هذه القبيلة في وادي خُلَب ووادي لِيَّة و تصل في بعض الاحيان حتى الشقيق وديار بني مُغَيْد . ويحيط بها من الشمال و الشمال الشرقي بنو مغيد و من الجنوب الشرقي شهران و من الجنوب قبائل مخلاف اليمن و من الغرب رجال ألمع

رِجالُ المَع

تمتد ديار هذه القبيلة المهمة مابين أبها و صبيا في مسافة تقرب من خمسين ميلا

ويحيط بها بَحْر بن سُكَيْنَة و بنو ثَواب من الشمال و ربيعة و رفيدة و عَلْكَم الهَوْل و بنو مُغَيد و ربيعة اليمن من الشرق والمُنْجِحَة و بنو هِلال من الغرب ومركزها بلدة الشعبين ، ويلى هذا المركز أهمية بلدة (رجال) و تقسم القبيلة الى سبعة أقسام

بنو قُطبَة فى الشَّعْبَيْن

بنو ظَالم فى رِجَال

بنو شُحْب و بنو شَدِيْدَة

بنو قَيْس وفيهم رياسة رجال المع

بنو زَيْد

بنو جُونَة

بنو صُلْب

الرُّشَايِدَة

قبيلة الرشايدة طبقة بين الصلبة والظَّفِير وديرتها فى الدَّبْدبة وديرة مُطير والعوازم ومنهم الخرَيثون المشهورون فى معرفة سباسب الدبدبة ومفاوزها ومياهها و شجرها ومن مشاهيرها ابن هدبة . وأما أقسامها فهى :

ذوو صَيَّاد

العُونَة

الخَلَوِيَّة

المُهَيْمزات

العَجَارِمَة

الرَّيْش

تقيم هذه القبيلة الى الشمال والشمال الشرقى من مَحَايِل . ويحيط بها آل موسى ابن على وبنو شهر من الشمال وبِلأَسْمَر من الشرق وبنو ثوّاب وآل موسى من الجنوب والدُرَيب من الغرب ، وتقسم الى قسمين : الرَّيْش ، والمِشْوال .

زُبَيد

هذه القبيلة احدى فروع حرب المنفصلة عنها وديارها الى شمال القُنْفذة وأهم أقسامها :

ال ضِبِر – بنو زَبْدة – آل سَعِيْدَة – ال إملحى – بنو عُتْمَة – الصَّلاعبَة – الدُفْرة – المُشْعَفُ – ال جَميل – جَدارِمة – عَجِيْلين .

زهْرَان

هذه القبيلة من أكبر قبائل عَسير ، وتقع ديارها بين بنى مالك من الشمال وغامِد من الشرق وزُبَيْد من الجنوب والجنوب الغربى وذَوِى بركات وذوى حسن من الغرب ، وتمتد فى الغرب الى ما يقرب من ساحل البحر بمقدار ١٥ ميلا .

وهذه بطون زهران :

البطن الاول : دَوْس ، وفيه فخذان :

بنو مَنْهَب وهم جماعة ابن خَضْران .

وبنو فَهْم وهم جماعة الصغِير .

البطن الثانى : بنو عمرو وفيه ثلاثة أفخاذ :

بنو حَرير وبنو عَدْوان جماعة السّبيحى

قُرَيش جماعة السِّن .

بنو بشْر و بنو جنْدِب وهم جماعة ا بن زفاف .

البطن الثالث بنو يُوسَى وفيه خمسة أفخاذ وهي :

بنو حَسن وهم جماعة أحمد بن عصيدات

بالخزْمَر

بَنو كِنانة

بنو عامر

أهل بَيْضان

البطن الرابع : بَطْيَل .

البطن الخامس : بنو سُليْم ، وفيه أربعة أفخاذ :

بلمَفْضِل

أولاد سعْدِي

الشغْبان

الجبْرْ

البطن السادس : الاحلاف وفيه أربعة أفخاذ :

بِلعُور

بنو نقْمة

بنو خُرَيْض

بِلأسْوَد

بنو زَيْد

مقر هذه القبيلة حول القُنفذة وأهم أقسامها :

رَبيعة ـ والمَراحبة ـ آل عِقَال

سُبَيْع

أماكن هذه القبيلة فى وادى سُبَيْع بين أطراف عَسير الشرقيـة الشمالية ونجد بقرب الوَشْم وتمتد الى وادى تُرَبة ورَنْيَـة .

وسُبَيْع هى التى تحسب بادية نجد المقصود بها أهل العارض .

ويقال ان عدد سُبَيْع محدود ويوجد منهم من تحضر كما سنبينه فيما يلى :

وأفخاذ سبيع هى :

بنو عُمر فى العارض منهم الخُضْران والصَّعبَة .(١)

بنو عامر فى العارض ايضاً منهم الفُدوَقة وعُجْمان الرَّحِم والعيَادِين والصِّيَاقا والقَوالِدة والقُدَعَة وبنو حميد .

القُرَيْشات فى الخُرْمَة

السُّودَة فى رَنْيَة

آل عُمَيْر فى الأمْلَح ومنهم بنو ثور .

بنو سَعْد

قبيلة عربية شريفة الأرومة منها حليمة بنت أبى ذؤيب ظئر الرسول ﷺ وديارها من الطائف الى جهة الجنوب الشرقى . وتحسب هذه القبيلة أصل قسم كبير من عتيبة . وتقسم فى الوقت الحاضر الى بطنين ، البطنين والثُّبَتَة .

وللثبتة فروع عديدة أهمها الصَّرَيْرات واللَّصَّة . وأما البَطْنين ففيه فروع كثيرة أيضاً أهمها :

---

(١) فى الصعبة أربع عشائر الجمالين وآل على والدموارية وآل عزة . وفى الخضران أربع عشائر أيضا وهى العملة ، الجبور ، النبطة والعريثات .

الطَفحَة
أَلخدَيْج
بنوزايد
السلاقة
رَبِيْع
العيْلَة

وقد كتب الىَّ قُلَيِّل بن عايض كبير بنى سعد أسماء كثير من العائلات التى تتبع كلا البطنين الثَّبَتَة والبطنين فذكر أن البطنين فيها خَديد والسبابيل ، والرُّوقة ، واللهوب ،والنفعَة ، والسَّلاقة ، وربيع ، والعيْلة ، وبنو زائد ، والطَفْحَة ، والُجمْدَة والوَذانين ، والسوْطَة ، والعمارَة ، والزّوران والُحلَيْقات .

وذكر فى الثَبْتَة العائلات الآتية :

لِصَّة ، وصرَيْرات واللَّصة هم قساورَة . القساورة هم ذوو عطيَّة ، والمَظافِرة والدَّهامين ، والبرَّاق والمَخلد ، والمناصير ، وآل طَلْحَة ، والمرَاوحة ، والغُدْران والسمرة ، والشعَايْرِيَّة والثَّعابين ، والمَناجيم ، والعَلاوين ، والشَّالمة والشْنَيَّات ، والُحوطة ، والغَنانيم ، والمرَاشدَة ، والرُّوسان ، والمَقافشة ، والرُّوقة ، والفقَها · والصريرات فيهم الشهْبَة ، والعضْمَة والدَّعاجين ، والعيسَى ، والذَّبَّانية ، والُحمية وهؤلاء يقال لهم الثَّبتة .

سُفْيَان

فرع من ثقيف يقيم فى أطراف الطائف الى الجهة الجنوبيـة الشرقية منـه . وديرتهم ديرة بنى سفيان المسماة بالشَّفا وهى عبارة عن عدة وديان تبدأ من آخر حدود قريش الحضر عنـد شقْراء . والقبيلة متحضرة لها زراعة وفلاحة وأهلها كثيرو الأغنام ولهم أقسام عديدة ذكرناها فى ثقيف .

السُّهُول

السهول بادية العارض وهم مقيمون فى أطراف الرياض وسائر أنحاء العارض ومنهم أتباع عائلة آل سعود وجندهم . وأقسامهم هى :
الظهْران ، آل مُحَيْميد ، البَرَازات ، والسَّرِيَّة ، والْمحلَف ، وآل مَرْصُوع .

الشَّرَارَات

يقسم الشرارات الى ثلاثة أقسام :
الْحِلسَة الفُلَيْحان والعَزَّام
ولكل قسم من الثلاثة الاقسام المذكورة فروع هى كما يلى :
فروع الحِلْسة :
الصُّبَيْخَات
الرشايْدَة
آل جُوَيْنَان
آل عمرو
آل دَفَّاف
الدباوِين
الضَّبَاعِين (هؤلاء من غير الشرارات ولكنهم يقيمون معهم)
وفروع الفليحان وهى :
آل سُلَيْم
الجوَابر
آل دَهْبَان
ورئيس العزام هو ابن خرَيْفان .

بنو شبيل

قبيلة صغيرة بقرب جيزان وتابعة لها لايزيد عدد أفرادها عن الف نفس .

الاشراف

فى الحجاز ديار قريش وقريش ينتسب اليها عدد كبير من القبائل ومن سكان المدن والامصار . أما فى الحجاز فيمكن قسمة الاشراف الى قسمين بقايا قريش وسلالة السبطين الحسن والحسين .

فالقسم الاول منه الفروع الآتية :

الشّيْبيون وهم سدنة البيت

وقريش في منى وأطرافها وفى أطراف الطائف وهم غير قريش الثقفية .

وأما القسم الثانى فيقال ان منها فى الحجاز ٢١ عشيرة وقد حاولنا ذكر بعضها هنا :

١ - الشنابرة
٢ — ذوو سرور
٣ — ذوو زيد
٤ — العبادلة فى عسير والحجاز
٥ — ذوو بركات
٦ — ذوو حسن
٧ — ذوو حراز
٨ — ذوو عبد الكريم
٩ — الحرث
١٠ — المناعة
١١ — ذوو جيزان
١٢ — ذوو جودالله
١٣ — المناديل
١٤ — ذوو ابراهيم
١٥ — ذوو عمرو
١٦ — الجعافرة
١٧ — ذوو حسين
١٨ — الفعور

شمران

مساكن هذه القبيلة على طريق الطائف وابها منحدرة الى الغرب حتى تهامة ويحيط بها من الغرب والشمال غامد ومن الشرق شهران ومن الجنوب خثعم وبالقرن

وتقسم الى شمران الشام وشمران تهامة ومنهم العبوس والى بادية أهم أقسامها سحاب وآل مبارك .

بنو شهر

منازل هذه القبيلة ممتدة من تهامة بقرب القنفـذة الى أعالى جبال الحجاز ثم تنحدر منها الى الشرق حتى وادى شهران .

ويحيط ببنى شهر كل من بلعريان وبلقرن وبنو عمرو من الشمال وشهران من الشرق وبلأسمر والريش وآل موسى والحميدة وربيعة المقاطرة من الجنوب ومن الغرب بنو زيد .

وتقسم القبيلة الى بنى شهر الشـام ومنها كعب وبنو كريم وآل أبو قبيس . وآل بنى شهر اليمن ومنها أبو بكر ومشهور وآل حقب وبنى شهر التهمـة ومنها اللحصة والخط والدوشـة . ومنهم من يقسم بنى شهر الى ثلاثة أقسام . بنو عمرو وهم يتبعون بيشه ، وسلامان ومركزهم النماص وكبيرهم العسبلى ، وبنو أثلة ويتبعون الشبيلى .

بنو شعبة

تقيم هذه القبيلة حول أتود الى مرتقى وادى ضلع ومعظم القبيلة بالرغم عن

ادعائها أنها من قحطان من أصل سوداني . ومن القبائل الرحل فيها :

آل خَضْرة

وآل حَنّان

شهران

هذه القبيلة أكثر القبائل العسيرية عدداً وأوسعها دياراً بحيث أن ديارها تمتد من قرب بيْشة متبعة وادي شهران حتى قرب صَبْيا ، وهذه المسافة تبلغ مايقرب من مئتي ميل .

ويحيط بهم من الشمال الشّلاوة وسُبيع ومن الشرق عَبْدة ورفيدة اليمن والنُّجوع من الجنوب ومن الغرب بنو شُعبة ومُغيد وبنو مالك وبلأحمر وبلأسمر وبنو شهر وبلقرْن وشَمْران .

وتقسم القبيلة الى تسعة أقسام رئيسية :

آل مُشَيْط

آل رُشَيْد

آل غمّار

آل نحّاس

آل قَعُود

بنو بجاد

بنو وهّاب

بنو شِهِف

بنو رُشْحة

آل يَنفعة

الشَلاَوَة (١)

تمتد ديرتهم من شرق الطائف من جبال الحجاز الى حدود ديرة البُقُوم ومن الجنوب الى حدود زهران وغامد ومن الشمال الى ديار ثقِيف . وأقسام الشلاوة كما يأتى :

المتَاعبَة

المسْيلات

الموسى

الحسْيكة

الجثايث

بَذيُوس (٢)

الطَّهفة

العَضاوين

شْعيْث

الشّدادين

شمّر

يطلق اسم شمر على مجموعة القبائل الآتية :

(١) سِنْجارة (٢) تُومان (٣) أسلَم (٤) عَبدَة

أولا — بطن سنجارة فيه الافخاذ الآتية :

فخذ آل زْمَيْل

فخذ الْحفَيْل

فخذ آل سْوَيْد

---

(١) انظر بلحارث (١) حسبنا هذه من بلحارث .

فخذ آل فَداغَة

في فخذ آل زميل عشيرتان آل سُهَيْل وآل نَبْهان ومن عشيرة آل سهيل العائلات الآتية :

آل سَلْمان

آل شيحا

آل ابن سعد

الضُرْقان

النّمْسان

المَعَافِل

الرّبْظان

الشّلْقان

وأما عشيرة آل نبهان فمنها :

الشُمْرُوخ

الخُمْسان

الوَضْنان

آل كُوَيْس

آل ضو

وأما فخذ الحفَيل ففيه العشائر الآتية ومنازلها اجا وبيضانثيل وسلمى :

آل جارد

آل حازم

آل سُلَيْق

آل كِلاب

العُمُور

آل زَبِيْرُ

علي بو علي

آل زْحام

آل قَنيُ

آل جَرْدان

وأما عشائر آل سوَيْد فهي :

الفَضْلِي

الكَرَيْشَة

الحَرَابْدَة

وأما فروع الفداغة فهي :

الرُعْجَان

الزَّمالات

وكل سنجارة تنزل بين الغوطة[1] والحُزول .

ومن أقسام سنجارة العامود والجربا .

وأما العامود منهم : آل حرْيز والجسْنَة والبْرَيْج .

وهم من الجربا غير أنهم انضوا الى سنجارة وليسوا منها .

ثانياً — بطن التومان فيه الافخاذ الآتية : —

الطَّمَيْاط

الرُبُعَ

الهَدَيَا

آل زمَيل

---

(١) غير غوطة دمشق .

ومكانهم بقرب الشبيكة .

ثالثاً — بطن عَبْدَة وفيه الافخاذ الآتية :

فخذ آل جَحْيَا وفيه العشائر الآتية :

آل مُفْضِل

السِّنَّان

الضِّمْيَل

الجُنَيْدَة

الدِّغيرات

وفى عشيرة آل مُفْضِل عائلات عديدة أهمها :

آل مسعود

آل مُوَينع

الطِّلاع

الطِّرْمان

آل فُرَيهِد

آل بُرَيْش

الصَّلَيْت

الرِّباع

الحامِل

وتتألف عشيرة الدُّغَيْرات من :

الشُّرَيْحات

وآل عُلَيَّان

الغِيَاثْ

الجعَافِرة[١]
الزَّكَارِيت
الوِيبار
آل جدى
آل حَسَن
ومن الجعافرة :
آل خليل
آل حَيْمَر
آل عطُون
الرَّزَانة

وعبدة تملك آبار لينة والخضرا وزَرُود والثعلبيّة والأجْفر وتمتد منازلها من أجا الى ما وراء لينة .

رابعاً — بطن أسلم وهو مؤلف من الافخاذ الآتية :

آل طوَالَة
آل فرْدُه
آل شُحَيْم
الحِرّار
السَّكوت
آل جحَيْشر
الوَهْب
الهيُض

(١) منها آل الرشيد حكام حائل وآل ابن على حكام حائل قبل الرشيد

الكَشْفَة
السَّلَيْط
الوَجْعَان
وينقسم فخذ آل طوالة الى العشائر الآتية :
المعَاقِيد
النَفْقَانْ
المنَاصِير
آل شَلْهُوب
ومنازل اسلم تمتد من جبل سَلمى الى القصيم وتنتهى فى البْشوك وجرَاب .

الصلِبَة

أولاد صلَيبي أو أولاد غانِم هو الاسم الذى يطلق على مجموع القبائل التى لاتعرف أنسابها . والصلبة يقسمون الى بدايد مختلفة ويقال لها (آل) وهم يقطنون فى أماكن مختلفة من بلاد العرب وليست مجتمعة فى مكان واحد مثل سائر القبائل ذات العصبية أو ذات الحلف .

وهذه هى الاقسام المشهورة من الصلبة :–

اسم القبيلة	شيخها	مكانها	عددها
✓ آل مَاجد	ولد شنوف	جنوب الكويت	١٧٠ بيتاً
آل رُوَيغ	ولد سُلَيبيخ	غرب الكويت	٦٠ «
✓ العَذَاذِلة		جنوب شرق السماوة	٢٠٠ «
العَنَاتِر		غرب المشهد	٨٠ «
آل جَمِيل	غُنَيم بن سُرَيح	القصيم	١٥٠ «

آل بِناق	ولد طُلَيْحان	حائل	٥٠ بيتاً
آل سِيالان		جنوب الجهرا والشنافية	٦٠ «
آل كَبْوان		« « «	
العَراقان	ابن فُرَيْج	الرضيمى الخيازية	٣٠ «
آل طَرْفَه		الحزول والجوف والحماد	١٠٠ «
السَعَادَات	ابن جرَاد	قرب تيماء	٩٠ «
آل مُسَيْلِم	قُطَيْن	بغداد والقيعة	٩٠ «
آل حازم آل عيسى وآل موسى		الوديان	٨٠ «
الظْبيّات		الجزيرة	٢٠٠ «
الشُيْخَات		الناظر	١٠٠ «

وأكبر الصلبة والزعيم الذى له الطاعة العامة هو ابن مالك .

ونظراً لضعف الصلبة وعدم وجود عصبية لها فانها تلتجىء الى القبائل المعروفة وتطلب حمايتها مقابل الخاوة التى تؤديها من أجل ذلك الغرض .

وتعين القبائل الحامية بعض أفرادها لحماية الصلبة وتحصيل حقوقهم من المعتدين عليهم ويسمى حامى الصلبة (أخو) .

والاخوان للصلبة هم :

ابن كُوَيْكِب

أبو جِنِفَة

ابن حسن من الدُغمان

ابن بَدْرِي من الأشَاجِعَة

ابن مِلحق من السوَالِحَة

الحربوطلى من العَبَادِلة

ابن شَنّ من وِلْد عَلى

ابن مُحَيْنى من الدَّهامِشَة

ابن جَلَال من الصقور

ابن مَجِين من الفدْعان

ابن دُلَيْق من الظفير

أبو تايه من الْحُوَيْطَات

ابن خَيَال من العزَّام

ابن سَيِّد من وِلد سُلَيْمان

ابن محمد من بنى عَطيَّة

ابن زَبَن من بنى صخر

ويدّعى الصلبة أن أصلهم من الحسا .

قبيلة طُوَيْرِق

فخذ من أفخاذ قبيلة ثقيف ذكرناه فيها .

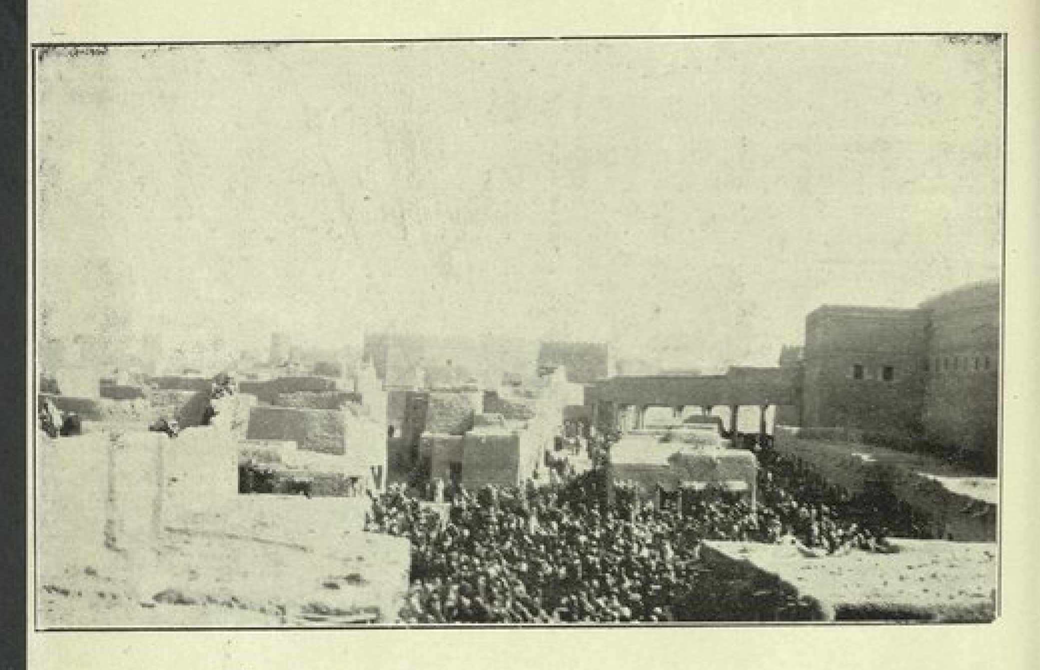
الظَّفِير [1]

بطن من بطون العرب ولم تنسب الى قبيلة ، ومنازلها فى طوّال الظفير وفى المنطقة المحايدة بين نجد والعراق وفى أطرافها .

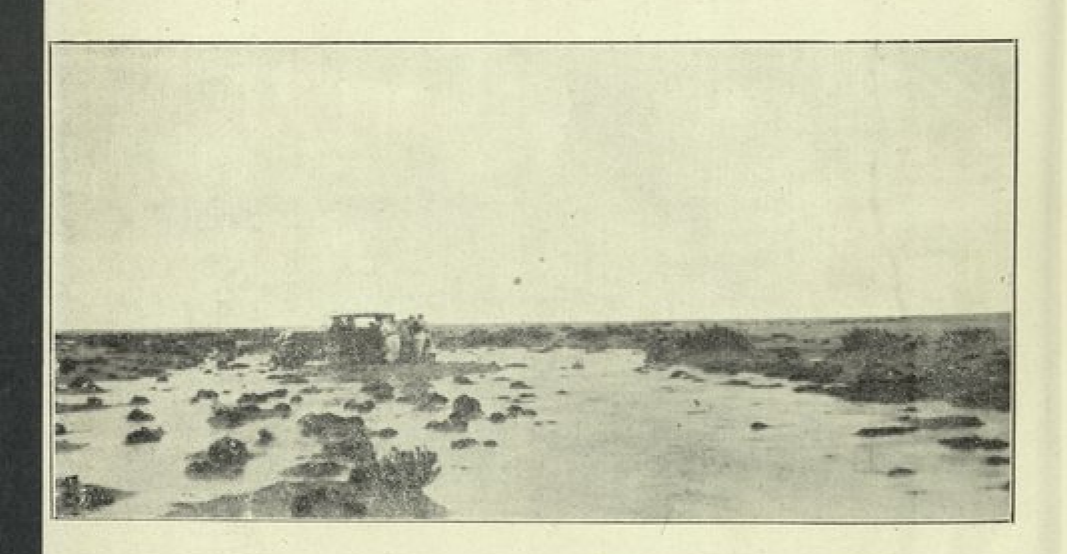
وتقسم الظفير الى فخذين أولا البطُون وثانياً الصمُدَة .

---

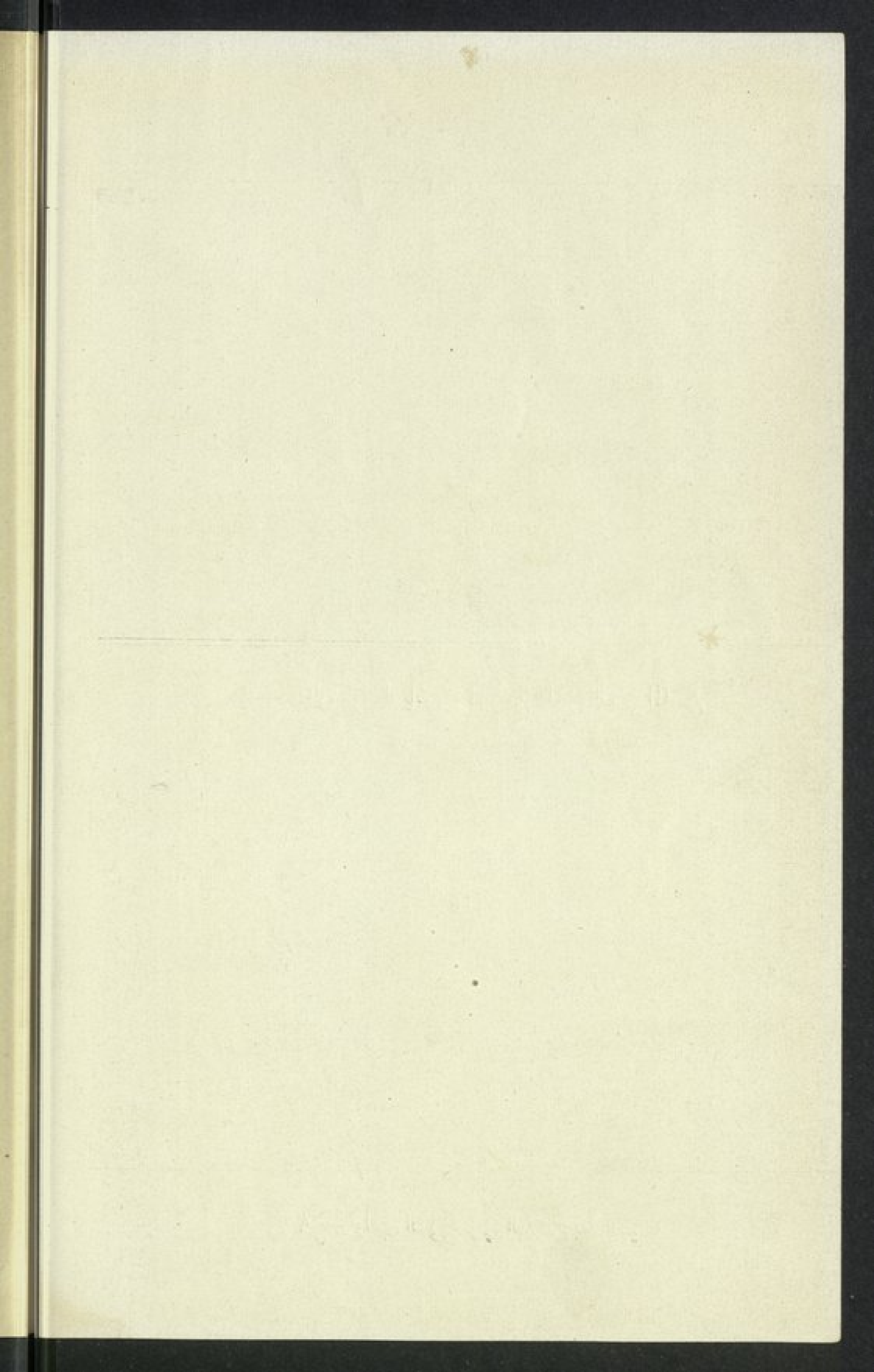
(١) انظر معاهدة المحمرة بين نجد والعراق وبقيم معهم من القبائل الجياربن والعوازم والرشايدة والسليلات والسكواد .



٨ — منظر سوق الرياض وقسم من داخل القصر الملكى



٩ — وادى السلي شرقى العارض بعد السيل



فالفخذ الأول فيه العشائر الآتية :

آل بُوَيْت
بنو حَسَن } يدَّعون انهم من أشراف الحجاز

آل سعيد
بنو خالد } يدعون أنهم من قحطان
آل كثير

الطُّلُوح يدَّعون انهم من عنزة

سُوَيْط

سُلطان

مُذْعِر

حَولا

بَطَّاح

مَعَاليب

أُفْتَان

ضُويحِي

رَسْمِي يدعون انهم من شمّر

عَدْوان يدعون انهم من رَبِيعة

وأما الفخذ الثانى ففيه العشائر الآتية وتحسب أبناء عم لشمر :

آل عُرَيْف يدعون انهم من قحطان

الجَوَاسم يدعون انهم من سَنْبَع

النُفَيْشان

آل المعلم يدعون انهم من تميم

المسامير ويدعون انهم من عنزة

الظرعان من أصل العبيد الزنوج

العسكر

قبيلة عنزة

تنتسب عنزة الى أسد بن ربيعة وهى أكبر القبائل العربية على الاطلاق فى وقتنا الحاضر وتمتد منازلها من نجد الى الحجاز فوادى السرحان فالحماد فالبادية السورية حتى حمص وحماه وحلب ومع أن عدة عشائر وأفخاذ منها خارجة عن المملكة العربية السعودية فاننا رغبة فى حصر تفرعاتها أدمجناها هنا وأشرنا فى بعض المواضع الى الأماكن التى تقيم فيها، ويمكن تقسيم القبيلة الى ثلاثة بطون كبيرة هى :

ضنى مسلم [١]

ضنى وائل

ضنى عبيد

فالبطن الأول (مسلم) ينقسم الى ثلاثة أفخاذ أيضاً هى : الرولا والمحلف وولد علي.

والبطن الثانى (وائل) ينقسم الى فخذين هما : العمارات والدهامشة .

والبطن الثالث (عبيد) ينقسم الى أربعة أفخاذ وهى : الفدعان وولد سليمان والسبعة والسلقا .

---

(١) ضنى بمعنى النسل وتستعمل هذه الكلمة فى نجد للدلالة على وضع الحوامل .

وها نحن نشرح عائلات وعشائر وأفخاذ كل بطن على حدة :

(البطن الاول ضنى مسلم وأفخاذه الثلاثة)

الفخذ الاول : الرولا[1] . تقسم الى عشائر كثيرة هى :

١) الدُّغْمان
٢) المُرْعِض
٣) الفُرَيجة
٤) القَعقَع
٥) آل مانع

(١) الدُّغْمان : تحوى العائلات الآتية :

آل حِكْشِي
آل حَسَن
آل دَرْعان
الصوالحة
البَرابِرة

(٢) آل مُرْعِض : تحوى العائلات الآتية :

آل شَعْلان
آل نَصِير
آل مِيهِل
آل جابر
آل وَهيف
آل ناصِر
الكُبُوش

(١) من الرولا من هم فى نجد ومنهم من هم فى سوريا

آل رَوْضان

آل بْنَيَّة

آل جاع

السَبِتة

القْطعَة

العَلْمَة ومنها الراشدى وآل حَمَد وآل مِدْخِم وآل دُوَيْخ

(٣) آل فُرَيْجَة تحوى العائلات الآتية :

آل هزَّاع

آل فَلَيْتَة

السَّواحلَة

آل جفيان

آل سَحَران

آل هَطْلَان

آل شَايِل

آل جَدران

آل مَشَيْط

آل صَبَاح

آل زْماح

(٤) القَعْقَع يحتوى على العائلات الآتية :

الغُشوم ، الحماميد ، آل شقَيْر ، آل رَيْشان وفيها البيوت الآتية :

آل حَنَيْان ، آل مُغَيْزِر ، آل وْكَيْد ، السبعَة ، آل جَرّى ، آل عوَيْنان

آل عَجيل ، آل سَليم ، آل مَشَنْد

(٥) آل مانع وفيها العائلات الآتية :

آل قَعْقَع
آل دُوَيرِز
آل عَطِيَّة
آل كُوَينل
الشَّراطِين
آل رَشيد
آل رُشَيْدان

ويقيم مع الرولا الكواكِبَة المظنون أنهم من قحطان ولا يزيد عددهم عن ١٥٠ بيتاً وأقسامهم كما يلي :

آل حُوَيرث و تتألف من المَدَاغِم التي منها:

العَطلان
العُبَيْدان
آل سُمَيْر
آل رَبيع
الحواهلة
آل سَلمان
آل شُجَيْر وآل غُنَيْم وآل رَشُود

آل وُهَيْب وأفخاذها : آل مِحْسِن آل جلَيْدان آل وادي

الجُرَفة وأفخاذها :

آل مُجَيْبِل آل حِمْصِي آل عِرفان آل خَطام .

الفخذ الثانى من البطن الاول : المُحلَف (١) فى هذا الفخذ عدة عشائر أهمها : الأشاجعة وفيها عدة عائلات كالمَهيُوب والبَلاعِيص وعشيرة العَبادِلة وعشيرة السوّالمة والبدُور .

وأكبر مشايخ هذا الفخذ ابن معجل وابن جندل وابن ماجد .

الفخذ الثالث من البطن الاول : وِلْد عَلى (٢)

كانت ولد على تسمى فيما سبق بنى وَهْب ولكنها عرفت بعد ذلك وفى الوقت الحاضر باسمين :

المنابهة (وهم آل نبهان)

وولد على (الذين كانوا من قبل آل على)

أما المنا بِهَة فانهم ينقسمون الى :

الحجَّاج التى تقسم الى الجماعِلَة والفُقَراء والمساليخ وتشمل الصقَّارة والحسينة

وكانت المنابهة قديماً تقيم فى جنوب غربى تيماء حتى خيبر ولكنها انتقلت بعد ذلك الى الشمال شرقى شمال الشام . ورئيس المنابهة فى الشمال (٣) هو ابن ملحم ورئيسهم فى الجنوب (٤) هو الفقير .

وأما ولد على فانهم يقسمون الى :

(١) وِلد على (أو ضنى مفرج) وهى فى الشمال تطيع ابن سمير وعشائرها هى :

العُوَاظ

العُطَيفَات

الجبَارَة

---

(١) أما كنهم مثل الرولا
(٢) ينتسب آل سعود الى هذا الفخذ ويلفظ ولد علي (بكسر الواو)
(٣) فى سوريا (٤) فى شمال الحجاز

الطُلُوح

الأَمْجان

المُجَيْبِل

الجَذَالِم

الطَوَالِعَة

الزُبيلَات

المُرَيْخات

(٢) الأَيْدا [١] وهى قسمان فى الشمال وفى الجنوب . فالايدا الشماليون هم :

المَشادِقة ورئيسهم الطَيَّار

الحَمامِدة

المَشْطَة

وأما ولد على التى فى الجنوب فرئيسها فرحان الأَيْدا وعشائرها ثلاث :

الشَمْلان

الجُرَيْدَة

العَبادِلَة

(البطن الثانى من عنزة (وائل) ونخذاه)

الفخذ الاول من البطن الثانى العَمارات [٢] أو آل جَبَل ورئيسها ابن هذال أما عشائر الجبل والعمارات فهى :

١ — ابن هذال والجِبْلان ومنها العائلات الآتية :

الغُشُوم وآل هَيازِع وآل حُسَيْن والخَطَاشِيَة

---

(١) كل الايدا فى شمال الحجاز وغربي نجد (٢) فى العراق

٢ — الصقور ومنها آل دهمان ، المصاعيب ، الجلال ، الدلمة .

الفخذ الثانى من البطن الثانى الدهامشة[١] وعشائره هى :

١ — آل محلف وعائلاتها : المعينات والشلحان والضويدة وآل عياش

٢ — الزبن وعائلاتها : السبابيح الصرما والكميسات .

٣ — السويلمات وعائلاتها : السلاطين والحماطرة والهمل والجلاعيد .

(البطن الثالث من عنزة ضنى عبيد وأفخاذه)

الفخد الاول الفدعان[٢] ورئيسهم ابن مهيد وعشائر هذا الفخذ هى :

آل مهيد

الزوس

الشميلات

القشور

آل هفيان

آل حازم

الكلفان

الخنافش

الحرصة

آل مجلى

المجاجرة وفيها العائلات الآتية :

آل مايس

آل قرين

---

(١) فى نجد ولهم فيها هجر (٢) فى سوريا

النَعَيْم
آل هَجَر
آل عبد الله

الفخذ الثانى من البطن الثالث وِلْدْ سلْيَمان (١)

منازل ولد سليمان بين تيماء وخيبر وبيضاء نثيل ورئيسهم العام هو العوّاجى ويقسم هذا الفخذ الى عشيرتين :

(١) جعافرة
(٢) سليمانية

فالجعافرة تتألف من العائلات الآتية :

العوّاجى
السُّهُول
الخَمْرُون
الزّواويَة
آل مَزْيَجِم
الكَرَاوِعَة
آل تَمام
آل مُبارك
آل نَمْران

وأما السليمانية فأهم عائلاتها :

السُّلَيمات
الفَضَاور
الحُمَيْش

---

(١) فى غربي نجد وشمالى الحجاز

الفخذ الثالث من البطن الثالث من عنَزَة ـ السَّبْعَة

فى هذا الفخذ عشيرتان مهمتان :

١ — القَمْعَة

٢ — والعَبْيَدَ

فمن عائلات العشيرة الاولى : الرَّسالين والخُمْسان والفَوْرَة والرَّحامَة

ومن عائلات العشيرة الثانية : المُسَيْكَة والمَواعِقَة والدَّوَّام

وينتسب المواهيب[1] الى السبعة أيضاً مع أن ديرتهم بعيدة عنها، وتحسب هذه العشيرة كجزء من بلى مع ان هذه قحطانية وتلك عدنانية .

الفخذ الرابع من البطن الثالث من عنزة : السَّلْقا

كبير هذا الفخذ الرمدى وأهم عشائره الشَّمْلَان والمُضَيَّان والمَطارِفَة .

ومن عنزة بعض العشائر المتحضرة فى نجد، أهمها :

١ ـ فى العارض قبيلة الفُقُهَة فى حرمة ومِلْحِم وباطِن الشيوخ والمَنفُوحة والرياض ووادى حنِيفة وحَرْمَة وحُرَيمْلَة

٢ ـ فى الحَريق الهَزَازِنَة

٣ ـ فى الحُوطَة آل دَاوُد

٤ ـ فى الأفلاج الجُذيمات

٥ ـ فى السدير والداخِلة آل بُورَباع وعَسْكَرْ والهوَيْدِى . وبقرب الزلفى يوجد الحُوَيْشان وتوَيْم

٦ ـ وفى القصيم وعُنيزة و بريدة وغيرها .

و بعض عنزة يقطنون فى هجر أنشأها لهم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود فى شمال الحجاز .

---

(١) [المواهيب قليلو العدد ومنهم السراحين المنتشرون بين الحرتين ووادى السرحان ذكرناهم فى بلى]

قبيلة عتيبة

لا يوجد بين القبائل العربية من يفوق عتيبة فى القوة أو يزيدها فى العدد الا قبيلة عنزة ولا يكاد ينازعها أحد السلطة فى القسم المتوسط من المملكة.

وتفصيل منازل عتيبة كما يأتى:

من سفوح جبال الحجاز الشرقية الى الحِرَار التى بين دَرْب الحج ونجد من الشمال والشرق وديرة قَحْطان والبُقُوم والشلاوة وسْبيع فى الجنوب. ويوجد قسم قليل من عتيبة فى الحجاز غربى السلسلة الجبلية فى أطراف الطائف وفى أطراف مكة والمَضيق والسَّيل.

وتقسم القبيلة الى بطنين كبيرين الرُّوقَة وبَرْقَة، ولكل بطن أفخاذ وعشائر عديدة.

البطن الأول الروقة: — منازل الروقة أقرب الى الحجاز من برقة وكبير مشايخها ابن رُبَيْعان، وفيها ثلاثة أفخاذ:

(١) فخذ ذوي ثُبَيْت ويتبعه من العشائر الحيصان وفيها البَراريق والحمران والجمالية، والعُرْوَة، وعشيرة العفارين ومن أهم عائلاتها: الرَّباعين أصحاب الرئاسة والغِرْزان، والشقْران، والجِيعة.

(٢) فخذ الطلْحة ويتبعه من العشائر الخناتِيش، الحماميد، العوازِم، الحِزْمان، الدَّلابحة، المغايبة، الحفاة، الأساعِدَة، السُّمْرَة.

(٣) فخذ المَزاحِمة ويتبعه العشائر الآتية: ذوو عِطية، العُضيان، الدَّماسين المَراشدَة، العُبيَّات، الجِذْعان.

ويتبع عشيرة ذوى عطية عائلات عديدة أهمها المَزارِيق، والمَهادِلة، والمغايِرة والقواسِمة، والغنائم، والجِرْدية.

البطن الثانى من عتيبة بطن بَرْقَة [1]: — وتمتد منازله فى الشرق حتى الوَشْم

(١) تلفظ برقاه

والقصيم ، وفيه ثلاثة أفخاذ :

الفخذ الاول عيال مَنْصُور فيه عشائر :

(١) عشيرة الدّاعجين وفيها عائلات هي :

عائلة المَلابِسَة ومنها الهَيْضَل والمحاوشَة وعيال حَمَد وذوو رَحْمَة .

عائلة الخيطِيـة ومنها العضاوين وآل تحْيا وآل عُتَيْلَة .

عائلة المعالِيَة ومنها آل عَبْدَة ، والصّعارين .

عائلة الهُدّف ومنها الدّغاليب والصوانعة .

عائلة السّوالِم ، منهم عيال مفْلِح .

(٢) عشيرة الجْشَمَة وفيها عائلتان :

عائلة الخُلّد

عائلة الدُّهَسَة

(٣) عشيرة الدّغالِبة وفيها العائلات الآتية :

عائلة النُعَرَة ومنها المهْدِى والثّعالِين والهِنادِيَّة والدّرابِيَّة.

« ذوى غُلوب ومنها الضُّحُول والصراوِحة والحوافِرَة .

« القبَعَة .

(٤) عشيرة العصَمَة وفيها عائلات منها :

عائلة الجلاة ومنهم أبا العَلاء والعلْجَة ، والحمارين والشّفْعَان .

« آل عَجْرَة ومنهم العبَابِيد والرُّكَيبات والخلاحِلَة والجنابا.

(٥) عشيرة الثيابِين وفيها عائلات :

عائلة عيال صالح

« ذوى فهيْد وفيها الخلَيْفة .

« القرافين وفيها الخواتِمة .

« الزبالِقة وفيها المرشد

عائلة ذوى عبد الله
« ذوى شَيْبَة
« الشوَام
« الفوَارين

الفخذ الثانى المقطة وفيه عدة عشائر :

(١) عشيرة الكرْزان وفيها عائلات منها : عائلة المتَابعة ، ومنها السَّعافين والحميدَة والعوَاصين والخمْجان وذوو خُصَيْر
عائلة الروسان ومنها مُسَيْعيد والقمَزَة .
« الحوابيد ومنها الهمَارجة .

(٢) عشيرة الخنَافرة .
(٣) « القزَايلة.
(٤) « الهوَارنَة .

الفخذ الثالث النَّفْعة ، وينقسمون الى عدة عشائر ، أهمها :

(١) عشيرة ذوى مُفرَّج
(٢) « ذوى زياد
(٣) « ذوى الْحيَا
(٤) « الفَلْتَة

الفخذ الرابع الرُّوسان وينقسمون الى عدة عشائر :

(١) عشيرة عيال عامر ، وفيها عائلات : منها اللُّوَيبات وابن جامع والخِرْفان والمهَيو
(٢) « المقَاحصة ومنها ذوو عجيرة
(٣) « ذوى مُجرى
(٤) « الشَّهبَة ومنها المرَاوحة .

ومن عتيبة قوم متحضرون سكنوا بعض الديار النجدية فى العارض والسَّدَير والقصيم وقصر ابن عُقَيِّل والبُكَيْرِيّة وفى المِذْنِب .

قبيلة بنى عَطِيَّة(١)

تعرف هذه القبيلة باسم العطَاوِنة والمعَازة وتنسب الى مَعز بن أسد (أخى عنز مؤسس عنَزة) ومنازل بنى عَطِية فى النصف الشمالى من حرّة العُوَيْرِض حتى حرة المَواهِيْب . ومن عشائر بنى عطية :

العْطيّات	الوْ كلا	السّعَيْدانيين
السّبوط	العْقَيْلات	المَسابْحَة
الجُمَيْعانيين	المرَاخين	العْلّيان
الزّبيْلات	الخمَاعِلَة	الخمَيْسات
الرّوازِين	السّلَيْمات	

قبيلة العُجْمان

ينتسب العُجمان الى يَام فى نجْران ونسبتهم هذه الى قحطان مجادل فى صحتها إلا أن المرجح كونهم وآل مُرَّة أبناء عم . ومنازلهم فى جوار بنى خَالد اعتباراً من الطفَّ الى العُقير وتمتد ديرتهم حتى الصَّمَان وفى الشتاء يتوغلون حتى الزّلفى والقصيم والخَرْج .

(١) بعض الرواة يقول ان بنى عطية أصل الحويطات والطرابين (فى فلسطين) وغيرها من القبائل . وسواء ثبت هذا أم لم يثبت فان بني عطية والحويطات على أتم الاتفاق ويتنقل الفريق الواحد فى أرض الفريق الآخر دون منازعة

وفى هذه القبيلة فخذان :

الفخذ الاول مَرزُوق وفيه العشائر الآتية : شامِر وضاعِن وخدَجَة . وفيها من العائلات : آل نَشْوان ، وآل مَحفُوظ ، وآل خُوَيْطِر وآل مَساوِى وآل هَثْلان ، وآل على ، وآل سليمان ، وآل معَيْض ، وآل راشد وآل هادى وآل اللُزيز وآل صالح وآل نَاجعة وفيهم الامارة بآل حِثْلَين . وآل سفران .

الفخذ الثانى : وَبِيْر وفيه العشائر الآتية : عَرْجَا ، رَشيد ، مَصْرَع ، مفُلْح حيَّان ، خُوَيْتِر ، ضَعَيْن ، حَمّاد ، صُلَيْفِى ، سَلُوم ، سَرَيْح ، شوَاولة ، آل فطَيْح آل مطْلَق .

العوَازِم

هذه القبيلة لاتنتسب الى قبيلة عربية معروفة ولذلك فان العرب الصريحى الدم لاينتسبون اليها ولا يعتبرونها من جهة النسب والسؤدد .

وأما كنها بقرب ديرة مُطَيْر والعُجْمان بين الكويت وساحل الخليج الفارسى حتى ديرة مطير فى الغرب .

وفى العوازم فخذان رئيسيان :

فخذ القُوَعة وفيه ثلاث عشائر :

الهَذَالِين

البَرْنكات

والمَساحِمَة

وفخذ ذوى عِياض وفيه العشائر الآتية :

المَلاعِبة

المَساعِدَة

الجواسِرَة

الغُرَبة

القَرَاشة

المُحَالية

الصَوَابِر

العَنَادِمة

التُومَة

المَوَايْقية

العبَابيد

عَسِير

يطلق هذا الاسم على مجموعة من القبائل ذكرناها فى أبوابها وهى :

الاول : مفَيْد

الثانى : عَلْكَم الهول

الثالث : رَبيعة ورفِيدة

الرابع : مَالِك

بنو عَبْس(١)

ديار هذه القبيلة محدودة بوادى الجبل فى الشمال ووادى العِين والدُّريب فى الجنوب وبين ساحل البحر الى مسافة ٢٥ ميلا فى الداخل حتى سلسلة الهضاب

---

(١) يقولون انهم من غطفان

الساحلية . ويجاورها من القبائل بنو حسن فى الشمال و بنو أسْلَم فى الشرق و بنو وَزَعات من مفيد فى الجنوب .

أما أفخاذها وعشائرها فهى :

مطْولة
مناصير الغُرَيْرة
كفْرا
رُفَت
شغَار
خَرَازة
قَطْعبة
بَطارية
مَوانع

علكم الهول[1]

تسكن بقرب أبها الى الشمال منها منحدرة الى جهة الساحل الغربى حتى أسياف البحر . والقبائل المحيطة بها هى ربيعة ورفيدة فى الشمال و بنو مالك فى الشرق و بنو مغَيْد فى الجنوب ورجال المع فى الغرب . ولهذه القبيلة قسمان : علكم الاعلون وعلكم الساحل .

عَمْرو

قبيلة متحضرة مقيمة فى القسم الجبلى الواقع على أطراف الطريق بين أبها

(١) انظر عسير وربيعة ورفيدة ومالك ومفيد .

والطائف ويجاورها من القبائل بنو شهر من الشرق و بلقرن من الشمال وكعب من جهة الجنوب والغرب

بلعمير

تقيم هذه القبيلة فى المنطقة الواقعة بين خبت العمرو وجمعة ربيعة الى محائل على طريق القنفذة وبارق ويقيم فى شمالهم بنو زبيد وشرقيهم ربيعة المفاطرة وشرق جنوبهم ربيعة التهائم .

وللقبيلة فرعان النواشرة وهم متحضرون والعمر وأكثرهم بادية وهؤلاء أكثر من الأولين .

غامد

تقع ديرة هذه القبيلة المهمة مابين درجتى العرض ٣٠ - ١٩° و ١٥ - ٢٠° وبين درجتى الطول ٣٠ - ٤١° الى ٤٢° ويحيط بالقبيلة من الشمال الشلاوة ومن الشرق شمران ومن الجنوب بلقرن و بلعريان ومن الغرب زبيدو زهران . وتمر طريق الطائف - أبها وسط ديار هذه القبيلة التى يمكن التفريق بين افرادها الى قسمين البدو والحاضرة . ومقر غامد الباحة .

فالقسم المتبدى يسمى آل صياح وهم منتشرون فى أماكن مختلفة بين اخوانهم المتحضرين ويتوغلون الى أودية رنية و بيشة وتربة والدواسر .

وأما القسم المتحضر فيقيم فى قرى مختلفة وأهم أقسامهم :

بنو ذبيان

بنو كبير

الحمران

الظَّافِر

الرَّمادَة

الزُّعَلَة

القَرْزَعَة

بنو عُمر

بنو لاَم

المُنْتَظَر

الفُضُول

من القبائل المتحضرة و تنسب الى بنى لام ومنهم من يقول انها من بنى خالد و من افرادها من هم فى العارض والحرِيق والحُوطَة حيث يقيم آل طالِب وآل كثير وفى الأفلاَج حيث يوجد آل مغيرة وفى السّدَير والمَجْمَعَة حيث يقيم آل فضل وكثير .

قبيلة فَهْم

منازلها بين بنى ثَقِيف شمالا و الجَحَادلة غربا وهى قبيلة قليلة العدد تعمل فى الماشية والجمال وانسابها من اصرح الانساب وأقربها الى قريش .

وأما كنها فى وادى الوِغار .

وهم مشهورون بالفصاحة ويقال انهم مازالوا محافظين على لغة قريش التى كانت فى صدر الاسلام و قد حادثت بعضهم فوجدت لهجتهم أقرب اللهجات الحاضرة الى العربية الفصحى . وكفى بهم فصاحة ان منهم الابنة التى تزوجها الفيروز ابادى ففرت منه لا كتشافها عجمته .

قحطان

اقدم القبائل العربية وأكثرها محافظة على العوائد العربيـة القديمة وديرة قحطان مابين نجران وعسير وجنوبى نجد وديرتهم فى حصاة وعريجى وتثليث والى الغرب من قحطان توجد شهران وسبيع والى الجنوب الدواسر والى الجنوب الغربى البقوم .

وقسم من قحطان متحضر ومقيم فى هجر وقسم آخر فى بلاد عسير من قديم ويمكن قسمة قحطان الى بطنين بطن فى نجد وبطن آخر فى عسير :

أما أفخاذ بطن عسير فهى تحت زعامة ابن دليم وعددها ستة وهى :

١ ـ رفيدات اليمن ، الجهال ، بيشة ، ابن سالم ، بنو قيس ، خطبة[١] .

٢ ـ بنو بشر منها الحاضرة والبادية : آل عرفان والحيال ، والتهمان ، أم محمد ، والفرحان[٢] .

٣ ـ سنحان الحباب ، الزربا ، الغازى ، آل الشريف ، آل سليمان ، آل شوكان[٣] .

٤ ـ عابدة ومنها العشائر الآتية[٤] :

١ ـ المتحضرة ـ الجريش والبسام ، والصقر ، والزهير ، بنو طلق ، بنو وهابه والفردان وآل عابس وعرين .

٣ ـ البدوية ـ آل حمدان والحرجان ، والفهر ، والقرعان ، والجرابيع والجهاتين وسفالة .

---

(١) جنوب شرقى ابها . (٢) تبعد ٣٠ ميلا عن صبيا حتى مخلاف اليمن

(٣) شمالا الشرائف ويام شرقا الوداعة وغربا بشر . (٤) شرقا يام ، غربا زهران ، جنوبا بشر ، الغرب والجنوب رفيدات اليمن .

٥ ـ وَدَاعَة[١] .

٦ ـ شرايف وأكثرهم متحضرون ومنهم آل زِبرَى[٢] .

أما قبيلة قحطان نجد ففيها بطنان :

الجحادِر . وجَنب .

والجحادر ينقسمون الى بطنين : آل الجمل ، وآل سُليمان .

وآل الجمل ينقسمون الى فخذين : آل سُعود ، وآل سُوَيدان ، وآل عُلَيَّان وآل مُرَيْثع ، وآل عِياف ، وآل شِيْوَه .

وآل سليمان ينقسمون الى فخذين : آل محمد ، وآل عاصم .

وآل محمد ينقسمون الى عشيرتين : آل دُهيم ، وآل البطَن .

وآل دهيم ينقسمون الى عائلات : المحمد وفيهم الرياسة ، منهم ابن هادِي ، والخنافر ، والمَشاعِلة ، وآل عاطف .

وآل البطن منهم : آل رُوْق ، وآل سعد .

وآل عاصم ينقسمون الى عشيرتين : آل طُرَيف ، منهم الحَشر ، وآل رِزق ومنهم آل كُرَيْشان .

اما جنْب فينقسمون الى بطنين : عُبَيك ، وشَرِيف .

وعُبَيك ينقسمون الى افخاذ : الفِهْر ، وآل جُرْف ، والمَساوِدَة ، وآل مهدى ، والحُرْقان .

وشريف منهم بنو هاجر الآتى ذكرهم .

---

(١) قرب يام فى نجران .

(٢) شمالا بشر ويام ، شرقا يام ، جنوبا سنحان الحباب ، غربا بشر .

قريش (١)

يطلق قريش فى الوقت الحاضر على قسمين من الناس :

الأول الاشراف القرشيون بقايا قريش سواء كانوا أشرافا أم من بقايا قريش المقيمين فى مِنى وعَرَفات وما جاورهما .

والثانى : يطلق على فرع من فروع قبيلة ثقيف يسمى بقُرَيْش ، ودياره فى جهات الطائف ومنه طبقتان : بدو وحضر . فالحاضرة تقطن فى الاودية القريبة من الطائف كالوَهْط والوُهَيط والمَثْناة وسواها . والبادية ما زالت تعيش عيشة البداوة على رعى الماشية واستثمار خيراتها . وقد ذكرت فى ثقيف .

بِلقَرن

يقسمون الى بِلقَرْن الشام أو السَّراة وبلقرن اليمن أو التهمة . وتمتد ديرتهم من جنوب غربى بِيشَة حتى أعالى سلسلة السراة فى عسير ، ويقيم فى شمالهم شَمْرَان وخَثْعَم وفى شرقيهم شمران وبعض بنى شهر وجنوبيهم بنو عُمر وبنو شهر وفى غربيهم بِلعَرْيان وغامِد .

آل مَهْدِى

قبيلة صغيرة بقرب اللَّيث لا يتجاوز عدد أفرادها ٣٠٠ نفس وهى تعمل فى صيد الاسماك . وشيخها ابن قاسم ، وأهم فروعها : المَجِيْشَة وآل حَسَن .

---

(١) انظر ثقيف والاشراف .

بنو مالك

تقع ديار بنى مالك قرب وادى موز الى شرق الليث بين بنى سعد فى الشمال والشلاوة فى الشرق وزهران فى الجنوب والجحادلة فى الغرب .

بنو مالك عسير

هذه القبيلة خلاف بنى مالك الذين فى الحجاز . وهى تقيم شمالى أبها حتى ميلين منها ، ويحيط بها من الشمال بلأحمر ، ومن الشرق شهران ، ومن الجنوب بنو مفيد ، ومن الغرب علكم وربيعة ورفيدة .

وأقسام هذه القبيلة كما يأتى :

آل المَجمل

بنو رِظام

بنو ربيعة

الحِبشى

مُسَعان

بنو منبه

بنو مَروان

يقيم بنو مَروان بين وادى جِيزان فى الجنوب ووادى تَعشر فى الشمال ، ويسرحون حول ميدى وفى ميدى نفسها . ويوجد الى شمالهم المسارِحة والى

شرقهم أهل حَرَض والخميْسِين والى جنوبهم بنو حسن .

المَسَارِحَة

يقيمون فى الاراضى الواقعة بين وادى تَعْشَر فى الجنوب الى قرب صَبيا وجيزان وأبو عَرِيْش فى الشمال و يقيم أهل الرَّيْش الى شمالهم وجَعْدة ومَرْوان الى جنوبيهم و بنو مُحَمد الى شرقيهم .

بنو مُحَمَّد

قبيلة صغيرة بقرب جيزان .

قبيلة مطَيْر (١)

تدعى مطير أنها قبيلة من مُضَر . ولكنها ليست قبيلة واحدة بل انها مجموعة قبائل متحالفة ، بعضها من قحطان و بعضها من عدنان و سنشير فى موضع آخر الى الاصول التى تعود بعض الفروع اليها .

أما منازل مطير فهى من حدود الكويت والخليج الفارسى الى قرب القصيم غرباً و ديار العجمان و بنى خالد جنوباً .

تقسم مطير فى الوقت الحاضر الى بطنين كبيرين عَلوه و بَرَيْه وتتألف مطَير من الافخاذ والعشائر الآتية :

(١) مطير فى الاساس بادية ولكن منها فروعاً متحضرة تقيم فى أماكن معلومة فى العارض والوشم والسدير وعشيرة .

العَلْوَه

الجِبْلان [١]

الرُّخْمان

المَلاَعِبَة [٢]

الصَّحَابة

وتتألف بْرَيْه من الافخاذ والعشائر الآتية :

العبيَّات

الدَّياحين

البَرازات

ثَعلة

عَبدِ الله

واصِل

وقد تفضل سمو الامير عبد الله بن عبد الرحمن بذكر تصنيف آخر لمطير ، نذكره فيما يأتي :

مطير ينقسمون الى بطنين : عَلوَة وبْرِيه .

وعلوة ينقسمون الى ثلاثة بطون :

المْوَهة ، والجبلان ، وذوى عوْن .

والمْوَهة ينقسمون الى أقسام :

الدَّمشان ، والرُّخمان ، والبَرَاعصة ، والخواطِرة ، والصعابين .

---

(١) من تميم (٢) من عنزة

والجبلان ينقسمون الى أقسام :

العُقَيمات ، والمَقَالِدَة ، والاعِنَة ، والعَرَاقِيَة .

وذوو عون ينقسمون الى أقسام :

الصَّهْبَة ، والملاعبة ، والمَطَيْرات ، والحلف ، وهم متحالفون مع العصبة ومقيمون بن بَرْيه ويقال لهم بنو عبد الله .

أما بريه فينقسمون الى بطنين :

وَسَامَة الهلال وَوَاصِل .

ووسامة الهلال ينقسمون الى أقسام :

الصعْران ، والصَّعْبَة ومَيْمُون .

والصعْران ينقسمون الى أقسام :

ذوى حجى ومنهم البصَايص وذوى سَعْدون ، والشُّتَيْلات ، والشعَاليل ، والحَجَادِين .

و واصل ينقسمون الى أقسام :

المواصِل ، والبِرْزان ، والعسفة ، والعَبْيَات ، والمحَالِسة والوِساما ، والبَدِنا ، والدَيَاخين .

قبيلة آل مُرَّة

من أقدم القبائل العربية وأصحها نسباً وأشدها مراساً وأكثرها همجية وأبعدها عن الحضارة . ومنازلها تمتد من جنوبى الطريق الموصلة بين الحسا والرياض الى جهات الخرج وجهات العقير الى واحتى جافورا وجبرين حتى أواسط الربع الخالى ولهذه القبيلة ثلاث أفخاذ رئيسية هى شَبيب (او بِشر) وعلى بن مرة وجابر

فالفخذ الاول (بشر) تتبعه العشائر الآتية :

العَضَبَة

بُجَيح

بُرَيد

دَاوِى

فُهَيْدَة

غَفْرَان

هَادِى

حسْت

جُحَيْش

شَبَيْب

زَكِيمة

زِبْدَان

دِمْنَان

والفخذ الثانى تتبعه عشائر الغيارثين والجَرَابعه ونائب .

والفخذ الثالث يتبعه الغضبان وأهل ابن نعام .

وقد تفضل سمو الامير عبد الله بن عبد الرحمن بذكر الاقسام الآتية لآل مرة :

ينقسمون الى بطنين :

على ، وشبيب ويلحقهم فى جشَم كل من :

آل دِمنَان وآل هتَيلة وآل هِندى

وآل على بن مرة ينقسمون الى بطنين :

الغيَاثِين ، والجَرابِعة

وآل شَبِيْب ينقسمون الى بطنين :

آل سعيد ، وآل غفِران

وآل سعيد ينقسمون الى بطنين :

آل بَشِير ، وآل جَابر

وآل بشير ينقسمون الى ثلاثة بطون :

آل فاضل ، وآل يحيى ، وآل بُرَيد

وآل فاضل ينقسمون الى بطنين :

آل نُهَيْدَة ، وآل عذْبة

مُغَيْد

قبيلة قوية تقيم فى أبها وما جاورها ويحيط بها من القبائل علكم الهول و بنو مالك من الشمال وشهران من الشرق و بعض شهران و ربيعة اليمن من الجنوب ورجال المع من الغرب .

وتقسم القبيلة الى سبعة أفخاذ :

آل يَزيْد ومنها آل مِفْرح وآل بو سَرَّاح وأولاد الأمير [1]

آل نَاجح

آل وازع

---

(١) منهم امراء آل عائض

أم الشرف

آل أم الجرَيعات

أم وادى مَلح

آل وَيْمَن

المناصِير

هذه القبيلة تسكن فى الربع الخالى جنوبى آل مرة . وقسم من المناصير يقيم فى عُمان وقسم آخر فى قطر أيضاً وهم أكثر ليونة من آل مرة وأقبل للحضارة والذى يعلم عن المناصير قليل بالنسبة الى القبائل الاخرى ويقال ان اهم أفخاذها فخذ مَنْذِر وفيه العشائر الآتية :

السَكَابِرَة

ومْنِيع

المَراشد

المطَاوِعَة

المَداهِمَة

وفخذ رَحْمَة وفيه العشائر الآتية :

خَيْل

طَريف أو جُنوب

طَرارفَة

وبران [١]

---

(١) قد يكون هذا الاسم نسبة الى وبار

وفخذ شعر وفيه العشائر الآتية :

غُوينم

وشايد

تُويبت

المُنجِحَة (١)

مقر هذه القبيلة على سواحل البحر بين البِرك والشَّقيق ويحيط بها من الشمال بنو هلال ومن الشرق رجال المع ومن الجنوب قبائل مِخْلاف اليمن .

ومن أهم عشائرها :

آل أم خُريق

العَبْدِيَّة

آل زَيْد

آل أم حاوش

آل سِرْياح

الشَّهْبي

ولد إسلام

آل مُوسَى (٢)

هذه القبيلة تملك قرية مَحايل وأكثرها متحضر ماعدا فخذين هما : أم جَزْيان وبنو يَزِيد ويحدها من شمالها ال الدُّريب والرَّيش ، ومن الشرق الرَّيش

(١) قراها في الوسم والقحمة .
(٢) أكثرها من أصل عربي ولكن فيها عناصر زنجية غير قليلة .

وبنو ثواب ومن الجنوب ثواب وبَحْر بن سكَينة ومن الغرب بنو هلال .

وللقبيلة فِندتان انفصلتا عنها وهما بنو شُعَيب (أو ضَغَب) والصوّالحِة .

ومن بطونها :

أم شَحَارى

آل عقَيْل

« عامِر

« شَعْر

« ضَبَع

« شَرِيفة

القُرُون

حَمَـالا

نَجْرَان

نجْران بلاد مترامية الاطراف واقعة بين نجد واليمن وعسير ، فيها قبائل عديدة مازالت تنقصنا عنها المعلومات الكثيرة . ولم نستطع الوقوف على تفاصيل فروعها وأسماء شعبانها وعمائرها . وقد ذكرنا طرفاً من المعلومات عن قبيلة يام أكبر قبائل نجران فى مكانه المخصوص .

النجوع

تسكن هذه القبيلة فى مخلاف اليمن بين صَبْيا والدَّرْب ومن أقسامها بنو محمد (لاعلاقة لهؤلاء ببنى محمد الآخرين) والمجاوى وبنو مِفْرح .

بنو نَشّار

تسكن بقرب وَزَعات وأهم قراها سوق بنى نَشّار .

النُّمُور

أنظر ثقيف

قبيلة بنى هَاجِر

هذه قبيلة قحطانية ولذلك فاننا ان دعوناها (مع العجمان) كبطن من بطون قحطان فاننا نكون أقرب الى الصحة . وديرة بنى هاجر جنوب العجمان حتى بلاد قَطَر .

وأهم أفخاذ بنى هاجر هى :

المُخضبَة وتشمل العشائر الآتية :

دُبَيْسَة

فُهيد

حَمْرا وبعضها فى قطر

آل سُلْطان

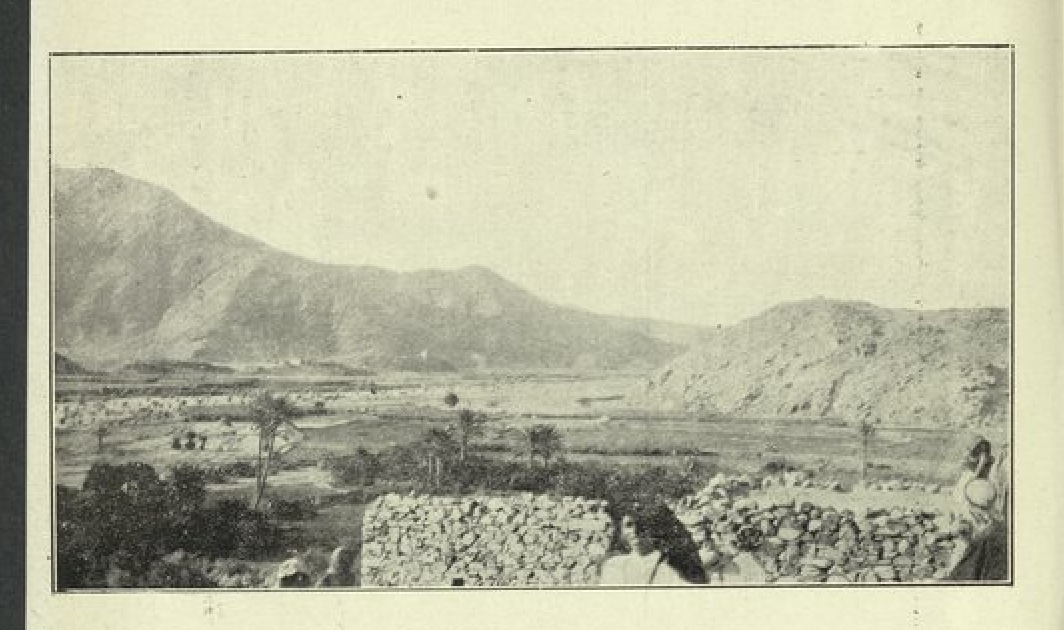
حُسيَن

جرَارِحَة

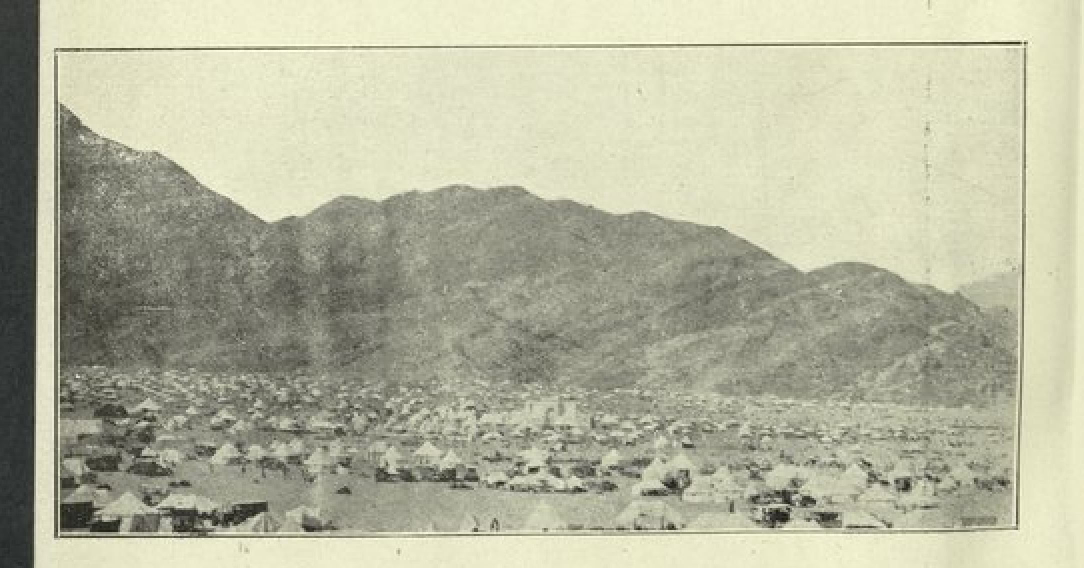
خيَارِين

مَضَافِرَة

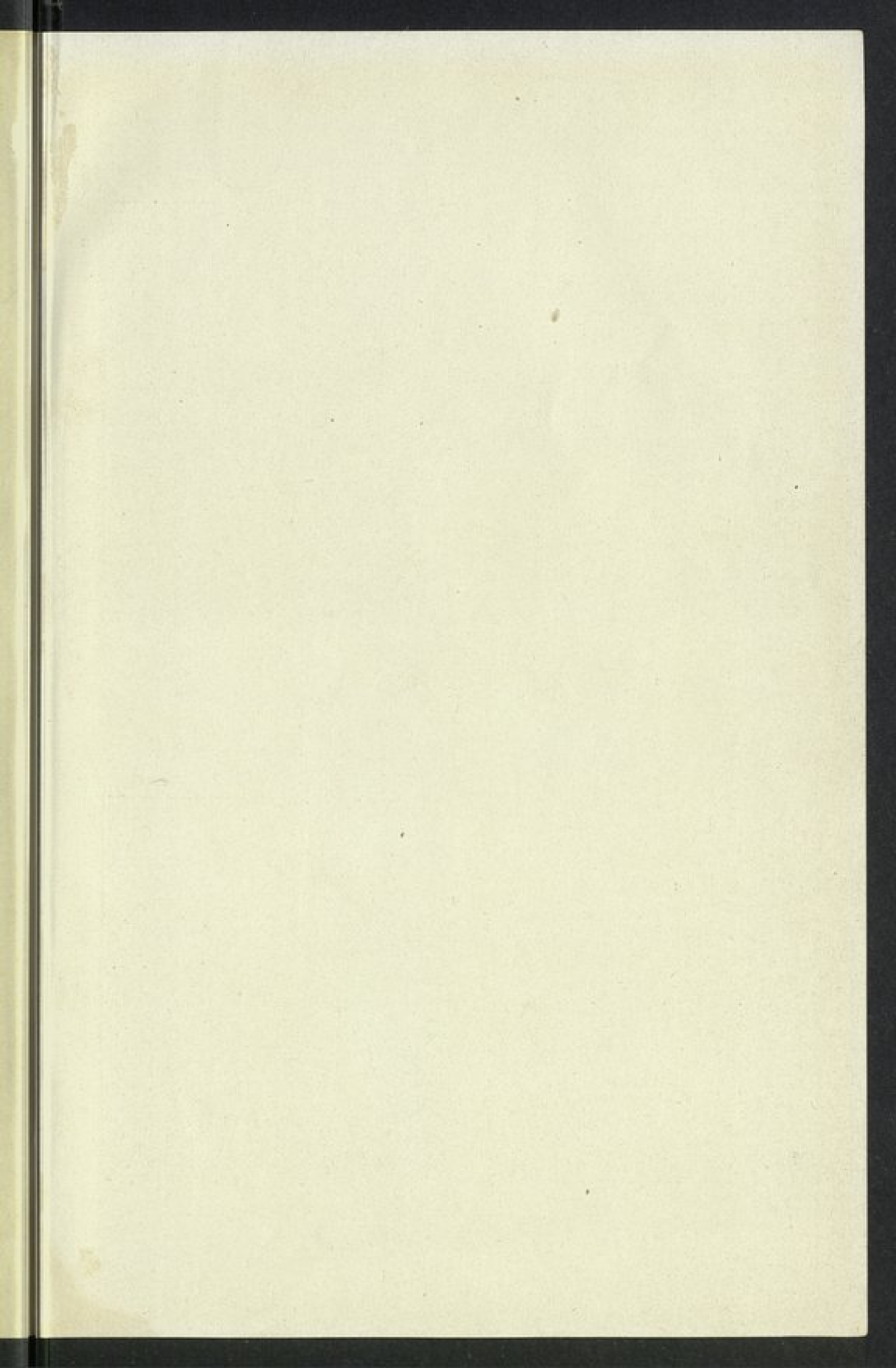
مُنع



١٠ — بلدة المضيق اللطيفة بقرب مكة



١١ — مخيم الحجاج فى منى



مَزَاحِمَة
قُمُزَة
آل زَيْد
زَحَانِيت
شَبَاعِين
شَهْوَان
شَرْعَان
شَرَاهِين
وآل محمد وتشمل العشائر الآتية :
عامِرة ، فَلاحَة ، قَدَادَات ، كَلابَة ، مَسارير ، قارُوف ، شعَامِل ، سماحِين طُياع ، آل جِدّى .

ومن بنى هاجر أناس متحضرون مقيمون فى الاماكن الآتية :
الوُصَيْلَة فى الأفلاج ، حُرَيْمِلَة ، ثَادِق

هُتَيْم

قبيلة بين شمال نجد وشمال الحجاز لاتنسب الى أى بطن كان من بطون العرب ولذلك ينظر اليها كأنها مثل الصلبة .

ومن عشائرها :

الذيبة	الخليوية
الجلدة	الدوامِش
آل براك	الفجاوِين

هُذَيْل

من قبائل الحجاز المهمة وهي تقسم الى قسمين : شمالىّ وجنوبىّ . فالاول تقع دياره فى أطراف مكة من جهة الشرق والجنوب وبالأخص فى أطراف مكة والطائف بقرب جبل بَرَد وجبل ذَكا المشهور .

فالقسم الاول وهو هُذيل الشمال يتألف من سبع عشائر وهى :

المَطَارِفَة	فى وادى فاطمة
المَسَاعيد	فى السيل
السَوَاهِر	«
لحيان	الى الشرق من مكة
عَمْرو أو عَمير	على يمين الطريق من مكة الى جدة
الجنابِر	جبل الكُرّ وهناك يسمون باسم المواقع التى يقيمون فيها

فيدعون : السعايد الحساسنة والكَبَاكِبَة والمجَارِيس .

والقسم الثانى هذيل اليمن ويتألف من الاقسام الآتية :

(١) النَدَوِيَّة وفيه ثلاثة فروع : المَرازيق والجِيَسَه والجُملَه .

(٢) دَعْد وفيه ثلاثة فروع : الحَسْنَان وآل يَعْلى والظُبان .

(٣) السَّراوِنَة وفيه ثلاثة فروع : الظَهْوان وآل عَلْيا والمجاريش .

(٤) العَاهِلة .

(٥) بَجيل وفيه أقسام وفروع عديدة أهمها :

الطُلوح

الحَساسِنَة

العَبْدَة

المِسْوَدَة

فمن الطُّلوح: آل خالد وآل صالح، ومن آل خالد، يتفرع آل راشد وآل عطَّاف ، ومن آل صالح ، يتفرع الطَّلَحات ومنهم آل راشد وآل مُنِيف والاعصاب وآل مثَّاع ومنهم البَقْلة وآل حُميد وآل زيدان .

ثم من المِسْوِدَة ، يتفرع بنو إياس والسُّوالِمَة وآل محمود والجوابِرة وآل زَيد الفَرَح وكعب .

فمن الفرح ، آل محسِن ، آل كامل ، الدُّعجان ، آل سارى .

ومن آل زيد ، يتفرع القِنْعان والمحاميد ثم من الجوابِرة يتفرع آل حسن وآل حمدان وآل على ومن السُّوالِمَة البُزْدَة وآل فرح .

هِلال

تمتد ديرة بنى هِلال من حدود رَبيعة التهم وأهل حلِي ومحايل الى قرب البِرْك على ساحل البحر . ويقسمون الى أقسام أهمها :

أهل البِرْك

الأخْرَش

آل مِسْجِر

آل أم جُمْعَة

يام

احدى القبائل المهمة فى نجران والجوف . وما لدينا من المعلومات عن هذه القبيلة ونظامها الاجتماعى وفروعها وعمائرها وعشائرها قليل جداً . وما زالت على حالها الاولى من الهمجية والايغال فى البداوة . وفى الغالب حينما يقال فى نجد

قبيلة يام يقصد بها العجمان وآل مرة . ولكن الى الجنوب والجنوب الغربي ما بين نجد وعسير واليمن فروع كثيرة ليام تمكنا من الوقوف على أسماء الفروع الآتية منها :

(١) أجْشَم ولها فروع عديدة أهمها آل خَميس وآل سُليمان ورَجْلان وآل حسَن وآل بلحارث وآل حَرْبَتة وآل قُصُور ، وآل مُستنير وآل بِلْغُرْبان وآل حُتَيْلَة وآل صَعْب .

(٢) آل فاطِمَة ولها فروع عديدة أهمها آل سالم وبَدْر آل مُطْلَق وآل القَرْن وأهل حالِق والجُمَّة وهدَادَة وحيرَة وآل صَنيع وأبو عُبار وعكّام والعوْكَلَة وآل جيبان والأفهاد .

(٣) ألمواجِد ولها فروع أهمها آل نَصِيب وآل قنف وآل مَرَاطة وذو و شقْمَة وذو و وداعة وأهل سَلْوَة .

بنو يَعْلَى

قوم قليلون ومتحضرون يقيمون بين قبائل بني زيد وأولاد العَلاوْنة من أهل حلي و بلعيز .

القسم الرابع

تاريخ البلاد من أقدم العصور الى الوقت الحاضر

ويقع فى خمسة عشر فصلا

أسانيد هذا القسم من الكتاب

المراجـــع العربيـــة

١ — القرآن الكريم
٢ — السيرة النبوية ، لابن هشام
٣ — تاريخ الأمم والملوك للطبرى
٤ — زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم
٥ — تاريخ ابن خلدون
٦ — صبح الأعشى للقلقشندى
٧ — مروج الذهب للمسعودى
٨ — كتاب التيجان رواية ابن هشام عن وهب بن منبه
٩ — اخبار عبيد بن شرية الجرهمى
١٠ — خلاصة تاريخ العرب لسيديو
١١ — محاضرات تاريخ الامم الاسلامية للخضرى
١٢ — تاريخ ابن غنام
١٣ — عنوان المجد فى تاريخ نجد لابن بشر
١٤ — تاريخ نجد الحديث للريحانى
١٥ — تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان
١٦ — خلاصة الكلام فى بيان أمراء البلد الحرام
١٧ — تاريخ مكة للأزرقى
١٨ — وفاء الوفا فى أخبار دار المصطفى للسمهودى
١٩ — تاريخ اليهود فى بلاد العرب لولفنسون
٢٠ — تاريخ الكامل لابن الاثير

المراجع الافـــرنجية

١ — دائرة المعـارف البريطانية مواد بلاد العرب والاسـلام والمسلمين ومحمد والساميين والبدو والخلافة

1 — Encyclopaedea Britannica.

٢ — تاريخ بلاد العـرب لهوغارث

2 — History of Arabia, by D. G. Hogarth.

٣ — محمد (ﷺ) للسر وليم موير

3 — Mohammad, by Sir W. Muir.

٤ — الخلافة : ظهورها وتداعيها وهبوطها للسر وليم موير

4 — The Caliphate, its Rise, Decline and Fall.

٥ — تاريخ بلاد العرب وشعوبها لِكريشتون

5 — A History of Arabia and its Peoples, by Crishton.

٦ — كتاب التاريخ القديم للاستاذ برستد

6 — Ancient History, by Breasted.

٧ — حضرموت وكشف القناع عن بعض أسرارها لفندرمولن

7 — Hadramaut, Some of its mysteries unveiled by Vander Meulen

٨ — الخليج الفارسي للسير أرنولد ويلسون

8 — The Persian Gulf, by Sir Arnold Wilson.

٩ — الخـلافة للسير ويليم أرنولد

9 — The Caliphate, by Sir W. Arnold

١٠ — تاريخ بلاد العرب لفلبي

10—History of Arabia. by Philby

الفصل الأول

حكومات العرب البائدة

عاد الاولى ـ عاد الثانية ـ ثمود ـ العمالقة ـ مدين ـ طسم وجديس
عبد ضخم ـ عبيل ـ أميم ـ حضورا ـ حضرموت والسلف ووبار
جرهم الاولى ـ القبائل البائدة التي هاجرت من
الجزيرة الى الاطراف .

١ ـ عاد الاولى

أقدم ما وصل الينا من تاريخ الشعوب العربية ما ورد عن قوم عاد . فقد جاء ذكرهم فى الكتاب العزيز فى مواضع عديدة [١] . وكانت منازلهم بالإحقاف الواقعة بين حضرموت والبحرين [٢] واليمن ولا ندرى زمن قيام حكومة عاد على وجه الصحة الا أن المرجح كون بدء ظهورهم حدث قبل الميلاد المسيحى بألفى سنة.

ذكر عبيد بن شرية الجرهمى الذى أدرك الخليفة معاوية أن قوم عاد كانوا عشر قبائل من العرب [٣] .

---

(١) ورد ذكر عاد فى المواضع الآتية من القرآن الكريم : سورة الاعراف الآية ٦٤ - ٧٢ ، سورة التوبة الآية ٧١ ، سورة هود الآية ٥٠ - ٦٠ ، سورة ابراهيم الآية ٩ ، سورة الحج الآية ٤٢ ، سورة الشعراء الآية ١٢٣ ـ ١٤١ ، سورة ص الآية ١٢ ، سورة المؤمن الآية ٣١ ، سورة السجدة الآية ١٥ ، سورة الاحقاف الآية ٢١ الى آخرها ، سورة ق الآية ١٣ ، سورة الذاريات الآية ٤٢ ، سورة النجم الآية ٥٠ ، سورة القمر الآية ١٨ ، سورة الحاقة الآية ٤ ـ ٦ ، سورة الفجر الآية ٦ .

(٢) يقصد بالبحرين البلاد العربية الواقعة على ساحل الخليج الفارسي والمعروفة اليوم باسم قطر والحسا والكويت والجزائر المقابلة لها . (٣) أخبار عبيد ص ٣٢٤

وذكر ابن منبه أن أحد ملوكهم شداد بن عاد عاصر يعرب بن قحطان ووقعت بينهما حرب شديدة فى جهة بارق من أعمال عسير كانت الغلبة فيها للقحطانيين [١].

أما تحقيق الاحداث التى كانت زمن قيام حكومة عاد فأمر عسير للغاية. وقد تكشف الايام عن آثارهم فيعلم من أمرهم ما نجهله الآن. وتوجد من بقايا عاد مواضع عديدة فى حضرموت زارها مؤخراً المستر فاندرمولن الهولاندى وأتى على وصفها فى كتاب وضعه عن رحلته [٢] وخلاصة ما ذكر عنها: أنها تدعى اليوم باسم دار عاد وهى واقعة على نقطة التقاء وادى ثقبة بوادى منوه على أطراف جبل صخرى شاهق ممتدة الى مسافة بضع مئات من الامتار والخرابات كائنة فى أعالى الجبل الصخرى وبعضها منقور فيه.

وعلى مقربة من الخرابات رسوم عديدة ملونة بألوان زاهية رسمت على جدار الجبل المشار اليه. وقد حل المذكور ورفيقه فونويسمان رموز هذه الرسوم الصخرية المكتوبة بالحرف السبائى فوجداها أسماء أعلام. واكتشف أيضاً مواطن أخرى تحتوى على خرابات تنسب الى عاد منها ماوجده فى قرية المشهد وفى خرائب غيبون [٣] الواقعة فى قربها وذكر ان هناك صخوراً كثيرة نقشت عليها كتابات سبئية الا ان درسها وتمحيص مافيها يستغرق من الجهد والوقت مالم يمكنه هو أن يقوم به.

وكان العاديون أهل أوثان ثلاثة يعبدونها يقال لاحدها صدا وللآخر صمود وللثالث الهباء [٤] فأرسل الله اليهم النبى هودا منهم ليهديهم الى توحيد الله وترك

---

(١) كتاب التيجان ص ٣٧
(٢) حضرموت وكشف القناع عن بعض أسرارها ص ٥٧ ـ ٥٨
(٣) حضرموت وكشف القناع عن بعض اسرارها ص ٨٤
(٤) الطبري م ١ ص ١١٠

عبادة الاصنام كما قص فى سورة الاعراف « وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُوداً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ . قَالَ يَاقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ . أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ . أَوَعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنْذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ . قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ . قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ »

فلما كفروا برسالة النبى هود وعمهوا فى طغيانهم أصابهم قحط شديد وجفاف دام ثلاث سنوات فرحل على أثره قسم منهم الى البيت الحرام للاستسقاء وفى مدة غيابهم أصاب بلادهم وأهلهم ماحدثنا به الكتاب العزيز بسورة الأحقاف « فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضاً مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ . تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَى إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ »

أما ما كان من حديث الوفد المرسل من عاد للاستسقاء فيحدثنا عنه الطبرى (١) فى حديث طويل خلاصته أنهم سلخوا فى الطريق شهراً وأقاموا عند معاوية بن بكر وأبيه شهراً آخر يغنون و يفرحون ثم ولوا الى مكة فاستسقوا وعادوا الى مضيفهم معاوية وكانت الريح قد فعلت فعلها فى قومهم ماعدا النبى هود ومن آمن بما جاء

---

(١) الطبرى م ١ ص ١١٠ - ١١٣

به ونفر من عاد الذين كانوا بمكة عند أخوالهم . فجميع هؤلاء ونسلهم يدعون بعاد الآخرة . ويروى أن من أعظم ملوك عاد الملك شداد الذى تنسب اليه أعمال عظيمة وفتوح واسعة منها بناء مدينة إرَم فى صحارى بلاد عاد ، وتشييدها بالحجارة الكريمة وتزيينها بالجواهر واللآلئ . قال ابن خلدون « والصحيح انه ليس هناك مدينة اسمها إرم وانما هذا من خرافات القصاص وانما ينقله ضعفاء المفسرين . وإرم المذكورة فى قوله تعالى إرم ذات العماد القبيلة لا البلد[١] » .

أما النبى هود فانه بعد هلاك عاد الاولى سار فى دعوته التوحيدية بين عاد الآخرة وتوفى ودفن فى المكان المعروف حتى يومنا هذا باسم مدينة قبر هود الى الشرق من بلدتى تريم وعنات أكبر مدن المقاطعة الحضرمية . وقد زار المستر فاندر مولن هذه المدينة وما جاورها من الخرائب ولا سيما بئر برهود الذى تروى عنه خرافات عديدة وفصل مارآه فى كتابه[٢] .

٢ — عاد الثانية

هى من بقايا عاد الاولى قامت على أثرها بعد أن أصاب الاولى ما أصابها مما قصصناه فيما سلف . وتتألف من نسل الذين اتبعوا النبى هودا وآمنوا برسالته ، ومن الذين كانوا فى وفد عاد الاولى الى مكة تحت رئاسة كبيرهم لقمان .

ويذكر ان لقمان هذا عمر طويلا . وان ملك عاد الثانية هذه امتد مايقرب من ألف سنة[٣] وانها لم تنغمس فى الشرك الا بعد حقب طويلة .

وذكر عبيد بن شرية الجرهمى للخليفة معاوية[٤] قصة زوال عاد الآخرة فى تفصيل ونسب ذلك الى اختلاف القبيلة فيما بينها وعدم رعايتها لصلات الرحم

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ١٩

(٢) حضرموت وكشف القناع عن بعض أسرارها ص ١٥٨ وما يليها .

(٣) ابن خلدون م ٢ ص ٢٠

(٤) اخبار عبيد ص ٣٦٧ - ٣٧٠

والقربى واختلافها مع قبيلة ثمود التى كانت مجاورة لها . فان امرأة من عاد الثانية كانت متزوجة فى ثمود رجلا من أشرافها فولدت منه ولدين . ثم ان زوجها مات فرجعت الى قومها فاعتدى بعضهم على ضيف لها وقتلوه فانتقم ولداها من القاتل والتحقا بثمود ، ثم قتل رجل من عاد شخصاً من ثمود وانتشبت الحرب بين الفريقين فكان الظفر لثمود وقتل عدد كبير من عاد وتفرق الآخرون فلا يعلم ما كان من أمرهم بعد .

٣ — ثمود

ورد ذكر ثمود فى الكتاب الكريم مرادفا لعاد فى معرض التذكير بما أصابهما من الهلاك والدمار لكفرهما بالله واشراكهما به (١) .

ويروى فى الكتب العربية ان ثموداً كانت تقيم فى الجهات الجنوبية من المملكة بين عسير واليمن وحضرموت ثم انتقلت بدواع غير معلومة بعد حروبها مع عاد وافنائها اياهم ، من بلادها الاصلية فى الجنوب الى شمالى الحجاز فى وادى القرى وأنشأت فى العلا ومدائن صالح والحجر منشئات بقيت لنا آثارها حتى الآن

وقد زار كثير من المستشرقين بلاد ثمود هذه ووصفوا ما شاهدوه فيها من الآثار والمنازل المنقورة فى الجبال الصخرية ، ووضع الرحالة دوتى رسماً تقريبياً يعين به المواقع الأثرية فى مداين صالح (٢) ووصف المغاور المحفورة فى الصخور

---

(١) ورد ذكر ثمود فى المواضع الاتية من القرآن الكريم : سورة الاعراف الاية ٧٢ ، ٧٩ سورة التوبة الاية ٧١ ، سورة هود الاية ٦٠ - ٦٩ و ٩٦ سورة ابراهيم الاية ٢٩ سورة الاسراء الاية ٥٩ ، سورة الحج الاية ٤٢ ، سورة الفرقان الاية ٣٨ ، سورة الشعراء الاية ١٤١ - ١٥٩ ، سورة النمل الاية ٤٥ - ٥٤ ، سورة العنكبوت الاية ٣٨ ، سورة السجدة الاية ١٣ - ١٧ ، سورة ص الاية ١٣ ، سورة المؤمن الاية ٣١ ، سورة ق الاية ٢٢ ، سورة الذاريات الاية ٤٣ ، سورة النجم الاية ٥١ ، سورة القمر الاية ٢٣ ، سورة الحاقة الاية ٤ و ٥ ، سورة الفجر الاية ٩ ، سورة الشمس الاية ١١ ، سورة البروج الاية ١٨ .

(٢) صحارى بلاد العرب ص ١١٢

بأنها رموس ونقل صور بعضها ونشرها فى كتابه [1] منهـا قصر البنت والبرج ومربط الحصان وبيت الشيخ . وعاين المستشرق موزيل أماكن أخرى تنسب الى ثمود فى جهات الغوافة بين تبوك والبحر .

أما ما كان من أمر ثمود فيحدثنا عنه الكتاب العزيز فى مواضع عديدة : « وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ . قَالُوا يَا صَالِحُ قَدْ كُنْتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَا أَتَنْهَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ مُرِيبٍ » [2]

وقال لهم صالح أيضاً : « أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ . وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَارِهِينَ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ . وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ . الَّذِينَ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ » [3] .

ولكنهم ظلوا على شركهم وطغيانهم فأصابهم من أمر ربهم ماقصه الكتاب العزيز : « وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ . قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ

---

(١) صحارى بلاد العرب ص ١٠٤ — ١١٧

(٢) سورة هود الآية ٦١ — ٦٣

(٣) سورة الشعراء الآية ١٤٦ — ١٥٣

مُؤْمِنُونَ . قال الَّذينَ اسْتَكْبَرُوا إنَّا بالَّذِى آمَنْتُمْ بهِ كافِرُونَ . فعقروا النَّاقَةَ وَعتَوْا عَنْ أمْرِ رَبِّهِمْ وَقالُوا يا صالِحُ أتِنا بما تَعِدُنا إنْ كُنْتَ مِنَ المُرْسَلِينَ . فأخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فأَصْبَحُوا فى دارِهِمْ جاثِمِينَ . فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وقالَ يا قَوْمِ لَقَدْ أبْلَغْتُكُمْ رِسالةَ رَبِّى ونَصَحْتُ لَكُمْ ولَكِنْ لاتُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ » (١) .

وقال الله تعالى : « فَلَمَّا جاءَ أمْرُنا نَجَّيْنا صالِحاً والَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا ومِنْ خِزْىِ يَوْمَئِذٍ إنَّ رَبَّكَ هُوَ القَوِىُّ العَزِيزُ . وأخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فأصْبَحُوا فى دِيارِهِمْ جاثِمِين . كأنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها ألا إنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ ألا بُعْداً لِثَمُود (٢) » .

وحينما أتى رسول الله ﷺ قرى ثمود فى غزوة تبوك قال لاصحابه : « لاتدخلُنّ على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم أن يصيبكم ما أصابهم » (٣) .

وروى عبيد بن شرية الجرهمى للخليفة معاوية بن أبى سفيان أخباراً مطولة عن ثمود وما أصابهم إلا أنها تحوى من المبالغات مايصعب تصديقها (٤) .

وذكر ابن خلدون (٥) أن النبى صالحاً ظل ينذر قومه عشرين سنة وتوفى ابن ثمان وخمسين سنة ويروى أنه بعد هلاك قومه ارتحل مع رهط ممن آمن به الى فلسطين حيث أدركته المنية ودفن فى موضع بقرب الرملة يحمل اسمه للآن ويقام فيه فى كل عام موسم يحييه أهل تلك الجهات .

ولم يرد ذكر ثمود ولا ذكر عاد فى التوراة . مع أن رسالتى النبيين هود

---

(١) سورة الاعراف الآية ٧٢ ـ ٧٩
(٢) سورة هود الآية ٦٦ ـ ٦٩
(٣) الطبرى م١ ص ١١٨
(٤) كتاب التيجان ص ٣٧٠ ـ ٣٩٦
(٥) م ٢ ص ٢٣

وصالح كانتا قبل ابراهيم .

وورد ذكر ثمود فى تاريخ الاشوريين . فان الملك سرجون الثانى المشهور ذكر أنه فى السنة ٧١٥ قبل الميلاد المسيحى غلب قبائل ثمود وعبادة ومرسيمانى وخيابا وأنه أسكن بقايا هذه القبائل فى مقاطعة السامرة فى فلسطين [١]

وورد ذكر ثمود أيضاً فى كتابات ديودوروس الصقلى الذى أشار الى منازلها المعروفة الآن .

وذكر بطليموس فى جغرافيته ما يفهم منه معرفته بثمود فى مواطنها فى الشمال الغربى من بلاد العرب كما أن أورانيوس ذكر كون ثمود مقيمين بقرب الانباط .

وقد اكتشف المستشرق موزيل على بقايا الهيكل الموجود فى الغوافة كتابة نبطية فهم منها أن ثمود كانت فى أواسط القرن الميلادى الثانى تملك حرتى العويرض والرحا [٢] .

ويستدل من ذلك على أن بلاد ثمود انتقلت بعد فنائهم على النحو الذى ذكر فى القرآن الكريم الى أيدى قبائل أخرى من الانباط والآثار الباقية فى جهات الحجر والعلا وتبوك والغوافة من مخلفات الفريقين ولا يمكن بما لدينا من المعلومات البسيطة تمييز آثار كل فريق على حدة [٣] .

وليس من السهل تعيين الزمن الذى قامت فيه حكومة ثمود بالرغم عن ورود ذكرهم ومحاربة سرجون لهم فى المئة السابعة قبل الميلاد . فمن المحتمل أن يكون الذين دعاهم الملك الاشورى بثمود من بقايا ثمود الاولى الذين لم يسمع العبرانيون بأخبارهم على مايظهر .

(١) وجدت هذه الكتابة على آجرة اشورية ونقلها المؤرخ رولنسون فى كتابه المسمى بالكتابات المسمارية المجلد الاول ص ٣٦ وذكر غيره مثل ذلك أيضا .

(٢) شمال الحجاز ص ٢٩١

(٣) انظر ما كتبه زيدان فى تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٦٥ ودوتي عن رحلاته فى بلاد العرب ص ١٧٦ وصورة الكتابات أيضا .

٤ — العمالقة

العمالقة قبائل عربية بائدة يضرب بأفرادها المثل بكبر الاجسام . ويظهر ان العرب أطلقوا كلمة عمليق أو عملاق على كل كبير الجسم عظيم الجثمان . و يوجد أفراد يسمون باسم عمليق فى قبائل غير العمالقة مثل طسم وجديس .

ذكر الطبرى أن « عمليق أبو العماليق كلهم وهم أمم تفرقت فى البلاد . وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الحجاز وأهل الشام وأهل مصر منهم . ومنهم كانت الجبابرة بالشام الذين يقال لهم الكنعانيون . ومنهم كانت الفراعنة بمصر وكان أهل البحرين وأهل عمان منهم أمة يسمون جاسم وكان ساكنو المدينة منهم بنو هيف وسعد بن هزان وبنو مطر وبنو الازرق منهم وأهل نجد ومنهم بديل وراحل وغفار وأهل تيماء منهم . وكان ملك الحجاز منهم [١] » .

ونقل ابن خلدون عن ابن سعيد فيما نقله قال « كانت مواطن العمالقة تهامة من أرض الحجاز فنزلوها أيام خروجهم من العراق أمام النماردة من بنى حام . ولم يزالوا كذلك الى أن جاء اسماعيل صلوات الله عليه وآمن به من آمن منهم وتطرد لهم الملك الى أن كان منهم السميدع بن لاوذ بن عمليق وفى أيامه خرجت العمالقة من الحرم أخرجتهم جرهم من قبائل قحطان فتفرقوا ونزل بمكان المدينة منهم بنو عبيل . ونزل أرض أيلة ابن هومر بن عمليق واتصل ملكها فى ولده وكان السميدع سمة لمن ملك منهم الى أن كان آخرهم السميدع بن هومر الذى قتله يوشع لما زحف بنو اسرائيل الى الشام بعد موسى صلوات الله عليه فكان معظم حروبهم مع هؤلاء العمالقة » [٢] .

وذكر ابن خلدون فى موضع آخر أن « من هؤلاء العمالقة فيما يزعمون عمالقة

(١) الطبري م ١ ص ١٠٣
(٢) ابن خلدون م ٢ ص ٢٧

مصر وأن بعض ملوك القبط استنصر بملك العمالقة بالشام لعهده فجاء معه الى مصر واستعبد القبط [١] » .

ونقل ابن خلدون عن الجرجانى وغيره أن الفرعون الذى كان على زمن ابراهيم منهم وفرعون يوسف منهم وفرعون موسى كذلك .

فيظهر من الاقوال التى نقلناها فيما مر أعلاه أن العمالقة كانوا منتشرين فى أماكن عديدة . غير أن ما وصل الينا من تاريخهم قليل جداً لا يركن اليه والذين وصل الينا بعض التفصيل عنهم هم العماليق الذين كانوا فى شمال الحجاز بقرب برية سينا . فقد ورد ذكرهم باسم الهكسوس أو الشاسو الذين غزوا مصراً فى أحد الازمان التى ضعفت فيها سلطة الاسرة المالكة الفرعونية واستولوا على الوجه البحرى منها وأنشأوا فيه حكومة تعاقب حكمها فيهم مدة طويلة وورد ذكرهم أيضاً فى أخبار الاسرائيليين وحروبهم وفى أخبار بعض ملوك بابل وأشور .

نقل المؤرخ اليهودى يوسيفوس [٢] عن مانثون المؤرخ الاسكندرى خبر دخول الرعاة الى مصر واستيلائهم على الملك فيها فى أواخر أيام السلالة الثانية عشرة التى توافق القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد . وظل الرعاة حكاما فى الجهات الشرقية والشمالية من مصر الى أن أخرجهم منها الملك احمس الاول مؤسس السلالة المالكة الثامنة عشرة فى القرن السابع عشر قبل الميلاد .

وبعد خروجهم من مصر قاموا فى جهات مَدْين والبطراء وأيلة وحاربوا الاسرائيليين أزماناً طوالا .

وورد ذكر العمالقة لاول مرة فى التوراة فى سفر التكوين [٣] ، بمناسبة اتفاق ملوك بابل تحت قيادة كدرلعومر على غزو بلاد العمالقة والحوريين وفتح مدنهم

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ٢٧
(٢) الحروب اليهودية م ١ ص ١٩
(٣) الاصحاح ١٤ الفقرة ٧ — ٨

فاران وهى العقبة وعين مشفاط التى هى قادس بقرب وادى موسى وحصون تامار. وكان ذلك فى حياة ابراهيم .

وجاء فى الاصحاح الرابع والعشرين من سفر العدد أن أول من قابل الاسرائيليين بُعيد خروجهم من مصر قبيلة العماليق .

وورد ذكر العمالقة بعد ذلك فى مواضع كثيرة من التوراة فى حروب الاسرائيليين معهم وكان من العمالقة أنهم تمكنوا بعد اتفاقهم مع مدين وبنى قدم من غزو مواضع عديدة من بلاد الاسرائيليين منها أريحا وغزة [١] .

وجاء تفصيل وقائع الملك شاؤل مع العمالقة فى سفر صموئيل من التوراة فانه جهز جيشاً من اليهود وغزا به مدن العمالقة ودمر أكثرها وأعظمها ومع ذلك فانهم ظلوا مبعث قلق لملوك اسرائيل ومصدراً للغزو على الاراضى اليهودية حتى زمن الملك داود . وكانت آخرتهم على يد قبيلة شمعون التى قتلتهم عن آخرهم واستولت على ديارهم .

٥ — مَدْيَن

يطلق هذا الاسم على القبيلة التى أرسل الله تعالى اليها النبى شعيباً كما جاء فى قوله تعالى « وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْباً قَالَ يَاقَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَالَكُمْ مِنْ إِلٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّى أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّى أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ » [٢] . كما انه يطلق على البلاد التى كانت قبيلة مدين تقطن فيها . وقيل انه اسم البلدة التى كانت أكبر بلدان مدين [٣] .

---

(١) سفر القضاة الاصحاح السادس الفقرة ٣٣ وما يليها .
(٢) سورة هود الآية ٨٣ .
(٣) ياقوت مادة مدين . والمستشرق موزيل : شمال الحجاز ص ٢٧٨ ـ ٢٨٧

ويمكن تحديد ديار قبيلة مدين بأنها واقعة الى الشرق والجنوب الشرقى من مدينة العقبة اعتباراً من حد وادى عرابة الى منطقة جبال الحسمة فى الشرق والى الجنوب حتى بلدة ضبا .

أما مدينة مدين فقد ورد ذكرها فى مواضع عديدة فيما كتبه الاقدمون . ذكرها يوسيفوس انها البلدة التى هرب اليها موسى من مصر وانها واقعة مقابل البحر الاحمر ثم ذكرها بطليموس فى كتابه باسم مَدْيَمَة وذكرها أيضاً الكاتب يوسيبيوس باسمها الصحيح وانها واقعة على الساحل الشرقى للبحر الاحمر . وذكرها المؤرخون والجغرافيون من العرب فى أكثر كتبهم[١] والمفهوم من كتاباتهم انها واقعة وسط أراضى مدين على شاطىء البحر الاحمر الشرقى[٢] .

أما قبيلة مدين[٣] فالذى يكتبه مؤرخو العرب عنها منقول فى الغالب عن التوراة فى سياق قصة ابراهيم الخليل وأولاده . قال ابن خلدون « وأما مدين ابن ابراهيم فتزوج بابنة لوط وجعل الله فى نسلها البركة ... فكان منهم مدين أمة كبيرة ذات بطون وشعوب وكانوا من أكبر قبائل الشام وأكثرهم عدداً وكانت مواطنهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلى الحجاز قريباً من بحيرة قوم لوط . وكان لهم تغلب بتلك الارض فعتوا وبغوا وعبدوا الآلهة وكانوا

---

(١) الطبري م ١ ص ١٠٥ ، وابن هشام فى السيرة ص ٤١١ ، وابن خرداذبه فى المسالك ص ١٢٩ ، واليعقوبي فى البلدان ص ٣٤١ ، والمقدسي فى الاحسان ص ١٥٥ ، والبكرى فى المعجم ص ٥١٦ ، وياقوت فى المجلد السابع ص ٤١٨ .

(٢) حقق المستشرق موزيل فى كتابه شمال الحجاز مواقع المدن المهمة فى اراضى قبيلة مدين فوجد أنها كائنة فى وادي البدع شمال الوادي الذى يمتد من الداخل حتى عينونة والخريبة على شاطىء البحر وانها مؤلفة من الاماكن الآتية : الموضا وهى اكبر القرى والبرج والمالحة والملقطة ومغاور النبي شعيب .

(٣) ورد ذكر مدين فى المواضع الآتية من القرآن الكريم سورة الاعراف الآية ٨٤ ، ٩٢ ، سورة التوبة الآية ٧١ ، سورة هود الآية ٨٣ – ٩٦ ، سورة طه الآية ٤٠ سورة الحج الآية ٤٤ ، سورة القصص الآية ٢٢ – ٤٥ ، سورة العنكبوت الآية ٣٦ .

يقطعون السبل ويبخسون فى المكيال »[1] .

وورد ذكر مدين وفروعها فى أماكن عديدة من التوراة فقد جاء فى الاصحاح الخامس والعشرين من سفر التكوين ان مدين ومدان من أولاد ابراهيم وقطوراء. وان مدين خلف من البنين عيفة وعفر وحنوك وابيداع وآلدعة .

وورد ذكر بعض هذه القبائل مع تحريف بسيط فى الاسماء فى التواريخ الآشورية ، فقد ذكر تغلات بيلصر انه غزا عام ٧٠٣ قبل الميلاد البلاد التى فيها قبائل مدين ومعظم أسماء القبائل الوارد فى كتاباته مشابه لاسماء القبائل المذكورة فى التوراة . فقبيلة خيابا الوارد ذكرها فى القصة الآشورية لايبعد أن تكون عيفة وبدانة لايبعد أن تكون مدان وعيدى بعل الآشورية ابيداع العبرانية وهلم جرا .

وحينما فر موسى من مصر بعد قتله للمصرى ، التجأ الى أرض مدين وأقام عند كبيرهم الذى تسميه التوراة يترون كاهن مدين وهو شعيب نبى الله المرسل لهداية قومه كما قصه القرآن الكريم فى سورتى الاعراف وهود .

غير ان قومه سخروا منه ولم يتبعه الا نفر قليل من بينهم « قَالَ المَلَأُ الَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَاشُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ . قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى اللهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ . وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ . فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فى

---

(١) ابن خلدون مجلد ٢ ص ٤٣

دِيَارِهِمْ جاثِمِينَ »[1] وجاء فى سورة هود « ولَمَّا جاء أمْرُنا نجَّيْنا شُعَيْباً والذين آمنوا معَهُ برَحْمَةٍ مِنّا وأَخَذَتِ الذين ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فأَصْبَحُوا فى دِيارِهِمْ جاثِمِينَ كأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها أَلَا بُعداً لِمَدْيَنَ كما بَعِدَتْ ثَمُودُ »[2].

أما مدين الذين ورد ذكرهم فى التوراة فى أخبار حروب بنى اسرائيل وملوك بابل وآشور فانهم حسب الظاهر من بقايا مدين ممن آمن بشعيب ونجا من النقمة التى حلت بقومه.

وقد عرف الرومان بقايا ثمود والعمالقة ومدين حين فتحهم لهذا القسم من بلاد العرب ودعوهم باسم الانباط الذين لهم شأن عظيم فى التاريخ العربى مما سنذكره فى موضع آخر ان شاء الله.

٦ — طسم وجديس

يقترن اسم طسم باسم جديس كاقتران عاد بثمود. وكانت ديارهم باليمامة فى قلب نجد. قال ياقوت: « وبين اليمامة والبحرين عشرة أيام وهى معدودة من نجد وقاعدتها حجر وتسمى اليمامة جوّا والعروض بفتح العين وكان اسمها قديما جوا فسميت اليمامة باليمامة بنت سهم بن طسم »[3].

وروى ابن هشام عن ابن منبه فى كتاب التيجان[4] ان طسما نزلوا فى اليمامة قبل جديس ثم جاء هؤلاء فرضخوا لحكم أبناء عمومتهم وأطاعوا الملك الذى كانت له السلطة على القبيلتين معا.

ذكر ابن خلدون أن ملك طسم كان غشوما لا ينهاه شىء عن هواه وكان

---

(١) سورة الاعراف الآية ٨٧ - ٩١.
(٢) سورة هود الآية ٩٥ - ٩٦.
(٣) معجم م ٨ ص ٥١٥ - ٥١٦، والجو معروف اليوم بين المعاصرين انه المكان الذى فيه بلدة الغطغط هجرة عتيبة المشهورة التى دمرت عام ١٣٤٨.
(٤) كتاب التيجان ص ١٧٥

مضراً لجديس ومستذلا لهم [١] وبلغ من عسفه وظلمه أنه شرع شرعة سيئة وهى أنه بعد حكمه الظالم فى هزيلة الجديسية وزوجها حينما احتكما اليه فى ولدهما تمادى فى غيه وفرض أن لا تزف بكر من جديس الى بعلها قبل أن يفترعها هو . فأحفظت هذه الفظاعة جديساً وتآمر الشبان عليه بتحريض الشموس وأخيها ، وعملت جديس وليمة للملك وأتباعه من طسم وكانت سيوفها مخبوءة فى الرمل فلما حضر قاموا عليه وقتلوه وأكثر جماعته من طسم [٢] . ولم يطل تمتع جديس بسلطانها بعد قضائها على طسم فقد استنصر من بقى من طسم بالملك الحميرى حسان ابن تبع فنهض فى حمير لاغاثتهم وقضى على القبيلتين معاً واستولى على بلادهما . ويروى أن أخت رباح بن مرة بن طسم واسمها اليمامة رأت قوات حسان بن تبع قبل وصولها الى الجو بثلاث مراحل [٣] وأنذرت قومها ولكنهم لم يعبأوا بما قالت فكان ما كان من استيلاء اليمن على تلك البلاد .

ولم تجر للآن أبحاث أثرية يستطاع بها معرفة ما خلف هؤلاء القوم وما كانوا عليه غير أن بعض البلدان النجدية الواقعة فى هذه الجهة تحوى آثاراً خربة تنسب الى عصور قديمة مثل خربات أبنية وأقنية وسراديب واقعة فى الجو وسدوس والقرية والمشقر .

وكان فناء طسم وجديس فى العصر الميلادى الخامس ان صح أنه كان على يد حسان بن تبع ملك حمير .

٧ — عبد ضخم

قال ابن خلدون نقلا عن الطبرى : ان هذه القبيلة كانت تسكن فى الطائف . وانها

---

(١) م ٢ ص ٢٤ .

(٢) انظر القصة مطولة فى ابن خلدون م ٢ ص ٢٤ وكتاب التيجان ص ٤٨٣ — ٤٨٧ ومعجم البلدان لياقوت م ٨ ص ٥١٦ — ٥١٩ .

(٣) انظر القصة فى ابن خلدون م ٢ ص ٢٤ — ٢٥ ومعجم البلدان م ٨ ص ٥٢٠ — ٥٢١ .

أول القبائل العربية التى كتبت بالخط العربى[١] .

ولم يصل الينا من أخبارها شىء يمكن الاعتماد عليه ، ولم تجر فى الطائف وأطرافها حفريات وأبحاث علمية لاكتشاف أمور تنير ظلمات البحث عن هذه القبيلة وغيرها . وتوجد فى أكثر بقاع الطائف نقوش وكتابات صخرية متعددة بعضها بالمسند وبعضها بالكوفى وبعضها برموز لا نعلمها . وقد يكشف القناع عن كثير من المعلومات التى نجهلها الآن .

أما الزمان الذى كانت فيه هذه القبيلة فالمرجح أنه يصادف أوائل القرن الميلادى الاول . ولا ندرى شيئاً عن كيفية اضمحلال عبد ضخم وذكر ابن خلدون أنهم « هلكوا فيمن هلك من ذلك الجيل . »

٨ — عبيل

هؤلاء القوم أقارب عاد الثانية ويقال ان ديارهم بالجحفة[٢] ويكاد لا يعرف شىء تقريباً عن هولاء الناس سوى ما بقى من اسمهم . وتوجد للآن قرية تسمى العبيلاء[٣] بالقرب من سهل ركبة لا ندرى أهى منسوبة الى عبيل أم انها اسم شىء آخر قال الطبرى : « ولحقت عبيل بموضع يثرب . . . فاخرجوا منها عبيلا فنزلوا موضع الجحفة فاقبل السيل فاجتحفهم فذهب بهم . »[٤]

٩ — أميم

يحسب العرب هذه القبيلة من العرب البائدة الا أن بعضهم يقول انها لم تفن

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ٢١ وصبح الاعشى م ١ ص ٣٢٤ .

(٢) قال ياقوت م ٣ ص ٦٢ الجحفة قرية كبيرة كانت ذات منبر على طريق المدينة من مكة على اربع مراحل وهى ميقات أهل مصر والشام ان لم يمروا بالمدينة وكان اسمها مريعة وهى الآن خراب . وبينها وبين المدينة ست مراحل وقيل انها على ثلاث مراحل من مكة لاأربع .

(٣) الى الشمال الشرقى عن الطائف وهى مشرفة على سهل ركبة وعلى جبل حضن ويقال ان عكاظاً كان بقرب هذه البلدة .

(٤) الطبرى مجلد ١ ص ١٠٦

ولكنها هاجرت من البلاد العربية الى بلاد فارس وأسس أفرادها هنالك البيوت والمنازل وضاعت سيرتهم فيما ضاع من سير الاقدمين قال الطبرى : « ولحقت أميم بارض أبار فهلكوا بها وهى بين اليمامة والشحر ولا يصل اليها اليوم أحد [1] » قال ابن خلدون « انهم أول من بنى البنيان واتخذ البيوت والآطام من الحجارة وسقفوا بالخشب . » [2]

١٠- حضورا

يقال ان بلادهم بارس [3] وجهات القصيم ولم يصل الينا من أخبارهم الا النزر اليسير والمقول أنهم كانوا من عبدة الاوثان فارسل الله لهم نبياً اسمه شعيب لهدايتهم فكذبوه ولم يصدقوا برسالته وقد خفيت عنا آثارهم ولم تجر فى الأماكن التى كانوا فيها تنقيبات أثرية لمعرفة ما كانوا عليه .

١١ — حضرموت والسلف وو بار

أسماء لقبائل عربية بائدة لم يصل الينا من أخبارها ما يعول عليه . فأما حضرموت فالمقول أنها كانت مقيمة فى القسم المعروف باسمها من بلاد العرب ولا تدخل فى البرنامج الذى رسمناه لانفسنا . الا أننا أدخلناها هنا لكى نستكمل البحث عن القبائل العربية البائدة . وأما السلف فلم يصل الينا من أخبارها الا اسمها وكذلك يقال عن وبار . ذكر ابن خلدون : « أن حضرموت معدودون فى العرب العاربة لقرب أزمانهم وليسوا من العرب البائدة لانهم باقون فى الاجيال المتأخرة الا أنه يقال ان جمهورهم قد ذهب من بعد عصورهم الاولى واندرجوا فى كندة وصاروا

(١) الطبرى مجلد ١ ص ١٠٦
(٢) ابن خلدون م ٢ ص ٨٢
(٣) ابن خلدون م ٢ ص ٣٠

من عدادهم . . . كان فيهم ملوك التبابعة فى علو الصيت ونهاية الذكر . وأول من انبسط ملكه منهم وارتفع ذكره عمرو الاشنت . . . . ثم ابنه نمر الازج . . . . ثم ملك كريب ذو كراب الخ . »[1]

١٢ — جرهم الاولى

قال ابن سعيد : « وهم قبيلة من العرب كانوا على عهد عاد فبادوا[2] » وقال ابن خلدون : « وأما جرهم فكانت ديارهم باليمن — وكانوا يتكلمون بالعبرانية » وقال البيهق : « ان يعرب بن قحطان لما غلب عادا على اليمن وملكه من أيديهم ولى اخوته على الاقاليم وولى جرهم على الحجاز[3]. »

ولم يصل الينا من تاريخ جرهم الاولى ما يصح الاعتماد عليه ، وتوجد هذه الاشارة البسيطة اليهم حينما كانوا فى اليمن قبل قدومهم الى الحجاز . وأما تاريخهم بعد نزولهم فى مكة وأطرافها فمع أن معظمه مجهول أو مشوش فاننا سنحاول ايراد شيء منه فى بحث الحكومات القحطانية فى الفصل الثانى من هذا القسم .

١٣ — هجرات القبائل العربية البائدة

لسنا هنا فى معرض ذكر تاريخ الامم العربية العظيمة الشأن التى هجرت بلاد العرب فى الازمنة القديمة الى البلاد المجاورة ، وإن صح ماذكرناه عن مهد الساميين والهجرات السامية القديمة فانه يلزم أن تكون قبائل عديدة قد هجرت بلاد العرب منذ أقدم أزمنة التاريخ قبل الميلاد المسيحى بثلاثة آلاف سنة ، وكان الطريق الذى سارت منه فى الغالب متبعا أواسط الجزيرة الى شمالها الشرقى ومن جنوبها

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ٣٠
(٢) صبح الاعشى م ١ ص ٣١٤
(٣) ابن خلدون م ٢ ص ٣٠

الى شمالها عن طريق الحجاز .

و أقدم الهجرات هذه هجرة السومريين فالاكاديين فالكلدانيين فالآراميين فالفينيقيين وسواهم . والحق أننا لانكاد نعرف شيئا عن تاريخ هذه الأمم قبل رحلتها من أواسط الجزيرة نظراً لانعدام معدات التدوين آنذاك ولعدم رقيها رقيا يمكنها من ترك أى نوع من الآثار ، وقد يمكن العثور على شيء من ذلك فيما لو أمكن اجراء أبحاث وتنقيبات أثرية فى بعض الاماكن فى وسط الجزيرة . توجد معلومات قليلة عن الفينيقيين حين اقامتهم فى البحرين من أرض الجزيرة ، ففى أماكن عديدة ما زالت أسماء البلدان التى عمرها هؤلاء الناس هى هى نفس الاسماء التى استعملوها فى المواطن الجديدة التى أنشأوها على ساحل سوريا ولبنان ، وقد وجدت فى الجبيل وتاروت والبحرين آثار قديمة ورموس بائدة يدل أصلها على عناصر وثنية تشبه المخلفات الفينيقية التى وجدت فى سواحل سوريا .

وللاستاذ محب الدين الخطيب رسالة فى موضوع الهجرات السامية هذه اسمها « اتجاه الموجات البشرية فى جزيرة العرب » تحوى بحثا ممتعا استخلصنا منه الهجرات الآتية .

وقد أورد الاستاذ برستد فى كتابه التاريخ القديم هجرات أخرى لم يذكرها الاستاذ الخطيب غير أن ذلك لاينقص من قيمة بحثه . وها نحن أولاء نسرد خلاصة ماورد فى الرسالة المذكورة :

الموجة الاولى : هجرة الكلدانيين الى ما بين النهرين حوالى القرن السادس والثلاثين قبل الميلاد .

الموجة الثانية : هجرة الفينيقيين الى سواحل سوريا سنة ٢٦٠٠ قبل الميلاد .

الموجة الثالثة : هجرة قوم حمورابى الى العراق سنة ١٦٠٠ قبل الميلاد (١) .

---

(١) يختلف ترتيب هذه الهجرات فى كتاب الاستاذ برستد فى أن الهجرة الاولى هى هجرة السمريين فى القرن الاربعين قبل الميلاد ويليها هجرة العكاديين وهم قوم حمورابى عام ٣٦٠٠ قبل الميلاد وهجرة الكلدانيين تأتى بعد قوم حمورابى .

الموجة الرابعة : هجرة الاقوام الاسماعيلية من الحجاز الى شمال بلاد العرب سنة ٦٠٠ قبل الميلاد .

الموجة الخامسة : هجرة قوم معد بن عدنان الى العراق وسوريا وفلسطين حوالى القرن الاول الميلادى .

الموجة السادسة : هجرة القبائل اليمانية بعد سيل العرم فى القرن الثالث الميلادى .

الموجة السابعة : الموجة الاسلامية الكبرى فى القرن الميلادى السابع

الفصل الثاني

حكومات العرب القحطانية

أقدم حكومات قحطان : جرهم ـ خزاعة ـ قضاعة ـ لخم وجذام والغساسنة ـ كندة ـ الاوس والخزرج

---

١ — الحكومات الاولى [١]

أصل العرب القحطانية من اليمن ولا ندرى على وجه الصحة الزمان الذى قامت فيه أولى حكوماتهم . غير أن المتواتر أن أوائل قحطان أدركت أواخر عاد وثمود ونازعتها السلطان وورثتها بعد زوال سيطرتها وفناء حكمها . ويمكن ارجاع تاريخ أولى الدول القحطانية الى بضعة آلاف من السنين غير أننا هنا لن نذكر من هذه الدول إلا ما كان له علاقة مباشرة بموضوعنا ومن أجل ذلك فاننا لن نذكر شيئا عما علم من أخبار دولة المعينيين ـ أقدم الحكومات العربية التى وصلت الينا أخبارها من الآثار التى خلفتها فى معين وظفار وحضرموت ـ كما أننا لن نذكر أخبار الدولة السبائية التى لها اسم عظيم فى التاريخ العربى وفى بعض التاريخ اليهودى الخاص بسليمان بن داود ، وسنكتفى هنا بالاشارة الى أن

---

(١) ورد ذكر معين وسبأ فى كتابات سترابو . ثم اكتشف جوزيف هاليفي كتابات صخرية عديدة فى الجوف ، ونجران وحل العلماء معظمها فعلم منها الشيء الكثير عن تاريخ معين وسبأ والآثار التى تركوها . وفى القرآن الكريم سورة باسم سبأ جاء فيها ذكر بلدتهم وغناها وذكر سيل العرم الاية ١٥ ـ ١٨ ويظن المستشرق غلايزر ان دولة سبأ قامت مابين ٨٥٠ ـ ١٥٠ قبل الميلاد . واما دولة حمير فالمعتقد انها قامت على اثر زوال سبأ عام ١٥٠ قبل الميلاد ودام حكمها الى قرب عصر الرسالة .

ملك سبأ قد اتسع نطاقه الى أن كاد يشمل كافة أنحاء الجزيرة العربية ومن ضمن ذلك المملكة التى نحن الآن بصدد دراسة تاريخها .

وسنُغفِل كذلك أخبار الدولة الحميرية وملوكها بالرغم عن امتداد سيطرتهم على كافة أنحاء الجزيرة وفرضهم الجزية على طسم وجديس فى نجد [١] والعمالقة فى الحجاز لان تاريخهم يدخل ضمن تاريخ اليمن . وبناء على ذلك فاننا نشرع فى درس أطوار الحكومات القحطانية التى قامت فى أنحاء البلاد التى تتألف منها المملكة الحالية . وقد لا نكون مخطئين اذا حسبنا أن مدة هذه الحقبة من التاريخ العربى تمتد من القرن الرابع والعشرين قبل الميلاد الى أوائل القرن السابع بعده أى الى عصر الرسالة .

٢ — جرهم [٢]

لا يعلم الزمن الذى حلت فيه جرهم الثانية فى مكة . وتعرض لنا فى هذا الباب ثلاث روايات : الاولى : ان اسماعيل حينما نشأ وشب وجد نفسه وسط الجراهمة فصاهرهم وأقام بينهم [٣] والثانية ان جرهما جاءت من اليمن الى الحجاز فوجدت اسماعيل فيه [٤] والثالثة وهى التى نراها أقرب الى الصواب ، ان قدوم جرهم الى الحجاز كان قبل قدوم ابراهيم بولده اسماعيل على زمن العمالقة وأنهم كانوا فى الأودية التى بأطراف مكة الى أن حُفرت بئر زمزم فانتقلوا الى المكان الذى فيه مكة [٥] .

أما قدوم جرهم الى مكة فيعزى الى سببين الاول ان يعرب بن قحطان حينما فاز وقومه على عاد وثمود واستولى على بلادهما وعلى بلاد العمالقة أرسل اخوته

---

(١) انظر البحث عن طسم وجديس فى الفصل الاول .

(٢) هى جرهم الثانية التى اشرنا اليها فى الفصل الاول

(٣) ابن خلدون م ٢ ص ٣٧ ، ابن هشام ص ٧١ ، الطبرى ص ١٣٢ .

(٤) ابن خلدون م ٢ ص ٣٧ ابن هشام ص ٧١

(٥) رواية ابن عباس فى ابن خلدون م ٢ ص ٣٧ والطبري ص ١٣٢

جرهماً الى الحجاز لانتزاع السلطة لأنفسهم من أيدى العماليق [١] . والثانى أنه حصل تنافس شديد بين القحطانيين من حمير وسبأ وجرهم كما يقع دائماً بين المقيمين فى مكان واحد من التنافس فى حب الظهور والزعامة وطلب الرزق والسيطرة على الآخرين ، أدى الى تكاتف قحطان على أبناء عمومتهم من جرهم ونفيهم ونفى أحلافهم بنى قيطون من البلاد اليمانيـة . فرحلوا الى الحجاز وحلوا به وانتزعوا حكمه من أيدى العماليق [٢] .

وحلت جرهم وكبيرها مضاض بن عمرو فى أعلى مكة وقيطون وكبيرها السَّميدع فى أجياد من مكة . وكانت جرهم تُعَشِّر مايدخل مكة من أعلاها وقيطون تعشر مايدخل من أسفلها [٣] .

وتزوج اسماعيل ابنة مضاض ورزق منها اثنى عشر ولداً . وكان اسماعيل يلى أمر مكة الى أن توفى فوليها اثنان من أبنائه نابت ثم قيـدار ويقال العكس . ثم انتقل الامر بعـدهما الى جدهما مضاض بن عمرو الجرهمى وبقى أمر ولاية البيت فى أولاد اسماعيل .

وتنافس الحيان اليمانيان بعـد اقامتهما فى مكة وأدى تنافسهما الى القتال . فالتقى الفريقـان جرهم وقيطون فى فاضح فغلب القيطونيون وقتل كبيرهم [٤] . وظل حكم جرهم فى مكة الى زمن عدنان فضعف أمرها بدليل ماجاء بمناسبة غزو بختنصر للعرب فى ذات عرق فان قائد العرب فى الموقعة لم يكن جرهمياً وهذا دليل على ضعف جرهم إذ ذاك . وروى الطبرى أنه بعد عودة مَعد الى مكة خرج الى ريسوب فاستخرج أهلها وسأل عن لقمان ولد الحارث بن مضاض الجرهمى وهو الذى قاتل دوس العتق فأفنى أكثر جرهم على يديه فقيل له بقى جرشم بن جلهمة

---

(١) سيديو ص ٢٢ وابن خلدون م ٢ ص ٣٠ — ٤٧ .
(٢) اخبار عبيد ص ٣٩٨ ولم يذكر المؤرخون وقت جلاء العمالقة عن الحجاز .
(٣) ابن هشام ص ٧١ .
(٤) ياقوت مادة مكة .

فتزوج معد ابنته معانة فولدت له نزار بن معد [١] وذكر اليعقوبى ان اضمحلال سلطة جرهم عن مكة كان من أيام ادد والد عدنان [٢] .

وساء أمر جرهم فى مكة بعد ذلك وضاقت أحوالهم فظلموا الوافدين اليها واستحلوا مال الكعبة فأكلوه ، فنقم عليهم جيرانهم من نسل عدنان بطون كنانة ومن قحطان خزاعة واحتربوا معهم الى أن أجلوهم عن مكة فى أوائل القرن الميلادى الثالث وبناء على ذلك فان مجموع اقامتهم فى مكة تبلغ الواحد والعشرين قرنا.

قال ابن اسحاق «فخرج عمرو بن الحارث بن مضاض الجرهمى بغزالَى الكعبة وبحجر الركن فدفنهما فى زمزم وانطلق هو ومن معه من جرهم الى اليمن فحزنوا على مافارقوا من أمر مكة وملكها حزنا شديدا» [٣] وقال عمرو شعره المشهور الذى منه :

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

وكانت جرهم حنيفية على سنة ابراهيم الخليل ولم تعبد الاوثان كسائر العرب إلا أنها فى عصورها الاخيرة تحولت الى شكل تقليدى بعيد عن جوهر الدين الحنيف ولبابه .

وقد أدرك أحد الجراهمة المسمى عبيد بن شرية الخليفة معاوية بن أبى سفيان وحدثه عن أخبار المتقدمين ودوّن ذلك برواية ابن هشام فى كتاب التيجان [٤] .

٣ — خزاعة

جاءت قبيلة خزاعة الى الحجاز من اليمن قبيل سيل العرم ، ولمجيئها قصة مشهورة [٥] وكان رئيسها يوم هجرتها عمرو بن لحى مزيقياء ونزلت فى مرالظهران [٦] أول الأمر ، ثم انها بمعونة بطون عربية أخرى من نسل عدنان حاربت جرهم

(١) الطبرى م ١ ص ٢٩٣ .
(٢) اليعقوبى م ١ ص ٢٥٤ .
(٣) ابن هشام ص ٧٢ .
(٤) للاستاذ محب الدين الخطيب بحث طويل عن عهد جرهم بمكة نشره فى الزهراء جمع فيه خلاصة ماورد عن هذه الحقبة من تاريخ مكة .
(٥) ابن هشام ص ٧ وابن خلدون م ٢ ص ٢٤٨ و ٢٥٣ .
(٦) ابن خلدون م ٢ ص ٢٥٣ ومر الظهران هو وادى فاطمة .

وتغلبت عليهم واستولت على مكة كاملة . ثم حصل نزاع بين خزاعة وبطون كنانة أدى آخر الأمر الى قسمة المناصب الحكومية بين أفرادهما فكان الحكم وما الى ذلك من مناصب السؤدد والرفعة فى خزاعة والمناصب القضائية والدينية فى أيدى كنانة من العدنانية . ودامت الحال بينهما على هذا المنوال ما شاء الله أن تدوم الى أن كثرت بطون كنانة واشتدت عصبيتها فنازعت خزاعة ثانية السؤدد والمجد وتمكنت بزعامة قصى بن كلاب فى أواخر القرن الرابع للميلاد (٤٤٠ ميلادية) من الاستيلاء على مناصب الحكم فى مكة ونوال سدانة البيت والعناية بشؤون الحج دون خزاعة [١] . وذكر ياقوت أن ولاية خزاعة على مكة ٣٠٠ سنة [٢] .

٤ — قضاعة

يختلف النسابون فى نسب قضاعة ، ويدعى بعضهم أنها من عدنان والحقيقة أنها يمانية [٣] اضطرت تحت تأثير العوامل المختلفة الى ترك ديارها الاصلية فى اليمن وذلك حوالى القرن الميلادى الثالث والهجرة الى أنحاء أخرى فى بلاد العرب [٤] وكان نزول بطون قضاعة بعد هجرتها من اليمن على ساحل البحر بين عك [٥] وجدة على ساحل تهامة وحصلت بين من نزل منهم فى هذه الارض وبين مجاوريهم من عدنان حروب وفتن وغزوات كما يحدث فى زماننا الحاضر بين قبائل البادية ويغلب على الظن أن أسباب الهجرة البدوية في غالب الاحيان تنشأ إما عن اجلاء

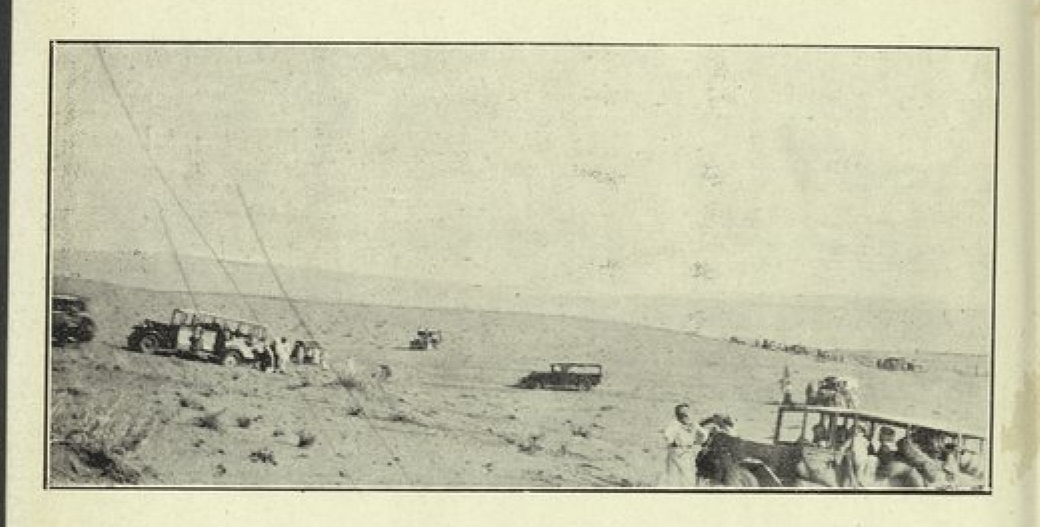
(١) ابن خلدون م ٢ ص ٣٣٤ — ٣٣٥ وابن هشام ص ٧٤ — ٧٥

(٢) ياقوت مادة مكة .

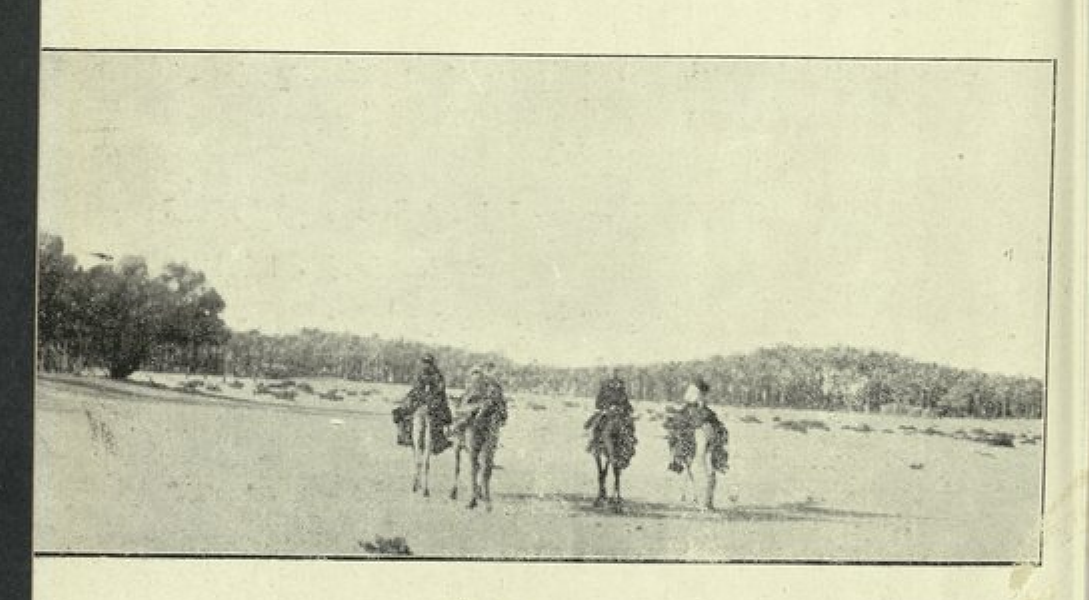
(٣) جاء فى صبح الاعشى م ١ ص ٣١٥ ما يأتى : والصحيح أن أم قضاعة وهى جكرة ، مات عنها مالك بن حمير وهى حامل فتزوجها معد بن عدنان فولدت قضاعة على فراشه فتبناه فنسب اليه انظر أيضا ابن خلدون م ٢ ص ٢٤٧

(٤) ذكرت الهجرات العربية التي حصلت قبيل خراب سد مأرب وبعيده بالتفصيل فى ابن خلدون والطبرى وغيرهما ومنها هجرة الازد وغسان وقضاعة .

(٥) اطلق فى الاصل على قبيلة حميرية ثم نقل الاستعمال حتى صار علما للبلاد التي كانت فيها



١٢ – السيارات تجتاز نفود السر بكل صعوبة



١٣ – واحة تربة

قبيلة لقبيلة أخرى وإما عن ضيق سبل المعاش والسير فى الارض للتحرى عن منتجعات ومراع للانعـام ، وإما عن الرغبة فى الغزو والفتح . ولذلك فاننا نجد بطونا من قضاعة قد انتقلت من اليمن الى الحجاز وأقامت فيه . وأهم بطون قضاعة جهينة وبلى[1] القبيلتان اللتـان ما زالت ديارهما نفس الديار التى أحتلهـا آباؤهما الاقدمون ممتدة من ينبع الى قرب العقبة شمالا ومن ساحل البحر الى سلسلة جبال الحجاز شرقا . ويقال ان أصل ثقيف من قضاعة ، وهنالك عدة بطون من قضاعة كان لها أهم الأثر فى الزمان الذى نبحث الآن فى تاريخه ، منها تنوخ من الازد من قضاعة كانت ما بين نجد والحسا ثم انتقلت الى العراق فالشام حيث لاتزال بقايا منها موجودة الى يومنا هـذا ومنها سليح التى كانت معروفة باسم الضجاعمة فى الشام . ومنها كلب فانها أنشأت دولة مستقلة فى دومة الجندل حتى تبوك وتيماء[2]

٥ — لخم وجذام والغساسنة

اشتهرت هذه القبائل فى الاماكن التى سكنت فيها بعد رحلتها نهائياً من اواسط الجزيرة وليس من برنامجنا ادخالها هنا الا ان كونها من الدول اليمانية التى هاجرت من اليمن وأقامت فى بعض جهات عسير والحجاز ونجد قبل انتقالها الى الحيرة والشام يجعلنا نشير اليها اشارة بسيطة لاسيما لان الدولتين الكبيرتين دولة الروم ودولة فارس اللتين كانتا مصاقبتين لهما استعملتاهما لبسط نفوذهما على سكان الجزيرة العربية وفرض السيطرة عليهم . فالمناذرة اللخميون من البطون القحطانية التى هاجرت أثناء سيل العرم فى القرن الثالث الميلادى الى جهات نجد ثم ذهبت شمالا الى أن استقرت فى الحيرة وأنشأت هنالك دولة المناذرة ربيبة فارس وعميلتها

---

(١) ذكر صاحب صبح الاعشى م ١ ص ٣١٦ ان المشهور من قضاعة سبعة احياء : بلى وجهينة وكلب وعذرة وبهراء ونهد وجرم .

(٢) انظر تفصيل خبر قضاعة فى ابن خلدون م ٢ ص ٢٤٧ — ٢٤٩ .

فى اخضاع من والاها من العرب[١] والغساسنة من قحطان أيضاً انتقلوا من اليمن الى جهات الحجاز وعسير ونزلوا فى مكان فيه ماء يعرف بغسان[٢] فعرفوا بعد رحيلهم عنه به . وكان قدومهم الى الحجاز فى نفس الزمن الذى جاء فيه الازد وقضاعة والاوس والخزرج .

٦ — كندة

نزلت كندة بعد رحيلها عن اليمن فى جهات البحرين وهجر ، غير ان ازدياد شوكة المناذرة أبناء عمومتهم فى جهات العراق وأطراف نجد والبحرين الشمالية وضغطهم عليهم حملهم على هجر البحرين الى حضرموت حيث أقاموا وقتاً غير قصير[٣] . ومعلوم أن التنافس بين البادية والتنازع على المراعى والمياه يؤدى حتما الى الضغائن لاسيما فى سنوات الجدب والقحط . ولذلك فان كندة لم تستطع أن تقيم طويلا فى جوار حمير فى حضرموت ووقعت بين الفريقين حروب انتهت باخراج كندة منها ونزولها فى نجد ثانية . ويذكر المؤرخون لصيرورة أمراء كندة أمراء على كافة نجد وقبائلها العدنانى منها والقحطانى أسباباً كثيرة أهمها نزاع قبائل نجد على الرآسة وعدم اتفاقها على سيادة فريق على فريق فاتفقت الكلمة على تمليك واحد من غيرها وراجعت القبائل حسان بن تبع ملك اليمن فولى عليها زعيم كندة ونزل فى بطن عاقل[٤] . وعظم شأن الحارث بن عمرو ابن حجر حفيد مؤسس دولة كندة وخضعت له العرب ونافس لخما فى الحيرة منافسة جعلت له المكان الاسمى فى عيون القبائل فطلبت منه أن يولى عليها من يريده من أبنائه فأرسل اليها أمراء أمرهم على أسد وغطفان وعلى بكر بن وائل

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ٢٥٤
(٢) المسعودي ٢٩٨ وابن خلدون م ٢ ص ٢٥٠
(٣) تاريخ العرب قبل الاسلام ص ٢١٤
(٤) ابن خلدون م ٢ ص ٢٧٢

بأسرها وعلى قبائل قيس عيلان وواحداً منهم على تغلب والنمر وقد استولى هذا الملك أيضاً على الحيرة بموافقة قباذ الفارسى [1] الذى غضب على اللخميين غير أن حكم كندة للحيرة لم يطل واختلف الناس بعد موت الحارث قتيلا من قبل كلب وقاموا على الامراء من أبنائه وأخصهم حجر والد امرئ القيس الشاعر الشهير. والمظنون أن مدة حكم هذه الدولة لم يطل سوى مئة عام أو أزيد بقليل. فقد بدأت عام ٤٥٠ للميلاد تقريباً وتوفى امرؤ القيس الشاعر حوالى عام ٥٦٠ للميلاد قبل ولادة الرسول ﷺ بوقت قصير، وكانت ولادته فى بلدة مرات بقرب نفود السِّر.

٧ — الاوس والخزرج

من القبائل القحطانية التى هاجرت من اليمن بعد سيل العرم من كهلان رهط ثعلبة العنقاء بن عمرو بن عامر ابن أخى عمران أمير كهلان فى اليمن [2]. وقد ارتحل هذا الرهط ونزل فى يثرب وكان منه الاوس والخزرج [3]. ومن المتعذر تعيين زمن وصول هذين البطنين الى المدينة كما أنه من المتعذر معرفة من السابق للاستقرار فيها أهما أم اليهود من بنى قريظة والنضير؟

ويقول صاحب الاغانى ما يفهم منه أن الاوس والخزرج نزلوا على اليهود الذين كانوا هنالك من قبل بزمن طويل وكانت الحال بين الجانبين فى أثناء اقامتهم الاولى حسنة، ويقول السمهودى مؤرخ المدينة « وقد وجد الاوس والخزرج

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ٢٧٢

(٢) ابن خلدون م ٢ ص ٢٨٦

(٣) من أغرب ما سمعت اثناء زيارتى لمدينة انقرة فى صيف عام ١٩٣٢ ان مجلس التاريخ التركي فيها وجد من الدلائل والبراهين ما جعله يعتقد اعتقادا جازما بان هذين البطنين من الاصل الطورانى! وقد كان محدثي، وهو من أشهر رجال تركيا الحديثة، يتكلم بحرارة زائدة وثقة عظيمة فيما يقول.

الاموال والآطام بأيدى اليهود والعدد والقوة معهم فمكثوا ماشاء الله ثم سألوهم أن يعقدوا بينهم جواراً وحلفا يأمن به بعضهم من بعض ويمتنعون به من سواهم فتحالفوا وتعاملوا ولم يزالوا كذلك زمانا طويلا وأثرت الاوس والخزرج وصار لهم مال وعدد وخافت قريظة والنضير أن يغلبوهم على دورهم فتنمروا لهم حتى قطعوا الحلف »[1] ودخل اليهود بين الحيين الى أن تمكنوا من ايجاد نار العداوة والفتنة بينهما فأمنوا بذلك شرهما معا وحصلت بين الاوس والخزرج وقائع عديدة أهمها يوم بعاث وجاء الاسلام والمنافسة بين الجانبين باقية والعداوة بينهم وبين اليهود لم تخمد .

---

(١) وفاء الوفا ص ٨٢

الفصل الثالث

الحكومات الاسماعيلية والعدنانية

الاسماعيليون ـ الانباط ـ الحكومات العدنانية
حكومة مضر

---

١ ـ الاسماعيليون

أصل ابراهيم من بلاد ما بين النهرين [١]، هاجر منها الى فلسطين ومصر ثم قدم فى وقت من الاوقات الى الحجاز وترك فيه ابنه اسماعيل من جاريته هاجر المصرية [٢] فشب اسماعيل وتزوج من جرهم كما ذكرنا ورزق اثنى عشر ولداً كان منهم جذم العرب العظيم عدنان .

وقد ولى اسماعيل زعامة مكة وولاية البيت وخلفه فيهما اثنان من أولاده ثم انتقلت الزعامة الى جرهم وظلت فى أيديهم ـ مع بقاء أولاد اسماعيل ولاة للبيت ـ الى أن كثرت بطون اسماعيل فاتفقت كنانة العدنانية وخزاعة القحطانية

---

(١) أوضحنا فى النبذة ١٣ من الفصل الاول من هذا القسم ان أصل الكلدانيين من جزيرة العرب هاجروا الى مابين النهرين فى الاعصر القديمة وانشأوا فيها دولهم المعلومة . فابراهيم اذن ليس بغريب عن الحجاز وعودته اليه من قبيل عودة المهاجر الى بلاده الاصلية .

(٢) ذكر الطبري ان ابراهيم جاء الى مكة ثلاث مرات : الاولى ترك فيها هاجر وطفلها اسماعيل والثانية بعد ان أدرك اسماعيل وتزوج من جرهم زيجته الاولى والمرة الثالثة بعد زواج اسماعيل بزوجته سيدة بنت مضاض الجرهمى وفى هذه المرة رفع ابراهيم واسماعيل القواعد من البيت . ذكر هذا فى م ١ ص ١٣١

على انتزاعها من جرهم كما أوضحناه فى موضعه من هذا الكتاب .

وقد سبق لنا أن أوضحنا أيضاً أن نجم عدنان السيامى أخذ يتألق من العصر الذى هاجم فيه بختنصرُ العربَ فى ذات عرق ، وقد كان هذا النفوذ بادىء بدء نفوذاً دينياً أساسه حرمة العرب لولاة البيت من نسل اسماعيل وكون الدين دين ابراهيم جد العدنانية ، ثم حينما ضعف شأن جُرهم ازداد نفوذ كنانة لانها شريكة خزاعة فى طرد جرهم ولذلك رأيناها تقتسم الوظائف الحكومية معها وتنال منها قسطاً غير قليل .

والمعلوم من تاريخ هذه الحقب البعيدة ضئيل جداً لا يمكن الاعتماد عليه ، غير أننا ورثنا منه آثاراً مهمة جداً هى : ١) البيت ، ٢) بئر زمزم ، ٣) مقام اسماعيل ، ٤) المناسك والمشاعر التى قبلها الدين الاسلامى الحنيف .

وما يقال عن تاريخ تلك الأزمنة يقال عن تاريخ نسل اسماعيل وانتشار فروعه وهجرتها الى الشمال والشرق والجنوب .

٢ — الانباط

يقال ان الانباط من أصل نابت بن اسماعيل ، كانوا فى مكة وأطرافها ثم رحلوا عنها الى الشمال بسبب دواع غير معلومة وأقاموا أول أمرهم فى ديار ثمود [١] ، ثم توغلوا فى الشمال الى أن استولوا على بلاد مدين وبلاد الأدوميين ، وأنشأوا لانفسهم مملكة عظيمة ذات مدنية باهرة كانت عاصمتها البطراء فى وادى موسى ولا ندرى زمن هجرتهم من الحجاز الى هذه البلاد غير أن المظنون كونهم استقروا فى مواطنهم الجديدة زمن غزوات بختنصر للاسرائيليين والعرب وقد ورد ذكر قيدار أبناء عم نابت فى سفر أرميا .

(١) واقعة فى وادي القرى من العلا الى تبوك فى شمال الحجاز .

ذكر الرحالة دوتي والمستشرق موزيل ان الكتابات والنقوش وآثار البناء التي عثرا عليها في مدائن صالح والعلا وبلاد مدين والغوافة هي من أثر الأنباط نظراً لحداثة عهدها وكونها باللغة النبطية .

ولم يرد في كتب العرب شيء عن الانباط الذين نقصدهم . وانما ذكر المؤرخون قوماً يسمون بالانباط كانوا في صدر الاسلام في جهات العراق . ولا ندري الصلة بين هؤلاء وأولئك أهي صلة اسمية أم ان هنالك روابط عرقية تجمعها

ومع اننا لا ندري بالدقة ما كان من أمر الانباط قبل حلولهم في بلادهم الجديدة ولا ما كان من حروبهم التي أسفرت عن استيلائهم على البلاد وطرد سكانها الاصليين منها فان التوراة ذكرت حروب الادوميين لاسرائيل واتفاقهم مع بختنصر ضد الاسرائيليين والعرب فكان من جراء ذلك على ما يظهر أن نقم العرب عليهم لمحالفتهم لعدوهم واهتبلوا الفرصة الملائمة للتنكيل بهم وتم لهم ذلك على ما يظهر على يد الانباط حوالي القرن الرابع السابق للميلاد . ودامت دولة الانباط الى أن أزالها الفاتحون الرومان عام ١٠٦ بعد الميلاد .

وقد عرف العرب بعد الاسلام مدينة الانباط الكبرى البطراء وسموها الرقيم [١] .

ورد ذكر الانباط باسم الاسماعيليين في مواضع عديدة من تواريخ المصريين والبابليين والاشوريين والفرس والاسرائيليين . فقد ذكر ديودورس الصقلي أن الملك سزوستريس فرعون مصر الذي حكم حوالي عام ١٣٠٠ قبل الميلاد كان يخشى العرب [٢] ولذلك أنشأ خطوط دفاع عظيمة في صحراء سيناء لصد هجماتهم [٣] . وذكرهم سنحاريب واشور بانيبال وبلسيس كما ذكرهم زنوفون وسترابو الا أن

---

(١) انظر ياقوت والبكري والمقدسي

(٢) نعتقد ان الاشارة هنا للعمالقة وليس للانباط لان رحلة الانباط من الحجاز تقع بعد معارك بختنصر فهي متأخرة جدا عن هذا التاريخ .

(٣) كريشتون ص ١٠٤

ذ كرهم الحقيقى يبدأ على زمن الاسكندر وخليفته بطليموس ثم تكررت الوقائع بينهم و بين الرومان وانتهى الامر بغلبتهم .

وأكثر أسماء ملوك الانباط أسماء عربية صريحة منها الحارث وعبادة ومالك والذى عرف من تاريخهم يدل على تمدنهم ورقيهم ، فقد شادوا القصور وعمروا الآثار وسكوا النقود باسمهم واستوزروا الوزراء ، وعلى الاجمال كانوا مملكة مستقلة لها جميع خواص الملك ومميزاته [١] .

٣ — حكومات قبائل عدنان

أدى تكاثر نسل عدنان و توالده الى نشوء قبائل عديدة اقتسمت البلاد العربية فيما بينها . وصارت القبيلة حكومة مصغرة أساس كيانها السياسى الوحدة العصبية والمنافع المتبادلة فى حماية الأرض ودفع العدوان عنها . ولم تنجح هذه القبائل فى انشاء المدن وتأسيس الممالك بل كان اجتماعها اجتماعاً بدوياً القصد منه التعاضد والتآلف ضد العدو فى مراتع القبيلة وصد هجمات المغيرين عنها .

وأهم حكومات هذه القبائل أورده العلامة الحكيم ابن خلدون [٢] فى كتابه وقد لخصنا عنه أخبار الحكومات القبائلية الآتية :

الاولى : حكومة أنمار التى أنشئت على أثر رحيل قبيلة أنمار من تهامة الحجاز الى سراة عسير بين الحجاز واليمن و بقى من آثارها قبيلتا خثعم و بجيلة [٣] .

الثانية : حكومة إياد بن نزار بن معدّ فانها تنازعت السلطة فى الحرم وما

---

(١) فى تاريخ العرب قبل الاسلام لزيدان بحث طويل عن الانباط ومملكتهم ورقيهم من صفحة ٦٨ — ٨٣ وكتب المستشرق موزيل مجلدا ضخما عن رحلاته فى بلاد الانباط اسماه العربية الحجرية Arabia Patrea

(٢) ابن خلدون م ٢ ص ٣٠ وما يليها .

(٣) انظر بحث القبائل العربية فيما تقدم .

جاوره مع ربيعة ومضر واضطرت آخر الامر الى الرحيل عن الحجاز الى جهات العراق[1] ووقعت بينها وبين الفرس وقائع كان آخرها على يد الملك سابور ذى الاكتاف فانه استلحمهم وأفناهم .

الثالثة : حكومة ربيعة ، وهى من أعظم الحكومات العدنانية وأقواها . فقد تنازعت السلطة وقتاً طويلا على الحجاز مع حكومة مضر ، ثم انها بعد نزوحها عن الحجاز استولت على أماكن عديدة فى الجزيرة منها نجد والبحرين وهجر . وهذه الحكومة هى أولى الحكومات العدنانية التى نجحت فى رفع نير الحكومات القحطانية عن نجد بزعامة كليب سيد وائل .

ومن بقايا ربيعة التى ما تزال الى يومنا هذا عظيمة الجانب منيعته قبيلة عنزة بكاملها ، ومنها آل سعود الذين منهم الملك عبد العزيز آل سعود ملك البلاد العربية السعودية .

الرابعة : حكومة مُضَر التى آثرنا ذكرها فى نبذة مستقلة ويكفيها شرفا أن منها الرسول الأعظم ﷺ .

٤ — حكومة مضر

استقلت قبائل مضر بعد نزوح ربيعة بسائر الحجاز ، وانتشرت فروعها وأفخاذها فى أطرافه . وكان منها حيان مشهوران خِندِف وقَيس عيلان وغالب الحيين بدو رعاة إلا من كان فى مكة وأطرافها . ولذلك فان تاريخ حكومة مضر يكاد ينحصر فى مكة وما كان فيها وفيما جاورها من الاحداث .

---

(١) ذكر ابن خلدون ان ايادا حينما رحلوا عن الحرم قلعوا الحجر الاسود ودفنوه فى بعض المواضع فاستدلت خزاعة عليه وارجع الى مكانه م ٢ ص ٣٣٣ .

وقد ازدهرت مكة على أيام حكومة مضر وأصبح لها شأن عظيم ما زال لها الى يومنا هذا ويبدأ تاريخها الفعلي بقيام قُصَيّ بن كِلاب على حكومة خُزاعة واستئثاره دونها بمقاليد الحكم وبولاية البيت.

أما قيام قصى فالمتواتر فى كتب العرب عنه هو أنه فى أيام خزاعة كان لمضر ثلاث خصال الاولى: الاجازة بالناس يوم عرفة. والثانى: الافاضة بهم غداة النحر من جَمْع الى مِنَى. والثالث: نسء الشهور الحرم (١). غير أن قصياً تمكن من التقرب الى حُلَيْل كبير خزاعة وتزوج ابنته وصار له عنده مقام جعله يؤثره على ولده، فأوصى له بولاية البيت من بعده. ويروى فى ذلك خبر آخر هو أن قصياً اشترى المفتاح من أبى غبشان بن حليل بزِقّ خمر، وولى قصى البيت وقرّ بمكة وجمع قريشاً حوله وأقطعها مواضعها التى كانت لها حين ظهور الاسلام.

قال ابن خلدون: « فصار له (أى قصى) لواء الحرب وحجابة البيت وتيمنت قريش برأيه فصرفوا مشورتهم اليه فى قليل أمورهم وكثيرها. فاتخذوا دار الندوة(٢) إزاء الكعبة فى مشاوراتهم وجعل بابها الى المسجد فكانت مجتمع الملأ من قريش فى مشاوراتهم ومعاقدهم، ثم تصدّى لاطعام الحاج وسقايته لما رأى أنهم ضيف الله وزوار بيته، وفرض على قريش خراجاً يؤدونه اليه زيادة على ذلك كانوا يردفونه به، فحاز شرفهم كلهم. وكانت الحجابة والسقاية والرفادة والندوة واللواء له (٣). »

فبعد وفاة قصى خلفه فى أمور الحكومة ابنه عبد الدار، وفى أمور الدين ابنه عبدُ مناف. ونشأ بين نسل الفريقين تنافس شديد أدى الى قسمة الوظائف

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ٣٣٣.
(٢) كانت موضع مقام الحنفى مقابل الكعبة من الشمال.
(٣) ابن خلدون م ٢ ص ٣٣٥

الحكومية هذه على بيوت قريش المختلفة وجُعلت السقاية والرفادة لبنى عبد مناف كما جعلت الحجابة واللواء لبنى عبد الدار .

وقد حفرت زمزم على عهد عبد المطلب جد رسول الله ﷺ وكانت جُرهُم طمرتها يوم خروجها من مكة ، كما ذكرناه فى موضعه . وفى زمانه حصلت غزوة الحبشة على مكة بقيادة أبرهة ودلالة أبى رغال الهذلى . فأهلكها الله فى وادى النار ما بين مكة وعرفات . وفى تلك السنة ولد سيد الكائنات ﷺ عام ٥٧١ للميلاد المسيحى .

وقد جاء الاسلام وحكومة مضر فى مكة على النحو الذى أسلفنا ولم يكن لها فى أطراف الجهات الا نفوذ دينى يخالطه بعض السلطان الدنيوى .

الفصل الرابع

غزو الأجانب للبلاد

استقلال العرب الدائمي – المصريون – بابل واشور – الفرس الاغريق والرومان – اليهود – الاحباش .

---

١ – استقلال العرب الدائمي

ظلت هذه البلاد فى غالب عصورها بعيدة عن مداخلة الاجنبى ، مستقلة تمام الاستقلال فى شؤونها لا يهددها فاتح ولا ينتهك حرماتها غاصب . وقد قضت طبيعة تكوينها بأن تكون مصدراً للفاتحين والغزاة ، ومنبعاً لتغذية البلاد المجاورة لها بالسكان الذين تبعثهم بين فترة وأخرى . وفضلا عن ذلك فانه لا يوجد فيها ما يشتهي الفاتح الاجنبى الحصول عليه أو يأمل فى نواله .

وهذه القاعدة أصبحت حقيقه ثابتة تصدق على جميع أدوار البلاد التاريخية وأطوارها الاجتماعية . نعم اننا لا ننكر وجود محاولات عديدة قام بها الفاتحون الاقدمون بقصد استعبادها أو نوال خيراتها الا أن محاولاتهم ظلت عقيمة لم تثمر للقائمين بها ما حلموا به ، أو طمعوا فى الحصول عليه ، ولم يدم فتح الأجنبى لصقع من أصقاعها الا برهة يسيرة مرت مرور السحاب .

هنالك فتح واحد اجتماعى وعرقى – يصح من حيث نتائجه أن ندعوه فتحاً بيناً بالرغم عن أن حقيقته تختلف عن الفتوح المعهودة – ذلك هو الفتح الاسماعيلى

الذى تمكن فى البلاد و بعث لها منه الأقوام العدنانية . غير أننا اذا نظرنا الى أن مهد الساميين فى جزيرة العرب ، وان الكلدانيين من العرب البائدة الذين هاجروا فى أزمنة ما قبل التاريخ من بلاد العرب ، الى العراق ، وان ابراهيم الخليل قد أرجع ابنه اسماعيل الى مهد آبائه وأجداده ، فاننا عندئذ لا يمكننا أن نعتبر قدوم اسماعيل الى مكة فتحاً فهو لم يحضر بقوة السيف وانما جاء مهاجراً الى وطنه الاصلى و ترك نسله فيه .

٢ — المصريون

بالرغم عن امتداد سيطرة فراعنة مصر الى معظم الأنحاء المجاورة لهم ، فانهم لم يتمكنوا من فتح هذا القسم من بلاد العرب ولا اخضاع أهله الى سلطانهم .

ذكر الدكتور بروكش [١] أن الغزوات بين المصريين وعرب الجزيرة كانت متقابلة منذ عهد مينا الاول مؤسس الحكم الفرعونى .

وقد نقلنا حين بحثنا عن العمالقة ما ذكره يوسيفوس اليهودى عن هجوم الرعاة على مصر واستيلائهم على الوجه البحرى منها وانشائهم حكومة فى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد عاصرت ست عائلات من العائلات الفرعونية . و بعد طرد الرعاة من مصر شرع المصريون فى تجريد حملات تأديبية على سائر العرب المجاورين لهم بقيادة أحمس مؤسس العائلة المصرية الثامنة عشرة حوالى عام ١٧٠٠ قبل الميلاد ، و تمكن تحتمس الثالث فى القرن التالى من فتح أعالى البلاد العربية .

وروى ديودورس الصقلى أن الملك سيزوستريس كان يخشى غزوات العرب

---

(١) مجلد ١ صفحة ٠١٦

على مصر فانشأ سلسلة من خطوط الدفاع فى برية سينا وكان ذلك حوالى القرن الرابع عشر قبل الميلاد .

وأعظم الفراعنة توغلا فى بلاد العرب رعمسيس الثالث ، فانه غزا بلاد العرب من شمالها وجهز عليها حملة بحرية من البحر الاحمر أيضاً ، وكان غرضه من ذلك اخضاع العرب أولا وتأمين طريق القوافل من المحيط الهندى الى مصر ثانياً .

٣ — بابل واشور

غزا الملك كدرلعومر ملك عيلام شمال الحجاز على زمن ابراهيم الخليل وقد أشرنا الى هذه الغزوة من قبل فى النبذة العائدة لمدين و العمالقة (١) .

وفى القرن التاسع قبل الميلاد غزا الملك تغلات بلصر الاشورى شمال بلاد العرب ونكل بالقبائل العربية الموجودة هنالك (٢) .

وبعد ذلك بنحو قرن حمل سرجون الثانى على العرب المقيمين فى شمال الحجاز ونكل بهم لاعتدائهم على المستعمرات التى كان يحميها فى فلسطين ، وتقل قسما منهم الى قرب عسقلان وأسكنهم فيها وفى السامرة (٣) .

وحينما خلفه سنحاريب فى الملك سار على خطته فى تأديب العرب الذين كانوا يهددون طريق القوافل . ونقل زيدان فى كتابه تاريخ العرب قبل الاسلام أخبار غزوات أشورية قام بها بعد ذلك الملك أسرحدون واشور بانيبال فى جهات خليج فارس وخليج العقبة فى القرن السابع قبل الميلاد .

وقد اقتصرت الحملات البابلية الاشورية السالفة الذكر على تأديب القبائل

---

(١) انظر سفر التكوين ص ١٤ عدد ٦ والنبذة عن العمالقة ومدين .
(٢) نقلة زيدان عن رولنسون ص ٩٧
(٣) انظر ما نقلناه فى النبذة الخاصة بثمود .

العربية التي كانت فى أطراف الجزيرة من شمالها ولم تتوغل فى داخل الصحراء حتى كان زمن بختنصر فانه تقدم بقواته الى الحجاز حتى بلغ ذات عرق مهلّ أهل العراق للاحرام ووقعت بينه وبين العرب بقيادة عدنان جد العدنانية حرب شديدة دارت فيها الدوائر على العرب الأ أن نتائجها بالنسبة للاشوريين لم تكن مهمة أيضاً.

ولم يعرف مؤرخو العرب من غزوات بابل وأشور الا غزو بختنصر(١) هذا ، لان أخبار الغزوات الاخرى لم تعلم حتى الازمنة الاخيرة بعد العثور على قطع الآجرّ الذى دونت عليه أعمال الفاتحين الاشوريين فى خرابات بابل ونينوى .

ذكر الطبرى (٢) غزوة بختنصر وكيفية حصولها فقال : انها بدأت بحجز المذكور للعرب الموجودين فى بلاده وحبسه لهم فى العراق . ثم انه بعد انتهائه من خراب هيكل اليهود فى بيت المقدس توجه الى الجنوب لغزو بلاد العرب ، فوصل الى ذات عرق حيث التقى بقوات القبائل المجتمعة بقيادة عدنان . وأسفرت المعركة عن انكسار قوات العرب فارتحلوا هاربين الى حضورا ، ولحقهم بختنصر اليها . ولم يقع بين الفريقين قتال فانصرف الاشورى الى بلاده دون طائل . وكان ذلك مقدمة لتسلط معد بن عدنان على سائر العرب واستئثاره بزعامتهم دون جرهم والعمالقة .

٤ — الفرس

بعد استيلاء قورش الفارسى على مملكة أشور وجد نفسه مجاوراً للقبائل العربية المستوطنة فى بادية العراق وما والاها . قال ابن خلدون فى حديثه عن ازدشير « ثم رجع الى أمر العرب وكانت بيوتهم على ريف العراق ينزلون الحيرة وكانوا ثلاث فرق الاولى تنوخ ومنهم قضاعة.. والثانية العباد الذين كانوا يسكنون

---

(١) انظر الطبرى م ١ ص ٢٩١ وابن خلدون م ٢ ص ١٠
(٢) « « م ١ ص ٢٩١

الحيرة وأوطنوها ، والثالثة الاحلاف الذين نزلوا بهم من غير نسبهم » (١)

وقد استعمل ملوك فارس هذه القبائل العربية فى حروبهم العديدة فى سوريا ومصر وبلاد اليونان . ولكن العرب شقوا عصا الطاعة على الفرس زمن سابور ابن ازدشير . فكان من نتيجة ذلك أن جهز سابور حملة عظيمة لتدويخهم فى بلادهم ومواطنهم . فتقدم من مشارف العراق الى البحرين ووصل الى الحسا والقطيف وديار ربيعة فى قلب نجد عند وادى اليمامة .

وسمى سابور هذا ، ذا الاكتاف لانه كان يخلع أكتاف العرب الذين يقعون تحت طائلة يده . قال ابن خلدون نقلا عن السهلى « انه كان يخلع أكتاف العرب ولذلك لقبه العرب ذا الاكتاف وأنه أخذ عمرو بن تميم بأرضهم بالبحرين وأنه قال انما أقتلكم معاشر العرب لانكم تزعمون أن لكم دولة فقال له عمرو بن تميم : ليس هذا من الحزم أيها الملك فان يكن حقا فليس قتلك إياهم بدافعه وتكون قد اتخذت يدا عندهم ينتفع بها ولدك وأعقاب قومه (٢) » .

ولم يتوغل الفرس بعد سابور فى بلاد العرب لمخاطرها وكثرة مفاوزها ولكنهم كانوا يستعملون عرب العراق المجاورين لهم ضد اخوانهم عرب الجزيرة وكانوا يحكمون هؤلاء بأولئك .

٥ — الاغريق والرومان

لم يحاول الاغريق فتح بلاد العرب . ويروى أن الاسكندر المكدونى كان ينتوى ذلك فلم تمهله منيته . وكانت حال خلفائه فى مصر وسوريا غير مساعدة لهم على زيادة التوغل فى البادية .

وظل الرومان بعيدين عن العرب الى أن اتسعت رقعة ملكهم بافتتاح مصر

---

(١) ابن خلدون م ٢ ص ١٧٠
(٢) ابن خلدون م ٢ ص ١٧٣

وسوريا وضمها الى روما فجاوروا الانباط فى شمال الجزيرة ثم حاربوهم واستولوا على بلادهم فى البطراء ومايواليها من المقاطعات فى شمال الحجاز عام ١٠٦ بعد الميلاد .

لم يحاول الرومان الايغال فى داخل البلاد العربية حتى زمن الامبراطور اغسطس قيصر أو كتافيانوس . فقد طمع أحد ولاته على مصر المدعو أليوس غالُوس بما كان يسمعه عن خيرات بلاد العرب وكثرة ذهبها فجرد عليها حملة عظيمة قادها بنفسه وكان مرشده فيها بعض خونة العرب من أنباط الشمال . وقد جهل مؤرخو العرب أخبار هذه الغزوة فلم يذكرها أحد منهم . واورد سترابو صديق القائد غالوس تفاصيل الحملة على الوجه الآتى :

أتم غالوس معداته للرحيل بعد جهد وتعب عظيمين ، فانه أنشأ عمارة بحرية مؤلفة من ٨٠ سفينة كبيرة و ١٣٠ ساعية وجعل فيها عشرة آلاف رومانى والف نبطى و ٥٠٠ اسرائيلى . وتحركت العمارة من السويس يرشدها سيليوس النبطى أحد قواد عبادة ملك الأنباط فوصلت الى المويلح بعد أن خسرت عدداً غير قليل من السفن والرجال . ثم سارت الحملة براً فوصلت بعد مسيرة ثمانين يوما الى نجران واحتلتها بعد حرب شديدة . وسار أليوس غالوس من نجران مدة ستة أيام أخرى فوصل الى بلدة مأرب وحاصرها وافتتحها عنوة بعد أن قتل من أهلها ما يقرب من عشرة آلاف ، وقد بلغه حينما كان فى مأرب أن على مسيرة يومين مدناً عامرة يخرج منها المرّ واللاّدَن . فعزم على فتحها غير أن الغربة وطول مدة السفر والفاقة أنهكت قوى جنده وظهر التذمر بينهم فاضطر الى العودة الى نجران وسار منها الى الحجر (مدائن صالح) فوصلها فى ٦٠ يوما ، وانطلق من الحجر الى شاطىء البحر ثم اجتاز الى العدوة المصرية فى ١١ يوما أخرى . وقد لقى

غالوس وجنده من المصاعب ما جعله يعتقد أن الدليل النبطى خانه فاستصحبه معه الى روما حيث حوكم وأعدم بسبب خيانته [١] .

ويختلف المؤرخون فى البلدة التى وصلت اليها حملة اليوس غاليوس ، ولكن يفهم من كتابات سترابو وبلينى ووصفهما لمصاعب الطريق وطولها والمسافة التى استغرقها السير اليها أنها مدينة مأرب فى الجوف بلاد المعينيين .

ويوجد مَن يروى خبر وصول غالوس بحملته حين العودة الى أواسط نجد بقرب بلدة سَدُوس وانه أحدث فيها أثراً رومانياً ظلت بقاياه الى الاعصر الاخيرة ثم لاشاه السكان .

ويروى أيضاً أن الحملة مرت بقرب الطائف فى طريقها الى الجنوب واطلقت اسم غُرْنَيْت على جبل الشفا تشبيهاً له بشكل التاج .

٦ — اليهود

لليهود ثلاثة أدوار مثلوها فى الجزيرة ، الدور الاول : هجرة قبائل شمعون ، من فلسطين الى شمال الحجاز [٢] قبل عهد الملك داود ، ثم تلى ذلك فتوح الملك سليمان بن داود فى قلب الجزيرة وجنوبها . قال ابن خلدون : « وفى الاخبار للمؤرخين أنه (يقصد سليمان) تجهز للحج فوافى الحرم وأقام به ما شاء الله . . . . ثم سما الى ملك اليمن وسار اليه فوافى صنعاء من يومه [٣] . »

وزاد ابن خلدون على ذلك فقال : ان علماء بنى اسرائيل ينكرون وصوله الى الحجاز واليمن وانما ملك اليمن عندهم بمراسلة ملكة سبأ .

---

(١) كريشتون ص ١٠٧ — ١٠٨ وهوغارث ص ١٢ — ١٤ .
(٢) أخبار الايام الاول اصحاح ٤ فقرة ٣٨ — ٤٣ .
(٣) ابن خلدون م ٢ ص ٩٨ .

الدور الثانى : هو الذى كان على عهد الفتوح البابلية والاشورية فى فلسطين فقد نشأ عن الضغط على اليهود وعن تخريب بلادهم وتدمير هيكلهم على يد الملك بختنصر ، وسبي أكثرهم الى بابل ، ان قسما منهم هجر البلاد الفلسطينية الى الحجاز وتوطن فى ربوعها الشمالية .

والدور الثالث : يبدأ من احتلال الرومان لفلسطين فى القرن الميلادى الاول فقد نشأ عن ضغط الرومان على اليهود وعن تخريب الهيكل وتدميره ، وعن اغراق عدد كبير من اليهود فى بحيرة لوط بأمر القائد الرومانى تيطس فى السنة ٧٠ بعد الميلاد ، ان قبائل يهودية عديدة رحلت الى الحجاز وسكنت فى جوار اليهود الاولين الذين هاجروا فى الدور الثانى . وقد استقرت القبائل اليهودية الجديدة فى يثرب وخيبر وتيماء وأنشأت فيها القرى والآطام والقلاع وأصبح لها شأن يذكر فى الحوادث السياسية التى سبقت ظهور الاسلام والتى حدثت فى صدره . وحينما جاء الاسلام كانت القبائل اليهودية المشهورة هى خيبر والنضير والمصطلق وقُريظة وقينقاع . وذكر السمهودى فى كتابه وفاء الوفا ان عدد القبائل اليهودية يزيد عن العشرين[1] .

وقد كان لليهود أثر واضح فى ادخال الديانة الموسوية الى قلب الجزيرة وكان من جراء ذلك نقمة النصرانية الناشطة الى الفتح والتوسع تحت قيادة امبراطرة الرومان على بلاد العرب وتحريض الاحباش على غزو اليمن وفتحه والتجهز على الحجاز لفتح مكة وهدم الكعبة كما سنبينه فى النبذة الآتية .

٧ — الاحباش

الصلات بين الجزء الجنوبى الغربى من جزيرة العرب وبين الحبشة والعدوة

(١) وفاء الوفا ص ١١٦

الافريقية قديمة وقوية معا . وكان من قوتها وقدمها ماحمل كثيرين من العلماء على الاعتقاد بأن مهد الساميين فى الحبشة[١] . وقد اعتنقت الحبشة النصرانيـة ومنها انتقلت على الغالب الى اليمن فى وقت كانت اليهودية عاملة فيه على التوسع والانتشار. فاصطدمت الديانتان اصطداماً أدى الى مداخلة الحبشة النصرانية ربيبة روما فى شئون اليمن فافتتحه القائد ارياط باسم النجاشى[٢] .

وتولى حكم اليمن بعد ارياط ، ابرهة الاشرم الذى أراد أن يصرف العرب عن بيت الله بمكة الى كنيسة بناها فى صنعاء وحينما رأى أن العرب لن تنصرف الى كنيسته القليس ، حلف ليسيرَنَّ الى البيت ليهدمه[٣] . وسار أبرهة بمن عنده من الجند فى اليمن قاصداً مكة وقد حاربه فى طريقه اليها كثيرون من العرب منهم ذو نفر الحميرى ونفيل بن حبيب الخثعمى فى قومه شهران وناهس فأسر الاول واستأجر الثانى دليلا يرشده[٤] .

وحينما وصل الى الطائف خرجت اليـه ثقيف ترجوه أن يترك لها صنمها اللات مقابل ارشاده الى مكة فقبل منها ذلك ورافقه من ثقيف أبو رغال الخائن حتى وصل الى مكان اسمه المُغَمَّس[٥] فمات فيه وقبره ترجمه العرب .

وأرسل أبرهة سَرِيَّة نهبت أموال قريش فثارت ثائرة قريش وكنانة وهذيل وعزمت على حربه . ثم علمت أنها لاتقدر عليه فتركت ذلك . وبعث أبرهة الى

---

(١) انظر بحث أصول السكان فى القسم الثانى من الكتاب
(٢) ابن خلدون م ٢ ص ٦٠ والطبري م ٢ ص ١٠٦
(٣) الطبري م ٢ ص ١١٠ وابن خلدون م ٢ ص ١٠٦
(٤) الطبرى م ٢ ص ١١١
(٥) قال ياقوت مجلد ٨ ص ١٠ المغمس موضع قرب مكة فى طريق الطائف ... مات فيه أبو رغال وهو على ثلثى فرسخ من مكة

أهل مكة انه لايريد بهم شرا ولكنه يريدهدم البيت . فلم تقو قريش على مجابهته وتركت الامر لله واعتصمت بالجبال .(١)

وسلط الله على الاحباش أعاصير قوية وسيولا وأبابيل قبل دخولهم الى مكة فأهلكت منهم خلقاً عظيما وخاف الآخرون ففروا يتلمسون طريقهم التى قدموا منها وانتهت الغزوة الحبشية بنهاية فجيعة ونالت قريش بسببها مكانة عظمى . وفى تلك السنة ولد الرسول الاعظم ﷺ .

---

(١) الطبرى ٢ ص ١١٢ – ١١٣

الفصل الخامس

احوال العرب فى الجاهلية

الحالة الدينية ـ الحالة الاجتماعية ـ الحالة السياسية

١ — الحالة الدينية

كان أهل الجاهلية قُبيل الاسلام يدّعون أنهم على دين ابراهيم الخليل ، وهو الدين الحنيف الذى دعاهم اسماعيل أبو العدنانية اليه ثم جاء النبى ﷺ مجدداً له .

بيد أنهم كانوا بعيدين عن نواهى شريعة ابراهيم ومهملين ما أتت به من مكارم الاخلاق والدعوة التوحيدية الخالصة لوجه الله ، فكثرت معاصيهم واتخذوا وسطاء يتقربون بالزلفى اليه عن طريقهم كما قال الله تعالى فى القرآن « مَا نَعْبُدُهُمْ إلاّ لِيقَرِّبونا إلى اللهِ زُلْفَى » فانقلبوا عبدة أصنام ليس لهم من ديانة إبراهيم إلا بعض المراسم والمناسك مثل الحج والطواف والسعى والوقوف بعرفة أو بمزدلفة ورمى الجمار والنحر ، وكانوا يعظمون الكعبة ويتبارون فى تزيينها وتكريمها ، ونصبوا عليها بعض أصنامهم وعلقوا عليها غرر قصائدهم وكان منهم أفراد قليلون يوحدون الله توحيداً خالصاً على طريقة ابراهيم دون أن ينغمسوا فى عبادة الاوثان والاصنام .

وانتشرت الديانة اليهودية بين قسم منهم فى أوائل القرون الميلادية عن طريق

مهاجرة اليهود الذين حلوا فى يثرب وشمال الحجاز وكان لها أثر واضح فى الحياة الدينية فى العصور التى تقدمت البعثة ، حتى أن أحد ملوك التبابعة الحميريين وهو ذو نواس هاد وهوّد أكثر أتباعه .

وأما الديانة النصرانية فقد جاءت الى بلاد العرب عن طريق الحبشة وطريق الرومان ، ولكنها لم تنل من قلوب العرب مبلغاً عظيماً لبعد تعاليمها عن طراز المعيشة التى الفوها والتى هى خاصة مخصوصة بهم لا يستطيعون الابتعاد عنها .

وأما أصنام العرب فانها كثيرة وكان لكل قبيلة صنم تتقرب به الى المعبود بلغ عدد ما كان فى الكعبة من الاصنام على ما يقال أكثر من ثلاثمائة وستين صنما وأشهرها عند العرب اللاّت والعُزّى ومَناة وهُبل الأكبر ووَدّ وسُواع ويَغوث ويَعُوق ، ورافق عبادة الاصنام ما ينشأ عادة بين الوثنيين من عوائد وثنية أصبحت على توالى الازمان جزءاً متمما لما كانوا عليه من اعتقاد وجرت هذه العوائد مجرى الخرافات الدينية وأثرت فى الحياة الاجتماعية والسياسية والدينية تأثيراً بالغاً جداً .

٢ — الحالة الاجتماعية

كان السلطان السائد فى الحياة الاجتماعية فى الجاهلية سلطان القوة القاهرة المستندة على قوة العضل والعصبية . وكان يخفف من حدتها وصرامتها الرهبة والوجل من بعض التقاليد والعادات المشتركة بين الدين والخرافة ، وتدعمها العصبية الجنسية وما تستلزمه ضرورات الاجتماع البدوى من شرائط مخصوصة لاتقوم الا بها .

ومن أبلغ الامور فى تكييف الحياة الاجتماعية وطبعها بطابعها المخصوص ما كان وجوده ضروريا من التنافس والتنازع على مادة الحياة فى بلاد فقيرة مجدبة ، والرغبة فى اكتساب المفاخر وحسن الذكر ، والاخذ بالثار وتجنب العار والفاقة والضعة ، وحب السؤدد والرياسة والكرم والشجاعة والنجدة ، ونصرة المظلوم

والوفاء والاعتراف بالجميل .

وأساس النظام الاجتماعى فى الجاهلية العصبية الجنسية والرحم . وفى بعض الحالات كان الحلف والموالاة والتبعية تغنى عن ذلك ، وفى حالات أخرى كانت العقيدة وما هو فى معنى الدين سببا كافيا للاجتماع .

قال صاحب صبح الاعشى [١] ان ما كانت عليه العرب فى الجاهلية قد يكون على وجه من ثلاثة وجوه : الاول ما يجرى مجرى الديانات ، والثانى ما يجرى مجرى الاصطلاحات والعادات ، والثالث ما يجرى مجرى الخرافات والاوهام . وقد جاء الاسلام بابطال ذلك كله ونذكر منه أشهره :

فالكهانة طريقة للاخبار عن أمور غيبية ماضية أو مستقبلة .

والزجر والطيرة انتواء العمل الذي يماثل حركة اصطلح على أنها المقصودة بحركة طائر أو غراب .

والميسر والقداح ضرب من ضروب القمار كانوا يقتسمون به لحم الجزور التى يذبحونها بحسب القداح .

والازلام نوع من الطِّيرة تعمل بواسطة القداح التى يكتب عليها ما يقصد عمله أو ضده .

والبَحيرة والسائبة والوسيلة والحامى امور خاصة بالحيوانات وخصوصا الابل اذا تم لها أمر معين مثل ولادة بطون معينة او بلوغ سن مخصوصة .

ونكاح المقت وهو زواج الرجل زوجة أبيه .

ومنها رمى البعرة على الزوجة التى يموت بعلها ، ومنها قتل البنات خشية العار أو الاولاد خشية الفقر .

ومنها الهامة وهى طريقة خاصة بأخذ الثأر . ومنها تصفيق من يضلّ فى البادية .

ومنها ضرب الثور وتعليق كعب الارنب .

---

(١) صبح الاعشى م ١ ص ٣٩٨

ومنها استعمال طرق مخصوصة فى انارة النيران للدلالة على أى نوع هو المقصود منها بالذات ونيران العرب ثلاثة عشر منها المُزْدَلفة التى توقد لهداية الحاج من عرفة الى مزدلفة ، ونار الحِلف والاستمطار والطرد والحرب والصيد والقرى والغداء.

ومن أهم عادات العرب المناظرة وانشاد الشعر والمفاخرة .

ومنها الاجتماع فى مواسم مخصوصة فى أسواق معلومة يقيمونها فى أماكن معينة لتبادل السلع وحل الخصومات وقول الشعر وفداء الاسرى . وأهم الأسواق : دومة الجندل (١) وذو المجاز (٢) والمجنة (٣) وعكاظ (٤) وهو أشهرها .

ومن عادات العرب التى أبطلها الاسلام النسيء أى تأخير شهر من الأشهر الُحرم الى شهر حل أو الغاؤه جملة .

ومنها عدم التقيد بحد محدود فى الزواج والتبنى والتسرى .

٣ — الحالة السياسية

كانت الاقطار المجاورة للبلاد العربية خاضعة لنفوذ ثلاث حكومات قوية قاسرة : الروم وهم متسلطون على الشام ومشارفه حتى شمال هذه البلاد ، والفرس وهم متسلطون على العراق وماجاورها من البلاد العربية ، والاحباش وهم متسلطون على اليمن . وكانت حالة تلك الاقطار السياسية فى تضعضع وانحطاط لامزيد عليه وعرب الجزيرة مذبذبون تتقاذفهم الاهواء والاغراض ، مرة يدخلون فى أهل العراق ومرة فى أهل الشام ، ولم يكن لهم فى أواسط جزيرتهم مُلك يدعم استقلالهم أو مرجع يرجعون اليه ويعتمدون وقت الشدائد عليه ، وكانت أحوال القبائل

---

(١) الجوف فى وادي السرحان .

(٢) موضع سوق بعرفة على ناحية جبل كبكب .

(٣) سوق بموضع مر الظهران أي وادي فاطمة بقرب مكة .

(٤) قال ياقوت عن الاصمعى : نخل فى واد بينه وبين الطائف ليلة وبين مكة ثلاث ليال .

مفككة الاوصال تغلب عليها المنازعات القبائلية و الاختلافات العنصرية و الدينية ولهم فى الحجاز حكومة لحماية الحرم والمحافظة على أصنام العرب وأوثانها وتسهيل الحج وخدمة الحرم والبيت ولكنها كانت ضعيفة لا تقدر على حمل العبء كما وضح يوم غزو الاحباش . وقد شعر كثيرون منهم بضعفهم السياسى وحاجتهم الى مدبر قدير يقوم على تعهد كيانهم ودفع العدوان عنهم . وظهر ذلك الشعور على أتمه يوم غزو أبرهة الحبشى للحرم المكى حين اجتمعت العرب من جميع الأقطار ، لافرق بين العدنانى والقحطانى و وحدت كلمتها تحت زعامة شيخ قريش المسيطر على الحرم لرد عادية ذلك الفاتح عنهم .

وقد كان من أثر ذلك ظهور رغبة القبائل لتناسى الاحقاد القبائلية ، وترك النعرات المختلفة و التمسك بحبل العروبة المكين . فذهب وفد من قريش بزعامة عبد المطلب الى اليمن لتهنئة اخوانه الحميريين بخلاصهم من ربقة الاحباش وشكر الفرس على ما قدموا من مساعدة للوصول الى ذلك الغرض .

أما حكومة قريش فى مكة المكرمة فكانت فى الحقيقة خليطا من الزعامة الدينية و الصدارة الدنيوية والحكومية . حكمت بين العرب ونشرت نفوذها عليهم باسم الزعامة الدينية وحرمة الكعبة والحرم الشريف . وحكمت فى الحرم وما والاه بصفتها حكومة تشرف على مصالح الوافدين الى البيت وتنفذ حكم شريعة ابراهيم فيه . وحكمت على مكة بصفتها سادنة البيت ومسؤولة عن تسهيل سبيل الناس الى الحج . وكانت لها من الدوائر و التشكيلات الحكومية ما يشابه فى عصرنا هـذا الوزارات والادارات والمصالح . فكانت هناك سدانة الكعبة يتولاها حى من أحياء قريش وهنالك رئاسة دار الندوة التى تشبه فى وقتنا الحاضر مجلساً من المجالس الادارية والبرلمانية . وهناك وظائف متعددة : من قيادة الجيوش ، وحمل

اللواء ، والعناية بالحاج من سقاية ورفادة ، الى دائرة لحل المنازعات القضائية والحكم بين الناس فى مصالحهم وغير ذلك من الوظائف .

واذا استثنينا هذه الحكومة وجدنا أن سائر عرب المملكة كانوا فى حال من التفكك السياسى و التشتت الاجتماعى يستحيل معه دوام الامر الى ما شاء الله وكان الناس كشأنهم فى جميع أوقات الشدائد يفتشون عن مخرج يلجون منه و يأملون فى حصول تبدل فى حياتهم ينجيهم من شرور ما هم فيه . وتم ذلك لهم ببعثة سيد المرسلين ، صلوات الله عليه .

الفصل السادس

محمد ﷺ والاسلام

الدور الاول — من البعثة الى الهجرة — من الهجرة الى الفتح — من الفتح الى الوفاة — الاسلام والقرآن

---

١ — الدور الاول من ولادته الى البعثة

ولد رسول الله ﷺ فى ١٢ ربيع الاول من عام الفيل (١) الموافق لسنة ٥٧١ من ميلاد عيسى عليه السلام. وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف من قبيلة قريش من مضر وينتهى نسبه الى عدنان فاسماعيل وأمه آمنة بنت وهب. وقد توفى أبوه قبل ولادته ببضعة أشهر ولم يخلف له من المال إلا الشيء اليسير فنشأ يتيما. ثم سلم الى احدى نساء بنى سعد المسماة حليمة بنت أبى ذؤيب لارضاعه فبقى عندها الى السنة الرابعة (٢) من عمره. وكفله جده عبد المطلب منذ ولادته وحدب عليه حدباً شديداً وأحسن معاملته كثيرا، ولما بلغ السادسة من عمره ذهبت به والدته الى المدينة فماتت بالابواء فى أثناء عودتها (٣). وتوفى جده عبد المطلب بعد ذلك بسنتين وأوصى به الى عمه أبى طالب، فلما بلغ الثالثة عشرة من عمره أخذه معه عمه أبو طالب فى تجارة الى الشام. وبعد ذلك بسنتين حصلت حرب الفجار (٤) وهى التى هتكت فيها حرمات

---

(١) ابن هشام ص ١٠٠ (٢) ابن هشام ص ١٠٠ (٣) ابن هشام ص ١٠٥
(٤) ابن هشام ص ١١٦

الحرم والاشهر الحرم وكان مضرم نارها قريش وكنانة من جهة وقيس من جهة أخرى وقد حضر ﷺ هذه الحرب وكان ينبل فيها على عمومته . ورغبة من أهل مكة وما جاورها فى عدم تكرر حرب الفجار ودوس حرمة الحرم والاشهر الحرم تداعت قريش بعد ذلك بقليل الى حلف دعى بحلف الفضول شهده ﷺ حين عقده فى دار عبد الله بن جُدْعان التيمى [١] وكان ﷺ يسعى دوما للمحافظة على الحلف ومساعدة المظلومين بموجبه ولم يكن له عمل معين فى أول شبابه الى أن بلغ الخامسة والعشرين فانه ذهب الى الشام تاجراً فى مال لاحدى كرائم نساء قريش السيدة خديجة بنت خويلد اختارته للسفر مع غلام لها نظراً لما عرف عنه من الامانة والاستقامة . وبعد عودته تم زواجه بالسيدة خديجة [٢] المشار اليها مع أنها تكبره بخمس عشرة سنة وظلت فى عصمته خمسا وعشرين سنة الى أن توفيت قبيل الهجرة بقليل وهى أم أكثر أولاده وكانت من أفضل نساء زمانها وأعقلهن وهى من أول الذين آمنوا بالرسول وبعثته .

وحينما بلغ الرسول الخامسة والثلاثين [٣] من عمره حصل فى الكعبة ماجعل قريشا تفكر فى هدمها واعادة بنائها وقد بنيت على قواعد اسماعيل بعد أن قصر منها من جهة الحجر بضعة أذرع . وحينما وصل البناء الى المكان الذى يوضع فيه الحجر الاسود فى الركن المخصوص به اختلفت عصائب قريش من منها يكون له شرف وضع الحجر فى مكانه وحصل اختلاف فى الرأى كاد يؤدى الى مالا تحمد عقباه . وأخيراً حُكّم الرسول فطلب رداء ووضع الحجر الاسود عليه واختار الرؤساء من العائلات وكلفهم بالامساك بأطراف الرداء فامسك كل منهم بجانب منه ورفع الحجر الى محاذاة مكانه وهنالك تناوله الرسول ووضعه بيده . وكان حكمه هذا مرضيا للجميع وانحل به خلاف عظيم .

وتتلخص سيرة الرسول ﷺ الاجمالية فى شبابه بامتيازه بالاخلاق الفاضلة

(١) ابن هشام ص ٨٤ (٢) ابن هشام ص ١٢٠ (٣) ابن هشام ص ١٢٢ ـ ١٢٦

والحديث الصدق والامانة والعفة وكان لايشرب الخمر ولا يتبع عوائد الجاهلية ولا يعبد الاوثان بل كان عاملا بنفسه مفكراً فى أحوال الكون جادا فى طلب رزقه حاضاً على الخير باذلا نفسه فى سبيل عمل البر والصلاح متعبداً تقيا يقضى كثيراً من أوقاته فى التعبد والتهجد فى غار حِراء الكائن فى جبل النور بأعلى مكة . وكان باراً باهله وزوجته وأولاده وعائلته كل البر .

٢ — الدور الثانى من البعثة الى الهجرة

رأى الرسول ﷺ ما كان عليه قومه من الجاهلية وعبادة الاصنام والشرك بالله ، وما كانت عليه حالة بلاده من فرقة وتشتت ، فاجتنب أعمالهم وفكر فى اصلاح حالهم ، وعبد ربه فى غار حِراء حتى جاءته الرؤيا الصادقة حينما بلغ الأربعين من عمره [١] .

وبينما كان فى أواسط شهر رمضان من السنة الحادية والاربعين لميلاده عليه الصلاة والسلام اذ جاء الوحى من عند ربه وكان أول ما نزل منه « إِقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ خَلَقَ الإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ إِقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ [٢] » فشرع فى بث الدعوة الى الدين بصورة افرادية مبتدئاً بالاقرب اليه فكان من أول المسلمين زوجته السيدة خديجة وزيد ابن حارثة وعلي بن أبى طالب وأبو بكر بن أبى قحافة وغيرهم .

وظل ثلاث سنين [٣] يدعو الناس الى الدين بصورة سرية ويلقن أصحابه الآيات والسور حسب نزول الوحى اليه . ثم أمر بالجهر بالدعوة فى سورة الحجر « فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ » فلم يبال به من قريش أحد ،

---

(١) ابن هشام ص ١٤٩ . (٢) ابن هشام ص ١٥١ .
(٣) ابن خلدون م ٣ ص ٧ وابن هشام ص ١٦١ .

الى أن شرع فى عيب الآلهة والاصنام وسبها ، وكان فى عمله هذا جالباً لسخط قريش التى اعتادت عبادة الاوثان واتخذتها واسطة لرزقها ولسيطرتها على العرب وخيف على الرسول ﷺ من الاذى فاجاره عمه أبو طالب وهو سيد عشيرته فلم تجسر قريش على إيذائه وخفر جواره .

وجاء موسم الحج فى ذلك العام وخافت قريش مغبة اهمالها أمر محمد ﷺ فعزمت على عمل حاسم ضده غير أنها لم تفلح . وفى الحج عرض الرسول ﷺ نفسه على الوافدين الى البيت ، وكان من حمق قريش أن تذكر أمر الرسول ﷺ الى جميع من مر بها فانتشر ذكره بين العرب ، وأغرت سفهاءها به وأصحابه وآذت كل قبيلة من دان بدين محمد منها الى أن اضطر بعد معرفته بعجزه عن حمايتهم الى أن يأمرهم بالهجرة من مكة فهاجروا الى الحبشة ، حيث قبلهم نجاشيها ولم يسلمهم الى قريش حين وفد عليه منها عمرو بن العاص وعبد الله بن أبى ربيعة [1] وظل بعض المهاجرين فى الحبشة الى ما بعد الهجرة الى المدينة ببضع سنين . وقبيل هجرة الحبشة كان عضد الاسلام قد اشتد باسلام حمزة بن عبد المطلب وعمر بن الخطاب .

وحينما ضاقت بقريش الحيلة ورأت أنها لا تقدر على حمل أبى طالب على خفر جواره ورأت كبار المسلمين بزعامة جعفر بن أبى طالب قد هاجروا الى الحبشة ، قررت مقاطعة بنى هاشم والمطلب مقاطعة تامة وكتبت بذلك صحيفة وعلقتها على الكعبة وظلت المقاطعة هذه وبنو هاشم محصورون فى شعبهم أكثر من سنتين [2] والعداوة التى تبديها قريش تجاه الرسول ﷺ وأتباعه ما تزال على شدتها ، وأخيراً قام بعض قريش لنقض عهد الصحيفة فوجدوا أن الارضة أكلتها .

---

(١) ابن خلدون م ٣ ص ٩ وابن هشام ص ١٧٠ - ٢١٠ .
(٢) ذكر ابن خلدون أن المدة ثلاث سنين م ٣ ص ٩ .

وفى السنة العاشرة للبعثة توفى أبو طالب وتوفيت بعده بقليل السيدة خديجة فشق الامر على الرسول ﷺ وفقد بموت عمه عضداً قوياً وجواراً منيعاً كما أنه فقد بزوجه أكرم العقائل وأصدق الزوجات ، واضطره الامر الى ايجاد من يجيره من قومه فذهب الى بطون ثقيف فى الطائف[1]. فردته أقبح رد ، ورشقه سفاؤها بالحجارة حتى أدموا عقبه فعاد الى مكة ، ودخل على المطعم بن عدى فاجاره ، وعرض الرسول ﷺ أمره على القبائل فلم يجره منها أحد [2] .

واتفق ان الخلاف بين سكان يثرب من الاوس والخزرج وهم اخوان وابناء عم اشتد كثيراً ولج الخصام بينهم وقام كل فريق ينشد حلفاء يعينونه على خصومه فجاء بعض الاوس الى مكة للاستعانة بقريش فقابلهم الرسول ﷺ ودعاهم الى الاسلام وعرض عليهم نفسه فرفضوه رفضاً شديداً وحينما عادوا الى المدينة حصل بينهم و بين الخزرج حرب شديدة عرفت باسم يوم بعاث ، وفى الموسم التالى جاء الى مكة جماعة من الخزرج فدعاهم الرسول ﷺ الى الاسلام فقبلوا الدعوة وكانوا ستة أشخاص وفى العام التالى جاء آخرون من المدينة وأسلموا عند العقبة وعادوا الى المدينة ومعهم مرشد من قبل النبى ﷺ [3] فكثر المسلمون فيما بينهم وفى العام الذى بعده كثر عدد المهتدين من أهل المدينة وعرضوا على الرسول ﷺ حمايته من الاذى الذى كان فيه هو وأصحابه بمكة فعلمت قريش بالأمر فهددت أهل المدينة وخوفتهم من التورط فى محالفة محمد ﷺ عليها .

غير أن كل ذلك لم يجد فتيلا إذ أن الرسول ﷺ بعد الرجوع من الحج أمر أصحابه بالخروج الى المدينة فخرجوا الواحد تلو الآخر ، وعظم الامر على قريش وخافت أن يضيع الامر من يدها فتآمرت على قتله وتواعدت لذلك واختارت فتياناً من بطونها لحراسة بيته وقتله ان أراد الفرار ولكن الله رد

---

(١) ابن هشام ص ٢٢٥ ـ ٢٥٤ (٢) ابن هشام ص ٢٥٥ (٣) ابن هشام ص ٢٦٤

كيدهم فى نحورهم فخرج الرسول ﷺ ومعه رفيقه أبو بكر الصديق واختبآ فى غار ثور بأسفل مكة الى أن أضاعت قريش آثارهما فخرجا الى المدينة يقودهما دليل اسمه عامر بن فهيرة ووصلا قباء يوم الاثنين فى الثامن من ربيع الاول لثلاث وخمسين سنة مضت على ولادته [1]. فتكون المدة التى انقضت من تاريخ شروعه بالدعوة وتلقى الوحى الى تاريخ هجرته ثلاث عشرة سنة. وبالهجرة فتح عصر جديد فى تاريخ الاسلام.

٢ — من الهجرة الى فتح مكة

اشتد عضد الرسول ﷺ بقدومه الى المدينة اذ انضوى تحت لوائه جميع سكانها ماعدا اليهود فانهم عاهدوه على نصرته وأقرهم على دينهم وأموالهم. وهاجر سائر المسلمين من مكة الى المدينة، ثم فرض القتال لحماية الدين والذب عنه.

وبعد خروج المسلمين من مكة انتقمت قريش منهم بمصادرة أملاكهم فأحب الرسول ﷺ أن يقابلهم بالمثل فشرع فى عرقلة تجارتهم مع الشام.

وأهم حوادث هذا الدور غزوة بدر الكبرى التى قادها ﷺ بنفسه وكان معه من المسلمين ٣١٤ رجلا ومع قريش ما يزيد عن الف. وبدأت الواقعة بخوف قريش على قافلة أرسلتها مع أبى سفيان بن حرب الى الشام وارساله نذيرا يدعو مكة الى اعانته فالتقى الجمعان فى بدر الى الغرب من المدينة بينها وبين ينبع وبدأت المناوشات ببروز ثلاثة فرسان من المشاهير من الجانبين فنصر الله المسلمين على المشركين والتحم الجمعان فكانت معركة من المعارك الفاصلة الحاسمة فى تاريخ الاسلام بها أعز الله الاسلام وأذال من غطرسة قريش وجبروتها وقتل المسلمون

(١) ابن هشام ص ٢٩٠ — ٢٩٢

من كفار قريش ما يقرب من السبعين ومنهم أبوجهل رأس الفتنة وأسروا ما يقرب من ذلك العدد أيضاً . وكانت هذه الواقعة فى رمضان من السنة الثانية للهجرة [(١)] .

وحصلت بعد ذلك حروب ووقائع عديدة بين المسلمين وحلفائهم وقريش وحلفائهم من ذلك واقعة السويق ثم واقعة بنى قينقاع من اليهود الذين خانوا العهد فأجلاهم الرسول ﷺ عن المدينة بعد حصارهم مدة . ثم ان قريشاً أرادت أن تنتقم لبدر وتسترعار كسرتها فيها ، فجمع رؤساؤها الجموع وجندوا الجند ودعوا الاحلاف الى فصرتهم وأمدهم قومهم من الاغنياء بالمال وأعانهم خليط من الناس من تهامة وكنانة وثقيف ، ووصلت جموعهم الى قرب المدينة ، فوقعت بقرب جبل أُحد واقعة شديدة بين الفريقين . ودارت الدوائر بادىء الامر على قريش وأحلافها الا أن الرماة الذين وضعهم الرسول ﷺ فى أعلى الجبل تركوا مواقفهم ولحقوا باخوانهم طمعاً فى الكسب والنهب فأغارت عليهم خيل قريش بقيادة خالد بن الوليد وتغلبت عليهم ، فاختلت صفوفهم وضعفت هممهم وأصيب الرسول ﷺ ببعض الجروح وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة . وكان ذلك نصرا لقريش لما أصابها فى بدر . وكان فى وسع المشركين أن يقضوا على المسلمين إلا أن الله لطف بعباده فانكفأت قريش قانعة بالنصر الاولىّ الذى نالته [(٢)] .

ثم بعد أُحد حصل فى المدينة ما أدى الى اخراج بنى النضير [(٣)] من اليهود منها نظرا لنفاقهم وختلهم . وتوالت الوقائع بين المسلمين وقريش الى السنة الرابعة فقدم أبو سفيان إلى بدر قاصداً الحرب ولكنه نكص بدون حرب . وجاء الى

---

(١) انظر تفصيلها فى ابن هشام ص ٣٦٩ وما يليها .
(٢) انظر ابن هشام م ٢ ص ٦٤ وما يليها
(٣) ابن هشام م ٢ ص ١٤٢

مكة بعض الذين أخرجوا من المدينة من يهودها وطلبوا نصرة قريش على المسلمين فاجابتهم قريش الى ذلك و بعثت الى القبائل تدعوها للحرب ، فخرجت قريش وأتباعها وغطفان وأتباعها و بنو مرة و بنو أشجع فكان مجموعهم يزيد عن عشرة آلاف عسكروا عند مجتمع السيول ، وكان المسلمون قد استعدوا للأمر وحفروا خندقا بينهم و بين المحاصرين وظل الحصار أكثر من عشرين يوماً الى أن عيل صبر المسلمين . فرأى الرسول ﷺ أن يستعين فى هذه الموقعة بالمطاولة فوفقه الله الى ذلك ووقع الخلاف بين الاحزاب وأصابهم ريح صرصر لم يجدوا معه بداً من فك الحصار والانصراف عن المدينة فى شهر شوال من تلك السنة [١] .

ولما أمن الرسول غائلة الاحزاب عاد الى بنى قريظة الخونة فحاصرهم المسلمون ٢٠ ليلة حتى جهدهم الحصار فاستسلموا للاقدار فحكم على جميع مقاتلتهم بالقتل [٢] .

و بعد واقعة الاحزاب انضم الى المسلمين عظيمان من القواد عمرو بن العاص وخالد بن الوليد .

وفى ذى القعدة من السنة السادسة خرج الرسول ﷺ الى مكة معتمراً لا يريد حرباً فوصل الى الحديبية وهى بئر بالقرب من الحرم المكى تعرف فى الوقت الحاضر باسم الشميسى فتأهبت قريش للقائه ظناً منها أنه يقصد حربها . فأفهمها الرسول انه قادم للعمرة فلم تركن الى هذا القول وصممت على المقاومة وأخيراً تم الاتفاق بين الجانبين على صلح عرف بصلح الحديبية [٣] كان من أهم شروطه رجوع الرسول وجماعته الى المدينة على أن يسمح لهم فى العام المقبل بدخول مكة وأن تعقد هدنة بينهما لمدة عشر سنين ومن شروط الصلح عدم ايواء من يردُ من قريش على الرسول وترك الحرية للقبائل فى الانضمام الى أحد الجانبين وقد كان هذا الصلح سبباً فى فتح مكة .

---

(١) ابن هشام م ٢ ص ١٥٥ (٢) ابن هشام م ٢ ص ١٦٧ .
(٣) ان هشام م٢ ص ٢١٠

وفى المحرم من السنة السابعة غزا الرسول أهل خيبر من اليهود ففتح بلادهم حصنا حصنا وصالحهم على دفع نصف حاصل أرضهم [١].

وفى تلك السنة اعتمر الرسول الى البيت عملا بصلح الحديبية فأخلت قريش مكة ودخلها الرسول وقومه فاعتمروا وانصرفوا بعد وقت قصير الى المدينة.

وبموجب صلح الحديبية كانت بطون خزاعة داخلة فى عهد رسول الله وبطون بكر فى عهد قريش وحصل بين الجانبين نزاع تداخلت فيه قريش مخلة بذلك بعهدها، فبلغ الخبر الى المدينة فعزم الرسول على فتح مكة فسار اليها سراً فى رمضان من السنة الثامنة للهجرة ونزل فى جهات وادى فاطمة فالتقى بأبى سفيان خارجا يتجسس أخباره. فالقى القبض عليه وأُحضر أمام الرسول فأسلم وأعلن الرسول ﷺ ان من دخل دار أبى سفيان فهو آمن ومن دخل المسجد فهو آمن ودخل المسلمون مكة من أعاليها ولم يحصل بينهم وبين الكفار الا مناوشات صغيرة وعفا الرسول عن أكثر سفهاء قريش وأمر بهدر دماء آخرين ودخل الرسول البيت فطاف به سبعاً ووقف بباب الكعبة وقال « لا إله إلا الله وحده لاشريك له، صدق وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده ». وبفتح مكة تمت الغلبة للاسلام فى غالب الحجاز ودخلت قريش فى الاسلام وكان ذلك آخر ماعرف عن دولة الاصنام والاوثان فى مكة وعد هذا الفتح قاضياً على الشرك فى الجزيرة نظراً لمقام قريش الدينى فاسلامها قضاء تام على كل ماعداه [٢].

وبعيد فتح مكة حصلت واقعة حنين [٣] بين بطون هوازن والمسلمين وكان المسلمون كثيرى العدد الا انهم غلبوا فى أول الامر ثم انقلبت الواقعة الى نصر المسلمين.

---

(١) ابن هشام م ٢ ص ٢٢٢ (٢) ابن هشام م ٢ ص ٢٥٩

(٣) مكان الى الشمال الشرقى من مكة بين العلمين والمضيق والجعرانة والشرائع.

٤ – من فتح مكة الى الوفاة

بعد انتهاء رسول الله ﷺ من أمر مكة ولى عليها عتاب بن أسيد وقفل راجعاً الى المدينة . وأعد فى رجب من السنة التاسعة غزوة جديدة قادها بنفسه على تبوك[1] وكانت هذه الغزوة آخر ماخرج له رسول الله ﷺ محارباً ثم حج حجة الوداع وألقى فيها خطبته المعروفة التى فيها عظة وعبرة للناس وأوصاهم بما يجمل بهم أن يتخلقوا به فى معاملاتهم بعضهم مع بعض وفى حجة الوداع أعلن القرآن ان نزوله قد انتهى وكان ذلك قبل وفاته ﷺ ببضعة أشهر .

وبعد رجوعه من الحج مرض بالحمى فى شهر صفر من السنة الحادية عشرة من الهجرة وقبض عليه الصلاة والسلام فى يوم الاثنين الواقع فى ١٣ ربيع الاول من تلك السنة وكانت سنه حين وفاته ثلاثا وستين سنة قمرية .

وحينما توفى كان الاسلام منتشراً فى الحجاز وسائر جهات الجزيرة وقد طمس الله معالم الشرك والوثنية وانبثت الدعاة الى سائر أقطار الارض لابلاغ الدعوة الى الجميع فمنهم من ذهب الى الفرس ومنهم الى الروم ومنهم الى المصريين . وقد آمن برسالة الرسول ﷺ كافة القبائل العربية ورأى ﷺ نجاح دعوته قبل وفاته واجتماع كلمة العرب على طرح الشرك والتوحيد بالله الواحد الاحد وتوحيد الزعامة السياسية التى تنطوى تحتها سائر الزعامات المحلية وصيرورة الامة يداً واحدة تدعو الى دين واحد وتخضع الى رئاسة عامة قادرة على التنفيذ .

٥ – الاسلام والقرآن الكريم

الاسلام هو الدين الذى جاء به سيدنا محمد ﷺ لسعادة الناس فى الدارين .

---

(١) ابن هشام م ٢ ص ٣٣١

وأساسه التسليم الى الله الواحد الاحد واخلاص العبادة له والايمان به وعدم اشراك
إله آخر معه . وقد بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول
الله واقامة الصلوات فى أوقاتها المفروضة وايتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت
لمن استطاع الى ذلك سبيلا . وقد جاء الاسلام ناسخاً لكافة الشرائع السابقة وقاضياً
على معالم الشرك والوثنية فى جزيرة العرب ومعداً اياها لليوم العظيم .

وقد أوضح الاسلام فى القرآن الكريم وجاءت السنة النبوية متممة له ومفسرة
لبعض مافيه من أحكام . والقرآن هو الكتاب الكريم المنزل من الله تعالى على
عبده محمد بن عبد الله حوى جميع مايلزم لسعادة الدارين ـ من أنواع العبادات
والعقائد والمعاملات . ويمكن تقسيم ماجاء فى القرآن من الاحكام الى ثلاثة اقسام
الاول قسم العبادات والعقائد والثانى قسم المعاملات بين الناس وبينهم وبين اولى
الامر منهم والثالث قسم الاجتماع ومايلزم أن يتحلى به الانسان من مكارم الاخلاق
والصفات ليكون قادرا على أن يعيش مع الافراد الآخرين فى هذه الدنيا على
احسن حال .

الفصل السابع

الخلفاء الراشدون

أبو بكر الصديق – عمر بن الخطاب – عثمان بن عفان – على بن أبي طالب

---

١ – أبو بكر الصديق

حصل بعد وفاة الرسول ﷺ خلاف بين المهاجرين والانصار فى المدينة على من يتولى امامة المسلمين وأمورهم . اذ أن الرسول كان ذا وظيفتين إحداهما الرسالة وإبلاغ الدعوة الدينيـة الى العرب وغيرهم وهذه قد انتهت يوم نزول الآية الكريمة اليوم أتممت الخ والثانيـة رئاسة المسلمين وتولى أمورهم الدينية والدنيوية والنظر فى شؤون الحكومة . والخلاف حصل على من يتولى هذه . وتم الاتفاق فى سقيفة بنى ساعدة [1] من الخزرج على مبايعة أبي بكر الصديق بالخلافة فبويع بها من الجميع ماعدا أفراد تخلفوا عنها منهم على بن أبي طالب الذى لم يبايع إلا بعد وقت .

ولم تكن مسألة الخلافة هى المسألة الوحيدة التى جابهت أبا بكر بعد وفاة الرسول فقد كان عليه أن ينفذ السرية التى جهزها الرسول قبيل وفاته برئاسة أسامة بن زيد الى جهات الشام كما أنه كان عليه أن يدافع عن الاسلام مما حصل فيه من ردة بين القبائل وظهور عدد من الادعياء بالنبوة وهـذا الموقف الحرج كان يتطلب صلابة وحزما شديدين فوفق الله أبا بكر الى انفاذ أسامة قائلا انه لايحل عقـدة

---

(١) انظر خبر السقيفة فى ابن خلدون م ٣ ص ٦٤ .

عقدها رسول الله . وأنفذ أيضا السرايا العديدة تحت قيادة أكابر القادة من المهاجرين والانصار لاخضاع أهل الردة والذين شقوا عصا الطاعة من العرب [١]

وقد تجلت مقدرة أبي بكر وحزمه وصدق عزيمته وإخلاصه بما قام به في هذه الآونة العصيبة من دفع أعداء الاسلام وذودهم عنه . وأهم الجهات التي وجه اليها السرايا والقواد هي ديار بني أسد وطيء وغطفان ورئيسها طليحة [٢] في بزاخة فردهم الى الاسلام ثانية ثم أرسل الى تميم وكبيرها مالك [٣] بن نويرة اليربوعي في البطاح فهزمهم وقتل مالكا ثم تلت ذلك حروب سجاح [٤] المشهورة فانها جمعت جموعا عظيمة الا أنها اتفقت آخر الامر مع مسيلمة الحنفي في وادي اليمامة فجاءهم خالد بن الوليد وقد ادعى مسيلمة [٥] النبوة مفاخراً بني عمه مضر ولكنه هوى في المعركة وقتل وتفرقت جموع ربيعة وعادت الى حظيرة الاسلام . ووجه أبو بكر أيضا سرية الى اليمن [٦] لرد أهله الى الاسلام بعد أن ارتدوا عنه بدعوة الاسود العنسي المدعي للنبوة فوفقهم الله الى ذلك كما وفق سائر القواد الى الانتصار على أهل الردة ولم يمض وقت قصير حتى أصبحت حدود الرقعة الاسلامية شاملة لكل البلاد التي تتألف منها المملكة الحالية .

بعد هدوء الاحوال في داخل البلاد ورجوع كافة القبائل الى حظيرة الاسلام نظر المسلمون الى الديار المجاورة وشرعوا في فتوحها كما هو معلوم وليس من برنامجنا الخوض في تفاصيل التاريخ الاسلامي وانما نذكر منه هنا ما يكفي لغرضنا الذي ينحصر في سرد الحوادث التي وقعت في البلاد التي تتألف منها المملكة [٧]

وتوفي الخليفة أبو بكر بعد أن وطد دعائم الاسلام في الجزيرة وكانت وفاته بعد توليه الخلافة بسنتين وأربعة أشهر وهو في الثالثة والستين من عمره في ٧ جمادى الثانية سنة ١٣ للهجرة .

---

(١) انظر اخبارها في ابن خلدون م ٣ ص ٦٩ . (٢) المذكور ص ٧٠
(٣) م ٣ ص ٧٣ (٤) م ٣ ص ٧٣ . (٥) م ٣ ص ٧٤ .
(٦) م ٣ ص ٧٧ (٧) انظر أخبارها في ابن خلدون م ٣ ص ٧٨

أما ادارة المملكة فقد قسمها أبو بكر قبل وفاته الى ولايات عين لكل ولاية أميراً فكان فى الطائف أمير وفى مكة أمير وفى البحرين واليمامة أمير والخليفة مقيم فى عاصمة المملكة فى المدينة ووالى مكة إذ ذاك عتاب بن أسيد وهو نفس الشخص الذى ولاه الرسول ﷺ عام الفتح وأمير الطائف عثمان بن أبى العاص ووالى البحرين العلاء بن الحضرمى .

٢ — عمر بن الخطاب

ولى عمر الخلافة بعد وفاة أبى بكر فى المدينة بعهد مكتوب(١) استخلفه فيه وهو من مشاهير قريش فى الجاهلية وممن اشتدت بهم شوكة الاسلام يوم اسلامه ولد بعد مولد الرسول ﷺ بثلاث عشرة سنة . وقد أمضى فى الخلافة عشر سنين وستة أشهر كانت غرة فى جبين الدهر ودرة فى تاج العمر لما بسط على الرعية من عدل وأقام من قسطاس وشاد من نظم وأدال من دول وممالك وفتح من بلاد .

وهو منذ اسلامه لم يتخلف عن غزو قام به رسول الله وكان في خلافة أبى بكر المستشار الاول والمساعد القدير فى تصريف شؤون الدولة وادارة دفة الملك وقد تم على زمانه فتح فارس والعراق والشام وعاصمتها دمشق وحمص واجلاء الروم عن سائر سوريا وطرد هرقل ملك الروم منها والاستيلاء على بيت المقدس ونحن لو حاولنا ايفاء هذا البطل الهمام والخليفة العادل حقه من الاطناب والثناء وذكر ماقام به فى خدمة الاسلام من الاعمال الجليلة لاحتاج ذلك الى مجلدات لايتسع لها هذا الموجز . ولذلك فاننا نكتفى هنا بخلاصة عنه ذاكرين ما كان لعصره من الاهمية فى الاجيال الاسلامية المقبلة .

فانه ثل عرش الاكاسرة ، وهد أركان القياصرة ، واستولى على تراث الامبراطوريتين العظيمتين فارس والقسطنطينية وأدخل مصرا ، وكانت ولاية

(١) ابن خلدون م ٣ ص ٨٥

رومانية فى حوزة الممالك الاسلامية . ولم تخل سنة من سنى خلافته من فتح للاسلام جديد ، وعمل فى سبيل توطيد دعائم الملك تليد . فهو الذى كان يشرف من المدينة على أعمال قواده الحربيين فى فارس ، ويرسل اليهم النصيحة المفصلة يتبعونها فى أعمالهم الحربية فينجحهم الله ويظفرهم بأعدائهم ، وهو الذى كلف سلمان وحذيفة بأن يجوسا فى العراق لاختيار البقاع الصالحة لإشادة المدن عليها ، فاختارا موقعى الكوفة والبصرة[1] فأقيمت فيهما المدينتان الباقيتان الى عصرنا هذا ، وقد شخص عمر رضى الله تعالى عنه الى بيت المقدس قبل فتحها لأن أهلها اشترطوا أن يكون تسليمها للمسلمين على يده فوصل اليها وكتب لأهلها عهد أمان سنة ١٥ للهجرة ، وأنشأ فى بيت المقدس مسجداً فوق الصخرة ما زال الى يومنا هذا[2] .

وفى زيارته لسوريا قسمها الى ولايات وولى أمراءه عليها وعاد الى المدينة . ثم خرج منها ثانية عام ١٧ قاصداً سوريا وكان فيها طاعون فلم يصل اليها وبعد زوال الطاعون رجع ثالثة اليها وقام ببعض التدابير الادارية فيها .

وعمر أول من أوجد وظيفة القاضى للفصل فى معاملات الناس طبقاً للاحكام الشرعية ، وقد كان هو أول من ولى نوعاً من القضاء فى المدينة على عهد سلفه أبى بكر وفى زمنه عين أبا الدرداء للقضاء فى المدينة أيضاً ، وهو الذى وضع أول تعليمات خاصة بسير العمل فى المحاكم والمحاكمات كتبه الى أبى موسى الاشعرى يوم ولاه القضاء . وسيرة عمر مليئة بجلائل الاعمال كما ذكرنا ، فقد كان مراقباً لعماله مانعاً إياهم عن الخروج عن مقتضيات المصلحة ساهراً على راحة الرعية رافعاً للظلم عفيفاً عن أموال المسلمين ، مقتصداً فى نفقته الشخصية ، ميالا للاستشارة فى أعمال الحكومة ، متبعاً سنة الرسول بايضاح الاحوال للناس فى المجتمعات العامة ، بعيداً عن الزلفى غير مفضل ذوى قرباه على غيرهم . وقد توفى رحمة الله عليه ورضوانه

(١) ابن خلدون م ٣ ص ١١٠
(٢) م ٣ ص ١٠٦

قتيلا بخنجر مملوك مجوسى الاصل اسمه فيروز أبو لؤلؤة طعنه ساعة كان يصلى صلاة الفجر فى المسجد وكانت وفاته ليلة الاربعاء فى ٢٦ من ذى الحجة سنة ٢٣ للهجرة ودفن الى جانب رسول الله ﷺ وأبى بكر فى حجرة عائشة.

٣ — عثمان بن عفان

بويع عثمان بالخلافة بعد مقتل عمر بثلاثة أيام ويصادف ذلك يوم الاثنين فى ٢٩ من ذى الحجة سنة ٢٣ وهو عثمان بن عفان بن أبى العاص بن أمية ، ولد بعد رسول الله بخمس سنين وكان من المسلمين الاولين وشب على الأخلاق الفاضلة والسيرة الحسنة ، وكان صاحب ثروة جاد بالوفير منها لتجهيز الفقراء من محاربة المسلمين ، وتولى يوم الحديبية سفارة الرسول الى قريش .

وما كاد يتولى الخلافة حتى شعر بالازمات تتوالى عليه من كل جانب فهاج أهل الكوفة وقام أهل البصرة وضج أهل الشام وغضب أهل مصر وكان وهو فى المدينة يحاول إطفاء جذوة النيران المتقدة فلم يوفق الى ذلك وقد باشر عمله بالتحقيق عن مقتل عمر وعما إذا كان لاحد ضلع فيه واتهم الهرمزان الفارسى وغيره إلا أن الايدى المحركة لابى لؤلؤة لم تعرف .

ولم يغير رضى الله عنه أول ولايته شيئا مما كان على زمان سلفه فابقى أمراء مكة والطائف والبحرين على ما كانوا عليه وهم نافع بن عبد الحارث الخزاعى على الاولى وسفيان الثقفى على الثانية وعثمان بن أبى العاص الثقفى على الثالثة .

وقد حصلت بعض الفتوح على عهد خلافته منها : فتح الرى واذربيجان وطبرستان وبلاد الخزر وخراسان وجزيرة قبرص ، وفى عهده انشئت أول عمارة بحرية اسلامية وكان العرب قبل ذلك يتهيبون البحر .

وأهم ماحدث أيامه الفتنة الداخلية التى أودت بحياته وكانت مقدمة لاختلافات

عظيمة فى الاسلام قاسى منها فى الازمنة التالية أهوالا ومشاقاً عظيمة .

وقد نقم الناس على عثمان أموراً كثيرة رد هو عن موقفه تجاهها، من ذلك عيب الناس عليه جمعه للمال وتقريبه ذوى قرباه ورده للحكم بن أبى العاص وقد كان الرسول ﷺ نفاه الى الطائف وتفضيل بنى أمية على غيرهم وهبته لاقاربه دون سواهم وتسليمه الامر لمروان وغير ذلك من الانتقادات(١) .

وقد وفدت عليه الوفود من الاقطار الثلاثة وانصرفت عن المدينة عازمة على الفتنة وادعى المصريون منهم أنهم صادفوا فى الطريق كتابا من عثمان يأمر عامله على مصر أن يقتلهم وعدوا ذلك منه نكثاً لوعده فعادوا الى المدينة وعاد معهم المتواطئون وإياهم من أهل الشام والعراق فحاصروه فى بيته واشتد الحصار عليه وهو لا يأتى بحركة سوى ارساله لعبد الله بن عباس الى مكة لكى يخبر الناس فى الحج بما كان من هؤلاء المفتونين إلا أن هؤلاء دخلوا عليه المنزل عنوة من بيت بجواره فقتلوه(٢) فى الثامن عشر من ذى الحجة سنة ٣٥ للهجرة .

ويقول بعض المؤرخين : ان أسباب مقتل عثمان كثيرة ، أهمها وجود تنافس بين كبار المسلمين فى المدينة ، وحسبان كل واحد نفسه أحق من غيره بالامر ، ثم كون عثمان ليناً مستسلماً سلم الامر الى نفر من قومه منهم مروان بن الحكم أساءوا التصرف فى الامور وأشاروا عليه بالمشورة السيئة . ومن ذلك مخالفة عثمان صاحبه عمر فى سماحه لاكابر قريش بترك المدينة والسفر الى أية جهة قصدوها فكان ذهابهم سبباً لاجتماع الناس عليهم ونشرهم أخبار عثمان وان وصوله الى الخلافة كان بغير حق . وكان أمير مكة يوم مقتل عثمان العلاء بن الحضرمى الذى كان من قبل أميراً

---

(١) ذكر المرحوم الاستاذ الخضرى هذه الاسباب فى محاضراته ٢ ص ١٠٩ - ١١٥

(٢) انظر تفصيلها فى ابن خلدون ص ١٢١

فى البحرين وأمير الطائف القاسم بن ربيعة الثقفى .

٤ — على بن ابى طالب

هو سيف الاسلام الغالب وبطله الظافر ولد فى مكة قبل الهجرة باحدى وعشرين سنة وقد ولى الخلافة بعد خمسة أيام من مقتل عثمان وزمان خلافته ملىء بالثورات والفتن الاهلية فانه ما كاد يتسلم الخلافة حتى طولب بعقاب قتلة عثمان فاظهر لمراجعيه عجزه عن ذلك مادام المتغلبون فى المدينة ووعد بعقابهم بعد ذلك(١) .

ولم يقبل بعض كبار المسلمين ببيعته فمنهم من بايع مكرهاً ومنهم من ارتحل عن المدينة الى معاوية فى الشام ، والى الأمصار الاخرى . وكانت السيدة عائشة قد خرجت قبل مقتل عثمان الى الحج بمكة ، فلما بلغها مقتله خطبت فى المسجد الحرام بمكة فى الناس وأعلمتهم بالحادث الجلل وأعلنت لهم ضرورة المطالبة بأخذ ثأر دم عثمان ولحق بها طلحة والزبير وانصرف جميعهم مع من التف حولهم الى البصرة(٢) .

وكان من أمر على بعد توليه الخلافة أن أصدر أمره بعزل جميع ولاة عثمان وتعيين أمراء من قبله فى مواقعهم فسافر هؤلاء ولكن أكثرهم رد على عقبيه دون أن يتولى امارته . وأعلن معاوية بن أبى سفيان والى الشام عصيانه على علىّ وأرسل اليه رسولا يطالبه بدم عثمان فلم يجبه وعزم علىٌّ على الخروج الى الشام لتأديب معاوية ومن معه من بنى أمية الفارين من المدينة فجاءته أخبار تجمهر السيدة عائشة ومن معها فى البصرة فخرج اليها .

ولم يجدِ توسط المتوسطين فى الصلح فحصلت موقعة الجمل التى قتل فيها

---

(١) ابن خلدون م ٣ ص ١٥١ (٢) ابن خلدون م ٣ ص ١٥٥

كثيرون من المسلمين وارجعت عائشة الى المدينة وقتل طلحة والزبير وغيرهما خلق عظيم .

ثم جهز على يريد معاوية فالتقى الجمعان بصفين وبلغ عدد من قتل من الجانبين على رواية بعض المؤرخين تسعين الفاً .

ثم كان التحكيم بين على ومعاوية فى دومة الجندل ، وكانت حيلة عمرو بن العاص لمحكم على واعلانه خلع على واثبات معاوية ثم كانت حادثة الخوارج وقتلهم فى النهروان ثم تلى كل ذلك تآمر بعضهم على قتل على ومعاوية وعمرو بن العاص ولكن ضربة الخارجى لم تقتل إلا علياً فقتل فى النجف الأشرف يوم ١٧ رمضان سنة ٤٠ للهجرة وقد مضى عليه فى الخلافة أربع سنين وتسعة أشهر تقريباً .

وكان مقتل على من أكبر أسباب الشقاق بين المسلمين وانقسامهم الى شيع وفرق نرى بقاياها حتى الآن فى العالم الاسلامى . وهو كرم الله وجهه على شرفه وقربه من الرسول ﷺ وفصاحته وشجاعته وخصاله العالية لم يكن يراعى ظروف الاحوال ولا مقتضيات المخارج والمداخل فكان صلباً لا تلين قناته ولا يقبل فى الحق لومة لائم يحاسب على الصغيرة قبل الكبيرة ولا يهمه الا اقامة حدود الله .

الفصل الثامن

الأمويون والعلويون وابن الزبير

الدولة الاموية – معاوية وخصومه – يزيد بن معاوية – ابن الزبير وعبد الملك
خلفاء عبد الملك

---

١ – الدولة الأموية

كان من نتيجة التحكيم الذى تم بين مندوبى على ومعاوية فى دومة الجندل[١] اشتداد ساعد معاوية بن أبى سفيان فى الشام وضعف على بن أبى طالب فى العراق والحجاز وقيام فئة الخوارج بالنقمة على الجانبين وانتهاء الامر بقتل على كرم الله وجهه بسيف عبد الرحمن بن ملجم الخارجى ، فلما أصبح معاوية وحيدا وجّه الجيوش لاحتلال المقاطعات الاسلامية واحدة واحدة ، منها سرية قدمت الى جهات تيماء لاحتلالها وسرية بقيادة بسر بن أبى ارطاة الى المدينة المنورة فاحتلتها ، وتوجهت منها الى مكة المكرمة فاحتلتها أيضاً[٢].

واتخذ معاوية من دمشق عاصمة للخلافة فانتقل بذلك المركز السياسى من الحجاز الى الشام وأصبحت هذه البلاد مقاطعة تابعة للخلافة بعد أن كانت مركزا تتبعه المقاطعات ، وكان يتولى إدارتها من الامويين أمراء ينفذهم الخلفاء من

---

(١) واحة الجوف
(٢) الطبرى مجلد ٦ ص ٨٠

دمشق الى الجهات المختلفة ، فطورا يجمع الامير بين ولايتى مكة والمدينة وطورا يكون لكل منهما أمير ، وكانت حال الجهات الاخرى من هذه المملكة كذلك قد تتبع الحجاز وقد يتبع قسمها الشرقى العراق وفيما عدا المدة التى كانت فيها الحجاز حكومة مستقلة أيام الحسين بن على بن أبى طالب وعبد الله بن الزبير فان ادارة الامويين للبلاد لم تتغير [١] .

ومما يجب ذكره زمن الدولة الاموية التى ظلت ٩١ سنة فى الحكم ما حصل فى هذه البلاد من الاحداث العظيمة منها واقعة الحرة واباحة المدينة للجيش الغالب ومنها حصار مكة ثم هدم الكعبة وبناؤها من قبل ابن الزبير ثم هدمها مرة أخرى أيام الحجاج وإعادة بنائها على الشكل الذى كانت عليه قبل بناء ابن الزبير ، ومنها ماتم فى ولاية عمر بن عبد العزيز وخلافته من أعمال اصلاحية فى المدينة ومكة وفى الطريق بينهما .

٢ — معاوية وخصومه

كان المسلمون يوم مقتل على واستئثار معاوية بالخلافة ثلاث فرق : أهل الشام وهم أتباع معاوية وعدته ، وأهل العراق وهم أتباع الامام على وأولاده ، والخوارج أعداء الفريقين . أما أهل العراق فقد سلط عليهم معاوية الحجاج وزيادا والمغيرة فأخلدوا الى حكمه القاهر عن كره وسلموا أمرهم اليه . وأما الخوارج فانه حاربهم أيضاً ونال منهم ما يريد . وأما الحجاز فقد كان أسهل على معاوية من الاصقاع الاخرى وليه سلماً وولى عليه أمراء من أتباعه مثل سعيد بن العاص ومروان بن الحكم ، وكان غير مقيد بشكل معين فى إدارة البلاد فقد جمع ولاية مكة والمدينة لواحد كما أنه قسمها بين أميرين .

---

(١) لم يتم الحسن أيام خلافته قبل صلحه مع معاوية فى الحجاز ومدة أخيه الحسين لا تزيد عن بضعة اشهر ايضا . اما خلافة ابن الزبير فى مكة فانها امتدت من عام ٦٤ الى عام ٧٣ للهجرة .



١٤ — قصر شبرا فى الطائف



١٥ — قرية الهربقا فى واحة جبرين

واستتب الأمر لمعاوية عام ٤١ المسمى بعام الجماعة وسلم الحسن بن على وأعلن تنازله عن الخلافة وأقام فى المدينة بعد ذلك الى أن مات .

وقدم معاوية أيام خلافته الى الحجاز مرتين : احداهما من أجل أخذ البيعة لابنه يزيد بولاية العهد . فبدأ بأهل المدينة فبايعوا إلا ثلاثة نفر وهم : ابن الزبير والحسين بن على وعبد الله بن عمر ، فانهم انصرفوا الى مكة فلحقهم اليها وهنالك نال منهم ما يريد . والثانية كانت سنة ٥٠ فحج بالناس (١) .

وقد ولى امارة المدينة لمعاوية ثلاثة سعيد بن العاص ، ومروان بن الحكم ، والوليد بن عتبة بن أبى سفيان .

وولى امارة مكة : عتبة بن أبى سفيان ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وابنه عمرو بن سعيد ، وخالد بن العاص ، وعبد الله بن خالد بن أسيد (٢) ولا نعلم شيئاً راهناً عن ولاة معاوية فى المقاطعات الاخرى من هذه البلاد .

٣ — يزيد بن معاوية

اهتم يزيد بعد توليه الخلافة عام ٦٠ (٦٨٠ ميلادية) بأخذ بيعة أهل الحجاز وبالاخص بيعة الثلاثة المخالفين . فكتب الى أمير المدينة وهو الوليد بن عتبة بن أبى سفيان أن يفعل ذلك ففر الحسين بن على وابن الزبير الى مكة من غير أن يبايعا . ويروى أن ابن الزبير كان يشجع الحسين على الخروج من مكة الى انصار أبيه فى العراق لكى يستأثر بعد خروجه بحكم مكة ويعمل لنيل البيعة لنفسه لأنه علم أن أهل الحجاز لا يبايعونه ما دام الحسين حيا .

وخرج الحسين الى العراق بالرغم عن مشورة الناس عليه بعكس ذلك . وحينما

---

(١) الطبرى مجلد ٦ ص ١٣٤

(٢) خلاصة الكلام ص ٤

كان فى الطريق جاءه رسول من والى المدينة يحمل كتاب أمان له ، فلم يقبل به وداوم فى سيره الى أن نزل الثعلبية [١] فوجد أن أكثر قومه قد تفرقوا عنه ، وان أنصار أبيه لم ينصروه وسار الى العراق فاستشهد فى عاشر المحرم عام ٦١ فى كربلاء .

ثم شق أهل المدينة عصا الطاعة وخلعوا بيعة يزيد فى ولاية عثمان بن محمد بن سفيان عام ٦٢ وحاصروا بنى أمية فى دار مروان بن الحكم ، ثم أطلقوهم بعد أخذ العهد عليهم بعدم اطلاع عدوهم على حالهم . غير أن ذلك لم يجدهم فتيلا فان يزيد أنفذ أحد قواده المسمى مُسلم بن عُقبة المرى فوقعت بينه وبين أهل المدينة موقعة فى الحرة التى بقرب المدينة فتغلب عليهم وقتل عددا عظيما منهم ولم يكتف بفعلته هذه فأباح المدينة لجيشه ثلاثة أيام بلياليها ففعل الجند فيها أفعالا وموبقات عظيمة ظلت ذكراها معرّة فى تاريخ يزيد .

ولما انتهى مسلم من أمر المدينة توجه الى مكة لحرب عبد الله بن الزبير فمات فى طريقه اليها قبل أن يبلغها . وقام على رئاسة الجند الحصين بن نمير فوصلها فى أواخر المحرم عام ٦٤ وجمع ابن الزبير جموعه لحرب الجيش الاموى وخرج بمن معه لقتالهم فانهزم ولاذ بمكة وحاصر فيها ، وفى شهر ربيع الاول من تلك السنة نصب المهاجمون المنجنيق على أبى قيس ورموا به الكعبة فاحترقت [٢] .

ولم يفك الحصين الحصار عن مكة الا بعد وفاة يزيد بن معاوية فى منتصف ربيع الاول وولاية معاوية بن يزيد . ويروى الطبرى أن الحصين قبل فك الحصار تكلم مع ابن الزبير فى الخروج الى الشام ليبايعه فيها فرفض ابن الزبير ذلك [٣] .

---

(١) أحد المنازل على درب الحج من العراق بين المدينة وحائل .
(٢) الطبري م ٧ ص ١٤ (٣) الطبرى مجلد ٧ ص ١٧

٤ - عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان

لم يكن لخليفتى يزيد ما كان له من الهمة والنفوذ والمقدرة على مجابهة الاخطار ولم يدم ملكهما طويلا . فان معاوية توفى بعد بضعة أشهر من خلافته ، ومروان ابن الحكم كان أقرب الى الملاينة والماطلة منه الى العنف والشدة . فكان ذلك من جملة الاسباب التى هيأت لابن الزبير قيامه بأمر الخلافة فى الحجاز وبعض العراق ومصر ، وانضواء غالب الرقعة الاسلامية تحت لوائه ، وقد خيل لكثيرين فى ذلك العصر ان أمر المسلمين صائر لا محالة الى ابن الزبير وان الملك سيستقر فى الحجاز ويعود اليه ما فقده على عهد معاوية وابنه .

وتوفى مروان بن الحكم عام ٦٥ وقام بأمر الخلافة من بعده ولده عبد الملك فألفى نفسه أمام مشكلات عديدة أهمها مشكلة ابن الزبير فى الحجاز فجابه الاخطار بما علم عنه من اصابة الرأى ورباطة الجأش ، وسخر الله له أمراء أكفاء مثل الحجاج وعبيد الله بن زياد فتمكن بعد ثمانية أعوام من استخلاص الحجاز وقتل ابن الزبير واعادة الوحدة الى البلاد الاسلامية .

امتدت سلطة ابن الزبير بعد فك الحصار عنه عام ٦٤ على الحجاز وولى أخاه مصعباً على المدينة ثم أرسله الى العراق فاستصفاه له من أعدائه . وظل متمتعا بسلطته التامة فى الحجاز الى ان انتهى الخليفة عبد الملك من أمر العراق عام ٧٢ فوجه اليه قوة عظيمة بقيادة الحجاج بن يوسف الثقفى . فوصل الحجاج مكة فى جمادى الاولى عام ٧٢ وحاصرها ورمى الكعبة بالمنجنيق كما فعل الحصين بن نمير قبل ذلك بثمانى سنوات وشدد الحصار على أهل مكة حتى ضاق الامر فى وجوههم وخرجوا الى الحجاج يطلبون الامان وفيهم أولاد ابن الزبير نفسه . فيئس عبد الله من النجاح

وخرج للقتال فغلب على أمره وصلبه الحجاج عام ٧٣ (١). وكان لابن الزبير من العمر ثلاث وسبعون سنة .

وفى خلافته هدم بناء الكعبة من الاساس على أثر التصدع الذى حدث من الحريق ورمى المنجنيق فى حصار عام ٦٤ وأدخل فيها حجر اسماعيل وفتح لها بابا آخر من جهة الغرب واستند فى ذلك على حديث روته له والدته عن السيدة عائشة .

فلما قضى الحجاج على ابن الزبير كان بنيان الكعبة متصدعا أيضاً فكتب الى عبد الملك يستأذنه فى اعادة بنائها على الشكل الذى كانت عليه قبل بناء ابن الزبير فكان له ذلك . فقصر من جهة الحِجْر وسد الباب الغربى وجعلها على الشكل الذى نراها الآن عليه . وبموت ابن الزبير عاد حكم البلاد العربية الى يد الامويين وثار أحد الخوارج المسمى بأبى فديك فى مقاطعة البحرين على عبد الملك فأرسل اليه جيشاً أدبه وطرده منها .

٥ — خلفاء عبد الملك

بعد القضاء على ابن الزبير عادت الحال فى ادارة هذه البلاد الى ما كانت عليه يعين الخلفاء فى دمشق أمراء من قبلهم لادارتها ثم يعزلونهم حينما يبدو لهم ذلك وكان بعض الخلفاء يزور الحجاز فى خلافته كما حصل للوليد بن عبد الملك ولعمر ابن عبد العزيز وبعضهم لايعلم عن موطن آبائه وأجداده الا ما يقصه عليه أمراؤه أو مهذبوه .

وتاريخ القسم النجدى من هذه البلاد غامض جداً فى تلك الادوار ولا توجد لدينا معلومات جلية نستطيع أن نعتمد عليها فى ذكر ما كان فيها من احداث غير

---

(١) الطبري مجلد ٧ ص ٢٠٢ ومايليها
(٢) الطبرى مجلد ٧ ص ١٠٦

أن ادارة نجد كانت تتبع فى الغالب امارة العراق أو امارة البحرين وادارة عسير كانت تلحق بالحجاز أو باليمن .

أما من وجهة الاعمال الاصلاحية فان عصر الوليد بن عبد الملك من أبهى الادوار التاريخية فى الحجاز فانه عين ابن عمه عمر بن عبد العزيز أميراً على المدينة المنورة وجمع له امارة مكة أيضاً عام ٨٧ [1] فسار عمر فى ادارة الامور على سيرة جده لأمه عمر بن الخطاب واتخذ أشهر فقهاء المدينة اذ ذاك مستشارين يرشدونه وينفعونه برأيهم .

وفى عام ٨٨ أمره الوليد ببناء المسجد النبوى وتوسيعه ليكون مائتى ذراع طولا فى مائتين مثله وان تدخل فيه دور أزواج النبى أيضاً ماعدا المقصورة التى فيها القبور الثلاثة وهى مقصورة السيدة عائشة [2] .

وأمره أيضاً ببناء الفوارة التى يشرب منها أهل المدينة وتسهيل السبل مابين الحرمين وتمهيد الثنايا الواقعة فيها [3] . وحج الوليد عام ٩١ [4] . وعزل عمر بن عبد العزيز عن المدينة بعد ذلك بسنتين وكان سبب نقمته عليه على مايقال تهاونه فى أمر من هرب من أهل العراق الى المدينة فراراً من ظلم العمال فى العراق وولى المدينة بعده عثمان بن حيان المرى .

ولم يطرأ على حالة هذه البلاد أيام سليمان بن عبد الملك وعمر مايستحق الذكر فان الحجاز كان راتعاً فى حالة من الرخاء لايريد عنها بديلا وكانت نجد والبحرين بعيدة عن الفتن والقلاقل يتقلب على ادارتها الامراء دون أن يحصل فى أيامهم ما يستحق الاهتمام .

وحصل فى أواخر أيام دولة بنى أمية على عهد الخليفة مروان الثانى انه بينما كان

---

(١) الطبرى م ٨ ص ٦٤
(٢) الطبري م ٨ ص ٦٥
(٣) الطبرى م ٨ ص ٦٦
(٤) الطبري مجلد ٨ ص ٨١

الناس فى الموقف بعرفة حجة عام ١٢٩ اذ طلعت عليهم أعلام وعمائم سود على رؤوس الرماح ففزع الناس من ذلك وسألوا عنهم فقالوا انهم مخالفون لمروان وحكومته وآله . وتم الاتفاق على عدم تعرض فريق للفريق الآخر فى عرفة وعلى اتمام الحج دون أى خصام . وكان هؤلاء القادمون من الخوارج والاباضية فانصرفوا من مكة الى المدينة بزعامة رئيسهم المختار بن عوف الازدى[1] وهرب أميرها عبد الواحد بن سليمان بن عبد الملك وأقام المختار وأصحابه فى المدينة بضعة أشهر ثم انصرف منها فى قومه الى الشمال فالتقى بقوات مروان فى وادى القرى ومات مقتولاً عام ١٣٠[2] .

---

(١) المسعودى م ٢ ص٢٠٣ والطبرى م٩ ص ٩٥
(٢) الطبرى م ٩ ص ١٠٧ – ١١١

الفصل التاسع

العباسيون وملوك الطوائف

شأن البلاد على عهد العباسيين اجمالا ـ الحوادث المهمة حتى ظهور القرامطة
القرامطة ـ ملوك الطوائف

---

١ — شأن البلاد على عهد العباسيين اجمالا

حينما كثرت مشاغل الخلفاء في العواصم التي هم فيها، واتسعت رقعة الممالك الخاضعة لهم، وكثر الادعياء والاضداد والاعداء، أهملوا شأن هذه البلاد ولم يعيروها الاهتمام الا بقدر مايحفظ لهم السيطرة على الحجاز، ويمنع أعداءهم من الانتفاع به.

ولا مشاحة فى أن العباسيين قاموا فى الحجاز بمآثر عديدة الا أن ذلك ظل محصوراً فى الحرمين الشريفين والاماكن الموصلة اليهما. وأما الانحاء الاخرى فانهم أهملوا شأنها وتركوها على حالها البدوية فعادت للقبائل سيرتها الاولى: ـ نهب ـ وغزو ـ وفتن ـ وحروب، إما فيما بينها وإما تعضيداً لامير على أمير وكانت نجد خاضعة أكثر الاوقات لسلطان الامير العباسي فى الحجاز. وقد فعل هذا أبو العباس السفاح فانه عام ١٣٣ ولى خاله زياد بن عبد الله بن عبد المدان على المدينة ومكة والطائف واليمامة [١]، وأبو جعفر المنصور فانه الحق ولاية البحرين بالحجاز.

---

(١) الطبرى مجلد ٩ ص ١٤٧

وكان الغالب أن تجتمع امارة الحجاز لامير واحد إلا أن هذا كان تابعاً لرأى الخليفة يفصلها حينا الى امارتين فى المدينة امارة وفى مكة والطائف امارة أخرى ويضمها حينا آخر أو يضمها ويزيد عليها مقاطعات أخرى .

والمعلوم من تاريخ هذه الحقبة فى البلاد العربية قليل جداً ومعظمه تاريخ فتن العلويين ، وثورة القرامطة ، وانشاء بعض المآثر فى الحرمين أو فى الطرق الموصلة اليهما مما سنوجزه فيما يلى .

٢ — الحوادث المهمة منذ ظهور القرامطة

أول ما نذكره من الحوادث زمن العباسيين ما أمر به أبو العباس السفاح من انشاء بعض القلاع والخانات على طريق الحج الممتدة من الكوفة ، ووضع الاعلام التى يستدل بها الحاج على طول الطريق فى ابعاد معينة .

وحج أبو جعفر المنصور وأبو مسلم الخراسانى فى خلافة أبى العباس عام ١٣٦ وكانا على غير وفاق ولكن الحج انقضى دون حادث ومات الخليفة بينما كان الاثنان فى الحجاز .

وفى عام ١٣٩ أمر أبو جعفر المنصور بالزيادة فى المسجد الحرام بمكة المكرمة فزيد فى شقه الشامى الى ماوراء دار الندوة وفى شقه اليمانى الى أن انتهى الى المنارة التى فى ركن باب بنى سهم [١] وحج المنصور عام ١٤٠ بعد اكمال الزيادة فى المسجد ووزع الاعطيات والصدقات الوافرة على أهل الحرمين [٢] .

وحج المنصور عام ١٤٤ [٣] وكان ناقما على محمد وابراهيم ولدى عبد الله العلويين لعدم ظهورهما أمامه فى حجته عام ١٤٠ وكان زياد أميره على المدينة

---

(١) الاعلام باعلام البيت الحرام ص ٦١

(٢) الاعلام باعلام البيت الحرام ص ٦٢

(٣) الطبري مجلد ٩ ص ١٨٠

كفلهما لديه . وسبب نقمته يرويها الطبري على وجوه عديدة [١] منها أنهما لم يحضرا لديه فى حجته ، ومنها أنهما أعدّا عدتهما لاغتياله فى الحج ، ومنها اكتشافه أنهما فى مخابرات مع بعض أعدائه فى خراسان والعراق . فأمر بحبس بنى هاشم فى المدينة وعزل أميرها وآذى بنى هاشم . ففر محمد المدعو بالنفس الزكية من وجهه الى الهند ثم عاد الى العراق ومنها الى المدينة وأطرافها وظل مختبئا الى أن أتيحت له الفرصة فى العام المقبل لاثارة المدينة على المنصور والاستيلاء عليها [٢] .

فأراد المنصور أن يحل عقدة الخلاف بالمراسلة فكاتب محمداً ووعده بالعفو عنه ولكن هذا ثمل بخمرة النصر الذى ناله فى الحجاز فأغلظ فى الجواب وأعد معداته للكفاح . فأرسل المنصور عيسى ابن أخيه لحرب النفس الزكية فى المدينة ولم تجدِ هذا استعداداته ولا خندقه الذى حفره ، ولا معدات حصاره ودارت الدائرة عليه فقتل .

وثار السودان فى المدينة بعد ذلك فى نفس السنة وآذوا الامير وانتهى الامر بقتل رؤسائهم [٣] وحج المنصور بعد ذلك عام ١٤٧ ثم حج عام ١٥٨ ولكنه توفى قبل دخوله الى مكة فى بئر ميمونة ودفن فى مكة [٤] .

وحج المهدى فى خلافته مابين ١٥٨ — ١٦٩ عدة مرات وكان يكسو الناس ويحسن معاملة أهل الحرمين ويمدهم بالاعطية والصدقات . وقيل انه أخذ خمسمائة نفر من نسل الانصار من المدينة وأقطعهم الاملاك الواسعة فى العراق وجدد بناء الاعلام والخانات على درب الحج ووسع فى بناء المسجد الحرام فى مكة وأدخل فيه دوراً عديدة من جهة المسعى [٥] . وحينما حجت الخيزران زوجته ابتاعت

( ) الطبري مجلد ٩ ص ١٨٠ — ١٩٣

(٢) قصة خروج محمد فى المدينة وقتله مفصلة فى الطبرى فى حوادث سنة ١٤٥ مجلد ٩ ص ٢٠١ — ٢٣٥

(٣) الطبرى مجلد ٩ ص ٢٣٥ — ٢٣٨

(٤) الطبرى م ٩ ص ٢٩٢

(٥) الاعلام ص ٧

أماكن عديدة فى مكة وأنشأت فيها مساجد منها مولد الرسول فى سوق الليل ودار الارقم فى الصفا . ثم زاد المهدى فى الحرم زيادة أخرى سنة حجه .

وفى خلافة الهادى ثار الحسن بن على بن الحسن بن الحسن بن على بن أبى طالب فى المدينة وتغلب على مكة المكرمة أيضاً واقتتل جمعه مع الجيش العباسى بقرب فخ فقتل الدعى يوم التروية من عام ١٦٩ (١) .

وتمتع أهل الحرمين فى خلافة هارون الرشيد بقسط واسع من الرفاه والرخاء وكان هارون يحج أكثر الاعوام ويوزع الصدقات والاحسانات .

وقامت السيدة زبيدة زوجة الخليفة هارون ووالدة الامين بمد المياه الى مكة المكرمة وعرفة من وادى حنين ووادى نعمان . فالمياه من حنين جلبتها الى مكة والمياه التى من وادى نعمان جلبتها الى عرفة وأدارتها حول جبل الرحمة وأمرت بمدها من هنالك حتى وصلت الى منى عند البئر المعروفة الآن ببئر الجن (٢) .

وفى حجة الخليفة هارون عام ١٨٦ كتب عهده لولديه وعهد كليهما على الآخر وعلقه على الكعبة (٣) .

وفى خلافة المأمون عام ١٩٩ حصلت فى الحجاز فتنة اتباع ابن السرايا وتولى جماعته أمر مكة المكرمة والمدينة وفعلوا فى البلاد أموراً من إتلاف المال وحرق الدور والأثاث ونهب ستائر الكعبة وما فى المسجد من ذهب وما فى الخزائن من ودائع (٤) .

وفى خلافة الواثق حصلت حوادث قبائل بنى سليم وأشجع وهلال فى المدينة

---

(١) تاريخ القطبي ص ٦٨

(٢) وضع السيد عبد الله الزواوي رسالة صغيرة في تاريخ عين زبيدة التي يقصد بها الآن العين التي يستقي منها اهل مكة . والحقيقة ان العين الممتدة من منى الى مكة ليست من صنع زبيدة بل ان السيدة المذكورة جلبت الماء الى مكة من عين حنين المسماة الآن بعين الزعفران ومدت العين المعروفة باسمها من وادي نعمان الى عرفة ومنى فقط .

(٣) الطبرى م ١٠ ص ٧٣ - ٧٩

(٤) الطبرى م ١٠ ص ٢٢٨ - ٢٣٥

وأطرافها فوجه عليهم الواثق عام ٢٣٠ القائد بغا فظل يحاربهم ويقتاد من زعمائهم الى أن قضى على فتنتهم التى أسرفوا فيها فى النهب والسلب والاعتداء على الآمنين . وفى عام ٢٣٢ سار بغا بأمر الواثق الى اليمامة لقتال بنى نمير وباهلة بقرب السرّ فأوقع بهم وأخذ منهم عدداً كبيراً من الاسرى[1].

وقام دعىّ علوى فى مكة فى خلافة المستعين بالله عام ٢٥٠ فنهب ما فى خزائن الكعبة من الاموال وقام لقيامه بعض العلويين فى المدينة بعد ذلك ، إلا أن أمرهم انتهى بما ينتهى اليه أمر كل مفسد[2].

وفى خلافة المعتمد قام أحد أدعياء العلويين بالمدينة عام ٢٧٩ فنهب ما فى المسجد الحرام ومنع الناس من الخروج فظلوا محصورين لايجسرون على الخروج مدة أربعة أسابيع .

٣ — القرامطة

أنتج الخلاف بين علىّ ومعاوية ، وقتل الحسين فى كربلاء ، واضطهاد أهل البيت ، انقساماً عظيما فى العالم الاسلامى ، وكثر عدد المتشيعين لأبناء علىّ والمعتقدين بأفضليتهم وتقدمهم واشتد حماس الجمهور فى الدفاع عنهم كما كثر عدد الادعياء والوصوليين الذين استفادوا من إذكاء نار الحماس لنيل مآربهم الخاصة وساعد على اشتداد الانقسام عمل الشعوبيين الذين لم يدخل الاسلام الى قلوبهم وكان جل قصدهم هدمه والقضاء عليه .

وأهم الدعوات الحزبية التى نشأت عن اضطهاد العلويين ، وتشيع شيعتهم لهم ما قامت به فرق الشيعة الامامية بقسميها : السبعية اتباع محمد بن اسماعيل ، والاثنا عشرية اتباع جعفر الصادق . ولسنا هنا فى معرض الدخول فى تفاصيل هذه الفرق

---

(١) الطبري م ١١ ص ١٢ — ٢٣
(٢) القطبي ص ٩٨ والطبرى م ١١ ص ١٣٦

ولكننا أشرنا اليها للعلاقة الجامعة بينها ، وهى الحركات الهدامة المختلفة من اسماعيلية وفاطمية وقرمطية .

أما القرامطة فهم شيعة ينتسبون الى شخص يسمى حمدان قرمط ، يمانى الاصل غالى فى التشيع لاهل البيت ودعا الناس الى اتباعهم دعوة دينية خالصة انقلبت فيما بعد الى دعوة سياسية بتأثير أبى سعيد الجنابى وهمته [١] .

ففى أواخر المائة الثالثة للهجرة تغلب أبو سعيد على شرق الجزيرة واستولى على البحرين وهجر [٢] وخلع طاعة المعتضد العباسى وشن الغارة على الاصقاع العربية ونهب قوافل الحجاج .

وبعد موته قام بأمر القرامطة ابنه أبو طاهر فهاجم الحرمين الشريفين من مقره بالقطيف ودخل مكة المكرمة عام ٣١٧ للهجرة ، فنهب مكة وانتزع الحجر الاسود من مكانه فى البيت ونقله الى واحة القطيف ووضعه فى مسجد الضرار لكى يصرف الناس اليه عن مكة . وظل حكم أبى طاهر للحرمين مدة تزيد عن عشرين سنة كان الحجر الاسود خلالها فى هجر . وكان القرمطى على صلة بالفاطميين فى افريقية الشمالية وينتسب اليهم ، فلما أمره الفاطمى باعادة الحجر الى البيت نقم القرمطى على الفاطمى وقطع صلته به وأعيد الحجر الى مكة عام ٣٣٩ .

وزالت قوة القرامطة السياسية بعد أبى طاهر وانحصرت سلطتهم فى جهات الحسا والبحرين مدة تقرب من قرن كامل ثم تلاشت نهائياً . وتوجد من بقايا القرامطة فئة فى واحة القطيف حتى يومنا هذا .

٤ — ملوك الطوائف

عاد حكم مكة بعد زوال سيطرة القرامطة الى العباسيين فى بغداد إلا أن ضعف

---

(١) أنظر تفصيل امر القرامطة فى الطبرى مجلد ١١ ص ٣٣٧ وخلاصة الكلام ٥ ص ١٠ والمسعودي م ٢ ص ٤٨٤ وهو يسمى اباسعيد بالجبائى وللمستشرق دى كوجه الهولندى كتاب عن القرامطة فى البحرين طبع فى ليدن عام ١٨٨٦

(٢) تشمل الساحل الشرقى للمملكة العربية السعودية بما فى ذلك مقاطعة الحسا والقطيف وتشمل جزائر البحرين

الخلفاء و انشغالهم بدفع المؤامرات فى بلاطهم جعلت سيطرتهم على الحرمين ضئيلة جداً . وحينما استولى الفاطميون على مصر حاولوا مد سلطانهم الى الحرمين إلا أن ما عرف من صلتهم بالقرامطة جعل أهل الحرمين يمتنعون عن قبول الحكم الفاطمى ويفضلون عليه حكم العباسيين . وقد استولى الفاطميون على المدينة أول الأمر وكان فيها عائلتان تقتتلان بنو الحسن و بنو الحسين والسلطة فى أيدى هؤلاء.

ففى الوقت الذى توفى فيه كافور الاخشيدى عام ٣٥٦ ثار أحد الحسنيين المسمى محمد جعفر على سلطة أبناء عمومته ورحل عن المدينة الى مكة واستولى عليها وحين فتح المعز لمصر دعا له على المنبر في الحرم المكى وولاه الولاية رسمياً و باستيلاء هذا الامير تبدأ شرافة مكة التى أفردنا لها فصلا آخر فى هذا القسم من الكتاب .

و ظل الحجاز من أيام الفاطميين الى حين فتح السلطان سليم العثمانى تحت حكم أمراء من الاشراف يتبعون الملك الذى يكثر لهم العطاء ويجزل لهم المنافع ، تارة يتبعون خلفاء بغداد وطوراً يتبعون ملوك الطوائف في مصر .

وأعظم ملوك الطوائف نفوذاً و أكثرهم اصلاحاً فى الحرمين السلطان نور الدين زنكى فانه حصن المدينة و أنشأ فى أطراف البلاد قلاعاً وحصوناً تحميها من هجمات المغيرين من البادية وأمن السبل وعم المساواة والعدالة .

وكان نفوذ الايوبيين عظيماً أيضاً ، فانهم منعوا الاشراف ورؤساء العربان وأمراءهم من الاعتداء على الحجاج وظلمهم . وكان الشريف الحسنى فى مكة والامير الحسينى فى المدينة خاضعين لحكم الملك المصرى إلا أنهما كانا يتصرفان بأحوال أهل مكة والمدينة وفى شؤون الحجاج على النحو الذى يروق لهما .

وقد بقيت من أيام المماليك آثار عمران عديدة فى الحرمين منها مالايزال باقياً الى يومنا هذا (١) .

---

(١) من جملة الآثار ماخلفه الملك الظاهر والسلطان قايتباى والغورى من المدارس والتكايا ودور الاحسان .

الفصل العاشر

آل عثمان

الفتح العثمانى ـ حكم آل عثمان ـ عمل السلاطين المتقدمين ـ آل سعود والاشراف والمصريون ـ استعادة العثمانيين قوتهم ـ دور السلطان عبد الحميد الحكم الدستورى

١ ـ الفتح العثمانى

ظلت الحكومة العثمانية مستولية على هذه البلاد بالفعل طيلة أربعة قرون كانت سلطتها فى خلالها فى صعود وهبوط الى أن أزيلت تماما عام ١٩١٧ ميلادية بعد مرور أربعمائة سنة على استسلام البلاد للسلطان سليم العثمانى فاتح مصر والخليفة الاول من آل عثمان عام ٩٢٢ هجرية .

و بالرغم من قيام امارات محلية واسعة السلطة والنفوذ ، قبل الفتح العثمانى و بعده فان السلطة الرئيسية التى كان يستمد الامراء قوتهم منها زمن العثمانيين هى قوة السلطنة وعظمتها . وكان النفوذ العثمانى فى الحجاز أقوى منه فى أى قسم آخر من البلاد ، فقد وجدت نواح كان العثمانيون قانعين منها بالاعتراف بالسيطرة الاسمية دون الفعلية ولم تطأها أقدام موظفيهم وجيوشهم وخرجت مقاطعات عديدة من يد الدولة كما حصل فى الحجاز أيام حكومة آل سعود الاولى ، وكما حصل أيام حكومة محمد على باشا ولكن الحكومة العثمانية استعادت سلطتها ونفوذها فى أواسط

القرن الماضى بشكل أوضح من كل وقت ونشرت سيطرتها الفعلية فى الحجاز وفى الحسا وأنشأت تدير البلاد بشكل مباشر فعلى قضى على نفوذ الامراء والحكام المحليين . وفى عام ١٨٧١ استولى مدحت باشا أيام ولايته فى العراق على ساحل الحسا وبعض نجد . وفى أوائل القرن العشرين استولت جيوش الحكومة العثمانية على القصيم فى أواسط نجد ولكن سلطتها تقلصت رويداً رويداً الى أن زالت تماما على كل البلاد العربية زمن الحرب العمومية ١٩١٤ — ١٩١٨

ويمكن تقسيم حكم آل عثمان فى البلاد العربية اجمالا الى ثلاثة أدوار ، الدور الاول دور السلاطين العثمانيين المتقدمين ذوى القوة والمنعة ، والدور الثانى دور السلاطين الضعاف من العثمانيين المنهمكين اما بالحروب فى جهات أوروبا واما فى نعيم القصور وبذخ السرايات ، والدور الثالث دور السلاطين المتأخرين زمن النهضة الحديثة فى أوروبا والاصلاح فى الممالك العثمانية من عهد السلطان محمود الى زوال حكم العثمانيين نهائيا . وتاريخ هذه البلاد زمن الحكم العثمانى ، مندمج فى تاريخ الامارات المختلفة التى كانت قائمة هنا وهنالك من شرافات أو امارات بدوية أو امارات آل سعود وآل الرشيد .

٢ — عمل السلاطين المتقدمين

بدأ حكم آل عثمان فى هذه البلاد باستلام السلطان سليم الاول مفاتيح الحرمين الشريفين فى أواخر عام ٩٢٢ هجرية الموافق ١٥١٧ ميلادية من الشريف بركات واقراره اياه فى الشرافة وأول مآثر هذا السلطان انه رتب لاهل الحرمين صدقة الحب أمر بارسالها لهم من مصر ويقال انه اشترى من ماله أرضاً فى الديار المصرية جعل محصولها صدقة لاهل الحرمين ويقال أيضاً انه أول من أحدث المحمل الشامى وأول من كسا الكعبة من آل عثمان [1] .

---

(١) خلاصة الكلام ص ٥١

ولم يطل زمن ملكه بعد فتح هذه البلاد فخلفه ابنه السلطان سليمان القانونى عام ٩٢٦ هجرية وأعماله فى الحرمين مما وصل الينا أشهر من أن تذكر من ذلك ارساله للمنبر الرخام البديع الموجود للآن فى الحرم المكى أمام الكعبة ؛ ومن ذلك شروعه فى عمارة المسجد الحرام المكى وتوسيعه على الشكل الذى بقى عليه الى وقتنا الحاضر ؛ ومنها بناء أسوار جدة ؛ ومنها اصلاح سقف الكعبة المشرفة (٩٦٠ هـ) وأعظم من ذلك جميعاً الشروع فى زمانه فى جر مياه عين زبيدة من منى الى مكة المكرمة بعد ان عجز الاول عن حفر القناة اللازمة لايصالها من بئر زبيدة (المعروفة الآن ببئر الجن) الى أن تتصل بعين زبيدة (عين الزعفران) وعين حنين المجرورة من حنين.

ومن أعمال السلطان سليمان ومآثره زيادة عنايته بأهل الحرمين وتخصيص مبالغ كبيرة من الصدقات والاوقاف لتوزيعها عليهم. وفى زمن سلطنته حاصر البرتقاليون جدة فردهم عنها الشريف أبو نمى [1].

وخلفه ابنه السلطان سليم الثانى عام ٩٧٤ فسار على خطة أبيه الاصلاحية فأكمل القسم الاعظم من بناء المسجد الحرام المكى وجعل سقوف أروقته مفتولة بالحجارة بعد ان كانت مسقفة بالخشب وأتمه بعد وفاته ابنه السلطان مراد الثالث.

وفى زمن حكم السلطان سليم الثانى المبحوث عنه أكمل جر مياه عين نعمان المعروفة باسم عين زبيدة الى مكة واختلطت مياهها بمياه عين الزعفران (عين حنين) فى الابطح فى أعلى مكة.

وفى مدة حكم السلطان احمد الاول (من عام ١٠١٢ ـ ١٠٢٦هـ) حصل خلل فى بناء البيت فاحب هدمه وإعادة بنائه فلم يوافقه العلماء على ذلك وأشاروا عليه بان يكتفى بتطويق جدرانه بأطواق نحاسية مموهة بالذهب فانها تغنى عن الهدم وتدرأ خطر السقوط فعمل بما أشير عليه. وهو الذى بعث الى الحجرة النبوية

---

(١) خلاصة الكلام ص ٥٢

بالمسجد النبوى بالمدينة المنورة مختلف التحف والنفائس وأهمها على الاطلاق الكوكب الدرى المشهور .

وكان حكم آل عثمان اذ ذاك شاملا لكافة الحجاز حتى رأس حلى جنوبى القنفذة وأما نجد وسائر الجهات الداخلة فى حدود المملكة الحالية فلم يكن لهم فيها نفوذ فعلى .

وفى زمن السلطان مراد الرابع فاتح بغداد (عام ١٠٣٢ ــ ١٠٤٩ هـ) أعيد بناء الكعبة على الشكل الذى هى عليه فى أيامنا الحاضرة . وسبب ذلك أنه حصل عام ١٠٣٩ هـ سيل عظيم دخل الحرم كما يحصل دائما بالسنوات الاخيرة ولكنه كان سيلا عظيما ملأ صحن المسجد على ارتفاع عظيم لم يذكر مثله ويقال انه بلغ طوق القناديل المعلقة فى الحرم وخرب كثيراً من الدور والابنية وانهدم الجداران الشامى واليمانى الى الباب وحصل من جراء ذلك قلق عظيم فنقلت الآنية من البيت ووضعت فى دار الشيبيين ورفع الامر الى السلطان مراد الرابع فأمر بعد استفتاء العلماء بهدم الاقسام الاخرى من الجدران المبطنة والباقية فهدمت وأعيد بناؤها بعد عمل دام سنة وشهرين . وكانت المرة الاولى التى أعيد بناؤها فيها فى الاسلام بعد بناء قريش لها زمن الرسول (ﷺ) أيام الحجاج والى الخليفة عبد الملك بن مروان الاموى والباب الحالى فى الكعبة هو الباب الذى صنع زمن السلطان مراد [1] .

وضعفت هيبة سلاطين آل عثمان بعد مراد لانهم بانشغالهم بالفتن الداخلية والحروب الخارجية أهملوا حكم البلاد وتركوا الاحكام فى أيدى الامراء المحليين من أشراف وأمراء ولم يعد يهم أهل البلاد من سلطانهم إلا دوام إرسال المحامل الثلاثة من العراق والشام ومصر وإرسال الصدقات السنوية الى أهل الحرمين .

ودامت الحال كذلك الى عهد السلطان محمود (١٢٢٣ ــ ١٢٥٥ هـ) فقد

---

(١) خلاصة الكلام ص ٧١

حصل إذ ذاك انقلاب فكرى ودينى عظيمان فى البلاد العربية بظهور الحركة الاصلاحية فى نجد وانتشارها الى الحجاز وسائر الاقطار العربية . واستولى سعود الكبير على البلاد التى تتألف منها رقعة المملكة الحالية كما سنوضحه فى مكانه المخصوص من هذا القسم . ولم يخرج منها إلا على يد محمد على باشا والى مصر الذى يحسب استيلاؤه على هذه البلاد فترة تخللت الحكم العثمانى وقضت عليه ودامت الحال كذلك الى أن استعادت الدولة العثمانية البلاد من محمد على واعادتها الى سلطانها حوالى عام ١٢٥٥ هـ (١٨٤٠ م) .

٣ — آل سعود والاشراف والمصريون

كان من جراء الحركة الاصلاحية الدينية والاجتماعية فى البلاد العربية أن وقعت حروب ومناوشات عديدة بين الاسرتين الكبيرتين المالكتين تحت سلطان الدولة العثمانية : آل سعود والاشراف انتهت باستيلاء آل سعود على الحجاز وتوسيع رقعة ملكهم حتى شملت جميع الاراضى الداخلة فى حدود المملكة الحالية .

وكانت الدولة العثمانية فى حالة من الضعف والتضعضع عظيمة ، فقامت فى مصر حكومة مصرية عربية يرأسها محمد على باشا وقامت فى نجد حكومة عربية يرأسها آل سعود وكانتا ترميان الى القضاء على السيطرة العثمانية وبعث الفكرة العربية فارتاعت الدولة من ذلك وأرادت أن تصيب هدفين بحجر واحد فرمت نجداً بمحمد على باشا فجر عليها الجيوش والحملات العديدة تحت قيادة نجليه طوسون وابراهيم ثم تحت قيادته هو فتمكن من الاستيلاء على الحرمين وعلى البلاد النجدية وبلاد عسير أيضاً وعوضاً عن أن يعيد هذه البلاد بكاملها الى حظيرة السلطنة العثمانية شرع فى ادارتها على وجه الاستقلال كما لو كانت بلاداً خاضعة لحكمه المباشر

مدة تقرب من ربع قرن الى أن أخرج منها عام ١٨٤٠ ميلادية وظلت مقاطعتا الوجه والعقبة تحت ادارة والى مصر الى أواخر أيام اسماعيل باشا فاسترجعتها الحكومة العثمانية منه .

وكان من نتائج الحكم المصرى ازدياد العلاقات بين مصر والحجاز وتبديل السلالة الشريفية الحاكمة بسلالة أخرى من العبادلة هى عائلة ذوى عون وانشاء كثير من الآثار العامة مثل دار الحكم بمكة المكرمة ، والتكية المصرية التى أنشأها محمد على باشا على أنقاض دار السعادة مقر الاشراف حكام مكة . وكان من جراء ذلك أيضاً بعث روح جديدة فى البلاد وفتحها للافرنج وتقريبها الى علمائهم والسير فى الحكومة على نهج الحكومات الحديثة .

٤ — استعادة العثمانيين قوتهم

شرعت الحكومة العثمانية فى استعادة مافقدته فى الحروب المصرية من أملاكها العربية بعد انحلال قوة محمد علي العسكرية فى سوريا حوالى سنة ١٢٥٥ — ١٢٦٥ هجرية (١٨٤٠ — ١٨٥٠ م) فاستولت أول الأمر على البلاد الحجازية ثم تقدمت الى جهات عسير حيث كان أحد الاشراف المدعو حسيناً ذا سلطة فى قضاء أبى عريش وقضت على امارته وتم لها الاستيلاء على عسير واليمن خلال عشر سنوات.

ولم ينقل الحكم الحقيق فى الحجاز رأساً من محمد علي باشا الى الاتراك بل نقل الى الشريف محمد بن عون . فاستمال القبائل اليه ووسع حدوده الى الشرق حتى بلغ القصيم وفرض على آل سعود نوعاً من الجزية وتأمينا لبقاء نفوذه فى نجد شجع قيام امارة آل الرشيد فى حائل .

ولكن لم يمض على ذلك وقت قصير حتى انتزعت السلطة من يد الشريف ووضعت فى يد الوالى العثمانى واستيق محمد بن عون وأهله الى القسطنطينية ونصب

مكانه الشريف عبد المطلب من فرع الاشراف ذوى زيد منافسى ذوى عون ، ولم تتعد قوات الدولة العثمانية حدود الحجاز الشرقية طيلة زمن السلطان عبدالمجيد .

وحصل فى الحجاز نفسه عدة فتن ضد حكم العثمانيين زمن هذا السلطان وذلك بسبب الفقرة الخاصة بالرقيق من الخط الهمايونى الشهير الذى نشر لتعميم الاصلاحات فى البلاد العثمانية على وجه المساواة وكان من نتيجة هذه الفتنة أن عزلت الحكومة الشريف عبد المطلب وأعادت محمد بن عون الى الشرافة .

وقد اكتفت الحكومة العثمانية من آل سعود وآل الرشيد بالانتساب اليها واظهار التعلق بها اسماً ، وكان موقف ابن الرشيد أقرب الى موالاتها نظراً لاحتياجه اليها والى مساعدات حكامها فى العراق لمقاومة أعدائه من آل سعود والصباح والمنتفك . وكان بين الاشراف وابن رشيد أول الأمر نوع من الصداقة ظلت بقاياه الى أواخر أيام آل الرشيد .

غير أن ماصبر عنه العثمانيون بادىء بدء كان لحاجة فى النفس فلما اشتد ساعدهم أدالوا سلطة الاشراف وجعلوا الاهمية للوالى الذى بلغ به الأمر أنه كان يعزل الشريف الزيدىّ لينصب مكانه الشريف العونىّ .

وبلغت قوة آل عثمان مبلغها العظيم أيام السلطان عبد العزيز فانه تغلب على كافة أنحاء البلاد العربية بما فى ذلك اليمن والحسا ، فاستولى القائد مختار باشا على صنعاء عام ١٨٧٢ ومدحت باشا على الحسا عام ١٨٧١ وجعلت سلطة الشريف منحصرة فى البدو دون الحضر وفى معاملات الحجاج وترتيب الجمال والمياه وبعض الوظائف الادارية .

وللسلطان عبد المجيد أعمال عظيمة فى الحجاز أهمها اعادة الاصلاح فى الحرم المدنى وإنشاء العيون والمدارس فى كل من مكة المكرمة والمدينة المنورة .

٥ — دور السلطان عبد الحميد

١٢٩٣ - ١٣٢٦ هجرية . ١٨٧٧ - ١٩٠٩ ميلادية

جلس السلطان عبد الحميد الثانى على عرش السلطنة وحكومته فى حالة ضيق وكرب شديدين فقد كانت الحرب مشتعلة بينها و بين الروس وجنود هذه يهددون عاصمته فما كاد يخرج من الحرب مهزوماً مغلوباً حتى شرع فى انتهاج سياسة جديدة اتخذها لمقاومة دول أوروبا الاستعمارية وكان مرمى هذه السياسة الدعوة الى الجامعة الاسلامية لجمع شمل المسلمين تحت لواء الخلافة ؛ والعرب هم العنصر الرئيسى فى الاسلام و بلادهم منشأ الاسلام ومهده و موطن آثاره المقدسة وفيها البيت و المشاعر و المسجد النبوى .

وكانت الدول الاوروبية أيضاً شارعة فى مد نفوذها الاستعمارى على البلاد المصاقبة للبلاد العربية فكان لزاماً على عبد الحميد أن يلجأ الى محاسنة العرب من جهة وتوطيد قدمه فى بلادهم من جهة أخرى لكى يصح أن يظل متمتعاً بلقب خادم الحرمين الشريفين وخليفة المسلمين الذى ينضوى تحت لوائه المسلمون .

وقد كلفت هذه السياسة كلا من عبد الحميد و العرب أثماناً باهظة ، فانه رغبة منه فى توطيد قدمه فى البلاد العربية كان يرسل اليها الجيش تلو الجيش و الحملة تلو الحملة لدفنها فى مجاهل البلاد العربية وفيافيها .

والمأثرة الخالدة لعبد الحميد قيامه بانشاء سكة حديد الحجاز الممتدة من دمشق الى المدينة المنورة بطول يزيد عن ١٣٠٠ كيلو متر وانفاقه عليها من تبرعات المسلمين فى أنحاء المعمورة ، ومما خصصه لها من المبالغ والاعانات المالية وتشغيل الجنود فى أعمال الحفر و الانشاء .

وقلما خلت مدينة كبيرة من اثر من آثار عبد الحميد فتجد فى اكثرها عمارات تسمى بالحميدية وفى مكة المكرمة قلاع وثكنات ومستشفيات ودور حكومة بنيت فى أيامه .

ولم يحصل فى الحجاز زمن عبد الحميد ثورات أو فتن تستحق الذكر الا أن اعتداء العربان فى طريق الحرم على قوافل الحجاج وسلبهم إياها كان كثير الحصول ، ولا شك أن وزر ذلك يقع إجمالا على الحكم الثنائى الذى فسح المجال أمام الاشراف والولاة للتلاعب بحقوق الحجيج والاهالى على السواء .

وقد كثرت تجريدات عبد الحميد على اليمن كما أنه مساعدة لابن الرشيد جرد عدة قوات لمحاربة ابن سعود ومن ذلك ارساله للقائد فيضى باشا عام ١٩٠٤ لاحتلال القصيم وتثبيت السيطرة العثمانية عليها ، ثم ارساله سامى باشا الفاروقى لنفس الغرض .

ولكن سياسة عبد الحميد العربية لم تعمر أكثر من زمانه فقد عقب إعلان الدستور حركات فى اليمن وبلاد الادارسة ونجد مرماها الانفلات من حكم العثمانيين وانشاء حكومات عربية لا علاقة لها بالدولة .

وقد شهد عبد الحميد نفسه انثلال عرش آل سعود وقيام حكومة آل رشيد تحت زعامة محمد بن رشيد أكبر العائلة الرشيدية وأعظمها على الاطلاق ، كما أنه شاهد عبد العزيز بن سعود ينمو فى القوة ويترعرع لكى يرث بعد خلع عبد الحميد ببضع عشرة سنة أكبر تراث خلفته الحكومة العثمانية فى بلاد العرب .

وكان الشريف عون الرفيق فى الحجاز آلة مسخرة فى أيدى ولاة عبد الحميد ليس له من الحول والطول شىء .

وأما فى عسير فكان ابن عائض والادريسى يهيئان نفسيهما للقيام على الدولة غير أن عملهما هذا جاء بعد خلع عبد الحميد .

٦ — الحكم الدستورى

١٣٠٦ – ١٣٣٦ هجرية * ١٩٠٨ – ١٩١٨ ميلادية

في الفترة التى تلت اعلان الدستور العثمانى وخلع عبد الحميد حصلت فى هذه

البلاد أحداث جسام انتهت بزوال الحكم العثمانى عن البلاد العربية الى الابد .

فاول ما كان من الاحداث ظهور حركات السيد محمد على الادريسى فى تهامة وعسير ومخلاف اليمن فى الوقت الذى كان الامام يحيى حميد الدين امام اليمن يحارب الدولة أيضاً .

وحصل أنه على أثر اعلان الدستور عزل الشريف على باشا عن إمارة مكة وعين عوضاً عنه الشريف حسين بن علىّ الذى شرع منذ وصوله الى الحجاز فى استعادة هيبة الامارة واسترداد سطوتها وصولتها السابقتين .

وقد ساعدته الظروف على استخدام نفوذه الشخصى للظهور بين العربان كافة خلال الحركات الادريسية ، فقد عرض خدماته على الدولة التى عهدت اليه بقيادة حملة عسكرية عثمانية لقتال السيد الادريسى وفك الحصار عن مدينة ابها .

وتلا ذلك حركات وحروب بين الشريف حسين وابن سعود وهجوم ابن الاول على ديار الثانى حتى وصل الى قرب القصيم .

ومن الاحداث التى تلت ذلك أيضاً استيلاء الملك عبد العزيز بن سعود على الحسا وسواحل الخليج الفارسى العثمانية عام ١٩١٣ واشتداد الحركة العربية قوة فى هذا الوقت وصيرورة امراء العرب مطمح انظار الامة العربية جمعاء تنظر اليهم كمنقذيها من الاتراك ومحرريها من حكمهم وقد ظهر امراء العرب جميعاً فى خلال هذه البرهة بمظهر القوة والسطوة وكانت الدولة تحسب لهم الحساب .

وحين اعلان الحرب العمومية كان موقف الدولة العثمانية فى البلاد العربية موقفاً لا يحمد . ولم يشد أزر الدولة فى السنوات الاولى من الحرب إلا ابن رشيد الذى ظل على ولائه ، وأما الشريف حسين فقد حالف الحلفاء ورفع علم الثورة العربية وحارب الى جانب الانكليز والفرنساويين ضد الاتراك والالمان والتف حول الحسين شبان العرب من سائر الاقطار العربية عاقدين عليه الآمال الجسام

لتحقيق أمانيهم القومية ، وانشاء دولة عربية جديدة إلا أنه لم يقدر للحسين أن يكون ذلك البانى للمجد العربى .

وأما ابن سعود فقد وقف موقف المتفرج فى الظاهر وحالف الانكليز ضد ابن الرشيد طيلة مدة الحرب وكذلك فعل الادريسى .

وانجلت غمامة الحرب عن انقشاع سيطرة آل عثمان نهائياً عن البلاد العربية ونشوء حكومات عربية مستقلة فى أصقاع هذه البلاد هى أولا المملكة الحجازية ، ثانياً السلطنة النجدية ، ثالثاً الامارة الرشيدية ، رابعاً الامارة الادريسية ، خامساً امارة آل عائض .

الفصل الحادى عشر

شرافة مكة

نشوؤها ـ الشريف قتادة وأحفاده ـ الاشراف والحكم العثمانى ـ الشرافة الى اعلان الدستور ـ الشريف حسين

---

١ ـ نشوؤها

يوشك أن يكون تاريخ الحرمين الشريفين خلال الالف سنة الماضية عبارة عن تاريخ الشرافة ونشوئها وارتقائها ثم تداعيها وهبوطها . وقد انقضت على الشرافة حقب كانت فيها كل شىء فى الحجاز ، كما أنها فى حقب أخرى لم تكن شيئاً مذكوراً بل كان القائم بأمرها ألعوبة فى أيدى الملوك والسلاطين والخلفاء .

نشأت الشرافة فى أوائل القرن الرابع الهجرى ، على يد أحد الاشراف الحسنيين[١] المدعو أبا محمد جعفر الموسوى ، مؤسس العائلة الشريفة الاولى التى تولت حكم إمارة مكة . وتوجد روايتان عن كيفية توليه لحكم مكة ، الاولى : أنه كان فى المدينة زمن الاخشيديين فلما ضعف أمرهم بعد موت كافور هجم هو على مكة واستولى عليها[٢] ، والثانية : أنه حينما تولى العبيديون حكم مصر أرسل الخليفة الفاطمىّ من قبله من يستلم حكم مكة نيابة عنه ويخلصها من القرامطة

---

(١) تلاحظ هنا ان الاصطلاح السائد فى الحجاز هو ان يطلق اسم (الشريف) على من كان متحدراً من نسل الحسن بن علي واسم (السيد) على من كان متحدراً من سلالة الامام الحسين أخيه .

٢) أنظر هذا فيما سبق من بحث ملوك الطوائف .

وأتباعهم ، وكان جعفر أحد رؤساء الجيش الفاطمى ، فاستولى على مكة باسم الفاطميين .

ولم يخل زمانه من الحروب كما أن خليفته الاول وعلى الاخص خليفته الثانى وهو أبو الفتوح المشهور انهمك فى حروب عديدة منها ما كان مع المدينة التى كان اذ ذاك يتولى أمرها الحسيفيون ومع اليمن الذى كان امراؤه حسنيين مثل امراء مكة أنفسهم . وكان أهم المنازعين لابى الفتوح وولده محمد شكر فرع آخر من الاشراف الحسنيين يدعى بالفاتكى فان أميراً من هذا الفرع كان شديد الوطأة على أمراء مكة كما ذكرنا واستعان بأحد الاشراف ذوى السلطة فى اليمن عليهم وتمكن خلال بعض الفترات من الاستيلاء على كرسى الشرافة ، وإدخال عنصر السياسة اليمانية فى شئون الحرمين الشريفين .

وقد اختلف أبو الفتوح مع الفاطميين أيضاً إذ أن الحاكم بأمر الله أرسل اليه سجلا[1] أمره بقراءته فى المسجد الحرام بسب الصحابة وبعض أزواج النبى ﷺ والانتقاص من كرامة غير الفاطميين فعصى أبو الفتوح الامر وقطع صلته بمصر ودعا الى نفسه ، ثم تحول هو ومن خلفه الى الخلفاء العباسيين فى بغداد وخطبوا لهم فى مكة . وخلال غياب أبى الفتوح عن مكة هارباً قام بأمر الشرافة الأمير الفاتكى الى أن استعاد الموسويون السلطة ثانية . وقد انقرضت هذه العائلة بوفاة أميرها عن بنت له فقط فولى الامر عبد من عبيده[2] الا أن الفاتكيين تغلبوا عليه وانتزعوا الامارة منه .

وهنالك عائلة ثالثة من الاشراف الحسنيين أبناء عمومتهم يدعون بالهواشم تداولوا حكم مكة معهم وقتا طويلا . وقد كان هذا الوقت مليئاً بالحروب والفتن والدعوة الى هذا الخليفة أو التعلق بهذا السلطان الى أن أزيلت دولة العبيديين

(١) خلاصة الكلام ص ١٧ (٢) خلاصة الكلام ص ٨ .

من مصر على يدى السلطان صلاح الدين الايوبى عام ٥٩٨ هـ (١١٧٤ م) وزالت باستيلاء صلاح الدين على الحجاز سيطرة الهواشم عن مكة وولِيها أمير من فرع آخر من نسل سيدنا الحسن .

٢ — الشريف قتادة وأحفاده

كان الشريف قتادة وقومه ساكنين فى جهات ينبع ووادى الصفراء ولكنه فى أواخر القرن السادس الهجرى حصلت حوادث تجهل كنهها بالرغم عما نقله الينا بعض المؤرخين ينسبها الى استغاثة بعض مظلومى مكة به أو الى نقمته على أمراء مكة نظراً لما كانوا عليه من انهماك فى اللذات واعراض عن شئون البلاد فكان منه آخر الامر أنه استولى على مكة عام ٥٩٨ هجرية [١] وباستيلائه هذا مكن لنفسه ولعائلته فى الحجاز وأنشأ امارة ظلت قائمة بالامر الى حين تأسيس الحكومة الحالية . وقد أخضع قتادة لسلطانه كافة الاراضى الحجازية من خيبر شمالا حتى القنفذة جنوبا .

وكانت سياسته قائمة على مصافاة الايوبيين فى مصر وسورية والعباسيين فى العراق وموالاة أمراء اليمن أيضا لحفظ التوازن فى الحجاز واستجلاب المنافع من جميع الجهات ومنع الشقاق والتنافس بين الملوك والامراء .

وولى بعد وفاته ابنه الحسن وكان جباراً جريئا دانت له جميع البلاد بعد حروب أثارها عليه اخوته وأبناء عمه . وظل خلفاء الاثنين قائمين بالامر بالرغم عن تقلب الحكومات الاسلامية وقيام دول مختلفة فى مصر وسوريا والعراق محتفظين بحكمهم فى الحجاز بفضل سياستهم فى مصافاة الحكومات القائمة فى أطرافهم جهد الطاقة واستدرار خيرات البلاد التى تقوم فيها تلك الحكومات . ومضت أعصر طويلة سارت حالة البلاد فيها على هذا المنوال مع استثناء ما كان يقع بين الامراء

---

(١) خلاصة الكلام ص ٢٢

أنفسهم من تنازع كان يؤدى كثيراً الى خلع هذا أو قتل ذلك وقيام واحد من أبناء عمه أو أقاربه مكانه . من ذلك ماحدث أيام نور الدين على بن عمر بن رسول من استيلاء أمراء اليمن على مكة ونصبهم أميراً عليها من قبل الملك الكامل هو طغتكين التركى ثم عزل هذا وجعل الشريف راجح بن قتادة مكانه [١] .

ومن الامراء المشهورين من نسل قتادة الامير أبو نُمَيّ الاول الذى حارب أعمامه وأبناءهم ونال الامارة آخر الامر على زمن السلطان بيبرس [٢] ويذكر التاريخ كثيراً من الوقائع التى اشتد فيها الخصام واللجاج بين أمراء مكة وبين أمراء الحج القادمين من الانحاء المختلفة كما أنه يذكر ما كان يحصل من نهب للحجيج وإهراق للدماء أيام الحج طمعا فى الاموال أو نكاية فى الامير الحاكم .

وقد ذكرنا أن سياسة قتادة مؤسس العائلة كانت قائمة على حفظ التوازن إلا أن خلفاءه لم يحافظوا بحسب مايظهر لنا على وصاياه ولم يمشوا على سياسته ونفخوا فى بوق الاختلاف مع اليمن مراراً ، كما انهم أظهروا تحيزهم الى فريق دون فريق فجر عليهم ذلك الأمر مداخلة مصر وسوريا فى شؤونهم واخضاع المماليك لهم .

وقد كان لانقسام العائلة على نفسها ودعوة كل فريق لمن يدعمه ويشد أزره نتائج أهمها : تعيين حكام من قبل سلاطين المماليك لحماية الحجاج وانفاذ أوامر الحكومة في الحرمين . ثم هجر الامراء بمرور الزمان مكة وانتقلوا الى مر الظهران (وادى فاطمة) فضعف شأنهم الى أن جاء الى حكم الامارة الشريف حسن الثانى ابن عجلان سنة ٧٩٨ هجرية وبركات الاول ولده فانهما كانا من أعظم الاشراف شأناً مع أن زمانهما كان مليئاً بالفتن والقلاقل والحروب الداخلية بين الحسن وأبناء عمه رميثة وبين بركات واخوته أنفسهم . وقد عزل الأول عدة مرات عن الامارة ثم أعيد اليها وكان آخر أمره أن ولى للمرة الاخيرة عام ٨٢٩ هـ [٣]

---

(١) يجعلها صاحب خلاصة الكلام سنة ٦٢٦

(٢) خلاصة الكلام ص ٢٧

(٣) خلاصة الكلام ص ٤١

فانه كان بمصر وصدر أمر السلطان بتوليته على امارة مكة ولكنه توفى قبل سفره منها فاقام السلطان برسباى ولده بركات مكانه وأرسل اليه الامر السلطانى بتعيينه ثم طلبه الى مصر فتوجه اليها .

يلاحظ المرء هنا أن الشريف قتادة أسس حكمه على دعائم سيفه واضطر الناس الى الاعتراف به بينما أن أحفاده أصبحوا عالة على السلاطين والامراء يطلبون منهم أن يولوهم الامارة فكأنهم بهذا قضوا على حقهم فى الملك وجعلوا أنفسهم أتباعاً للسلاطين يولونهم متى شاءوا ويعزلونهم متى شاءوا .

ومن الاشراف المشهورين الامير بركات الثانى الذى كان معاصراً للسلطان قايتباى من سلاطين المماليك بمصر والذى توجد المدرسة الكائنة بقرب الميل الاخضر فى المسعى باسمه الى الآن وقد حج قايتباى عام ٨٨٤ وكان مظهره فى الحج مظهر ولىّ للامر أكثر منه مظهر حاج .

ومن أشهر الاشراف أمراء مكة قاطبة الشريف أبو نُمىّ الثانى ابن الشريف بركات المار الذكر فانه سافر الى مصر مرتين مرة للسلام على السلطان الغورى ومرة لاعلان تسليم الحرمين للسلطان سليم الخليفة العثمانى الاول عام ٩٢٠ هجرية (١٥١٧ ميلادية) .

٣ — الاشراف والحكم العثمانى

ان استيلاء السلطان سليم على الحجاز كانت له نتائج بعيدة المدى من حيث علاقة الشرافة بالسلطنة ، وضعف هذه العلاقة وقوتها ، وطروء طوارئ جمة فى البلاد الحجازية لم تكن من مصلحة أهل البلاد أنفسهم . فقد وجد السلطان فى الشريف أداة صالحة لحكم الحرمين فأطلق له الحرية فى العمل واكتفى منه باظهار العبودية والطاعة ، وقراءة اسمه فى الخطبة ، وتسهيل قدوم المحامل من الجهات الشامية والعراقية والمصرية وفيما بعد اليمانية ، واعتبار نفسه تابعاً للسلطان فى صغير الامور

وجليلها ، وموظفاً عثمانياً يصدر بتعيينه فرمان سلطانى .

وقد عهد السلطان سليم بالامارة الى الشريف بركات وأقره عليها بالاشتراك مع ابنه أبى نمىّ الى أن توفى بركات بعد الاستيلاء العثمانى بتسع سنوات فاستقل أبو نمىّ بأمر مكة وظل أميراً مدة تزيد عن ستين عاماً . ويحسب أبو نمىّ المؤسس الحقيقى للشرافة فانه كان متمتعاً بعطف السلطان سليمان القانونى وخلفائه ، وبسلطة واسعة لادارة الامور وتشييد الاحكام فوضع فى حكمه قواعد عديدة للشرافة والاشراف يدعوها أهل الحجاز (بقانون أبى نمى) .

ويجهل الناس حقيقة هذا القانون ولكنهم يعتقدون انه صارم جداً وبعيد عن جادة العدل والانصاف .[1]

وكما انه لم توضع للشرافة أيام العثمانيين قواعد وضوابط ، فان شكل اتصالها بالدولة وطريقته لم تتعين أيضاً . كان لوالى مصر أكبر قسط من النظارة على شئون الحجاز ، وكان لامراء الحج مثل ذلك أيام المواسم وكان لبعضهم سلطة على عزل الامير[2] وكان أمراء الحج فى اختلاف دائم فيما بينهم ولكل أمير رئيس فى الولاية التى قدم منها ـ العراق وسوريا ومصر يحدب عليه ويعضد سياسته فنشأ عن اختلاف الامراء والولاة توطيد قدم الشريف الى مدى بعيد . وحينما احتل السلطان سليمان القانونى اليمن جعل للوالى العثمانى فى زبيد بعض النظارة على شئون الحجاز .

ويروى ان أبا نمى وولده حسن لم يوافقا السلطان على تعيين المفتى التركى فى

---

(١) فى كتاب ماضى الحجاز وحاضره للشيخ حسين محمد نصيف بحث عن قانون ابى نمى ص ١٧ ـ ١٨ جاء فيه أن القانون يقع فى ست وثلاثين مادة اهمها جعل الامارة ارثا فى اسرة ابى نمى ، ومنع الاشراف عن الاشتغال ببعض المهن ، وحقوق الاشراف بالنسبة الى العامة وجعل حق الشريف مقابل اربعة أمثال حق العامي .

(٢) ذكر صاحب خلاصة الكلام حادثة جرت بين أمير الحج محمود باشا وأبى نمى عام ٩٥٨ فقد أراد أمير الحج قتل الامير مع اولاده واعلن عزله بأمر والى مصر وحصل فى الحج فوضى عظيمة ص ٥٤

مكة عام ٩٤٦ ﻫ (١٥٣٩ م) ، ولم يقبلا ايضا بأوامره التى أصدرها بعد ذلك بثمانى سنوات والقاضية بمنع الشريف من توسيع حدود الشرافة الى أبعد من حد الحجاز التقليدى وهو رأس حلى جنوب القنفذة[١] .

وبالرغم عن مظاهر الامارة والسلطة التى يتمتع بها الشريف فان سلطته الحقيقية كانت مستمدة من الخليفة ، وعمدته فى التولية على الفرمان السلطانى . وقد حصل مراراً أن أهل مكة أو بعض الاشراف أو جنود الحكومة أو أمراء الحج ، كانوا يعزلون الشريف وينصبون ابن عمه عوضاً عنه وصاحب الحق منهم مَن تمكن من استصدار الفرمان السلطانى بالتعيين . وضاعت بمرور الزمان مميزات الامارة المستندة على حق السيف والقوة وقامت على أثرها طريقة الحكم بالفرمان . فمن كانت صلته بالسراى ورجالها وبالولاة فى مصر وسورية والعراق قوية كان له ميزة الحصول على الشرافة . ومع ذلك فان أبا نمى قد توصل الى تقرير جعل الشرافة فى نسله ولم يلها من غيرهم أحد الى أن أزيلت[٢] .

وقد تعاقب على الشرافة ثلاث عائلات من نسل أبى نمى الاولى عائلة ذوى بركات والثانية عائلة ذوى زيد والثالثة عائلة ذوى عون . أما الاولى فقد استقلت بالشرافة ما يقرب من مائة سنة ثم نافستها عائلة ذوى زيد حوالى ١٠٩٠ وظلت الشرافة تتنقل من زيدى الى بركاتى حتى استقل بها ذوو زيد دون ذوى بركات وظلوا فيها الى أيام فتح محمد على باشا للحجاز .

ويتلخص تاريخ الشرافة من عهد أبى نمى الى أيام الشريف غالب الزيدى فى

---

(١) هو غارث : تاريخ بلاد العرب ص ٩٥و٩٦

(٢) مما يدل على حقيقة تابعية الشريف للسلطان ما يتناقله الناس من أخبار الرسالة التى ارسلها السلطان سليمان القانونى للشريف ابى نمى وهى من انشاء شيخ الاسلام ابى السعود المشهور . فقد جاء فيها ما يأتى (اما بعد ياشريف فان الحسنة فى نفسها حسنة ومن بيت النبوة أحسن والسيئة فى نفسها سيئة ومن بيت النبوة أسوأ . قف عند حدك والا أغمدنا فيك سيف جدك) فاجابه أبو نمى قائلا (ان العبد مقر بذنبه ، تائب الى ربه . فان تؤاخذ فيدك الاقوى ، وان تعف فالعفو أقرب للتقوى) .

القرن الماضى بأنه تاريخ مطرد ، ووصف متشابه ، لما كان يجرى بين الاشراف أنفسهم من فتن ومعارك كان القصد منها تبديل أمير بأمير ، وفيما يجرى بين الاشراف والموظفين العثمانيين من أمراء الحج وولاة البلاد المجاورة ، وفيما يقع فى الحرمين وأطرافهما من غزو البدو واعتدائهم على السابلة وقطعهم الطريق وانتهابهم للحجاج ؛ وفيما يقوم به الاشراف من تجريد الحملات عليهم لكبح جماحهم وتأديبهم .

وبما اننا ذكرنا الفرمان السلطانى فيما سبق وألمعنا الى انه يشتمل على الصلاحيات التى يمنحها السلاطين للاشراف رأينا أن نورد فيما يلى قسما من فرمان تولية الشريف أبى طالب بن حسن بن أبى نمى عام ١٠١٠ هجرية نقلا عن خلاصة الكلام :

« ليعلم كل من كحل بصره باثمد منشورنا الكريم ، وشنف مسامعه بلآلىء لفظه العظيم ممن فى دارة تلك الديار ، وهالة تلك الاقطار ، وانتظم فى سلك سكان القرى والامصار ، من السادات الكرام ، والقضاة والحكام ، وولاة الامور من الاعيان ، والوافدين على تلك الديار والسكان ، ان امارة تلك المعاهد ، وما فيها من العساكر ، وما أحاطت به من الاصاغر والأكابر ، وسائر الوظائف والمناصب ، والجهات والمراتب ، مفوضة الى السيد السند الشريف أبي طالب ، ناظراً بعين الانصاف ، متجنباً سبيل الاعتساف ، ويصرف المستحقين بحسن التصريف ، ويصرف من لايستحق برأيه الشريف أقمناه مقام أنفسنا فى ذلك المقام وفوضنا اليه النقض والابرام والعلامة السلطانية حجة لما فيه مرقوم ،محققة لما فيه من منطوق ومفهوم ، فليتحقق من وقف على هذا الخطاب ومن عنده علم الكتاب ، من أهل مكة ومن فى جوارها ، وطيبة الطيبة وسائر أقطارها ، وبقية الثغور الباسمة لدولتنا بمباسم السرور من حاضرها وباديها ، أنا أعطينا

القوس باريها فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها، سدد الله سهام رأيه فى اغراض الصواب وفتح له بمفتاح السر كل مغلق من الابواب ما سقطت من أكف الثريا الخواتم، ورقت على منابر الاغصان خطب الحمائم والسلام »(١).

وأعظم الاشراف سلطة وأوسعهم نفوذاً وجاهاً بعد أبى نمى ولده الحسن ثم الشريف أبو طالب والشريف بركات والشريف أحمد بن زيد مؤسس حكم العائلة الزيدية والشريف عبد الله بن هاشم والشريف عبد الكريم الذى تولى الامارة ثلاث مرات فى مدة تزيد عن ست سنين (سنة ١١٢٣) والشريف سعيد الذى وليها خمس مرات فى مدة تزيد عن عشر سنوات آخرها سنة وفاته عام ١١٢٩ والشريف مسعود الذى وليها ثلاث مرات آخرها سنة وفاته عام ١١٦٥ والشريف مساعد الذى مكث فى الامارة ١٩ سنة الى أن توفى عام ١١٨٤، والشريف سرور الذى تولى الامارة عام ١١٨٦ وحارب أعمامه وأتباعهم فى وقائع عديدة انتهت بفوزه. وقد زار الشريف سرور المدينة وقاتله أهلها فغلبهم ونهب أموالهم ثم قاتل قبائل حرب وهذيل عام ١١٩٥ وباشر فى بناء قلعة أجياد وتوفى عام ١٢٠٢ والشريف غالب وهو الذى حصلت حروب آل سعود واستيلاؤهم على الحجاز فى أيامه.

٤ — الشرافة الى اعلان الدستور العثمانى

حينما استولى سعود الكبير على الحجاز لم يغير شيئاً من أمر الشرافة. وأقر الشريف غالباً فظل فى الامارة طيلة الفترة التى انقضت على الحكم السعودى فى البلاد.

فلما اقتضت مصلحة الحكومة العثمانية القضاء على القوة السعودية والقوة

---

(١) خلاصة الكلام ص ٦٢

العلوية فى مصر أغرت محمد على باشا بأهل نجد وعهدت اليه تجهيز الحملة اللازمة للتنكيل بهم واخراجهم من الحجاز فأرسل عام ١٢٣٣ هجرية (١٨١١ م) قوة نزلت فى ينبع بقيادة ابنه طوسون ولـكنها لم تنجح فى مهمتها فامدها بحملة قادها ابنه ابراهيم باشا فى العام الثانى ففتح المدينـة ومكة . ثم قدم محمد على بنفسه الى مكة المكرمة وعزل الشريف غالباً عن الحـكم ونفاه مع أكثر أفراد اسرته الى مصر ومنها الى سلانيك ونصب يحيي بن سرور شريفاً عوضاً عنه .

وأراد الشريف يحيي أن يظهر سلطته فى مكة وأن يبرهن على عدم مبالاته فطعن الشريف شنبر ابن عمه فى الحرم وقتله وفر هاربا الى البادية عام ١٢٤٣ هجرية (١٨٢٧ ميلادية) .

وأراد نائب محمد على باشا تعيين الشريف عبد المطلب بن غالب فلم يوافقه سيده على ذلك وأمر بتعيين الشريف محمد بن عون العبدلى للامارة وبذلك انتقل الحـكم الى يد العائلة الثالثة من نسل أبى نمى .

ونشب خلاف بين الشريف محمد بن عون وأحمد باشا مندوب محمد على باشا بسبب رغبة الشريف فى بسط نفوذه على بعض القبائل فى عسير الا ان محمد على أمره بالتوجه الى مصر مع الباشا فقدمها عام ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) وظلت مكة مدة بدون شريف[1] .

وحينما تقرر انسحاب محمد على باشا من البلاد التى احتلها من أملاك السلطنة العثمانية ، وفيها البلاد العربيـة أرسلت الدولة والياً للحجاز عام ١٢٥٦ هجرية (١٨٤٠ م) . غير ان السلطة كانت ثنائية بين الشريف محمد بن عون والوالى ومن هذا التاريخ تبدأ المنافسة الشديدة بين الوالى الذى يمثل المصالح الحـكومية النظامية ويقود العساكر الشاهانية ، وبين الشريف الذى يسعى لاستعادة مجد الامارة الغابر وحكم القبائل البـدوية ، والاشراف على شئون الحج والحجاج .

---

(١) هوغارث : ص ١٠٧

وأدى التنافس بين الامير والوالى الى مداخلة الباب العالى فنُفى الشريف محمد بن عون الى الاستانة ونصب الشريف عبد المطلب الزيدى مكانه عام ١٢٩٨ هـ (١٨٥١ م) الا ان ادارة الشريف عبد المطلب لم ترض الحكومة العثمانية فانها رأته عاجزاً عن انفاذ أوامرها المعلنة فى الخط الهمايونى الذى أصدره السلطان عبد المجيد وحصلت فى البلاد فتنة أدت الى عزل عبد المطلب واعادة محمد بن عون .

و بعد موت محمد بن عون عام ١٢٧٤ هـ (١٨٥٧ م) أقرت الحكومة الامارة فى ابنه عبد الله وفى أيامه حصل اعتداء على قناصل الدول فى جدة وأرسلت الدولة لجنة لاعادة تنظيم البلاد على أساس الاصلاحات التى كانت آخذة فيها فى سائر بلادها وجعلت الامارة ضعيفة بجانب الولاية وحددت وظائف هذه وضيقت عليها جداً . غير ان تطبيق أوامر الحكومة كان على الغالب تابعاً لضعف الوالى ومزاياه الشخصية .

ففى عام ١٢٨٦ هـ (١٨٦٩ م) (سنة فتح قناة السويس) أدخلت الحكومة كثيراً من الاصلاحات البلدية الى مكة واضطر الشريف الى الرضوخ . وبعد وفاة عبد الله عينت الحكومة أخاه الشريف حسيناً أميراً على مكة فقتل فى جدة عام ١٢٩٧ هـ (١٨٨٠ م) فأعيد عبد المطلب للامارة ثم عزل بعد مرور سنتين وعين الشريف عون الرفيق بن محمد بن عون أميراً عام ١٢٩٩ هجرية .

بلغت الامارة على عهد عون الرفيق منتهى ضعفها وغاية هبوطها . وأهمل الشريف أمر البادية ، فساء الامن وعم القلق وانتشرت الفتن وكان هم الشريف التظاهر بالبله والاعمال الجنونية لكى يكون السلطان راضياً عنه . واتفقت مصلحة الوالى الشخصية مع مصلحة الشريف فتقاسما المصالح وتقارضا المنافع وأنّت الناس من الجور والظلم الى أن توفى الشريف عون عام ١٣٢٣ هجرية (١٩٠٥ م) فصدر الامر بتعيين على باشا ولكنه عزل بعيد اعلان الدستور العثمانى ومات الشريف

عبد الاله قبل أن ينصرف من الاستانة الى مقر الامارة فوقع الاختيار على الشريف حسين بن على بن محمد بن عون .

٥ — الشريف حسين

ان تاريخ حياة الشريف حسين بن علي جدير بأن يكتب في عدة مجلدات نظراً لما فيه من العبر والتجاريب ، وما يحويه من وقائع يجمل بالأمة العربية أن تتدبرها فى بدء نهوضها الحالى ، وجهادها المستمر للبلوغ الى أمانيها العظمى . غير أن المجال لايتسع لسرد ذلك فنجتزئ بالقليل منه .

ولد الشريف حسين بن علي فى الاستانة عام ١٢٧٠ ﻫ الموافق لعام ١٨٥٣ م ، وكان والده وجده فيها خلال إمارة عبد المطلب فى مكة ، وعين جده للامارة بعد ذلك بسنتين فقدم معه الى الحجاز وأقام فى مكة الى أن بلغ أشده .

ومات والد الحسين فى الاستانة عام ١٢٨٧ ﻫ فمكث هو بقرب عمه عبد الله أمير مكة الى أن مات وولى عمه الآخر عون الرفيق الحكم عام ١٢٩٩ .

كان عون الرفيق فى سياسته غشوماً ، متعسفاً ، مهملا شؤون البلاد وأهلها ، تاركا أمر العربان وهم عماد الامارة وعدتها فى الملمات ، فأراد الحسين أن ينهج فى معاملة هؤلاء على غير النهج الذى اختطه عمه فنقم هذا عليه ، ونسب اليه الدسائس والفتن وطلب ابعاده الى الاستانة مقر الخلافة ، فأنفذت الحكومة طلبه وعين الحسين عضواً فى مجلس شورى الدولة وظل فى الاستانة الى أن عين بعد وفاة عمه الثالث عبد الإله عام ١٣٢٦ أميراً لمكة . ورُوى أن السلطان عبد الحميد كان معارضاً فيه الا أن اصرار كامل باشا الصدر الاعظم فاز بالنهاية وصدر الفرمان بتعيينه[١] .

جاء فى فرمان الشريف حسين ما يأتى :

(١) ذكر المستر هوغارث فى تاريخ بلاد العرب ص ١١٨ مايأتى « وكانت الفترة فترة النشوء الدستورى فى تركيا وكان الصدر الاعظم محبا للانكليز فاخذ بالنصيحة البريطانية قبل تعيين خلف للشريف المعزول » .

« ... وبناء على ذلك ولوقوع انفصال أمير مكة الشريف على باشا اقتضى الحال الى احالة الامارة الشريفة المذكورة لذات من الاشراف ذوى الاحترام.. الشريف حسين باشا... فأحلنا وفوضنا الامارة الشريفة المذكورة الى عهدة أهليته... وأمرنا المشار اليه أن يستقبل الحجاج ذوى الابتهاج المتوجهين من سائر ممالكنا الشاهانية، ويوصلهم الى مكة المكرمة سالمين مطمئنين وبعد أدائهم مناسك الحج الشريف على الوجه اللائق أيضاً يشيعهم ويستكمل أسباب عزيمتهم بكل اعتناء ودقة الى الشام؛ وأن يكون الناظر على توزيع وتقسيم الصرة الهمايونية المرسلة من قبل سلطنتنا السنية الى أربابها بواسطة المأمورين بموجب الدفاتر الموجودة وأن يستجلب من العموم الدعوات الخيرية لذاتنا الشاهانية، وأن يهتم فى توفيق الامور والمصالح الواقعة والجارية بالعدل والحقانية متحداً مع وزيرنا... والى ولاية الحجاز وقمندان فرقتنا الهمايونية كاظم باشا ...[1] »

ومن مقابلة ما اقتبسناه من الفرمان بالفرمان الذى أصدر للشريف أبى طالب يظهر الفرق بين الصلاحية التى أعطيت لكليهما.

وصل الحسين الى الحجاز فى أواخر عام ١٣٢٦. وكان مشهوراً فى الاستانة بالزهد والتقوى والصلاح، فعلق أهل البلاد عليه الآمال الجسام لأنهم كانوا خارجين من حكم جور واستبداد، ضاقوا ذرعاً به، وتشوشت نفسيتهم بسببه زماناً طويلا. فأملوا الآن بالفرج على يدى الحسين، كما أملوا بكلمات الحرية والمساواة والعدالة التى كانت شعار القائمين بأمر الحركة الدستورية فى البلاد. والحق يقال ان الناس كانوا فى اضطراب كلّي بعد الدستور لايعلمون ماذا تسفر عنه الحركة الجديدة. كانوا يعلمون أن سلطة الوالى والشريف هى القانون. فأرادوا وقتئذ أن يعرضوا كلا من الامير والوالى والدستور على المحك ليعلموا أى الثلاثة هو الأثبت، يراجع أصحاب المصالح الشريف فيعلم أن الدستور حدد شكل المقاضاة

(١) مقتبس من كتاب ماضي الحجاز وحاضره ص ١٥ – ١٦

والمخاصمة ، وأنه ممنوع بحكم الدستور من السير على هواه فى الامر ولكنه ان قال لهم ذلك فقد هيبته فيظهر التألم من أفعالهم ويتوجع لاختلافهم وهم أبناء وطنه وانه لايحب أن يرى بينهم اختلافاً فينصحهم بالصلح والتصافى بدون خصام أو تقاض فينصرفون من لدنه داعين له ولعطفه الابوى ، ومحبته لاهل وطنه ، ويقوم أناس آخرون يذيعون أن سبب امتناع الشريف عن النظر فى قضايا المتخاصمين هو غير ما يتظاهر به ، وان سيف الدستور والحرية مسلط فوق رأسه يمنعه من ذلك . ويقف الناس حيارى مذبذبين لايعلمون ماذا يكون من نتيجة الصراع بين هذا الشريف وبين الدستور وأخيراً يرى الشريف أن كرامته وهيبته تستلزمان عملا يدحض مدعيات أضداده ويظهره فى عيون الناس فيستعمل سلطته الفردية فى تأديب أحد الاشراف عبد الله الكافوت الذى كان أشد الناس حماسا للدستور وتهجما على سلطة الشريف ويضعه فى السجن فينتظر الناس أن يحمى الدستور الكافوت . يحتج الوالى على عمل الشريف ويبرق للاستانة وتدور المخابرات بين الباب العالى والامير والوالى ، والكافوت فى السجن يراه الناس فيه دون أن يعلموا بالمخابرات السرية الجارية . وأخيراً يعلم الشريف أن الاستانة مصرة على اخراج الكافوت وان اصراره يفضح سره فيتظاهر بالعفو عنه ويخرجه من السجن والناس لايعلمون أن خروجه كان بأمر الدستور . يغضب الوالى من تصرف الامير ويرفض العمل معه تحت ظل دستور غير محترم فيستقيل من وظيفته ، فيعتقد الناس أنه عزل عزلا بسبب معارضته للامير . فإذن الامير فوق الدستور ! وإذن الامير يحكم برغم الدستور ! وإذن فالدستور لايحمى الناس من الجور . إذن فليحى أميرنا لانريد دستوراً ولا نريد بأميرنا بديلا !!..

بهذه الاعمال وأمثالها تمكن الشريف من الظهور أمام أهل الحجاز بأنه محب لهم مريد لخيرهم وانه هو ملكهم ، وأن لامرجع إلا بابه . يأتى الولاة وكلهم ضعيف لايثبت أمام تعسف الامير فيستقيل من عمله ويشيع بين الناس أن الشريف عزله

فيعظم مقام الشريف ويشتد نفوذه .

وتقرب الحسين من البادية بأساليبه المختلفة وأكثر البدو يعلمونه من أيام امارة عمه عبد الله وعون الرفيق فينجح فى مهمته الى مدى بعيد .

وتقرب من العائلة العلوية بسبب أواصر الصداقة القديمة التى جعلت الاشراف العبادلة يعترفون بأنهم غرس نعمة محمد على وأحفاده فكان له ما أراد .

وتحكك بالانجليز بواسطة أعوانه فى الاستانة وبواسطة اللورد كتشنر فى مصر والمرغنى فى السودان .

وتزلف الى مبعوثى العرب فى دار الخلافة وجعلهم يعتقدون فيه السعى لمصلحة العرب وجمع كلمتهم لنيل حقوقهم المغصوبة من الترك .

وعلى الاجمال فان الحسين منذ وصوله الى الحجاز لم يترك وسيلة من وسائل الظهور والاستعداد لليوم الموعود لم يتخذها .

وأراد بسط سلطـانه على سائر الحجاز ومافى أطرافه وتوسيع حدود الامارة وصلاحياتها ، وليس فى عمله هذا ما يُحفظ الدولة أو يثير شكوكها فوافقته على خطته.

ادعى أن عتيبة تابعون للحجاز فدعاهم اليه وحرضهم على الخروج على ابن سعود فوفق فى خطته وتغلغل فى بلاد عتيبة حتى وصل الى قرب الوشم والقصيم فى نجد ، وتمكن بسبب خيانة بعض العتبان من أسر سعد بن عبد الرحمن شقيق الملك عبد العزيز عام ١٣٢٨ ﻫ (١٩١٠ م) . وهناك توسط خالد بن لؤى بين الشريف والملك عبد العزيز فرجع الحسين عن نجد بورقة فيها ما يفيده لدى الدولة ولا يضر ابن سعود ففك أسر أخى الملك . ولـكن الورقة كانت على الضد من ذلك مقدمة لحوادث جسام بينهما [1] .

وحينما ثار الادريسى على حكم الدولة فى صبيا وأبى عريش رأى الحسين أن

---

(١) يوجد خلاف فى السنة الحقيقية التى خرج فيها الشريف حسين الى نجد الا أننا تأكدنا كون ذلك حدث أيام ثورة العرائف على ابن عمهم عبد العزيز وان العرائف كانوا فى جيش الحسين حينما سار الى أبها وبناء على ذلك فاننا جزمنا بان الخروج الى نجد كان قبل غزو أبها .

الفرصة سانحة لتقوية مركزه فى نظر الترك والعرب والحجاز والبادية. فعرض خدمته وخدمة أنجاله على الباب العالى فولته الحكومة قيادة الحملة التأديبية التى سيرتها لفك الحصار عن القوة العثمانية فى أبها وتأديب القبائل العاصية، فسافر من مكة فى ربيع الثانى عام ١٣٢٩ وعاد بعد ذلك ببضعة أشهر بعد أن وطد لنفسه بين البادية فى الحجاز وعسير. وعُهد اليه بتجريد حملة أخرى على الادريسى فأنفذ على رأسها نجله الثالث فيصل (جلالة ملك العراق الآن) الى القنفذة ولكنه عاد من غير طائل [1].

سبق لنا أن أوضحنا ما كانت عليه الشرافة من الوجهتين القانونية والعملية يوم تولاها الشريف حسين، وسردنا أيضاً المساعى التى بذلها بعيد وصوله الى الحجاز لاستعادة هيبتها ورفع شأنها ونوال بعض الامتيازات التى سلبتها الدولة منها ووضعتها فى يد الولاية. غير أن الحسين فوجىء بالقانون الذى وضعته الدولة لادارة الولايات والذى يقضى تطبيقه على البقية الباقية من الشرافة ويجعل منها أثراً بعد عين. فعمل جهده بواسطة أصدقائه العديدين وبالاخص بواسطة البرنس سعيد حليم باشا الصدر الاعظم لتأخير انفاذ حكم ذلك القانون فى الحجاز الى أن تحين الظروف الملائمة لتطبيقه تدريجياً فكان له ما أراد. ومنذ تلك الساعة شرع الشريف حسين فى تدبير أموره واعداد معداته للتخلص من الكارثة المنتظرة حينما تتفرغ الدولة من مشاغلها وتزول من أمامها الاسباب التى حملتها على القبول بتأخير تطبيق القانون الآنف الذكر على ولاية الحجاز لانه كان يعلم حق العلم أن سكوت الدولة عن الحجاز انما هو سكوت موقت وإمهال لا إهمال وان الساعة آتية لاريب فيها.

---

١) وضع الشريف شرف بن عبد المحسن البركاتي كتيبا عن هذه الحملة سماه الرحلة اليمانية شرح فيه المواقع الحربية والاعمال التأديبية التي قامت بها حملة الشريف حسين لفك حصار أبها.

والظاهر أن الدولة شعرت من حركات الشريف حسين مارابها فرمته بكبير من رجال جمعية الاتحاد والترقى هو القائد وهيب باشا وفوضت اليه معالجة مشكلة الحجاز والشريف حسين حسب اللزوم والحاجة . فتمالك الشريف بعض روعه أو أغضى عن أمور كثيرة ، وحبس يده عن التصرف بشؤون كانت عادته أن يتصرف بها زمن الولاة السابقين . إلا أن حقيقته لم تخف عن وهيب باشا ففاوض الاستانة مراراً من أجل عزله أو بالاقل من أجل تطبيق أحكام قانون الولايات على الحجاز فلم يوافقه الباب العالى على طلبه . وكان للشريف حسين رقباء وجواسيس يوافونه بأخبار وهيب وأعماله ويطلعونه على صور برقياته الرمزية الى الباب العالى والاجوبة عليها فتحققت لديه نوايا الحكومة وانها تدبر للشرافة أمراً عسيراً ان لم يكن عاجلا فآجلا .

وسافر وهيب باشا بعد اعلان الحرب العمومية من الحجاز ، فبعث اليه الشريف حسين فى طريقه الى المدينة من سرق له أوراقه فوجد فيها البرهان القاطع على ماتنتوى الدولة فعله بعد الحرب فى الحجاز فقرر اهتبال فرصة انشغالها بالحرب العمومية لتثبيت مركزه والبت فى قضية الشرافة بصورة حازمة لاتدع للدولة مجالا للنكوص عنها بعد خروجها من الحرب

نصل الآن الى فترة فى تاريخ الشريف حسين ، لاتزال غامضة جد الغموض بالرغم عما نشر عنها من وثائق ومكاتبات . لانها تشمل تاريخ حقبة من حقب تاريخ الامة العربية كان الشريف حسين فيها — خطأ أو صوابا — ممثل العرب والمفاوض باسمهم والمساوم على مقدراتهم السياسية والاجتماعية المقبلة . فجدير بأبناء العرب أن يدرسوا تاريخ هذا الدور بدقة وأن ينشروا المعلومات الراهنة عنه ليقف عليها الخلف ويعتبروا بما وقع للسلف . وهانحن أولاء نذكر بايجاز ملخص ماوقفنا عليه من الحقائق المستقاة من مظانها الاصلية وأسانيدها الموثوقة .(١)

---

(١) نأسف جدا أن ضيق المجال يمنعنا من التبسط فى هذا الموضوع الخطير الذى جمعنا له من الوثائق الاصلية والتقارير مجموعة ضخمة لم تنشر للآن مع انها معلومات خطيرة للغاية

بمجرد دخول الحكومة العثمانية الحرب الى جانب ألمانيا أصبحت أغراض السياسة البريطانية الرئيسية فى جزيرة العرب عبارة عن :

أولا : تأمين سلامة المواصلات البريطانية بين الشرق والبحر الابيض المتوسط بطريق البحر الاحمر وقناة السويس .

ثانيا : مقاومة جهود الحكومة العثمانية داخل بلادها وخارجها والقضاء على الدعايات الواسعة التى بذلتها لاعلان جهاد عام فى البلاد الاسلامية المختلفة .

فمن أجل الوصول الى هذين الغرضين الجوهريين قامت بتدابير عديدة منها اثارة العرب وهم عماد الاسلام ، على دولة الخلافة ، والعمل لانشاء خلافة عربية فى البقاع الاسلامية المقدسة . واتفقت هذه الاغراض مع الامانى الوطنية التى كانت تختمر فى رؤوس المتنورين من شبان العرب ، فلم يجدوا اغضاضة فى التفاهم مع الانكليز وشرعوا يفاوضونهم بالفعل فى مصر والسودان والعراق وسوريا إلا أن الانكليز رجحوا أن يتخذوا الشريف حسين واسطة لتحقيق أغراضهم لانهم كانوا يعلمون مطامعه فى الحجاز ونقمته على الدولة من أجل الشرافة فشرعوا فى مفاوضته .

ذكرنا أن الشريف حسين كان يتودد للعائلة العلوية وللانكليز معاً . ففى شهر فبراير سنة ١٩١٤ ، أى قبل اعلان الحرب العمومية ببضعة أشهر زار الشريف عبد الله نجل الشريف حسين الثانى الخديوى عباس بالقاهرة ، وزار اللورد كتشنر فى الوكالة البريطانية ، وتعرف به وجدد معرفته بالمستر ستورس سكرتيره الشرق . فما كادت الحرب العمومية تعلن حتى تبين للحكومة البريطانية أن جمعية الاتحاد والترقى كانت منحازة الى ألمانيا وانها على وشك الانخراط فى الحرب معها .

فتذكر اللورد كتشنر الذى كان اذ ذاك وزيراً للحربية فى بلاده والذى كان يعلم بنوايا الشريف حسين ومطامعه ونقمته على الدولة واستعداده للقيام عليها من أجل الشرافة — تذكر صداقته وصداقة ستورس للشريف عبد الله فأبرق الى المندوب السامى فى مصر فى ٢٤ سبتمبر سنة ١٩١٤ (أى قبل دخول تركيا فى الحرب)

لعجم عود الشريف حسين فى حالة دخول تركيا الى جانب ألمانيا ، والتثبت من موقفه فلما انضمت تركيا الى الدول الوسطى تكررت المراجعة من قبل الانكليز ودخلت المفاوضات بين الشريف حسين والسر هنرى مكمهون دوراً جدياً .[١]

كانت أغراض الشريف من قيامه على الدولة مقتصرة فى بادى الامر على شرافة مكة وإمارة الحجاز ولكنه حينما روجع من قبل مثقفى العرب الذين أوفدوا اليه سراً بعض من نعلم ممن لايزالون على قيد الحياة لم يتأخر عن المفاوضة من أجل البلاد العربية الاخرى ، إلا انه كان فى مفاوضاته واحد اثنين : اما أنه كان غير آبه بما وراء الحجاز من بلاد عربية ومتراخياً فى التفاهم بصراحة على حقيقة الاستقلال الذى ينح لها وان مفاوضته من أجلها كانت مسايرة وارضاء للذين راجعوه من أبناء قومه ؛ واما أنه كان حسن النية فى ذلك ولكنه كان جاهلا أساليب السياسة الدولية فلم يدرك مراميها ولم يحترس من أحابيلها .

دامت المفاوضات بين الجانبين وقتا طويلا . ونشرت صور الكتب التى تبودلت بينهما فى الصحف السيارة والمجلات المختلفة ولكنها لم تنشر رسميا من قبل الحكومتين [٢] وكان القصد منها تعيين مدى المساعدات المتقابلة وكيفية قيام كل من الفريقين بقسطه منها . وقد طلب الشريف تحديد البلاد العربية التى تساعد بريطانيا على استقلالها ، فماطلته بريطانيا فى ذلك واشترطت بعض استثناءات فات الحسين أن يتثبت من مراميها ، وما يمكن أن تؤول به ، أو ما يمكن أن تعنيه وتم الاتفاق نهائيا على أن يقوم بالثورة على الترك مقابل اعتراف بريطانيا وتعهدها باستقلال العرب بدون تعيين حدود البلاد التى يعضد فيها الاستقلال واستثنت بريطانيا :

---

(١) نشر فى كتاب وضع ضمن سلسلة من الكتب التاريخية عن تاريخ بلاد العرب الحديث برئاسة المستر فيشر وتحرير فلبي ، مثل هذه المعلومات وهى لاتختلف عما عندنا من الوثائق أنظر ص ٢٣٨ وما يليها .

(٢) كثر الحاح البرلمان البريطانى على الوزارات المتتابعة لنشر هذه الوثائق الا ان الحكومات من جميع الاحزاب لم تخرج عن القاعدة الموضوعة وأبقت الوثائق الخاصة بها سرية حتى الآن .

١ — المنطقة الواقعة غرب الخط من حلب وحماه وحمص ودمشق حتى البحر
٢ — المناطق التى لاتستطيع أن تتصرف فيها مستقلة عن حليفتها فرانسا .
٣ — منطقة عدن
٤ — ولاية البصرة
٥ — المناطق العربية التى لاتقدر أن تتصرف بها من تلقاء نفسها

فاذا أمعنا النظر فى ذلك ، علمنا أن عدم سؤال الشريف عن المعنى الذى قصدته بريطانيا بقولها « البلاد العربية التى ليست حرة التصرف فيها » جعل البريطانيين يفسرون وعودهم بانها لاتشمل إلا الحجاز تقريبا . فانهم يوم اتفقوا مع الشريف كانوا متفقين مع فرنسا على سوريا ومع روسيا على فلسطين ، ومع الادريسى على عسير ومع آل سعود على نجد والحسا ، ومع أمراء العرب المختلفين على المقاطعات الساحلية والكويت .

أعلن الشريف حسين ثورته فى ٩ شعبان سنة ١٣٣٦ فشرع شبان العرب فى الالتحاق به من سائر أطراف السلطنة العثمانية ثم أعلن نفسه ملكا للعرب فمنعه الانكليز منه لان ملك العرب يجب أن يكون حاكما على سائر بلاد العرب ، اليمن وعسير ونجد ، فاكتفى بلقب ملك الحجاز . وتمكن الحسين خلال الحرب من الاستيلاء على غالب الحجاز ماعدا المدينة ، وكان نجله الامير فيصل قائداً للفرقة العربية التى احتلت سورية مع الحلفاء . وانقشعت الحرب عن ملك الحجاز ، ممتداً من معان شمالا الى القنفدة جنوبا ومن ساحل البحر الى سفوح جبال الحجاز شرقا.

أراد الشريف حسين بعد الحرب أن يمد سلطانه على واحتى تربة والخرمة ، وكان أهلهما من سبيع والبقوم وعتيبة ، منحازين الى ابن سعود فنشبت فى تربة معركة هائلة بين الاخوان وقوات الشريف النظامية والبدوية ، أسفرت عن فوز الاخوان فوزاً مبيناً وبقاء الواحتين لنجد وخسارة الحجاز أكبر قوة عسكرية

جمعها ومقدمة للمشادة التى أسفرت عن استيلاء الملك عبد العزيز على الحجاز وثل عرش الحسين فيه [1].

لم يحقق الحسين آمال العرب فتفرق عنه المخلصون الذين التفوا حوله مسارعين الى خدمته فى تشييد دعائم ملك جديد للعرب وأهمل أمر حكومته فلم تكن حكومة بالمعنى الصحيح وتعثرت الآمال وضاعت الامانى. وعاد البدو الى ديدنهم من سرقة ونهب واتلاف المال وقطع الطريق، وانقلبت الحكومة حكومة عسف وجور، وتمادى الحسين فى ارهاقه للناس وبالاخص لاهل نجد، واختلف مع المصريين والانكليز وأثاركوامن حقد المسلمين اجمالا، ولم يكن مستعداً لمجابهة الاخطار لامن حيث القوة ولا من حيث النظام فهاجمت القوات النجدية الطائف فى صفر عام ١٣٤٣ (سبتمبر سنة ١٩٢٤) واحتلته.

وفى شهر ربيع الاول سنة ١٣٤٠ طلب منه التخلى عن العرش، فسافر من جدة الى العقبه ثم أخرج منها الى قبرص واشتد به المرض فنقل الى عمان حيث وافته منيته.

---

(١) حصلت معركة تربة ليلة ٢٥ شعبان ١٣٣٧ الموافق ٢٥ مايو ١٩١٩

الفصل الثانى عشر

آل سعود

تمهيد — محمد بن سعود — عبد الزيز بن محمد — سعود بن عبد العزيز — عبد الله
ابن سعود — تركي بن عبد الله بن محمد بن سعود — فيصل بن تركي
الفتنة بين ابناء فيصل — عبد الله بن فيصل — الامام عبد الرحمن
ابن فيصل — محمد بن فيصل والحكم الرشيدى .

---

١ — تمهيد

يمكن تقسيم تاريخ آل سعود الى الادوار الآتية :

الدور الأول : ويبدأ من تاريخ نشوء حكومتهم على يد الامير محمد بن سعود ابن محمد بن مقرن بن مرخان الى بدء ولاية الامير عبد الله بن سعود الكبير من ١١٣٧ — ١٢٢٩ هجرية الموافق ١٧٢٤ — ١٨١٤ م .

الدور الثانى : ويبدأ من تاريخ ولاية عبد الله بن سعود الى نهاية الاستيلاء العثمانى بواسطة المصريين من ١٢٢٩ الى ١٢٨٢ هجرية الموافق ١٨١٤ — ١٨٦٥ ميلادية .

الدور الثالث : ويبدأ من الفتنة الاهلية بين أبناء فيصل بن تركى الى ان استولى محمد بن رشيد على البلاد النجدية من ١٢٨٢ — ١٣١٨ هجرية ، الموافق ١٨٠٥ — ١٩٠٠ ميلادية .

الدور الرابع : ويبدأ من قيام الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل الى الزمان الحاضر .

٢ — محمد بن سعود

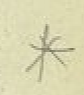
ينتسب آل سعود الى سعود الاول مؤسس العائلة وهو ابن محمد بن مقرن بن مرخان من قبيلة ولد علي من قبيلة عنزة . فسعود الاول مؤسس الحكم السعودي كان مقيما فى الدرعية وتمكن بدهائه وحنكته من تثبيت امارته فى الدرعية وما جاورها من الواحات الصغيرة ووضع بعمله هذا أساس مملكة آل سعود ، وحين وفاة المذكور عام ١١٣٧ هجرية ١٧٢٤ ميلادية كان له أربعة أولاد ثنيان وفرحان ومحمد ومشارى . وقد كان ثنيان قائداً مجربا و بطلا مغوارا فى الحروب بينما كان أخوه محمد فارساً من فرسان السياسة الفطاحل . تعاضد الاخوة الأربعة على تثبيت دعائم الملك الموروث عن والدهم سعود وتعاونوا فيما بينهم تعاوناً متقابلا تاما . وفى عام ١١٥٣ هجرية ١٧٤٠ ميلادية اتفق محمد بن سعود مع الشيخ محمد بن سليمان بن عبد الوهاب المصلح الكبير و باعث روح النشاط الدينى والعقيدة السلفية الصحيحة وتعاهدا على أن يكون محمد حارساً للدين و ناصراً للسنة وقامعاً للبدع ومعلناً سيف الحق فوق رؤوس عباد التقليد والبدع والخرافات . وحينما توفى ثنيان عام ١١٦٠ هجرية ١٧٤٧ ميلادية ، اعترف الجميع لمحمد أخيه بالأمامة الدينية ، والزعامة الزمنية المطلقة .

ان حادثة اتفاق الامام محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب على القيام بالدعوة الخالصة الى الدين الصحيح والتعاضد على نصرة الحق وقمع البدع وإزالة معالم الشرك ونشر الدعوة لهى من أهم الحوادث التاريخية فى الأعصر الحديثة فى بلاد العرب فقد كانت الدعوة الدينية بنفسها من أجلّ الاعمال الانسانية فضلا عن النتائج السياسية التى حصلت منها .

ليس هذا مجال التفصيل فيما كان لذلك الاتفاق بين الزعيم السياسى والمصلح الدينى من نتائج ، وانما نقول : ان تعاضدهما قد أثمر كل الخير للاسلام والعرب ،

فقد شرعا فى بث الدعوة الاصلاحية الدينية والاجتماعية بين أهل البلاد المجاورة للدرعية ثم توسعا فى الدعوة الى سائر أطراف نجد ولقيا فى سبيل الدعوة كل مشقة وعناء . وشهد محمد قبيل وفاته عام ١١٧٩ هـ (١٧٦٥ م) مملكة واسعة الاطراف تشمل أكثر نجد ، ورأى مبلغ انتشار الدعوة بين أهل نجد أنفسهم . ولم يخلص من حكم الامام محمد سوى بلدة الرياض والحسا والقصيم ، وكان أمير الرياض دهام ابن دواس من المنافقين يغتنم كل فرصة للايقاع بابن سعود .

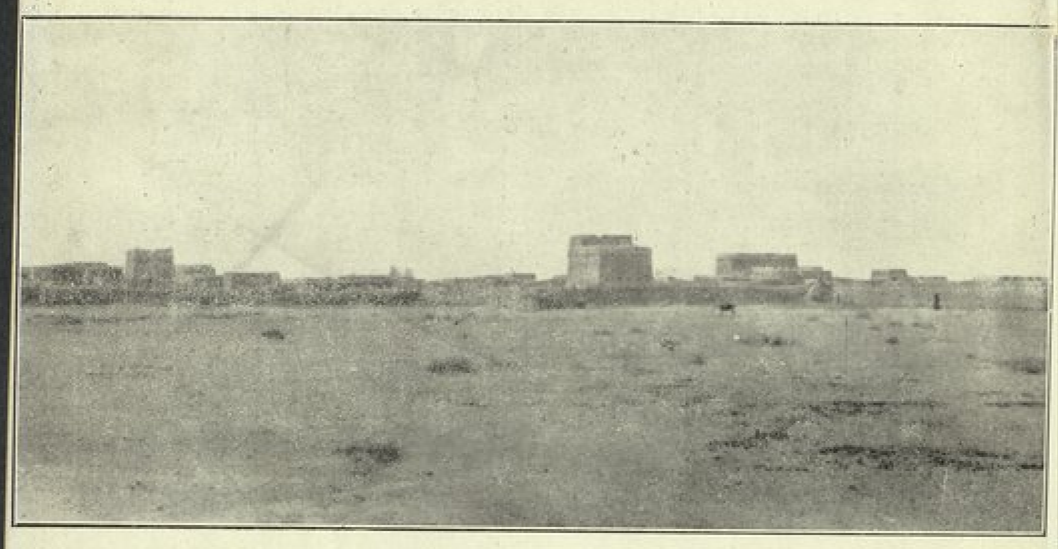
وتوفى الامام محمد بن سعود سنة ١١٧٩ هجرية الموافق ١٧٦٥ ميلادية تاركا الامر لولده عبد العزيز .



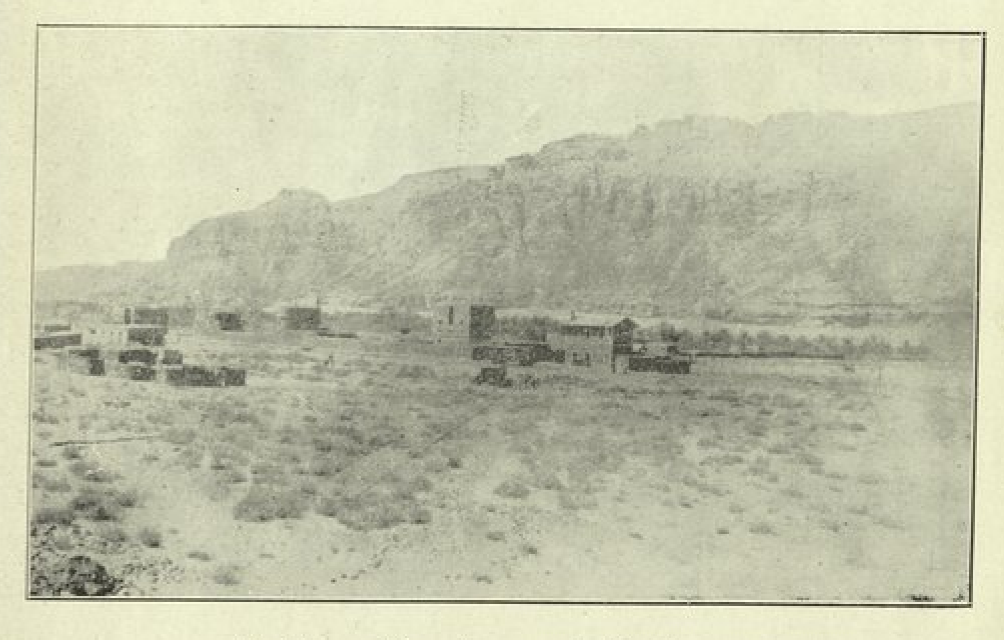
٣ — عبد العزيز بن محمد

كان عبد العزيز مشهوراً بغيرته على الدين وبحماسته فى نشر الدعوة الاصلاحية من أيام والده ، فانه قاد جيوش أبيه الغازية وحمل بيارقها الى الاقطار البعيدة جداً عن الدرعية ، فلما خلف والده فى الامارة شمر عن ساعد همته وشرع فى نشر دعوة التوحيد فى المقاطعات الشمالية . فتوجه الى القصيم واستولى على بريدة والرس وتنومة وحاصر عنيزة ولكنه ارتد عنها خائباً . ومع أن أكثر بلاد القصيم لم تخضع له بالفعل فان نفوذه الادبى والدينى فيها كان عظيما لا يشاركه فيه أحد . وكان دعاة الدين طلائع التوسع أينما حلوا ، فحاول أعداء ابن سعود أن يفتكوا بأتباعه فى القصيم ، غير أن حركتهم فشلت ولم يدم استيلاؤهم على بريدة إلا وقتاً قصيراً لان القبائل المتحالفة من بنى خالد وشمر والظفير وعنيزة اختلفت بعد موت ابن عريعر وفكت الحصار عن القصيم .

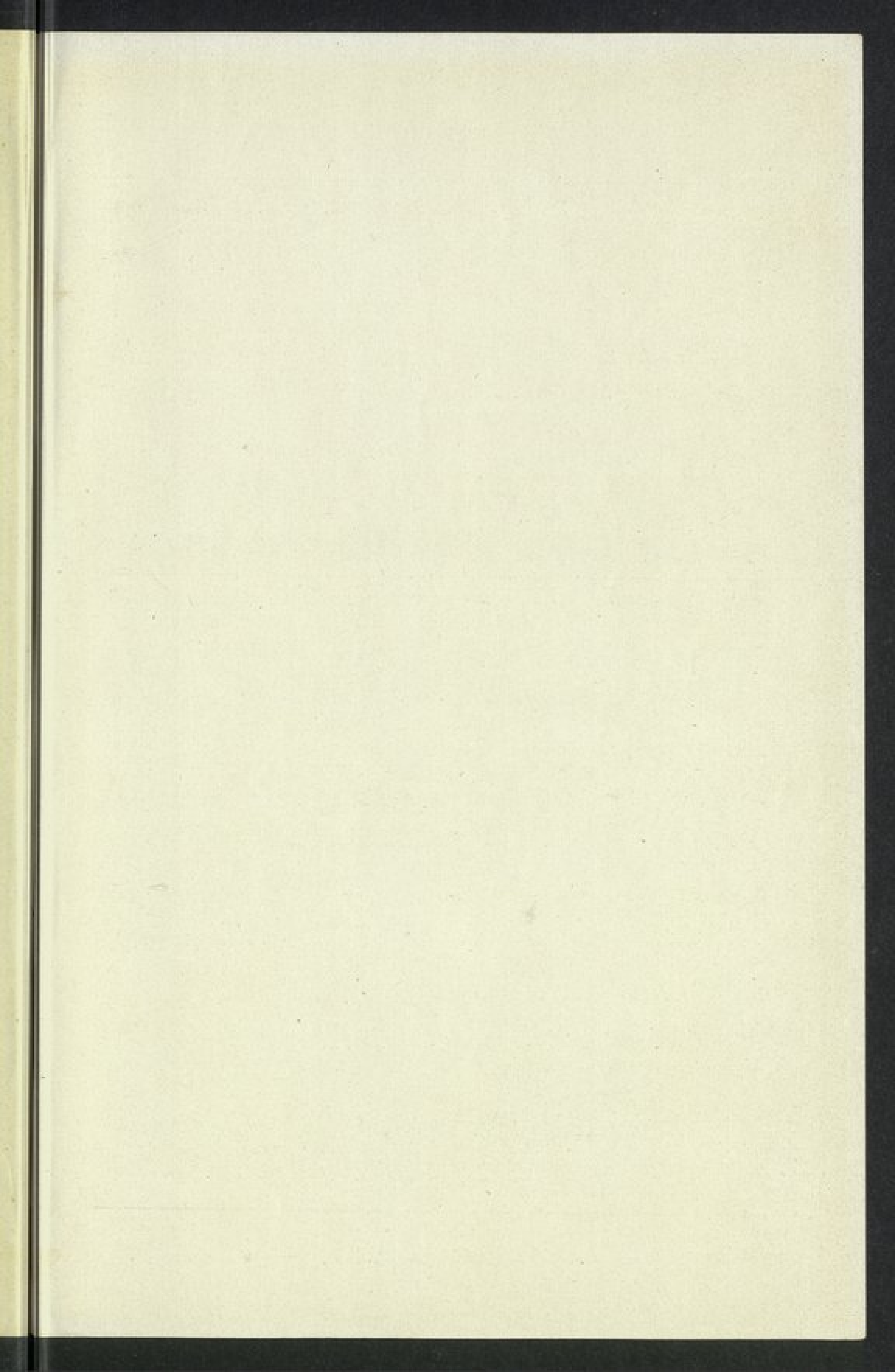
وقد كان عبد العزيز موجساً دائماً من بقاء ابن دواس المذبذب فى مؤخرته



١٦ — قرية الروشن أكبر قرى واحة بيشة



١٧ — بلدة العلا احدى محطات سكة حديد الحجاز



ولذلك عزم على سحقه والاستيلاء على الرياض فوفق الى ذلك عام ١١٨٧ هجرية ١٧٧٣ ميلادية .

وسنحت لابن سعود فرصة للانتقام من ابن عريعر وبنى خالد والتدخل فى شئون الحسا حينما حصل نزاع بين آل عريعر أنفسهم . فشرع فى شن الغارة على أطراف الحسا فى الوقت الذى كان فيه سعدون بن عريعر يهاجم القصيم ويحاصر بريدة ، ولكنه ما كاد يسمع بخبر مهاجمة السعودى لبلاده حتى نكص اليها للدفاع عنها .

وقامت فتنة بين آل عريعر أنفسهم واستنجد فريق منهم بثوينى بن سعدون شيخ المنتفك واستنجد الفريق الآخر بابن سعود . احتل ثوينى السعدون القسم الشمالى من الحسا واحتل ابن سعود الاطراف الجنوبية منه . والجوار يجلب دائماً التنازع والتشادد فحصل بين السعدون وابن سعود ما أوجب شن كل فريق الغارة على الآخر ، واستفاد السعدون من الحكومة العثمانية التى أمدته بالجند والمال والمعدات لقتال خصمه ابن سعود وتقدمت الجيوش العثمانية ومعها ثوينى الى بلاد ابن سعود متبعة طريق الحج الى القصيم ففتحت البلادُ أبوابها للغزاة فنهبوها ، وحاصروا بريدة الا أنهم فكوا الحصار عنها لاضطرار ثوينى الى الرجوع الى بلاده لدرء فتنة رتبها أعداؤه عليه . لاحت الفرصة لعبد العزيز ففتح كافة القصيم ومنها عنيزة وأصبح ملكه ممتداً من قرب جبل شمر الى الخليج الفارسى .

وحينما فرغ عبد العزيز من القصيم وجه عنايته الى الغرب ، الى قبائل عتيبة وما جاورها من القبائل الخاضعة للاشراف فى مكة . غير أن مسعى عبد العزيز فى نشر الدعوة بينها أوقع الفتنة بينه وبين الشريف فوجه هذا طعنة نجلاء الى ابن سعود باعلانه منع قدوم الحجاج بطريق نجد وبدعايته التى شرع ينشرها عن أتباع ابن سعود وانهم وهابيون غير مسلمين . وكان من أثر دعاية الشريف غالب أن تجمهرت قوات كبيرة من البدو وساروا تحت قيادة الشريف عبد المعين أخى

الشريف غالب الى نجد من أجل قهر ابن سعود والاستيلاء على بلاده وعلى عاصمته ولكن المقاومة التى قوبل بها الجيش الزاحف فى الشر جعلته يتفرق ولم يفت هذا الفشل من عضد الشريف غالب فقام بنفسه على رأس الجيش ثانية لأنه أدرك أن ابن سعود يحاول أن يقوم بحركة التفافية ليقطع ساقته فعاد الى الحجاز عن طريق السوارقية عام ١٢٠٥ هجرية (١٧٩٠ م) وأدب ابنُ سعود القبائل الثائرة فقهر شمر وغلب مطير وعتيبة وبنى عبد الله .

وفى السنة التالية قهر الأمير سعود نجل الامير عبد العزيز قوات بنى خالد وقوات أمير الحسا بقرب اللصافة وهاجم مركز ابن عريعر فى الهفوف فسلم له بدون مقاومة ، وشرع حالا فى بناء حصن فيه بقى للآن باسم الكوت .

وفى السنة نفسها وجه الامير عبد العزيز سراياه الى الجوف شمالى النفود فوفقت الى الاستيلاء على كافة وادى السرحان وضمه الى حكمه .

وغزا ابنه سعود مقاطعة الخرج والافلاج ووادى الدواسر ووصل فى غزواته الى عسير غرباً والى عُمان جنوباً . ولم يكتف بذلك فشرع فى انفاذ السرايا الى حدود العراق . خافت السلطات العثمانية والولاة فى البصرة وبغداد من امتداد سلطانه وانتشار نفوذه بهذه السرعة المدهشة ومن طموحه الى الاستيلاء على البصرة فجمع الوالى سليمان باشا الجموع لصد القوات المهاجمة وجهز جيشاً مختلطا من العساكر والبدو والمتطوعة من أهل البصرة والزبير ومن الظفير وبنى خالد ومطير وجعله تحت قيادة ثوينى السعدون الذى ورد ذكره فيما مضى غير أن هذا الجيش لم يفز بأى غرض من أغراضه لأن ابن سعود احتاط للامر وأرسل ابنه سعود وخادمه ابن معيقل للقياه فتقابل الفريقان فى الحفر وفى هذه الاثناء قتل ثوينى السعدون فكان قتله سبباً فى تفرق الجيش وتقدم ابن سعود الى السماوة واستاق أموالا عظيمة عاد بها سالماً مطمئناً الى بلاده ، ثم ساق سليمان باشا جيشاً جديداً على الحسا بقيادة

شخص تركي اسمه على بك و تقدم الجيش حتى وصل الى الحسا نفسها وصادف تعضيداً غير قليل من سكان تلك الجهة الا أن ابن سعود نجح فى النهاية وانصرف الجيش دون طائل عام ١٢١٣ ﻫ (١٧٩٨ م) .

وفى هذه الاثناء طلب الشريف غالب من الأمير عبد العزيز أن يصالحه ويتعاهد معه فقبل منه بذلك . وقدم ولده سعود للحج والزيارة عام ١٢١٥ هجرية (١٨٠٠ ميلادية) .

ولما لم يجد الوالى سليمان باشا وسيلة للنكاية بابن سعود عزم على عمل آخر يقهره به فهاجم أتباعه قافلة من قوافل الحجاج المسافرين بحمايته فاراد ابن سعود الانتقام منه وقام بحركات واسعة ضد العراق وواليها وهاجم منطقة الفرات السفلى واستولى على كربلاء وهاجم كافة الحواضر الواقعة بين النجف والزبير عام ١٢١٦ هجرية (١٨٠١ ميلادية) .

وقتل عبد العزيز فى مسجد الطريف بالدرعية من قبل شيعى من أهل العراق بعد ذلك بسنتين بعد أن شاهد نجاح عمله واتساع ملكه الذى أصبح ممتدا من شواطىء الفرات ووادى السرحان الى رأس الخيمة وعمان ومن الخليج الفارسى الى أطراف الحجاز وعسير .

٤ — سعود بن عبد العزيز الملقب بالكبير

ان عصر سعود الكبير يحسب بحق الدرة اللامعة فى تاريخ حكومة آل سعود الاولى . فقد اكتسبت دولته على زمانه أكبر رفعة وأعظم موقع وحين نشوب الحرب بينه وبين المصريين والترك قبيل وفاته بقليل كانت بلاده ممتدة من أطراف عمان ونجران واليمن وعسير الى شواطىء الفرات والبادية السورية ومن الخليج الفارسى الى البحر الاحمر .

سبق لنا أن ذكرنا كيف أن سعود كان عضد والده عبد العزيز فى توسيع ملكه وفى نصرة الدين ونشر الدعوة الاصلاحية وكيف أنه كان القائد الاكبر لجيوش أبيه ، فحين توليه الامارة عهد بالقيادة الى ولده عبد الله ، الذى كانت فاتحة أعماله تأديب بعض قبائل الحجاز ، والاستيلاء على تيماء وخيبر ، وشن الغارة على أطراف عُمان .

أراد سلطان بن حمد بن سعيد أمير مسقط أن ينتقم من ابن سعود فتوجه الى البصرة واتفق مع الحكومة العثمانية على حرب ابن سعود مقابل تعهده بالاعتراف بسلطتها على بلاده فى مسقط وعمان وشرقى افريقيا وانفاذا لعهدها أرسلت جيشاً من البصرة لمهاجمة ابن سعود الا أن وصول خبر قتل سلطان من قبل قرصان البحر أجبرها على استعادة القوة الى العراق .

وقد كانت أعمال سعود عامة أعمالا جليلة انتشرت بها سلطته على الفرات الاوسط حتى الهيت وعانة وحتى حلب فى سوريا الا أن أهم أعماله بلا نزاع فتح الحجاز بصورة نهائية ، ووضع الحرمين الشريفين تحت حمايته .

كان سعود قد حج قبل قتل أبيه وكان الشريف غالب يتظاهر بصداقة آل سعود ونصرتهم ، غير أنه كان ناقماً عليهم فى الخفاء ساعياً لاثارة القلاقل ضدهم وشجر الخلاف بين الجانبين بسبب قبول أهل الوديان فى ترَبة والخرمة للدعوة الاصلاحية للتوحيد ، واختلاف عثمان المضايفى مع نسيبه الشريف غالب ، فالتحق المضايفى بابن سعود وسلمه الطائف عام ١٢١٨ هـ (١٨٠٣ م) الا أن فتح مكة كان بعد ذلك بثلاث سنوات . وقد حاول غالب أن يخدع ابن سعود ثانية حينما حاصرته جنود نجد وقطعت الامدادات عنه وعن مكة من جميع الجهات الا أن سعود كان يعلم خيانة غالب وغدره فلم يقبل مصالحته . ودخلت جيوشه مكة عام ١٢٢١ هـ ١٨٠٦ م ولم يعزل غالباً عن الامارة .

الا أن غالب لم ينقطع قط عن دس الدسائس على أهل نجد . وقد ساعده فى وقيعته بهم عند الحكومة العثمانية ان سعود بعد أن فتح الحجاز شرع يمهد للاستيلاء على الديار الشامية ساعياً الى ذلك بواسطة الولاة والدعاة فادركت الحكومة العثمانية آنئذ أن الامر بلغ من الخطورة مبلغاً لا يمكن السكوت عليه لا سيما لأن أهل نجد فى الحجاز هدموا القباب والاضرحة التى كانت تكرم ويتمسح بها ، وجعلوا الحج تحت سيطرتهم ان شاؤا سمحوا به وان شاؤا منعوه .

وكانت الحكومة العثمانية تريد كذلك أن تتخلص من محمد على باشا فى مصر فولته ولاية جدة أملا فى دفعه واقصائه عن مصر وكان قصدها اصطياد عصفورين بحجر واحد فتضافرت مصالح الحكومة العثمانية والأشراف والمصريين أيضاً على أهل نجد واستعملوا الدين مطية للاغراض السياسية ونشروا عن أهل نجد أنهم أحدثوا بدعة جديدة فى الاسلام ومذهباً خامساً لا يقره أهل الجماعة والسنة وغير ذلك من الدعايات التى ظلت ذات أثر كبير فى اهاجة الرأى العام الاسلامى على أهل نجد حتى زماننا الحاضر .

ففى عام ١٢٢٦ هـ (١٨١١ م) شرع محمد على فى انفاذ المهمة التى أودعت اليه ووصلت جيوشه الى ينبع واحتلت المدينة ومكة المكرمة بعد ذلك بسنة .

وتوفى سعود فى الدرعية عام ١٢٢٩ هـ (١٨١٤ م) بعد أن شهد العظمة التى بلغتها بلاده ، وقد كان سعيدا بموته قبل أن يرى ماذا حل بها على يد الدولة .

٥ — عبد الله بن سعود بن عبد العزيز

تولى عبد الله بعد وفاة أبيه وكان محمد على باشا هاماً بمحاربة أهل نجد منذ ثلاث سنين بواسطة جيش أمر عليه ولده طوسون ومع أن الجيوش المصرية أخرجت

أهل نجد من الحجاز فى خلال سنتين فان القضاء على حكم آل سعود وفتح الدرعية لم يتم إلا خلال سبع سنوات كلفت الجانبين : الجانب النجدى والجانب التركى المصرى أموالا وأرواحا عديدة ، فقد وصل الامير طوسون بن محمد على باشا فى فتوحه الى بلدة الرس فى أول القصيم من جهة الغرب ولكنه لم يستطع التقدم أكثر من ذلك ، فعقد مع عبد الله بن سعود صلحاً عاد بعده الى مصر ، حيث توفى بالاسكندرية .

وكأنَّ صلح طوسون لم يرض محمد على ولا الباب العالي فجهز محمد على جيشاً جديدا من العساكر النظامية والالبان والمغاربة وبدو الحجاز ، وأمَّر عليه ولده ابراهيم باشا الذى وصل الى المدينة عام ١٢٣١ هجرية (١٨١٦م) واحتل الحناكية الواقعة على بعد تسعين ميلا شرق المدينة ، وحينما استوثق من ولاء عربان مطير وشمر وأحلافهم سار الى الرس فحاصرها أربعة أشهر ثم افتتحها بعد حصار طويل .

ثم رحل ابراهيم باشا الى عنيزة فسلمت له وتبعتها البلاد الاخرى فسلمت بريدة بعد وقت قصير ، ثم انصرف ابراهيم الى جنوبى القصيم واجتاز الى الوشم وافتتح أهم بلدانه شقرا وسار منها الى حرمة حيث لقى مقاومة عنيفة من أهلها .

ولم تجدِ ابن سعود قوته وحنكته ولم تفده قبائله وجيوشه ، فسقطت البلاد النجدية واحدة تلو الواحدة فى قبضة ابراهيم الظافر الذى وصل هو وجيوشه الى الدرعية فى جمادى ١٢٣٣ (ابريل ١٨١٨) وقد دافع المحصورون من آل سعود وقومهم عن الدرعية دفاع الابطال ، وكان ابراهيم على وشك العودة فاشلا من عمله ، بسبب نقص مؤونته وذخيرته واحتراق قسم كبير من مخيمه ، الا أن وصول الامدادات شددت عزمه على الحصار فسلمت الدرعية وسلم عبد الله بن سعود وكبار عائلته الى الظافر فاستاقهم الى المدينة المنورة وأركبهم الى مصر ثم الى الاستانة ، فاحتزت رؤوسهم فيها .

أما ابراهيم باشا فانه عملا بأوامر والده الواردة من مصر دمر الدرعية وجعلها قاعاً صفصفاً وهدم مساجدها وقصورها وقطع نخيلها وشجرها ولم يترك فيها عامراً .

وفى هذه الآونة قام أحد أبناء آل معمر أمراء العيينة واستولى على بعض العارض والوشم والقصيم وحالف عسكر الحكومة العثمانية فقام مشارى بن سعود الكبير لمقاومة ابن معمر ولكنه غلب وألقى القبض عليه وسلم الى المعسكر التركى وقتل .

وكان تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود (ابن عم سعود الكبير) فاراً فى مقاطعة الخرج فعاد الى العارض ونازع ابن معمر وقتا غير طويل وقتله بابن عمه مشارى وتولى الحكم مكانه .

٦ — تركى بن عبد الله بن محمد بن سعود

بولاية تركى ينتقل الحكم فى آل سعود من سلالة عبد العزيز بن محمد الى سلالة أخيه عبد الله بن محمد وتبقى فى هؤلاء الى يومنا الحاضر .

فى أواخر سنة ١٢٣٧ هـ (١٨٢١ م) أرسل الترك أحد قوادهم المدعو حسين أبو ظاهر المشهور بقسوته وغلظته لاجل تمكين السيطرة العثمانية بعد انسحاب ابراهيم باشا المصرى وكانت الجيوش تخيم فى المراكز الرئيسية فى نجد فى الرس وشقرا وبريدة وعنيزة وثرمدا والمفوف ولكنهم انسحبوا من الاخيرة نظراً لصعوبة المواصلات .

فلما تولى الامام تركى أخذ على عاتقه دفع الترك والمصريين بمعونة ولده فيصل فتوفق الاثنان خلال عشرين سنة فى الحرب والنزال الى اجلائهم عن داخلية البلاد العربية سنة ١٢٥٦ هـ (١٨٤٠ م) . وأول عمل بدأ به تركى توحيد الناس وتأليف القلوب فأعاد سلطته على كل العارض وكانت جيوش الترك تعاونها قوات مطير وشمر بزعامة فيصل الدويش تناضل قوات تركى وولده فيصل دون أن تنال منهما .

وتمكن الامام تركى من فتح الحسا والقطيف بواسطة ولده فيصل وعقد مع صالح بن على أمير حائل وزعيم شمر صلحاً اكتسب به نفوذا تاما على أكثر الجبل والقصيم. ولكنه بعد حكم دام عشر سنين اغتاله أحد أبناء عمه المدعو مشارى بن عبد الرحمن بن سعود طمعاً فى أن يتولى مكانه مع أن هذا كان منفيا الى مصر فحينما عاد منها أكرمه عمه تركى وعينه أميراً على المنفوحة وقربه اليه فكان جزاؤه منه أن قتله غيلة فكان قتله أول جريمة سياسية من نوعها فى آل سعود.

وكان الامير فيصل بن تركى نجل الامام المقتول على رأس جيش محارب فى أطراف القطيف فلما سمع بخبر اغتيال والده أقبل على جناح السرعة وتمكن من قتل مشارى والاستيلاء على كرسى الحكم عام ١٢٤٦ هجرية (١٨٣٠ م).

ان حادثة قتل الامام تركى لها أهمية مضاعفة. فهى أول جناية سياسية عائلية وهى التى أنتجت فيما بعد أوخم العواقب لآل سعود لكونها أساس حكم آل الرشيد.

٧ – فيصل بن تركى

ظل فيصل يناضل ويقاتل تسع سنين الا انه رضخ بعد ذلك للاقدار واستسلم للقائد خورشيد باشا الذى أرسل من المدينة لاخضاع نجد لحكم الدولة فخورشيد باشا هذا هو الذى ثبت عبد الله بن رشيد على حائل ووافقه على طرد ابن على منها وهو الذى انتزع الامام فيصل من امارته واستاقه معه الى مصر فمكث فى الاسر وقتاً غير قصير.

وكان برفقة خورشيد باشا أحد أفراد عائلة آل سعود المدعو خالد وهذا كان حائزاً لثقة المصريين جلبه الباشا لكى يستميل به أهل نجد ويكون آلة بيده ينفذ بها أغراضه وأغراض الدولة. وكان خالد هذا بعيداً عن عادات قومهم فنفر منه أهل نجد وخلعوه بعد سنتين تقريبا وولوا الامارة بعده عبد الله بن ثنيان الذى لم يدم حكمه الا بعض السنة.

وفى هذه الاثناء عاد فيصل من أسر محمد على باشا واستعاد الحكم مرة ثانية وبقى فيه الى عام ١٢٨٣ هـ (١٨٦٠ م) وامتدت سلطته على الحسا والقصيم والعارض حتى أطراف الحجاز وعسير ولم تكن عنيزة فى القصيم تابعة لفيصل لانه اعترف لاميرها زامل آل سليم ببعض الاستقلال فى شئونها .

لم تعش حكومة فيصل القوية الا مدة حياته . وحين وفاته وقع الاختلاف بين أبنائه الاربعة سعود وعبد الله ومحمد وعبد الرحمن فأدى ذلك الى اضعافهم جميعا واستيلاء ابن رشيد على بلادهم وبوفاة فيصل يبدأ الدور الثالث الذى وسمناه بأنه دور الفتن الاهلية والاختلال الداخلى والاستيلاء الرشيدى .

٨ — الفتنة بين أبناء فيصل

حين وفاة فيصل كان ابنه محمد أميراً على المنطقة الشمالية وكان سعود أميراً على الخرج والافلاج وكان عبد الله أميراً فى الرياض وكان ولده الصغير الامام عبد الرحمن فى الرياض بجانب أخيه عبد الله .

فتولى عبد الله بن فيصل الامارة الا ان أخاه سعود الذى كان فى الخرج لم يطعه وحاول الخروج عليه . لجأ الى آل عائض فى عسير فلم ينصروه وعاد الى نجران خائباً وعقد اتفاقا مع أقاربه من العجمان وآل مرة على المقاومة وأعانهم آل خليفة وابن حثلين تجاه الهفوف واستولى عليها قبل أن يصل أخوه عبد الله بالمدد لنصرة السديرى أمير الحسا من قبله . فبلغ عبد الله خبر سقوطها فى منتصف الطريق فقسم جنوده الى أقسام وأصدر اليها الاوامر لكى تجتمع على ماء (جوده) فالتقى الجيشان هنالك عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧٠ م) ودارت الدائرة على الفريقين الا ان خسارة عبد الله كانت أعظم ففر من بلاده الى عنيزة ولكن ابن سليم لم يقبله فيها فلجأ الى حائل فرفض ابن رشيد قبوله أيضاً فاتجه الى مطير فنصره سلطان الدويش .

وأخيراً يئس عبد الله من بلاد العرب فحول وجهه شطر مدحت باشا فى بغداد فاستفاد الوالى الطموح من ذلك وأرسل معه جيشا بقيادة نافذ باشا الى الحسا فاحتلها وجعلها متصرفية عثمانية تابعة للبصرة . وكانت نتيجة عمل عبد الله ابن فيصل انه أراد أن ينزع الحسا من أخيه سعود فخسرها هو أيضا وكان الربح للدولة العثمانية عام ١٢٨٨ هـ (١٨٧١م) .

حاول سعود بن فيصل أن يستعيد الحسا ولكنه ارتد عنها خائبا ثم أراد الاستيلاء على ديار عتيبة فقابل ابن ربيعان فى معركة حامية جُرح فيها جرحاً بليغاً نقل على أثره الى الرياض ومات متأثراً من جرحه عام ١٢٩١ هـ (١٨٧٤ م) .

٩ — عبد الله بن فيصل

بعد وفاة سعود رجع أخوه عبد الله من منفاه الاختيارى الى الرياض ولكن أولاد أخيه سعود المتوفى لم يخضعوا له وظلوا فى الخرج .

وحاول عبد الله أن يسترجع الحسا من الترك أيضاً فحبط فى مشروعه وحاول عام ١٢٩٦ هـ (١٨٧٩ م) أن يظهر صولته فى القصيم فاستولى على عنيزة الا أن بريدة قاومته مقاومة عنيفة واستنجد أهلها بمحمد بن رشيد من حائل ، فجاءها هذا وفكها من نفوذ ابن سعود وحازها لنفسه ، واستسلم عبد الله للتقادير ، وعمل جهده للاستنصار بعتيبة وسبيع لغزو ابن رشيد فى دياره ولكن مسعاه حبط وتمكن منه أولاد أخيه سعود فحاصروه فى الرياض ثم أسروه .

فاستنجد عبد الله بمحمد بن رشيد الذى جاءحالا الى الرياض وفك عبد الله من أسره وطرد أولاد سعود الى الخرج . وعرض الظافر على الامام عبد الله الفيصل أن يبقى فى ملكه وانه ما أتى الا فزعة له وأصر عليه بذلك فلم يقبل عبد الله الا الذهاب مع محمد الى حائل وذلك سنة ١٣٠٦ و بعد أن أقام فى حائل سنة طلب الرجوع الى الرياض فتوفى بعد وصوله بخمسة عشر يوما عام ١٣٠٧ .

١٠ — الامام عبد الرحمن بن فيصل

يتلخص حكم الامام عبد الرحمن بأنه محاولة من جانبه للافلات من الوقوع فى براثن العدو الشمالى محمد بن رشيد ، ومحاولة هذا أن يبسط سلطانه على كافة البلاد الخاضعة لابن سعود بصورة نهائية . رجحت كفة ابن رشيد فى آخر الأمر ولم تغن حكمة عبد الرحمن وشجاعته وحسن إدارته شيئاً .

تخلص ابن رشيد قبل كل شيء من أبناء سعود بأن أمر مندوبه سالم السبهان باغتيالهم فدبر لهم مهلكا قتل فيه ثلاثة و بقى عبد العزيز بن سعود الذى أخذ مع كافة العائلات الى حائل .

ومع أن عمل محمد بن رشيد كان فى الظاهر تعضيداً للامام عبد الرحمن فان حقيقته كانت بعكس ذلك . حاول مرات عديدة أن يوحد كلمة الناس على ابن رشيد فلم يفلح وأرسل محمد بن رشيد الاسرى من آل سعود ليعلم عبد الرحمن ضمناً أنه لا يستطيع حراكا . فما كان من الامام الا أن تحالف عام ١٣٠٨ ﻫ (١٨٩١م) مع زامل آل سليم أمير عنيزة وحسن بن مهنا أمير بريدة على أن يقوموا معاً بحركة يقضون بها على ابن رشيد فاجتمعت الجموع فى محل واقع غربى القصيم اسمه مليدة فدارت الدوائر على أهل القصيم وأحلافهم .

وقدم الامام عبد الرحمن الى حائل فاقام فيها برهة قصيرة ثم عاد منها الى الرياض ليعد معداته للرحيل الى قطر ، ثم الى الكويت حيث أقام فى ضيافة الحكومة العثمانية بضع سنوات بقرب آل صباح ، ولم يعد الى الرياض الا بعد قيام ولده عبد العزيز لاسترجاع ملك آبائه .

١١ — محمد بن فيصل بن تركي

والحكم الرشيدى

بعد انسحاب الامام عبد الرحمن من الرياض ولى ابن رشيد محمد بن فيصل ابن سعود مكان أخيه، ولكن لم يكن لمحمد سلطة حقيقية. كان له مظهر الامارة والحكم بالاسم وكانت قوة ابن رشيد هى العليا ودامت الحال بضع سنين وابن رشيد يعمل جهده للقضاء على عوامل الشغب والفتنة فوفق فى عمله، وأصبح السيد المطاع فى الجزيرة.

وتوفى محمد فى الرياض فلم يعين الرشيدى أميراً من آل سعود بل أرسل أحد أتباعه أميراً على العارض وقضى على حكم آل سعود نهائياً.

وتمخضت الايام عن شبل جديد من آل سعود الاشاوس نهض من منفاه فى الكويت عام ١٣١٨ من الهجرة لاسترجاع ملك آبائه فوفقه الله الى ذلك، وكان من أثر جهاده قيام هذه المملكة الكبرى التى نسميها: «المملكة العربية السعودية».

الفصل الثالث عشر

آل الرشيد

عبد الله بن على الرشيد ـ طلال بن عبد الله ـ متعب بن عبد الله ـ بندر ـ محمد بن عبد الله بن رشيد ـ عبد العزيز بن متعب ـ سلطان وسعود ـ وكالة السبهان عقاب بن عجيل ـ عبد الله المتعب ـ محمد الطلال .

---

١ ـ عبد الله بن على الرشيد مؤسس الامارة

فى أوائل القرن الثالث عشر الهجرى كانت بلاد شمر وقبائلها خاضعة لامراء من عشيرة الجعفر من فخذ الربيعية من بطن عبدة من قبيلة شمر . وكان الامير هو محمد بن عبد المحسن بن على . فلم يطل به الأمر حتى ظهر له منافس قوى فى شخص على بن رشيد الذى ينتمى الى الجعفر أيضاً . وكان لعلى بن رشيد ولدان : عبد الله وعُبيد الله (ويسمى هذا الاخير للاختصار عبيداً) كانا على الدوام بصحبة عيسى ولد الامير بن على كما كان والدهما صديقاً للامير نفسه . وأدى تخوف محمد بن عبد المحسن من عبد الله بن على بن رشيد أن تحبب اليه بمختلف الوسائل ومنها تزويجه بابنته .

ولكن هذا التحبب وذلك الطموح لم يمكن التأليف بينهما ، فما كادت العساكر المصرية والتركية تشرع فى الانسحاب من نجد عام ١٢٣٦ هـ (١٨٢١) ميلادية حتى انتقل النزاع بين ابن على وابن رشيد من حيز القول الى حيز العمل واضطر عبد الله بن رشيد الى الفرار من حائل والالتجاء الى الحلة فى العراق ثم الى الرياض التى كان الامير تركى بن سعود شارعاً فى انشائها بعد انسحاب الترك والمصريين ، وعقدت بين عبد الله بن رشيد وفيصل بن تركى صداقة وطيدة كان

من نتيجتها استفزاز تركى آل سعود للاستيلاء على حائل والانتصار لصديقه عبد الله بن رشيد على خصمه محمد بن على .

وحينما قتل الامير مشارى بن عبد الرحمن بن سعود الامام تركى ابن عمه واستولى على الامارة فى الرياض كان فيصل بن تركى غائباً فى غزوات قام بها على القطيف فلما بلغه الخبر عاد الى الرياض ومعه عبد الله بن رشيد الذى أظهر بسالة تستحق الذكر فى قتل مشارى واستعادة الامارة لفيصل ، وكانت مكافأة فيصل لعبد الله على حسن صنيعه أن عينه حاكماً على حائل محل ابن على ، فدخل عبد الله حائلا بعد غياب أربع عشرة سنة وجمع حوله أنصاره وأصدقاءه وكان على رأسهم أخوه عبيد .

ولكن عبد الله بن رشيد لم يستطع الاحتفاظ بحائل طويلا ، لأن عيسى بن على التجأ الى الترك فى القصيم فنصروه وأعادوه الى حائل واضطروا عبد الله بن رشيد وكافة أهله الى الفرار منها والالتجاء الى واحة الجبة الواقعة وسط النفود .

ثم ان عبد الله اغتنم فرصة رجوع العساكر التركية من مناصرة ابن عيسى فهجم مع أتباعه على قرية قفار التى هى من أملاك ابن عيسى وجعلها مقر امارته وجاءت قوة عسكرية قوية من المدينة الى جبل شمر عام ١٢٥٤ هـ (١٨٣٨ م) برئاسة خورشيد باشا والى مصر فقابلها عبد الله بن رشيد فى المستجدة وقدم الى خورشيد باشا خضوعه وقدم له هدايا وفيرة جعلت الباشا يوافق على مناصرة عبد الله واجلاسه على كرسى الامارة فى حائل مقام أميرها عيسى بن على الذى فر الى المدينة المنورة فقتل فى الطريق قبل أن يبلغها .

ومنذ ذلك الوقت استتب الأمر لابن رشيد فى حائل والبلاد التى حواليها ثم أرسل أخاه عبيد الى الجوف فى وادى السرحان وأجبر قبائلها على الخضوع ودفع الزكاة له . وكان يعتمد على خورشيد باشا وعلى مساعدته له فلم يخش بأساً من توسعه وبسط نفوذه على سائر العشائر فى الجبل وأطرافه .

وشرع عبد الله فى اتمام بناء قصر برزان فى حائل وكان ابن على شارعاً فى بنائه . ومات عام ١٢٦٣ ﻫ (١٨٤٧ م) تاركاً من الاولاد ثلاثة : طلال، ومتعب ، ومحمد بعد أن حكم اثنتى عشرة سنة .

٢ — طلال بن عبد الله

خلف طلال والده عبد الله وكان عاقلا حكيما سعى جهده لاصلاح حالة البلاد التى تركها له أبوه . واهتم الناس على زمانه بالصناعة واصلاح ما دمرته الحروب السابقة ، ونعمت البلاد بنعمة الراحة والسكينة ، وتم على زمان طلال ثلاثة أمور جوهرية :

أولا : فتح وادى السرحان والحاقه رأساً بامارة ابن رشيد وتعيين حاكم رشيدى على الجوف وسكاكة وسواها من قرى وادى السرحان عام ١٢٦٩ ﻫ (١٨٥٣ م) .

ثانياً : فتح خيبر وتيماء وضمها الى أملاك ابن الرشيد بعد انسحاب الترك منها

ثالثاً : اتمام بناء قصر برزان فى حائل .

وقد دام حكم طلال ٣٢ سنة ومات عام ١٢٨٥ ﻫ عن عمر يبلغ ٤٥ سنة متأثراً من جرح أصابه ، وقيل انه انتحر تاركا من الاولاد ستة لم يمت واحد منهم موتاً طبيعياً بل قتلوا جميعهم قتلا كما سيأتى بيانه .

٣ — متعب بن عبد الله

تولى الامر بعد وفاة طلال أخوه متعب الذى كانت له آراء خاصة فى شئون الامارة ، فجمع حوله أكثر المتقدمين فى السن من عائلته وقربهم منه وبذل لهم خيراته . فحفظ أولاد أخيه المتوفى طلال عليه وعملوا بكل ما أوتوا من قوة لجمع عدد غير قليل من الشبان المتحمسين حولهم . ولم يدم حكم متعب طويلا إذ قام عليه أبناء أخيه وقتلوه أمام قصره برزان .

٤ — بندر بن طلال

ما كاد يذاع خبر مقتل متعب حتى خاف أهل حائل من نتائجه، وفر كبار الرشيد وعلى رأسهم عبيد أخو عبد الله المؤسس ومحمد بن رشيد الى الرياض للاستنصار بآل سعود على أبناء طلال . ويقال ان عبيداً مات فى الرياض وبعضهم يقول انه مات بعد رجوعه منها الى حائل ، وقد بلغ من العمر عتيا .

والظاهر أن السعودى نصح محمد بن رشيد بالهدوء والموادة الى أن تحين الفرصة المناسبة للانتقام من المعتدين ، فقبل محمدٌ النصح ومكث فى حائل دائباً ليله ونهاره لاجتذاب الناس الى جانبه . وعينته الدولة أميراً للحج العراقى ، ففى حج عام ١٢٨٨ أوصل محمد الحجاج الى العراق وقفل فى ربيع الثانى من العام المقبل وجلب معه الى حائل قبائل الظفير الذين كانوا ممنوعين على عهد بندر من القدوم اليها . فلما وصل محمد قابله بندر خارج الديرة بقرب حائل فأعلمه الاول بما فعل وانه جلب الظفير بوجهه فلم يقره بندر على فعلته ورفض وجاهته . فتمكن محمد من قتل بندر فى تلك الساعة وهو على ظهر فرسه وقتل اثنين من اخوانه وهما بدر ومسلط . وتولى محمد الحكم وفتك باخوان بندر كلهم خلال السنتين المقبلتين وهم نهار وعبد الله ونائف ، ويقال ان نائف قتل أثناء لعب الخيل بسهم أصابه من يد مجهولة بحضور الامير محمد .

٥ — محمد بن عبد الله الرشيد

لم تبلغ قوة آل الرشيد مابلغته على يد محمد فقد أصبح بعد جهاد وجلاد طويلين أميراً على سائر البلاد النجدية من وادى السرحان الى وادى الدواسر ومن تيماء وخيبر الى قرب الخليج الفارسى . وكثيراً ما كانت سلطته تمتد الى تدمر وجبال حوران .

وقد يسرت له الاقدار الاستيلاء على امارة ابن سعود في العارض نظراً للخلاف الذي نشأ بين أولاد فيصل بن تركي فقد اقتتل سعود وعبد الله ولدا فيصل ولم يستفد مما حصل إلا محمد بن رشيد .

وثارت القصيم على حكم محمد واتفق أهل عنيزة وبريدة مع الامام عبدالرحمن ابن فيصل بن سعود في الرياض على مقاومة حكمه ولكن هذا تغلب عليهم في المليدة فقتل زامل السليم وابنه علي وأخذ حسن بن مهنا أمير بريدة أسيراً الى حائل ومات فيها بعد ثماني سنوات وقتل من أهل القصيم في المليدة ثلاثة آلاف وخمسمائة رجل وكان مع أهل القصيم قسم من عتيبة ومطير وقتل من جمع ابن الرشيد أربعمائة رجل أما موقع المليدة فهو غرب القصيم على بعد ست ساعات .

وحينما رغب محمد بن رشيد في نصب الامام عبد الرحمن أميراً على الرياض مقابل سعيه لوضع كافة بلدان ابن السعود تحت حكمه رفض الامام عبد الرحمن ذلك وانسحب الى قطر والبحرين عام ١٣٠٩ هـ (١٨٩١م) ثم استقر به المقام في الكويت كما ذكرناه في موضعه .

ومنذ ذلك الحين استتب الامر لمحمد في سائر البلاد النجدية ولم يبق أمامه من ينازعه إلا ابن صباح أمير الكويت فعاكسته رياح التقادير وجرت عليه منازعته مع الصباح الوبال غير أن محمد بن رشيد لم يشاهد بعينه سقوط عائلته بل ظلت في مظهرها الخارجي قوية محترمة . ومات محمد عام ١٣١٥ هـ (١٨٩٧ م) بذات الجنب .

٦ — عبد العزيز بن متعب

كان عبد العزيز بن رشيد من طراز مخصوص . فلم يكن يعلم أساليب السياسة ولم يكن يعتمد في امارته عليها بل كان كل ما يفكر فيه الاعتماد على القوة . ولذلك فانه طيلة السنوات الثمانية التي تولى فيها الامارة لم يكن يقيم طويلا في حائل .

وبالرغم من مواتاة الظروف السياسية له فانه ما استطاع الاستفادة منها . كانت الحكومة العثمانية حتى ذاك الحين غير مكترثة بشؤون البلاد العربية ولكنها بعد أن عزمت على مد السكة الحديدية وخط التلغراف من الشام الى المدينة المنورة كان لابد لها من أمير عربى يتعهد لها بمنع القبائل من تخريب الخط ويتعهد لها بحراسته والدفاع عنه . ومن جهة ثانية كانت فى حاجة الى قوة عربية تستطيع أن تسوقها ضد مبارك بن صباح الذى ظهر منه مايفيد عدم مبالاته بالترك وانحرافه الى جهة الانكليز . وأخطأ عبد العزيز خطأً فاحشا فى اطلاق سراح الاسرى المقيمين فى حائل من آل سعود فان هؤلاء بعد مرور وقت قصير انقلبوا عليه واتفقوا مع أعدائه للكيد له .

وصرف عبد العزيز أكثر أيامه فى شن الغارة على ابن صباح وقومه وكانت الحرب بينهما لاتخمد فضعف أمره وقوى أعداؤه . واستفاد من ذلك الاميرعبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود الذى كان مقيما فى الكويت فانهذهب عام ١٣١٩ بسرية من قومه وعشيرته الاقربين الى العارض واحتل الرياض وقتل فيهاعجلان الامير المنصوب من قبل ابن رشيد وأنشأ لنفسه امارة ثلّت فى الختام عرش ابن رشيد وقضت على عائلته .

وقد قتل عبد العزيز بن رشيد فى الطرفية بقرب بريدة فى معركة حامية الوطيس بينه وبين قوات ابن سعود كان النصر فيها للأخير عام ١٣٢٤ ﻫ .

٧ — سلطان وسعود بن رشيد

ان تاريخ عائلة الرشيد بعد قتل عبد العزيز بن متعب حتى سقوط تلك العائلة نهائياً على يد ابن سعود بعد ذلك بخمس عشرة سنة عبارة عن مأساة دموية مثلت أدوارها فى حائل فقد تولى الامارة خلال هذه المدة القصيرة بضعة عشر أميراً أو نائباً للامير .

تولى الامارة بعد عبد العزيز ولده متعب . إلا أن أمرها لم يدم له طويلا فقتل هو وأخوه مشعل على ايدى سلطان وفيصل وسعود أبناء حمود آل عبيد وبعد مضى بضعة أشهر أخرى قتل سلطان محمداً أخا متعب الثالث ولم يبق من نسل عبد العزيز إلا طفل صغير عمره ثمانى سنوات اسمه سعود فقد نجا بسعى أخواله آل السبهان وفرارهم به الى المدينة المنورة .

وفى زمان سلطان بن حمود هذا فقدت امارة حائل مقاطعة القصيم نهائياً كما أنها أضاعت مقاطعة خيبر .

ولم يدم سلطان فى الحكم طويلا فقتله أخواه سعود وفيصل .

أما سعود فقد عين أخاه فيصلا أميراً على الجوف لكى يتخلص من شره وبالرغم عن هذه الجرائم العائلية فان آل حمود لم يتمتعوا بالحكم طويلا فانتهز المخلصون لاولاد عبد العزيز بن متعب فرصة عدم الاستقرار فى حائل وجلبوا سعود الصغير من المدينة ونصبوه أميراً عليهم وحصلت بعد ذلك مجزرة دموية قتل فى خلالها أكثر أفراد عائلة آل عبيد وفر فيصل بن حمود من الجوف والتجأ الى ابن سعود فى الرياض ومات قبيل احتلال حائل وإزالة حكم الرشيد عنها بقليل

٨ — وكالة آل السبهان بالنيابة عن نسيبهم سعود بن عبد العزيز المتعب

بما أن سعود كان قاصراً فقد ناب عنه فى ادارة الاحكام خاله حمود السبهان ولكن هذا مات مسموما بيد مجهولة فتولى الوكالة بعده زامل السبهان وفى زمان هذا خرجت الجوف ووادى السرحان من حكم الرشيد .

وأدرك زامل أنه من الصعب عليه مقاومة هذا العدد الكبير من الاعداء فقد كان محاطاً بهم من كل جانب فى الجنوب ابن السعود وفى الشرق ابن صباح ومن والاه من القبائل وفى الشمال الرولا وابن شعلان فلم يجد طريقا أسلم من أن يصطلح مع ابن سعود فعقد معه اتفاقا اعترف له فيه بالسلطة العليا . ثم أنه اتفق مع

الترك فنصروه وأمدوه بما يلزم من أسلحة وذخيرة ومال . ولكنه قتل فى ربيع عام ١٣٣٢ هـ (١٩١٤ م) بيد أحد أقاربه سعود بن سبهان . بعد وفاة حمود السبهان وقتل زامل السبهان لم يكن للامير سعود بن رشيد وكيل رسمى فى الامارة إلا أنه كان يستعين ببعض الاعوان أهمهم شأناً عقاب بن عجيل وسعود بن سبهان وقد سمحت الفرص لسعود السبهان بالتلاعب من عدة وجوه فقد فاوض الترك وفاوض الفرنساويين وعمل جهده للاتفاق مع الانكليز بواسطة المقيم السياسى فى الكويت ولكنه لم ينجح .

وقد قوى نفوذ سعود السبهان فى حائل قبل فراره الى درجة جعلته يفكر فى قتل سعود الامير ويستولى على الامارة مكانه . ولكنه كان يعمل عملا لايستطيع أن يحققه فاكتشفت مؤامراته وفر الى قرب الزبير حيث دهمته منيته فيها عام ١٣٣٩ هـ (١٩١٩ م) .

٩ — عقاب بن عجيل

عهد الامير سعود بعد ذلك بادارة الاحكام الى عقاب بن عجيل وكان هذا عاقلا حازما شرع فى مفاوضة ابن سعود والتفاهم معه كما أنه تفاهم مع الشريف حسين فى مكة ولقى منه المساعدات الكثيرة طمعاً فى أن يسوقه ضد ابن سعود غير أن كل ذلك لم يجد آل الرشيد شيئاً إذ أن السوس قد نخر فى هيكل امارتهم والحزازات الاهلية عملت عملها فيهم ففى عام ١٣٤٠ قتل الامير سعود بن عبد العزيز بيد ابن عمه عبد الله بن طلال بن نائف ولكن هذا لم يهنأ بالامارة لانه قتل فى نفس الساعة بايدى عبيد الامير القتيل .

١٠ — عبد الله بن متعب بن عبد العزيز

وأجمعت الآراء بعد ذلك على نصب عبد الله بن متعب أميرا على حائل الا

ان هذا رأى مافى ادارة الامارة من مصاعب وسط الدسائس والمؤامرات العائليـة فقبض بعد توليه الامارة على محمـد بن طلال شقيق عبد الله الطلال قاتل الامير سعود والقاه فى السجن ، الا ان العلاقات مع ابن سعود كانت غير حسنة وكانت طلائع جيوش الاخير تهاجم جبل شمر وتغزو بلاده ومياهه ، كما ان ابن شعلان كان يهدد حائل من الشمال فرأى عبد الله ان الطريقة المثلى هى مصالحة ابن سعود فاشترط عليه الملك عبد العزيز عدم مداخلة آل الرشيد فى شئون شمر وهذا معناه عزل آل الرشيد عن الامارة فلم يمكنه قبول الشرط فوقعت الحرب بين الجانبين وكان من نتيجتها أن استسلم عبد الله المتعب الى جيوش ابن سعود فاقتيد الى الرياض ولا يزال الى الآن متنقلا بينها و بين مكة .

١١ — محمد بن طلال ونهاية امارة عائلة الرشيد

بعد استسلام عبد الله المتعب نصب محمد الطلال مكانه فأدار دفة الحرب برهة ثم انسحب الى حائل حيث حوصر هو وجماعته الى أن سلمت حائل لابن سعود فى ٢٩ صفر سنة ١٣٤١ (نوفمبر سنة ١٩٢١) ، وبذلك انتهى حكم آل الرشيد وضمت بلادهم الى حكم ابن سعود بعد أن دامت امارتهم ما يقرب من ٩١ سنة

الفصل الرابع عشر

أشراف أبو عريش وآل عائض والادارسة

اشراف ابو عريش – آل عائض – السيد محمد على الادريسي
زوال امارة الادارسة .

---

١ – أشراف ابو عريش

ان تاريخ شرافة أبو عريش قديم غير أن معلوماتنا عنه ناقصة جداً . ويرجع أساس الشرافة الى الاختلاف الذى كان سائداً بين سكان جبال اليمن وعسير وسكان التهائم . فان الاولين تشيعوا واتبعوا الامام زيد بن على وظل أهل التهائم شوافع سنيين . فنشأ عن الاختلاف مشيخات قبائلية ،وضعية فى أماكن عديدة أهمها حكومة زبيد التى كانت تشرف على شئون الشوافع فى تهامتى اليمن وعسير وتدفع أئمة صنعاء الزيديين عنها .

بدأت شرافة أبو عريش تظهر منذ احتلال الجيوش العثمانية لجنوبى الحجاز ولعسير واليمن ففى عام ١٠٠٦ هـ (١٥٩٧ م) اتفق مشايخ تهامة وفيهم شريف أبو عريش على القيام ضد الوالى حسن باشا الذى تولى من ٩٨٨ – ١١٠٣ هـ[١] .

---

(١) كتاب ظهور ائمة صنعاء تأليف ا . س . تريتون ص ٧ .

وجهز الترك حملة بقيادة أحد موظفيهم واشترك فيها بعض أشراف أبو عريش وصبيا للاستيلاء على صعدة، فالتقى بها جنود الامام الزيدى قبل وصولها وأفنوها وهرب قائدها الى الساحل عام ١٠٢٤ هـ.[١]

وفى عام ١٠٣٤ هـ ثار إمام صنعاء على العثمانيين وتمكن صالح بن أحمد المؤيدى من ضبط أبو عريش من أيديهم، ومن الاستيلاء على صبيا، وإلحاقها بالإمام الزيدى[٢].

وبعد ذلك بخمس سنوات أرسل والى مصر قائداً جديدا الى اليمن اسمه أحمد قانصوه فتمكن من استعادة البرك وصبيا وأبو عريش من أيدى أئمة اليمن الى حظيرة الدولة العثمانية[٣].

وتنقطع عنا أخبار شرافة أبو عريش الى أوائل القرن الماضى حينما ظهرت الدعوة السلفية فى نجد على يد حكومة آل سعود الاولى. فان الدعاة نشروها بين قبائل عسير وجنوبى الحجاز، وتبعها أكثر قبائل عسير السراة وعسير تهامة، وكان سعود بن عبد العزيز يجند قبائل عسير تحت امرة عبد الوهاب بن عامر المسمى أبو نقطة وهو أمير عسير ورجال المع ويرسلهم تارة الى الحجاز وطوراً الى اليمن، وهذه القبائل هى التى فتحت اللحية والحديدة[٤].

ففى عام ١٢٢٤ كان صاحب أبو عريش الشريف حمود أبو مسمار وكان قبل ذلك قد بايع سعودا وحالفه ودفع عشوره اليه وأوفد ابنه الى الدرعية لزيارته، ثم حصل بينه وبين عبد الوهاب أمير عسير السراة نزاع أدى الى رفعه الى سعود

---

(١) كتاب ظهور أئمة صنعاء تأليف ا. س. تريتون ص ٦١
(٢) « « « « « « « ص ٨٧
(٣) « « « « « « « ص ١٠٢
(٤) تاريخ ابن بشر ص ١٣٢ — ١٣٤.

للاصلاح بينهما ، فلم تنجح وساطة ابن سعود فى ذلك ، فاصدر أمره الى الشريف حمود لكى يجهز قوة ويذهب بها الى صنعاء فلم يفعل فحقد سعود عليه وأمر القوات بالمسير لقتاله ، والتقت القوات قوات آل سعود وفيها قبائل عسير و رجال المع وأهل الوديان وأهل بيشة وقحطان وشهران ، وقوات الشريف حمود وفيها دهم وحاشد و بكيل وهمدان ويام ، فى وادى بيشة . فقتل عبد الوهاب أمير عسير فى الوقعة الا أن الغلبة كانت لعساكر آل سعود ، ففر الشريف حمود الى تهامة ولجأ الى حصنه أبو عريش واحتلت العساكر بلاد صبيا وجيزان[١] .

وفى العام المقبل جهز عثمان المضايفى قوة من الحجاز وسار بها مع قوات عسير للقضاء على حمود واقتتلوا فى محل يسمى وَحْلة فكسر حمود وفر هارباً واحتل طامى ابن شعيب أمير عسير الجديد أبو عريش وتقدم منها الى اللحية والحديدة[٢] .

وتوفى الشريف حمود عام ١٢٣٣ وتولى ابنه أحمد مكانه وحصل بين أحمد وبين حسن بن خالد أمير صبيا نزاع ثم اتفقا . وفى هذه الاثناء جاءت القوات العثمانية والمصرية الى أبو عريش يقودها خليل آغا فألقت القبض على أحمد بن حمود وأرسلته الى مصر[٣] ولكن احتلال أبو عريش لم يدم طويلا فاضطرت القوات المصرية الى الانسحاب وتسليمها الى امام صنعاء الزيدى .

وعقد محمد على باشا اتفاقا مع الشريف حسين ، شريف أبو عريش ، للعمل معاً ضد امام صنعاء وضد قبائل عسير المنحازة الى آل سعود ، وتقدمت قوات الاثنين الى الجبال فاحتلت ابها عاصمة عسير عام ١٢٥٠ هـ (١٨٣٤ م) ولكنها لم تتمكن من البقاء فيها طويلا[٤] .

---

(١) ابن بشر ص ١٤٤ ــ ١٤٥
(٢) ابن بشر ص ١٤٩
(٣) ابن بشر ص ٢١١
(٤) تاريخ بلاد العرب لهوغارث ص ١٠٦

وحينما انسحب المصريون من البلاد العربية عام ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩ ـ ١٨٤٠م) وجد الشريف حسين نفسه قادراً على بسط نفوذه على سائر تهامة والحاقها بأبو عريش فوصلت قواته الى مخا جنوبي الحديدة واستولت عليها باسمه وظلت حكومته فيها وفى سائر تهامة الى أن شرع الترك فى استعادة قوتهم فى البلاد العربية فجردوا بتحريض الشريف محمد بن عون أمير مكة قوة عسكرية عام ١٢٦٥ هـ (١٨٤٩ م) أنزلت فى الحديدة وتمكنت القوة من فتح تهامة ودخول أبو عريش[١] .

وفى زمن حكم الشريف حسين المشار اليه قدم السيد أحمد بن ادريس الى صبيا ونال من عطفه ومساعدته ماجعل له شهرة عظيمة بين القبائل تمكن حفيده من الاستفادة منها حينما قام لتأسيس حكومة الادارسة فى مطلع القرن الحالى . وتوفى السيد أحمد بن ادريس فى صبيا عام ١٢٥٣ هـ (١٨٣٧ م) وظل أحفاده فيها . ولا ندرى كيف تغلب الادارسة على أشراف أبي عريش ولا كيف كانت آخرة الشريف حسين وأولاده وانما نعلم ان حكمهم ظل فى تهامة عسير واليمن ضعيفاً الى أن أزيل تماما على يد السيد محمد على الادريسى .

ذكر الشيخ عبد الواسع اليمانى فى حوادث عام ١٢٦٤ هـ ان امام صنعاء المتوكل عزم على انتزاع تهامة من يد الشريف حسين فجهز قوة تمكنت من أسر الشريف وحبسه فى قلعة القطيع فى تهامة فاستثارت ابنته قبائل نجران فخلصته من أسر المتوكل واستولت باسم الشريف على زبيد ونهبتها[٢] .

وذكر فى موضع آخر ان الشريف حسين ذهب الى الاستانة مستنصراً الحكومة

---

(١) كتاب بلاد العرب وضع وزارة الخارجية البريطانية ص ٢٤ وتاريخ بلاد العرب لهوغارث ص ١٠٦ ــ ١١١ .

(٢) تاريخ اليمن ص ٧١

العثمانية فأمدته بقوة قادها توفيق باشا وكان ذلك بدء استرجاع آل عثمان لعسير واليمن[١].

٢ - آل عائض

ينتسب آل عائض الى عشيرة آل أبو سراح من فخذ آل يزيد من بطن مغيد من قبيلة عسير وهم رؤساء قبيلة عسير المنقسمة الى أربع بطون كبيرة ذكرناها فى بحث القبائل العربية ومركزها بلدة ابها[٢] وسط جبال السراة فى عسير.

امارة آل عائض فى عسير، حديثة العهد ترجع الى أيام حكومة آل سعود وفتحهم عسير. وكانت الامارة قبل ذلك فى رجال المع ووليها أيام فتح سعود الكبير للحجاز رجل اسمه عبد الوهاب بن عامر المكنى بأبى نقطة صاحب الوقائع المشهورة فى الحجاز مع الشريف غالب وفى تهامة مع الشريف حمود أبو مسمار شريف أبو عريش[٣]. وبعد موته وليها ابن عمه طامى بن شعيب عام ١٢٢٤ الذى خانه حسن بن خالد أمير صبيا وسلمه الى قوات محمد على باشا فأرسلته الى مصر وصلب فيها. ثم ولى امارة عسير بعد ذلك على بن مُجَثَّل عام ١٢٤٩[٤]، ومن بعد على هذا تبدأ امارة آل عائض فى عسير السراة.

أما كيفية انتقال الامارة من قبيلة رجال المع الى قبيلة عسير فغير معلومة على وجه الصحة. وقد ذكر الريحانى أن عائض مؤسس العائلة كان من الرعاة فاستبسل

---

(١) تاريخ اليمن ص ٧٣ وايراد القصة على هذا النحو يخالف ما نقلناه عن كتاب وزارة الخارجية البريطانية عن بلاد العرب وتاريخ هوغارث.

(٢) تعرف انها باسم مناظر وهى مؤلفة من أربع قرى كبيرة واقعة فى منبسط تحيط به جبال مرتفعة عليها ابراج تحمى البلد.

(٣) أنظر النبذة السابقة وابن بشر ص ١٣٢ - ١٣٤.

(٤) ابن بشر م ٢ ص ٤٦

فى القتال ضد الجنود المصرية فقر به ابن مجثل اليه وأوصى به عند ابن سعود بعده فاثبته فى الامارة .[1]

بلغت قوة آل عائض أوجها أيام محمد بن عائض الذى ولى الامارة بعد والده ووسع حكمه على سائر عسير السراة وقسم من الحجاز غامد وزهران ، وقسم كبير من تهامتى عسير واليمن . فرأت الدولة العثمانية التى كانت من أقوى الدول أيام السلطان عبد العزيز أن ترك الامر على غاربه مضيع لهيبتها ومخرج لبلاد عسير واليمن من يدها . فجهزت حملة كبيرة بقيادة رديف باشا واحمد مختار باشا وسيرتها عام ١٢٨٥ .[2] وتوسط الشريف محمد بن عون بين الدولة وبين ابن عائض على أن يسلم العسيرى بلاده وأن تحفظ له الدولة أمواله وخيوله وحصونه وأن تعين له ولعائلته ولبعض الرؤساء مرتبات ومشاهرات . فوصل الفرمان بالامان من السلطان عبد العزيز بينما كانت الجيوش العثمانية بقيادة مختار باشا محاصرة ابها فاستسلم محمد الى مختار باشا وهذا أرسله الى رديف باشا فلم يعبأ بالفرمان واعدم ابن عائض وصارت عسير منذ ذلك اليوم تابعة للدولة العثمانية . وجعلت متصرفية مركزها ابها . ويتبعها ستة أقضية وهى : (١) بنى شهر أو النماص . (٢) غامد ومركزها رغدان . (٣) رجال المع ومركزها الشعبين . (٤) محايل ومركزها محائل . (٥) القنفذة . (٦) صبيا وأبو عريش .

ونقم آل عائض على الدولة وابتعدوا عنها الى أن كانت فتنة السيد محمد على الادريسى عام ١٣٢٩ فعادوا اليها . وعينت حسن بن على بن محمد بن عائض معاوناً للمتصرف سليمان شفيق كمالى باشا .

---

(١) تاريخ نجد الحديث ص ٢٦٩ ومما نلاحظه أن ابن مجثل لم يكن أميراً على عسير أيام سعود الكبير فقد كان ولاة عسير الاشخاص الذين ذكرناهم عبد الوهاب وابن عمه .

(٢) تاريخ اليمن ص ١٠٦ .

وظل حسن على ولائه للدولة طيلة الحرب العمومية وتعاون مع محيي الدين باشا متصرف عسير وقائد فرقتها لدفع عدوان الادريسى . واستقل بعد جلاء الترك عقيب الحرب بالبلاد وشرع فى ادارتها على شكل احفظ الناس وجعلهم يوسطون الملك عبد العزيز آل سعود فى أمرهم . فرفض حسن الوساطة وكان من الملك عبد العزيز أن جهز عليه قوة بقيادة الامير عبدالعزيز بن مساعد عام ١٣٣٨ﻫ (١٩٢١ م) وحصلت بين الفريقين معركة فى حجلة بين ابها وخميس مشيط انهزم آل عائض فيها وهربوا الى تهامة فأسر الادريسى حليف ابن سعود بعضهم واستسلم حسن ومحمد ابن عمه لابن مساعد فنهب بهما الى الرياض .

ووصلهما الملك عبد العزيز بالجوائز وأعاد حسناً ومحمداً الى أبها . ولكنهما عادا الى سابق سيرتهما وحاصرا أمير ابن سعود فى ابها واحتلاها . فلما رأى الملك عبد العزيز خيانتهما وما كان من غدرهما جهز حملة جديدة من أهل نجد بقيادة نجله الثانى سمو الامير فيصل عام ١٣٤٠ ﻫ (١٩٢٢ م) فوصلت الى عسير وحصلت عدة وقائع آخرها واقعة بين السرية التى أنفذها الشريف حسين بن على من مكة لامداد محمد بن عائض فقضى على السرية كما قضى على حصون ابن عائض وقلاعه واتبعت عسير السراة نهائياً بالمملكة النجدية واستيق حسن بن عائض الى الرياض ولا يزال فيها الى الآن .

٣ — السيد محمد على الادريسى

يبدأ تاريخ امارة الادارسة من محمد بن على بن احمد بن ادريس . وكان جده السيد احمد بن ادريس من أهل العلم والصلاح هاجر من المغرب وأقام فى مكة المكرمة برهة ثم ذهب الى تهامة اليمن لزيارة بعض تلاميذه ومريديه واستقر به النوى عام ١٢٤٦ (١٨٣٠) فى صبيا فى جوار الشريف حسين شريف أبوعريش

وأقام هنالك يبشر بطريقته الادريسية الى أن توفى بعد ذلك بنحو سبع سنوات .

قامت امارة السيد محمد حفيد السيد احمد على التراث الدينى الذى خلفه له جده بين القبائل وأعانته الظروف السياسية . وما كانت عليه الدولة العثمانية من تضعضع واهمال فى أواخر أيام السلطان عبد الحميد فراح يدعو الى نفسه دعوة اصلاح دينى أملا فى الوصول الى أغراضه السياسية .

ولد السيد محمد عام ١٢٩٣ ﻫ (١٨٧٦ م) فى صبيا وجاء الى مكة مجاوراً عام ١٣١٣ ﻫ ثم رحل الى القاهرة ودخل الازهر الشريف ثم ذهب الى واحة الكفرة مركز السنوسية وانصرف عنها الى دنقلة حيث أخواله بالسودان . ثم عاد الى صبيا مسقط رأسه فى أواخر سنى السلطان عبد الحميد فوجد مرتعا خصيبا لعمله وساعده على ذلك فساد الادارة وانتشار الرشوة وبعد البلاد عن مركز الحكومة ، والاستبداد القاهر ، فالتفت حوله الناس من كل حدب وصوب . وأرادت الحكومة العثمانية عجم عوده فارسلت اليه وفداً سار خلفه جيش كبير يقوده القائد سعيد باشا . فافهم الادريسى حالة البلاد للوفد وأنه وجدها معطلة فاسدة الادارة معدومة الامن فقام هو باصلاح أحوالها عن طريق الاصلاح الدينى وذلك فى مصلحة الدولة فخدع الوفد بأقواله ونال الادريسى من قائد الجيش اعلانا للقبائل يفوضه فيه بقيامه ببعض المهام فكان ذلك سببا فى ازدياد سطوته ونفوذه وعينته الحكومة قائمقاما لصبيا وأبى عريش .

وبعد برهة قصيرة ألّب على الحكومة العثمانية وأرسل من قبله قواداً لاحتلال البلاد ، ووجه ابن عمه السيد مصطفى الادريسى الى عسير السراة لاحتلال أبها وكان ذلك فى ذى القعدة عام ١٣٢٨ . وشدد الادريسى الحصار على أبها وفيها المتصرف سليمان شفيق كالى باشا الى أن فك الحصار عنها على يد القوة التى قادها

الشريف حسين بن على أمير مكة فى السنة التالية .

و تحصن السيد محمد بعد وصول القوات اليه فى جبل فيفاء ولكنه عاد الى تهامة بعد اعلان الحرب بين ايطاليا و الحكومة العثمانية و استولى على صبيا وجيزان وأبو عريش واتفق مع الحكومة الايطالية التى أمدته ببعض الذخيرة . غير أن علاقات السيد محمد مع ايطاليا وقفت عند هذا الحد واستبدل بها صداقة جديدة مع الحكومة البريطانية فى السنة الاولى من اعلان الحرب العمومية ، فانه عقد عام ١٩١٥ معاهدة صداقة ثم جددت هذه المعاهدة عام ١٩١٧ واعترفت له بريطانيا بالسيادة على تهامة حتى اللحية فى الجنوب والقنفذة فى الشمال و تعهدت له بحمايته من أى تعد خارجى ، كما انه تعهد بعدم تأسيس علاقات سياسية أو تجارية مع أية حكومة أجنبية .

واشتد ساعد السيد محمد بعد الحرب العمومية و استولى على الحديدة و تعاقد مع الملك عبد العزيز بن سعود للقيام معاً لتأمين مصالح الجانبين وظلت صلاتهما حسنة الى آخر أيام السيد محمد ، غير أن موقف السيد كان عصيباً نظراً لوقوعه بين عدوين كبيرين الامام يحيى فى اليمن والشريف حسين فى الحجاز ووقعت بلاده بعد وفاته فى شعبان عام ١٣٤١ ﻫ (١٩٢٣ م) فريسة فى براثن الفتنة فاستولى الامام يحيى على القسم الجنوبى منها وانضمت الاقسام الاخرى الى ممالك ابن سعود .

٤ — زوال امارة الادارسة

بعد وفاة السيد محمد الكبير ولى الامارة ولده على فاغتنم الامام يحيى حميد الدين الفرصة لاسترجاع تهامة منه فوفق الى ضبط الحديدة والاستيلاء على الساحل حتى مدينة ميدى . فثار أهل البلاد على علىّ وبايعوا عمه الحسن فلجأ السيد على الى جلالة الملك عبد العزيز أثناء فتحه للحجاز وما زال مقيما فى بلاطه حتى الآن .

أما السيد الحسن فانه أراد أن يقلد أخاه محمد الكبير ففاوض جهات عديدة .
فاوض الملك عبد العزيز مذكراً إياه بصداقة العائلتين . وفاوض الامام يحيى ،
وفاوض الايطاليين ، وفاوض كذلك الانكليز بواسطة ابن عمه مصطفى . وأثمرت
مفاوضاته مع الانكليز أنه أعطى لشركة أجنبية امتيازاً باستخراج الزيت من فرسان
بشروط مجحفة بحقوق البلاد والاهلين ، وبينما كان مندوبوه يفاوضون الامام
يحيى فى صنعاء نجح مندوبه الآخر وابن عمه مرغنى فى عقد معاهدة مكة بين الملك
عبد العزيز والحسن عام ١٣٤٥ هـ (١٩٢٦ م) ووضعت المقاطعة بموجب المعاهدة
تحت حماية نجد وقطعت جهيزة قول كل خطيب .

ولم يباشر الملك عبد العزيز حقوق الحماية فى أول الأمر إلا فيما يتعلق بامتياز
شركة الزيت فى فرسان فانه رأى فيه إجحافاً وغبناً فوفق الى الغائه ، وأبقى ادارة
البلاد فى يد هيئة حاكمة تحت رئاسة السيد واكتفى بارسال مندوب يكون الى
جانب الحسن يعاونه فى أعماله وحضر مندوبون من قبل الحسن الى بلاط الملك
عبد العزيز فى الطائف عام ١٣٤٧ لوضع القواعد الاساسية لادارة البلاد
فوافق الملك على اقتراحات وفد الحسن وجعل الادارة الداخلية وتأمين الامن
واعداد الجند للدفاع فى يد الحكومة المحلية واحتفظ بالشؤون الخارجية فقط . إلا
أن الادارة المحلية عجزت بعد سنتين عن ادارة الامور وتأمين الاحكام ، ولم
تكن قادرة على جباية الاموال الاميرية اللازمة لقيامها بالرغم عن مد الملك عبد
العزيز يد المساعدة لها .

وفى ١٧ جمادى الاولى عام ١٣٤٩ أبرق الحسن الادريسى الى الملك عبد العزيز
ما يأتى : « كتبكم برفقة العبدلى وصلت وتذاكرنا مع وفدكم فتقرر بموافقتنا ورضانا
اسناد إدارة بلادنا وماليتنا الى عهدة جلالتكم [1] . » وعهد الى مندوبين من

---

(١) مجموعة معاهدات وزارة الخارجية العربيه ص ٦٦

الجانبين لوضع التعليمات الاساسية التى تتمشى عليها المقاطعة بعد ذلك ، وأصبحت المقاطعة الادريسية مقاطعة من مقاطعات المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها وجعل للسيد الحسن مقام استثنائى ممتاز محافظة على كرامته وكرامة عائلته [١].

وبعد إعلان توحيد أجزاء المملكة الحجازية والنجدية وملحقاتها ، وجعلها مملكة واحدة باسم المملكة العربية السعودية كان من المنتظر اعادة تنقيح التشكيلات الادارية فى المقاطعة إلا أن الحسن اغتر بمواعيد بعض المفسدين فحاول أن ينقض بالقوة ماتعهد به من قبل برضاه التام ورفع علم الثورة ضد الحكومة فجردت عليه حملة تأديبية قضت على فتنته ، ووضعت حداً لحكم الاسرة الادريسية فى صبيا وجيزان وأبو عريش .

---

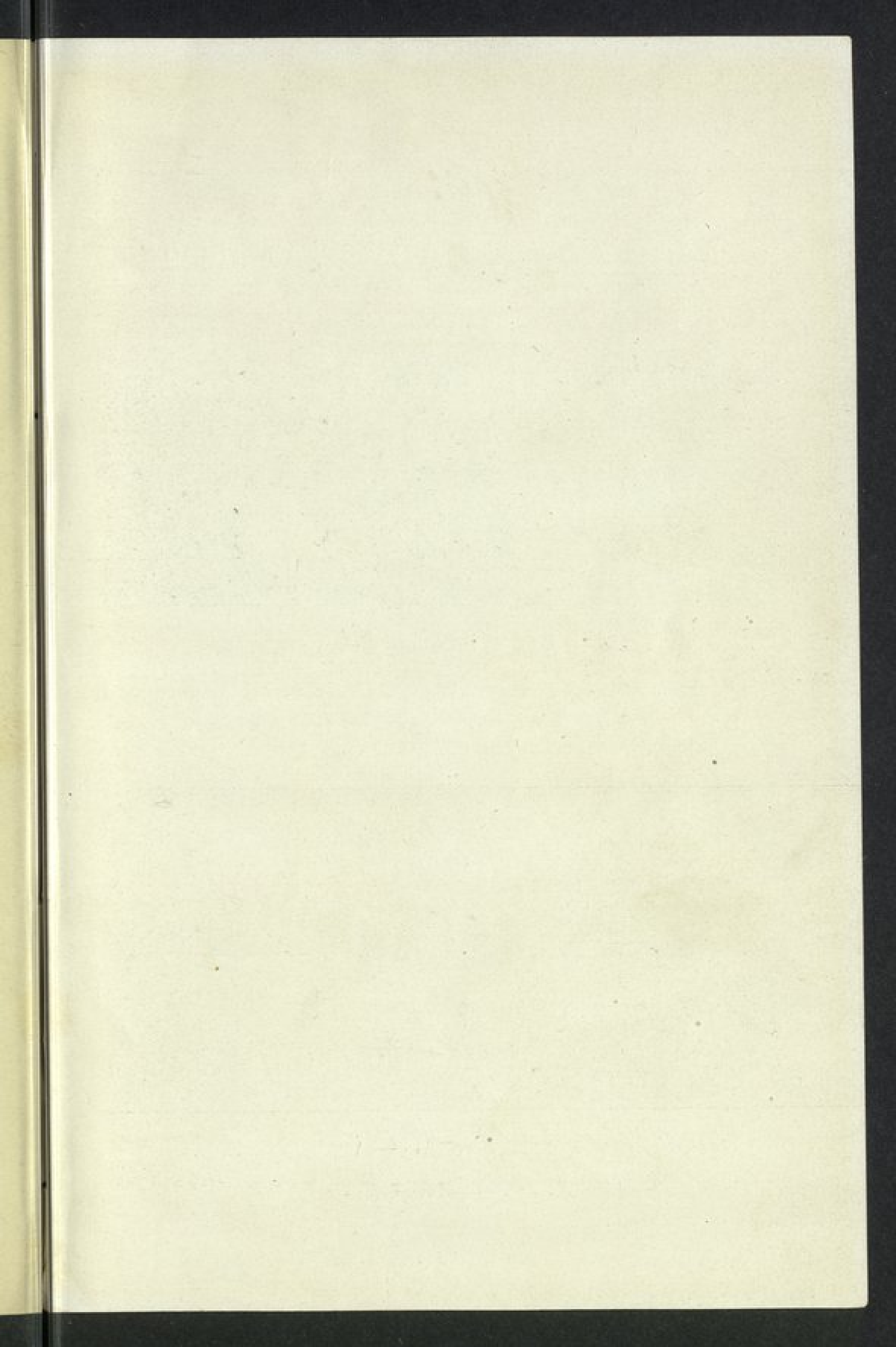
(١) أنظر الوثائق الخاصة بذلك فى مجموعة المعاهدات ص ٦٥ ـ ٧٦



١٨ — فوهة النيزك فى بلدة وبار الخرافية



١٩ — رمال الربع الخالى : عين سلى



الفصل الخامس عشر

الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود

نشأته – الاستيلاء على الرياض – التوسع فى الخرج والافلاج – الاستيلاء على سدير والوشم والمحمل والقصيم – القصيم بين ابن سعود والحكومة العثمانية وابن رشيد – الرشيد وأبا الخيل والعرائف والهزازنة – الاستيلاء على الحسا – الاخوان وتأسيس الهجر – موقف ابن سعود فى الحرب العمومية – احتلال تربة والخرمة – احتلال بلاد ابن رشيد – احتلال الجوف ووادى السرحان وعسير – فتح الحجاز – المملكة العربية السعودية .

---

١ – نشأته

ولد جلالة الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود فى الرياض فى شهر ذى الحجة عام ١٢٩٧ هـ (الموافق لشهر ديسمبر ١٨٨٠م) فى وقت كانت الاهواء السياسية فيه تتقاذف بمقدرات آل سعود ، وحكمهم فى نجد ، وتجعل من الاخ عدواً ومن الاصدقاء أضداداً وأخصاما . شاهد عبد العزيز اختلاف أعمامه وما جره على نجد عموما وعلى آل سعود خصوصاً من ذلة واستكانة ، ورأى محمد بن رشيد الظافر مستولياً على نجد ومنتزعاً السلطة نهائياً من آل سعود . ورأى والده المغفور له الإمام عبد الرحمن ، وقد انسحب من ميدان هذه الفوضى السياسية

والاخلاقية السائدة بين قومه ، تاركا نجداً وأهلها لحكم التقادير والظروف ، ورآه فى قطر ضيفاً غير مرغوب فيه ، ورآه فى الكويت وبين قبائل العرب الرحل باحثاً عن موطن يستقر به بافراد عائلته - الى أن سمحت الحكومة العثمانية له بالاقامة فى الكويت عام ١٣٠٩ ه (١٨٩١ م) .

أقام عبد العزيز فى الكويت مدة تقرب من عشر سنوات رأى فيها مبارك الصباح يقتل أخويه محمد وجراح ويرقى الكرسيّ الملطخ بالدم ؛ ورأى محمد بن رشيد فى إبان مجده وقد خلا له جو الحرب والسياسة فى أواسط بلاد العرب ، ورأى النزاع المستمر بين أمراء العرب فى الجزيرة ، ورأى التنافس الشديد بين السلطنة العثمانية والامبراطورية البريطانية - الهندية لبسط النفوذ والتوسع فى ساحل الخليج الفارسى ، واستجلاب هذا الامير واسترضاء ذلك الزعيم ، فكانت إقامته هذه المدة خير معلم له ، وكان له من مشاهداته واختباراته أيام شبابه الاولى ما جعله يعد نفسه لليوم الاكبر ، يوم شروعه فى عمله العظيم لاعادة مجد آل سعود ولإقامة صرح هذا الملك العربى الوطيد .

تولى مبارك الصباح حكم الكويت بعد قتل أخويه عام ١٣١٣ ه . وكان له أعداء ، سعوا به لدى الدولة العثمانية ، وأغروا ابن رشيد به . ويقال ان الانكليز حرضوا الدولة على التنكيل بمبارك مباشرة وبواسطة حليفها ابن رشيد على أمل أن يجد مبارك نفسه فى موقف حرج فيزج نفسه فى أحضان الأسد البريطانى الرابض فى الخليج . وسواء صدقت الرواية أم لم تصدق فان مبارك الصباح لجأ بناء على اشارة شيخ البحرين الى الانكليز وطلب حمايتهم فحموه من الترك ومن ابن رشيد وبذلك انقسم أمراء العرب الى مخيمين متعادين : أحدهما ينضوى تحت لواء الدولة بزعامة ابن رشيد والثانى ينضوى تحت لواء الانكليز بزعامة ابن صباح وبكلام أوضح حل النزاع بين الكويت وحائل بعد أن ساد بينهما الوفاق

زماناً وكان من مصلحة مبارك الاضرار بالرشيدى مهما كانت الاحوال . فاهتبل عبد العزيز بن سعود فرصة هذا النزاع وقام فى عصبة من قومه الاقربين للثأر من آل رشيد واسترجاع المجد التالد المضاع . ووفقه الله الى ما صبت اليه نفسه .

٢ — الاستيلاء على الرياض

استولى الشاب عبد العزيز على الرياض مرتين خلال مدة لاتزيد عن السنة . ولكنه اضطر لاخلائها بعد الاستيلاء عليها بمدة أربعة أشهر فى المرة الاولى الى أن تيسر له فتحها نهائياً عام ١٣١٩ هجرية (١٩٠٢ ميلادية) .

أما قيامه للاستيلاء على الرياض فى المرة الاولى فانه نشأ عن المنافسة الحادة التى كانت قائمة بين مبارك الصباح وعبد العزيز بن رشيد أمير حائل ، وكان من جراء المنافسة هذه أن مبارك جهز عام ١٣١٨ جيشاً عظيماً بلغ العشرة آلاف مقاتل وسار هو على رأسه يرافقه الامام عبد الرحمن آل سعود والشاب عبد العزيز وأبناء عمومته وأقاربه من آل سعود ، فلما وصل الجيش الى الشوكى الواقعة على حافة الدهناء الغربية رأى عبد العزيز أن قيادة الجيش لاتبعث الاطمئنان الى النفوس فى ادارتها فعزم على عدم المجازفة والمغامرة بنفسه وبشباب آل سعود فاستأذن من مبارك بالذهاب الى أواسط نجد عله يستطيع افادته من تلك الناحية ضد ابن رشيد وألفى مبارك الخطة معقولة فوافق عليها . أما حملة مبارك فقد أحاق بها الفشل والخسران فى المعركة الحامية التى دارت رحاها بين قواته وقوات الرشيدى فى مكان يدعى الصريف بقرب بلدة الطرفية التابعة لبريدة فى القصيم . وأما عبد العزيز فانه احتلّ الرياض ماعدا الحصن ولكن نتائج معركة الصريف أجبرته على الانسحاب من العارض الى الكويت لانتظار فرصة أخرى يثب بها الى غرضه .

وفى العام التالى وفق بمعونة مبارك الصباح الى تأليف سرية صغيرة لايزيد عدد

أفرادها عن أربعين شخصاً من آل سعود وأتباعهم الموجودين فى الكويت وسار بها الى قلب نجد لاعادة الكرة على الرياض . قوة قليلة العدد ناقصة العدة ، تضرب فى البادية ، لامعين لها إلا الله ، فى ديرة العدو القاهر الغالب ، معتمدة على صدق العزيمة وحرارة الايمان ، مؤمنة بفوز قضية الحق و بتأييد الواحد القهار .

إن قصة هذه الحملة الصغيرة من أروع قصص البطولة ، وأعظمها شأناً وأجلها قدراً ، أربعون رجلا قليلون بأنفسهم كثيرون باعتمادهم على الله ، يعلنونها حرباً شعواء على ابن رشيد وأتباعه وأحلافه ، ويضربون فى فلوات الارض غازين محاربين . اجتمع عليهم خلق عظيم ولكنهم حينما اشتدت الازمة وضيق القائمون بالأمر فى الحسا و نجد عليهم عادوا بعد أربعة أشهر أربعين وانضم اليهم فيما بعد عشرون فصاروا ستين رجلا فتح بهم عبد العزيز بلدة الرياض وجعلها نواة مملكته و نقطة دائرتها فتم له خلال الثلاثين السنة المقبلة أن يجعلها مطمح أنظار مملكة طويلة عريضة ، المملكة العربية السعودية .

طورد عبد العزيز وقومه فلجأ الى أطراف الربع الخالى الشمالية ومن هنالك تحرك فى أوائل رمضان سنة ١٣١٩ لضرب ضربته القاضية عليه أو على خصمه . فوصل أطراف الرياض بعد ذلك بشهر تقريباً وقسم فرقته ثلاثة أقسام : عشرين للاحتياط و ٣٠ للرديف و ١٠ سار على رأسهم الى مدينة الرياض نفسها ، وكان عجلان أمير الرياض من قبل الرشيدى حذراً ينام فى الحصن ليلا ويأتى الى بيته الخاص بعد صلاة الفجر ، فكمن له العشرة فى بيته الخاص منتظرين خروجه من الحصن فما كاد يخرج منه الى منزله المقابل له حتى أخرج المهاجمون روحه من بين ضلوعه واستولوا على البلدة ثم على الحصن واستعاد عبد العزيز عاصمة ملك آبائه وأجداده وشرع فى بناء السور الجديد حولها استعداداً للضربات التى كان يتوقعها من خصمه العنيد عبد العزيز الرشيد .

٣ — التوسع فى الخرج والافلاج

بعد أن ثبت عبد العزيز قدمه فى الرياض و أطرافها شرع فى استخلاص البلاد النجدية الواقعة الى جنوب الرياض فى الخرج و الافلاج و الحوطة و وادى الدواسر و رفع السيطرة الرشيدية عنها .

جاء عبد العزيز بن رشيد بعد أن بدا له من سميه السعودى ما بدا لضرب الرياض ضربة قاضية فوقع فى شرك نصبه له عبد العزيز بانسحابه من الرياض وترك والده الامام عبد الرحمن فيها و أذيع أن ابن سعود خائف من ابن رشيد و أنه هرب من وجهه الى الجهات الجنوبية فان هجم ابن الرشيد على الرياض صمد له فيها الامام عبد الرحمن و أهلها الى أن تصل الامدادات من الجنوب وإن تركها وهجم الى الجنوب وقع فى الشرك الآخر المنصوب له فاختار الشرك الثانى وحاد عن الرياض فى شهر ربيع الاول من عام ١٣٢٠ ه .

حصلت الواقعة فى نخيل بلدة الدلم عاصمة الخرج وكانت شديدة الوطأة على ابن رشيد وجماعته فرحل عن الدلم وقصد السليمية فى الجنوب ولكنه أخرج منها أيضاً ثم رحل الى الشمال تاركا بلدان الجنوب الى خصمه ابن السعود .

٤ — الاستيلاء على سدير و الوشم والمحمل و القصيم

فى السنة المقبلة (١٣٢١ ه) استنصر مبارك الصباح حليفه ابن السعود لصد عادية عبد العزيز بن رشيد عن الكويت ، فلبى عبد العزيز الدعوة وقدم الكويت فازعاً ثم خرج منها مع جابر بن مبارك على رأس قوة عظيمة من الجند قاصدين ابن رشيد فلما وصلت القوه الى طوال الظفير بلغ ابن سعود أن ابن رشيد ينوى مهاجمة الرياض وأنه توجه اليها فعلا . قاوم أهل الرياض هجمة الغازى بشدة فرحل

عنها خائباً لاسيما لانه سمع بقدوم عبد العزيز بن سعود للقصيم لاحتلاله وتوجه ابن رشيد الى الوشم لمنع سرية للامام عبدالرحمن من الاستيلاء على شقرا مثلما استولت على المحمل والشعيب ، عاد عبد العزيز بن سعود خلال هذه الفترة الى الرياض وعلم بأن ابن رشيد محاصر شقرا التى كانت سرية الامام احتلتها فسارع الى نجدتها وفك الحصار عنها .

تعاقبت الحوادث بسرعة فانسحب ابن رشيد من الوشم وسدير والمحمل نهائياً واستولى ابن سعود عليها — ماعدا بلدة المجمعة بقرب الزلفى — .

وفى أواخر شهر ذى الحجة عام ١٣٢١ هـ عزم ابن سعود على استخلاص القصيم وسار من الرياض بقوة كبيرة فوصل الى مكان بقرب بلدة عنيزة التى كانت فيها سرية لابن رشيد بقيادة قائد من السبهان وفيها أيضاً آل بسام واليحيا مع ابن رشيد فاستولى ابن سعود على عنيزة وأمّر عليها آل سليم وظلت عنيزة وظل آل سليم مخلصين لابن سعود منذ ذلك اليوم .

وفى هذه الوقعة انهزم ماجد بن رشيد وقتل فهيد السبهان وأسر ابن سعود أبناء عمه الذين كانوا فى حائل وخلصهم من القتل وعُرفوا منذ ذلك الوقت بالعرائف

وتم فتح عنيزة فى خامس محرم سنة ١٣٢٨ وفتح بريدة عاصمة القصيم فى ١٥ ربيع الاول وأصبح القصيم كله تابعاً لابن سعود .

٥ — القصيم بين ابن سعود والحكومة العثمانية وابن رشيد

لم يثر احتلال ابن السعود للرياض وبلاد نجد الجنوبية اهتمام الدولة العثمانية كما أن مبارك الصباح لم يبال به ولكن احتلال القصيم وامتداد سلطان ابن سعود وتعاظم شأنه أثار فى الحكومة العثمانية وفى ابن صباح كوامن القلق الشديد . أما مبارك فلجأ الى الحيلة والوقيعة ، وأما الحكومة العثمانية فانها عضدت ابن رشيد

خصم ابن سعود وشدت أزره بالمال والجند والذخيرة وأمدته بقوة عسكرية مشت من السماوة ووصلت الى القصيم مع ابن رشيد فى أواخر ربيع الاول عام ١٣٢٢ ﻫ (١٩٠٤ م) فالتقت بقوات ابن سعود فى البكيرية بقرب بريدة وحصلت بين الجانبين ملحمة كبيرة قتل فيها أكثر من الف من جنود الدولة ومثل ذلك من أتباع ابن سعود وعدد كبير من أتباع ابن رشيد وقتل فيها أيضا اثنان من كبار الرشيد ماجد بن حمود وعبد العزيز الجبر . وحصلت فى البكيرية واقعة أخرى بعد ذلك ببرهة قصيرة بين الجانبين كان النصر فيها بجانب ابن سعود فاستولى على البكيرية وطارد قوات شمر والدولة الى الخبرا ومنها الى الرسّ وظلت المناوشات بين الفريقين مدة أربعة أشهر الى أن حصلت معركة كبيرة فى الشنانة كسرت فيها قوات ابن الرشيد والدولة فى ١٨ رجب ١٣٢٢ (سبتمبر ١٩٠٤) وغنم فيها أهل نجد غنائم عظيمة جداً .

فلما رأت الدولة كسيرتها استعظمت شأن ابن سعود وشرعت فى مفاوضته لحل المشكلة بينه وبين ابن رشيد سلما وقد اقترح والى البصرة فخرى باشا على الامام عبد الرحمن حينما اجتمعا للمفاوضة بقرب الزبير أن تجعل القصيم منطقة محايدة بين ابن سعود وابن رشيد وأن يكون فيها حامية للدولة ويكون ابن سعود قائم مقام عليها فلم يوافق الامام على ذلك ورجع بالاقتراح الى نجد فلم يقبل به إلا بعض آل مهنا من بريدة . غير أن الدولة أرادت تنفيذ خطتها مهما كلفها الامر فأنفذت قوة كبيرة بقيادة المشير احمد فيضى باشا عن طريق العراق وأردفتها بقوة أخرى من المدينة المنورة بقيادة صدقى باشا .

اختلف فيضى باشا فى الرأى مع ابن رشيد فان الاخير أراد حل القضية باستعمال القوة والعنف حالة كون الاول يريد السلم وينشد حلها عن طريقة المفاوضة والمسالمة . فحنق ابن رشيد على الباشا وتركه وشأنه .

تم الاتفاق على أن يجتمع الامام عبد الرحمن بالمشير فى بلدة عنيزة لاتمام عملهما

السلمى فاجتمعا و تفاوضا و كانا على وشك الوصول الى اتفاق متوسط يصبح ابن سعود فيه قائمقاما على القصيم ويكون للدولة مركزان عسكريان أحدهما فى بريدة وثانيهما فى عنيزة. ولكن فيضى باشا غادر القصيم قبل أن يتمكن من ابرام الاتفاق لاضطراره الى الرحيل الى المدينة فاليمن لفك الحصار عن جيوش الدولة فى صنعاء و ترك الامر الى صدق باشا الذى لم تكن له المؤهلات التى تمكنه من اتمام القضية فوقف موقف المتفرج منتظراً ما تأتى به الحوادث المقبلة بين السعودى والرشيدى.

انسحب عبد العزيز بن سعود من القصيم بعد سفر فيضى باشا وسار لنجدة ابن ثانى فى قَطَرٍ فدب دبيب الخلاف بين أهل القصيم وأصبحوا فرقاً وشيعاً كان قسم منهم يريد ابن سعود وهو الاعظم وقسم منهم يريد الدولة والقسم الثالث يريد ابن رشيد.

فلما اتصل بابن رشيد خبر ابتعاد ابن سعود عن نجد وسفره الى قطر أرسل بسرية الى الرس فاحتلها و تقدمت الى بريدة فقابلها أهل القصيم غير أنهم علموا ضعفهم فى جانب قوة خصمهم ابن رشيد فاستنجدوا بابن سعود فأمدهم بحملة قادها بنفسه فى أوائل محرم عام ١٣٢٤ ه (مارس ١٩٠٦ م) وصل ابن سعود الى مكان قريب من الزلفى فعلم أن ابن رشيد مقيم فى روضة مهنا فحمل عليه ليلة ١٨ صفر (١٤ ابريل) فتفرقت قوة ابن رشيد وقتل الامير عبد العزيز بن رشيد نفسه و تولى متعب بن عبد العزيز الرشيد الامارة فى حائل بعد أبيه فرأى الخير فى الصلح مع ابن سعود ففاوضه و عقد معه اتفاقا تنازل بموجبه عن حقوقه فى القصيم وسائر بلاد نجد. مقابل اعتراف ابن سعود له بالامارة على حائل و أطرافها وعلى كافة شمر.

أراد القائد صدق باشا أن ينصاع الى إلحاح صالح بن مهنا و تحريضه لاحتلال

بريدة فلم توافقه الدولة على ذلك و أبدلته بالقائد سامى باشا الفاروقى الذى قدم على رأس جيش من المدينة فوصل الى قرب حائل وفاوض ابن رشيد على أن تكون القصيم للدولة وتوجه الباشا من الجبل الى الشيحية على الطريق بين حائل وبريدة واجتمع بعبد العزيز بن سعود فى البكيرية فلم يقبل ابن سعود باقتراح الباشا وافترقا على خصام .

وفى أوائل شوال عام ١٣٢٤ (١٩٠٦) أرسل ابن سعود انذاراً أخيراً الى سامى باشا بأن أهل البلاد لا يريدون الاتراك ولا يقبلون بهم وان عليه الانسحاب فوراً وخيره بين الحرب والرحيل فقرر الباشا الرحيل وتعهد ابن سعود بترحيل جيش العراق الى العراق وجيش الحجاز الى المدينة وشرع كل فريق فى انفاذ ما يخصه من التعهد فوراً ، وتم لابن سعود السيادة على القصيم بدون منازع وطويت صحيفة آل عثمان منها كما طويت صحيفة آل رشيد من قبل .

٦ — الرشيد وابا الخيل والعرائف والهزازنة

لم يسترح عبد العزيز بن سعود بعد ذلك طويلا . فان متعب الرشيد قتل غدراً بسيوف سلطان واخوته من آل عبيد وأصبح أمر الاتفاق الذى وضع لتحديد سلطة آل سعود وآل رشيد معلقاً على ميول سلطان الرشيد . واتفق فيصل الدويش كبير مطير ونائف الهذال كبير العمارات من عنزة ومحمد أبا الخيل أمير بريدة الذى أثبته ابن سعود عليها مع سلطان بن رشيد على مقاومة ابن سعود ، وانضم اليهم فيما بعد مبارك الصباح . فشرع عبد العزيز فى تأديبهم واحداً واحداً : ضرب الدويش قبل الجميع فى جهات سدير وقصد أبا الخيل فى بريدة فوجد عنده سلطان ابن رشيد بقوة شمر المدافعة عنه ؛ فتقابل الجيش السعودى والرشيدى فى الطرفية فى شعبان سنة ١٣٢٥ (سبتمبر سنة ١٩٠٧) وكان النصر فيها حليف ابن سعود مع انه كان

قد كبت به فرسه وكسر عظم كتفه الايسر وفر ابن رشيد الى حائل وفر أبا الخيل الى بريدة .

وفى العام المقبل توجه ابن سعود من نجد الى الجبل لضرب ابن رشيد فى عاصمته ولكنه عاد عنه بعد ان جدد معه عهد الصلح الذى وضع أيام متعب بن رشيد . فلما تم ذلك وأمن عبد العزيز جانب ابن رشيد سار لقتال أبا الخيل وأهل بريدة المنشقين عليه فوصل الى بريدة فى أواخر ربيع الثانى عام ١٣٢٦ ﻫ (مايو ١٩٠٨ م) وتمكن منها بواسطة بعض المقربين ففتحوا له الابواب وقت صلاة العشاء . فدخلها فاتحاً للمرة الثالثة وعزل محمد أبا الخيل عنها فرحل الى العراق وعين عبدُ العزيز الامير عبد الله بن جلوى أمير الحسا الحالى أميراً على القصيم كله .

وفى هذا العام قتل سعود بن عبيد بن رشيد أخاه الامير سلطان فى حائل وارتقى كرسى الحكم عوضاً عنه ، وصالح عبد العزيز بن سعود على ما صالح أخوه عليه من قبل . ولكنه قتل بعد سنة وبضعة أشهر فتجددت الاضطرابات ونقض العهد وعادت الفتنة بين آل سعود وآل رشيد الى سابق عهدها .

وفى العام المقبل ١٣٢٧ ﻫ (١٩٠٩ م) حصلت فتنة الهزازنة فى الحريق وهؤلاء ينتسبون الى عنزة فهم من أقارب آل سعود ، كانوا مقيمين فى الحريق ولهم فيها نفوذ ووجاهة فاختلفوا مع آل ختلان ووقعت حوادث قتل فيها أناس من الجانبين فتدخلت الرياض لفض المشكل فلم يقبل الهزازنة بذلك فجرد ابن سعود على الهزازنة وسار من الرياض الى الحريق بقوة قليلة فوجد الهزازنة محاصرين فى قلعتهم . وفتقت له قريحته عن عمل حربى جليل فحفر نفقاً الى الحصن وهدد المحاصرين بنسفه ان لم يرضخوا فاستسلموا عن يد وهم صاغرون فنقلهم الظافر الى الرياض وأحلهم فيها ضيوفا مكرمين .

ولكنهم بعد مدة نالوا عفو عبد العزيز وأذن لهم بناء على توسط أمير قطر ،

بالعودة الى ديرتهم فعادوا اليها ليثوروا مرة أخرى أيام فتنة العرائف من آل سعود في العام التالى (١٣٢٨ هـ) فذهبوا ضحية غدرهم واحتزت رؤوس أكثرهم ولم يعفُ عبد العزيز الا عن راشد الهزانى الذى فر بعد ذلك الى الحجاز وحارب ابن سعود ثم فر بولده من مخيم الشريف الى ابن سعود فى أثناء حصار جدة .

وما كادت فتنة الهزازنة الاولى تنتهى حتى ذر قرن فتنة العرائف من آل سعود . وهم أبناء سعود بن فيصل الذين كانوا فى حائل وجاءوا فى جيش ماجد بن حمود الرشيد يوم فتح عنيزة فوقعوا فى اسر ابن عمهم فأكرمهم وجعلهم فى مقام الاعزاز والاكرام . غير انهم كانوا يطمعون فى الحكم ، فشرعوا يدسون الدسائس لنوال مأربهم وأخيراً رحلوا الى الحسا ونزلوا على أخوالهم من العجمان ثم رحلوا من الحسا الى الخرج والافلاج والحريق واتفقوا مع الهزازنة على الفتنة واستولى أحدهم على بلدة السيح فى الوادى وأصبحوا خطراً عظيما يهدد كيان عبد العزيز بن سعود فى الصميم فجهز عليهم حملة قادها بنفسه واحتل الحريق وأسر فيها الهزازنة وقتلهم كما ذكرنا وخير ابن عمه سعود بن عبد الله بالبقاء عنده أو اللحاق باخوانه فأقام عنده . ورحل العرائف الى الحجاز فأكرم الشريف حسين مثواهم وقربهم اليه على أمل الاستفادة منهم فى موقفه مع ابن سعود .

قبل ذهاب عبد العزيز لتأديب العرائف حصل ان الشريف حسين بن على تقدم بموافقة الحكومة العثمانية عام ١٣٢٨ (١٩١٠) الى نجد ونزل القويعية وتوجه منها الى شعرا الى أن وصل القصيم وكان قد أسر بخيانة بعض العتبان سعد بن عبد الرحمن شقيق عبد العزيز بن سعود وتم الصلح بينهما على النحو الذى أشرنا اليه فى النبذة الخاصة بالشريف حسين .

٧ - الاستيلاء على الحسا

الاسباب التي استعجلت عبد العزيز بن سعود فى فتح الحسا كثيرة : منها ان تركى بن عبد الله من العرائف الذين نجوا يوم وقعة الحريق جاء الى أخواله العجمان يحرضهم على ابن سعود ، ومنها ان الشريف حسين فى الحجاز ضيق على أهل نجد وعلى تجارتهم بواسطة الحجاز ، ومنها ان القبائل المعادية لابن سعود كانت تعرقل سير قوافله من نجد الى الكويت وتعتدى عليها ثم تلجأ الى الحسا ، ومنها ان الدولة اتخذت الحسا قاعدة لاعمالها السياسية والحربية فى الجزيرة ، ومنها بل وأهمها طمع ابن سعود فى الاستيلاء على ما يمكنه الاستيلاء عليه من أملاك الدولة ووضعه تحت سيطرته لتحقيق أمنيته التى كتب عنها الى الحكومة العثمانية فى ذلك الوقت بواسطة والى البصرة وهى ايجاد ولايات عربية مستقلة فى داخليتها ضمن السلطنة العثمانية وتحت نفوذها .(١)

خرج عبد العزيز من الرياض فى ربيع الثانى من عام ١٣٣١ (١٩١٣ م) قاصدا الحسا فنزل على ماء الخفس الواقع على حافة جبال العرمة وترك معظم الجيش فيها وذهب الى الحسا ليستطلع أخبار الدولة وقوتها ويرسم خطته عن كثب . وحينما سأله الترك عن سبب مجيئه اعتذر بمشترى الارزاق منها وعاد الى الخفس فالرياض لاخفاء حقيقة ماينويه .

وفى ليلة الخامس من جمادى الاولى (١٣ ابريل ١٩١٣) تسلق بعض رجاله سور الكوت فى الحسا ورموا بالحبال لرفاقهم حتى أصبح عددهم كافياً للقيام بالعمل الذى كلفوا به .

وكانت هذه المجازفة الخطرة من جملة المجازفات العديدة التى أتاها عبد العزيز فى حياته وهو رابط الجأش شديد اليقين . تكاثر رجال ابن سعود داخل الكوت

---

(١) انظر كتاب ابن سعود الى والى البصرة فى تاريخ نجد الحديث للريحاني ص ١٨٢

وصاحوا بصوت واحد ان البلد دخلت فى حكم ابن سعود فلجأ الجند العثمانى الى قلاعه وفى اليوم التالى سلمت الحامية بأجمعها فأرسلها عبد العزيز الى العقير ومنها الى البحرين وتم برحيلها استيلاء ابن سعود على منطقة من أغنى المناطق فى البلاد العربية .

وأرسل سرية الى واحة القطيف فاحتلتها وفر الجنود العثمانيون منها وأصبحت مملكة ابن سعود ممتدة من الكويت شمالا الى قطر جنوبا — مسافة تزيد عن ٤٥٠ كيلومترا ، ومن الخليج الفارسى الى الحجاز . وبات عبد العزيز متصلا بالعالم الخارجى رأساً فتبدل موقفه كما تبدل موقف الخليج اجمالا بدخول هذا العنصر الجديد فى حياته السياسية .

وأرادت الحكومة العثمانية أن تستثمر موقف عبد العزيز بن سعود ففاوضه الوالى العثمانى فى البصرة بواسطة طالب النقيب ، وبالرغم عن دسائس مبارك الصباح عقدت بين الجانبين اتفاقية اعترفت الحكومة فيها بالامير عبد العزيز بن سعود والياً لنجد ومتصرفا للحسا وأهدته وساما رفيع الشان مع رتبة الوزارة .

٨ — الاخوان وتأسيس الهجر

لامراء فى ان الدعوة السلفية التى قام بها الشيخ محمد بن عبدالوهاب ، وجدت مرتعاً خصباً بين البادية فى نجد وأطرافه ؛ ولا شك فى ان كثيرين أقبلوا على الدعوة عن عقيدة صالحة ونية طاهرة . الا ان داء البداوة المستعصى كائن فى شىء آخر غير اهمال نواهى الدين ، انه كائن فى طبيعة معاشهم وما هم عليه من ترحال وتجوال ، لاوطن يحنون اليه ولا ملك ثابت يخشون ضياعه ، فهم بهذا الاعتبار قوم تتقاذفهم الاهواء والمنافع ، ولا يمكن الاعتماد عليهم فى تأسيس ملك دائم ، وهم على حد قول الشاعر :

يوماً يمان اذا لاقيت ذا يمن   وان لقيت معدّياً فعدنانى

فلما وفق الله الملك عبد العزيز بن سعود الى ماوفقه اليه ، من بسطة فى الملك وقوة فى السلطان ، ورأى حال أهل البادية وما هم عليه من تقلب وتذبذب فى عقيدتهم ومعاشهم وصدقهم وعدائهم ، نشر بينهم الدعاة والمرشدين يهدونهم الى سواء السبيل فكان له ماأراد . غير انهم مع ذلك مافتئوا عنصر قلقٍ وعدم استقرارٍ . ففكر فى طريقة مثلى هى من أجلّ أعمال الاصلاح الاجتماعى والدينى ، يخلص بها هؤلاء البدو من معيشتهم الشاقة ويخفف من حدة الجدال الدائم ، القائم بينهم لاستحصال الكفاف من القوت والتنازع فى الحياة الدنيا ، ووجد العلاج فى الدين أولا وفى حياة الاستقرار ثانياً .

أرشدهم بالدين الى واجباتهم الدينية نحو الخالق ، ونحو اخوانهم فى البشرية وبنى لهم القرى لينتقلوا اليها من حياة البادية المتنقلة ودعاهم الى حياة الهِجَر . فمن ترك حياة البدو الرحل الى حياة الهجر يكون قد هاجر من الجهل الى النور ، ومن حياة الرعى الى حياة الزراعة والفلاحة ، ومن حياة التنقل والسفر الى حياة السكون والاستقرار .

أُنشئت الهجرة الاولى على آبار الارطاوية الواقعة على الطريق بين الزلفى والكويت عام ١٣٣٠ هـ (١٩١٢ م) وسكنها سعد بن مثيب من حرب ثم أعطيت لفيصل الدويش وجماعته من مطير وأصبحت خلال بضع سنوات مدينة عامرة فيها من السكان ما يزيد عن العشرين الف .

وتلى انشاء هجرة الارطاوية حركة عامة بين البدو لترك حياتهم البدوية والسكنى فى قرى جديدة كانوا ينشئونها بمعونة بيت مال المسلمين : تحفر البئر ، ويبنى المسجد الذى هو مجتمع القرية ومدرستها ، وتبنى البيوت بسرعة .

وكانت أول هجرة البدو من بداوتهم الى دار الهجرة ، هجرة دينية محضة فباعوا الابل وأهملوا أمرها وشرعوا فى دراسة الدين ، فغصت المساجد بهم .

فأصدر العلماء فتوى شرعية بضرورة العمل للكسب من التجارة والزراعة فأقبل أهل الهجر عليها وقد دعوا أنفسهم « الاخوان » دلالة على رفع الفروق من بينهم وصيرورتهم اخواناً فى الله بعد ان كانوا بالأمس أعداء ألداء .

ذكر الريحانى فى تاريخ نجد الحديث لائحة الهجر وعدد الذين يلبون الجهاد منها فكانت ٧٢ هجرة لمختلف القبائل النجدية إلا أن هذا العدد أقل بكثير من عدد الهجر الحقيق . فقد ورد فى كشف الهجر التى حضر مندوبوها إجتماع الجمعية العمومية التى عقدت فى الرياض فى جمادى الاولى عام ١٣٤٧ اسم ١٢٢ هجرة .

الهجر من حيث الحرب والسياسة معسكرات منتشرة فى أنحاء البادية ، والاخوان جند هذه المعسكرات يسيرون بأمر القائد الاعظم عبد العزيز بن سعود فى أى وقت شاء .

والهجر من حيث الدين مساجد غاصة بأهلها ممن تركوا الخرافات والبدع وعادات الجاهلية وعُرف البوادى وانقلبوا إلى الحياة الدينية الوادعة ، حياة الطهارة والعفاف ، والفضيلة والايمان .

والهجر من حيث العمران والاجتماع ، مباآت أوجدها العمران لنقل البدوى المنتقل من حياة الراعى والصياد ، إلى حياة الزراع المستقر ، وهى الخطوة الاولى فى العمران البشرى ، والحياة المدنية الدائمة .

٩ — موقف ابن سعود فى الحرب العمومية

كان موقف ابن سعود غداة اعلان الحرب العمومية ، موقف القلق الذى لا يعلم أى طريق يسلك . كان موقفه تجاه الترك موقف المسالم الراغب فى ادامة التفاهم الذى تم فى العام السابق لاعلان الحرب . إلا أن الاتراك حالفوا خصمه ابن رشيد وقدموا له الاعانات المالية والحربية ، ورضوا عن أعمال الشريف حسين فى الحجاز وتوسعه فى نجد . وصديق عدوك ، عدوك أيضاً . ارسل إلى أمراء العرب يسألهم

الاجتماع على توحيد خطتهم فلم تسفر دعوته عن شيء وانقطعت تجارة نجد مع سائر الاقطار العثمانية نظراً لوقوع ابن رشيد فى شماليه والحسين فى غربيه، واحتل الانكليز البصرة، وكانت الكويت تحت حمايتهم . فلم يبق لنجد منفذ الا ساحل الخليج وهنالك ملكة البحار واقفة بالمرصاد .

أرسل الانكليز الكابتن شكسبير فى مطلع الحرب الى بلاط ابن سعود لتحريضه على الدولة العثمانية ، فلم يقبل بحربها ووقف على الحياد تجاهها ولم يتعرض للشريف حسين فى الحجاز ولا للقوة العثمانية فى عسير واليمن ولم يعترض مسير الرسل من الشمال الى اليمن لنقل الاموال والمخابرات عن طريق بلاده . ولكنه كان مضطرباً من شيء واحد هو غدر ابن رشيد ونكثه العهد واستعداده لحربه بمعونة الدولة . ابن رشيد عدو ابن سعود وحليف الدولة ، والانكليز أعداء الدولة - وأصدقاء ابن سعود ، فاجتمعت المصلحة على قتال ابن رشيد والتقى الجيشان فى ربيع الاول عام ١٣٣٣ هـ (يناير ١٩١٥) فى جراب وكانت المعركة شديدة أسفرت عن انكسار الجانبين دون أن يفوز أحدهما بطائل وقتل الانكليزى شكسبير فى المعركة .

ثار العجمان ، أهم قبائل الحسا وأشدها مراساً ، على ابن سعود فى هذا العام وقتلوا أخاه سعداً فجرد عليهم جمعاً كبيراً ، واستنصر بابن صباح فامده بعدد قليل من المحاربين ولكنه خانه وسط الطريق واتفق مع العجمان . وقبل أن يضرب ابن سعود العجمان نهائياً قدم السر برسى كوكس المقيم البريطانى فى الخليج الفارسى الى القطيف وطلب مقابلة ابن سعود لامور هامة . فاجتمعا فى جزيرة دارين المقابلة للقطيف ووقعا على معاهدة جائرة بين الجانبين فى ديسمبر ١٩١٥ ومع أن قيمتها سقطت قبل إلغائها بسنوات عديدة فانها لم تلغ الا بعد فتح الحجاز وعقد معاهدة الصداقة وحسن التفاهم فى مايو من عام ١٩٢٧ .

وكان موقف ابن سعود من الشريف حسين ، موقف الحذر والريبة . فانه لم يكن جاهلا بمطامع الشريف فى توسيع حدود شرافته ، ولا بالطرق التى توسل بها

للوصول الى أغراضه . لأن الشريف وحاسنه القول ولكن الحسين خدع بعهوده مع السر هنري مكماهون فظن أن تلك العهود اولته حق ملك أمراء العرب ووضعهم تحت سيطرته ونفوذه ولم يعلم أن الانكليز كانوا قبل ان عقدوا اتفاقهم معه ، قد عقدوا اتفاقين اثنين أحدهما مع الادريسي وثانيهما مع ابن سعود ، وضمنوا لهما استقلالهما ومنع التعدي عليهما . فمن الضروري اذن ان يقابل سعي الحسين لبسط سيطرته على ابن سعود ، بالاعتراض ، وأن يمنع من التمتع بلقب ملك العرب الذي أعلنه لنفسه . وأن يعلم أنه لابد من تحديد حدود صريحة بين مملكته الحجازية وبين جيرانه .

بعد رفع الشريف حسين علم الثورة على الدولة في شعبان ١٣٣٦ (يونيو ١٩١٦) أرسل الى ابن سعود هدايا ومنحا مالية لم يقدر ابن سعود أن يتفهم الداعي لها . فكتب الى الحسين من أجل تحديد الحدود بين الحجاز ونجد فغضب الحسين لذلك غضباً شديداً . لأنه كان يعتقد أن نجداً له بموجب عهوده مع الانكليز وان ابن سعود من رجاله . وقد طلب ابن سعود من الانكليز تعيين موقف حليفهم الحسين فتعهدوا له أولا بعدم تدخله في شؤون نجد ، ثانياً بعدم التكلم بلسان العرب عموماً . ولم يفلح الانكليز في مسعاهم للتوفيق بين الاثنين ، وجل ما أمكنهم عمله منع أحدهما من الاعتداء على الآخر .

وفي أواخر عام ١٩١٧ أوفدت بريطانيا الى بلاط ابن سعود وفداً مؤلفاً من ثلاثة أعضاء لمفاوضته في ثلاثة أمور مهمة : الاول الاصلاح بينه وبين الحسين ، الثاني استنهاضه على ابن رشيد وأحلافه من العشائر العراقية ، والثالث التشديد في مراقبة تهريب الارزاق والمؤون والذخائر من طريق الخليج الفارسي والكويت الى البلاد العثمانية . وانشطر الوفد الى قسمين قسم عاد الى الكويت وقسم آخر قدم

بطريق البادية الى الحجاز لاتمام الغرض الاول من أغراض البعثة فلم ينجح فى مهمته ولم يقبل الحسين بالتفاهم .

أرسل الانكليز بعد ذلك المستر فلبى مرة أخرى الى ابن سعود لتحريضه على حرب ابن رشيد ، وكان ابن سعود فى هذه المدة قد تعاهد مع مشايخ شمر على بعض الشروط على أن يعرضوها على ابن رشيد فان قبلها حل الاشكال والا فالحرب بينهما لا بد منها . ولكن ابن رشيد رفض الشروط فزحف ابن سعود فى أواخر صيف عام ١٩١٨ الى الجبل وحارب ابن رشيد أمام حائل وانتصر على جموعه ولم ير فى حصاره حائل فائدة فتركها وقفل الى الرياض .

وفى هذه الاثناء وردت الأخبار بانتهاء الحرب العمومية عن انهزام دول الوسط وعن عقد الهدنة والشروع فى مفاوضات الصلح فتوقفت الحركات الحربية فى البلاد العربية أيضاً .

١٠ — احتلال تربة والخرمة

تَرَبة والخُرمة واحتان واقعتان الى الشرق من الطائف وراء جبل حَضَن فى وادى سبيع يقطنهما أفراد من سبيع والبقوم وبعض عتيبة والاشراف . والسيادة فى كليهما بيد الاشراف العبادلة وكان أهلهما من أيام حكومة آل سعود الاولى قبلوا الدعوة الاصلاحية السلفية وظلوا يحسبون آل سعود حكامهم وأئمتهم . غير أن الشريف حسين اتخذ وجود الاشراف فيهما حجة للادعاء بتبعيتهما للحجاز . فنشأ عن اختلاف وجهى النظر تنافس شديد سعى حلفاء ابن سعود والشريف أيام الحرب العمومية لحله بالحسنى فوفقوا لتسكينه مؤقتاً .

الا أن الشريف حسين جهز فى آخر سنوات الحرب العمومية قوة بقيادة عبد الله بن حمزة الفعر لاحتلالها فرد الاهالى الحملة وكسروها ، فأرسل الشريف حملة

أخرى وكان فيها الشريف شاكر بن زيد بعد ذلك بشهور ولكنها لم تفز بطائل وجاءت القوة، للمرة الثالثة أيضاً، فلم يكن نصيبها أحسن من نصيبها فى المرتين السابقتين.

فلما بلغت أخبار هجمات القوات الشريفية الى ابن سعود واستغاث به أهلها للدفاع عنهم، كان يعد معداته لغزو حائل - كما وضحنا فى النبذة السابقة - فأخبر الانكليز بأنه لا يقدر أن يهاجم ابن رشيد بينما أن رعاياه يهاجمون ويطلبون المدد منه. فتعهد الانكليز بحمل الشريف حسين على عدم التعرض للواحتين الى ن تنتهى الحرب فتحل القضية سلماً.

فلما انتهت الحرب بانكسار دول الوسط واستسلم فخرى باشا فى المدينة المنورة للامير عبد الله بن الحسين، صدر الامر من الحسين الى ولده عبد الله بالهجوم على تربة والخرمة لتأديب أهلهما واحتلالهما عنوة. ولم تجدِ احتجاجات ابن سعود شيئاً، فتقدمت القوة من عشيرة الى البديّع فى سفح حضَن وكانت مؤلفة من أكبر عدد تمكنت الحكومة الشريفية من جمعه تحت لوائها، ومجهزة بالمعدات الحديثة المأخوذة من مستودعات فخرى باشا بالمدينة يقودها ضباط عديدون من خيرة ضباط العرب.

وصل الامير عبد الله الى تربة يوم ٢٤ شعبان ١٣٣٧ (٢٤ مايو سنة ١٩١٩) واحتلها بدون قتال وأرسل يدعو القبائل للاستسلام وتقديم الطاعة، ودعا أهل رنية للتسليم أيضاً وحذرهم من التورط فى الوقوف أمامه.

وكان أهل الواحات قد تركوا الديرة وعلى رأسهم خالد بن لؤى منتظرين ما يأتيهم من ابن سعود الذى لم يأذن لهم بالحرب إلا اذا اعتُدى عليهم لا سيما لأن الانكليز أنذروه بعدم التعرض للشريف، وكان بعض الاخوان من عتيبة بقيادة

سلطان بن بجاد كبير هجرة الغطغط فازعين لاخوانهم أهل تربة والخرمة ، فتجسسوا على الامير عبد الله ومواقع جيشه وهاجموه فى الليل البهيم (٢٥ شعبان ١٣٣٧).
اصبح الصباح فاذا بالقوات الهاشمية ممزقة واذا بالامير القائد قد فرّ سالماً برأسه من المعركة قبل احتدامها واذا بالارض مكسوّة بأشلاء القتلى وجثث المجاريح واذا بالمخيم المنصور قد استولى الاخوان عليه وغنموا ما فيه من أسلحة ومعدات وذخائر .

وكانت نتائج هذه المعركة الفاصلة وخيمة على حكومة الحسين ، لانها أفقدتها القوة العظيمة التى كانت لها ووسعت شقة الخلاف بين نجد والحجاز .

١١ — احتلال بلاد ابن رشيد

ذكرنا فى النبذة التاسعة من هذا الفصل أن الحركات الحربية التى قام بها الملك عبد العزيز على حائل انتهت برجوعه عنها وتفاهمه مع ابن رشيد على وقف القتال والصلح ، إلا أن ابن رشيد رأى نفسه بعد زوال سيطرة الحكومة العثمانية تجاه موقف جديد كان فيه وحيداً منعزلا ، فحاول أن يثبت مركزه بمراجعات مختلفة للسلطات البريطانية فى العراق وللحسين فى الحجاز . ولا يخفى أن موقف الحسين وابن رشيد زمن الحرب كان موقفاً عدائياً الا أن اشتراكهما فى عداء عدوّ واحد هو ابن سعود ، جعل من عدائهما صفاء وخلق من تجافيهما توادّاً . وقضت معركة تربة على الحسين بشد أزر ابن رشيد وإمداده بالعتاد والاموال وبالتأييد الادبى فانقاد ابن رشيد للحسين وعزم على نقض عهده مع ابن سعود وجرد حملة من أجل ذلك الغرض . إلا أنه وقع بين رؤساء شمر اختلاف أدى الى احجام سعود الرشيد عن الاقدام على ما عزم عليه من نقض العهد وتجديد الحرب مع ابن سعود ، ووجد عذراً يعتذر به لدى الملك حسين بظهور فتنة فى وادى السرحان والجوف وضرورة

معالجتها . فعوضا عن الذهاب لحرب ابن سعود فى الجنوب ، سار لحرب الرولا وابن شعلان فى الشمال . وتمكن ابن رشيد من احتلال الجوف والحاقه بحائل عام ١٣٣٨ هـ (١٩١٩ — ١٩٢٠ م) .

ولكنه بعد عودته منتصراً الى حائل قتله ابن عمه عبد الله بن طلال ثم قتل ابن طلال ونصب عبد الله المتعب أميراً . فكان أول عمل قام به ارساله الرسل الى ابن سعود فى الرياض يطلب تجديد العهد والصلح ، ولكن مسعاه لم يثمر الثمرة المطلوبة لان الملك عبد العزيز اشترط شروطاً لم ترق فى عيون المتزعمين من الرشيد والسبهان وعبيد القصر فكان لابد من الاشتباك فى القتال مرة أخرى .

أما شروط الملك عبد العزيز ، فقد أملتها عليه التجربة ، وحتمتها الضرورة القصوى ، فانه رأى النفوذ فى حائل فى أيدى نساء القصر ، وعبيده وبعض المتزعمين الطامعين فى الاستفادات المادية ، وكل هؤلاء لا يركن اليهم فى تسيير دفة الامور ولا سيما الخارجية على الوجه الذى يكون أميناً فيه على نفسه وبلاده . وقد شاهد من حركات شمر مارابه جداً . فانهم أرادوا أو أرادوهم على محالفة الحسين ضد أهل نجد ، وعلى مفاوضة الانكليز فى العراق والاتفاق معهم على أمور ليست من مصلحة نجد وعلى التفاهم مع ابن صباح ضد أهل نجد أيضاً ، فلم يجد عبد العزيز بداً من أن يضمن شروطه شرطاً قاسياً مؤداه تنازل أمير حائل عن النظر فى علاقات شمر مع جيرانهم وهذا الشرط قضى على مسعى الصلح المشار اليه .

حدث فى هذه الاثناء اختلاف بين ابن سعود والشيخ سالم الصباح على موضعين بقرب الحدود أحدهما بَلبول والثانى قَرية وأراد سالم احتلال هجرة قرية التابعة لمطير ، إلا أن الاخوان بقيادة فيصل الدويش تغلبوا على قوات الكويت بقرب قرية ونهبوا أموالها ، فعرض ابن سعود على الشيخ سالم اعادة المنهوبات ولكنه رفض العرض وتجهز للقتال ، واستنجد بحائل فأمدته بقوات من شمر برأسها ضارى

ابن طواله ، غير أن الاخوان تمكنوا من التغلب على القوة الكويتية واحتلوا الجهرى وحاصروا الشيخ سالم حصاراً شديداً ولكنهم عادوا عن الكويت فى أواخر المحرم عام ١٣٣٩ ه.

وقضت السياسة الدولية آنئذ بأن تقوم فى أطراف البلاد العربية حكومات هاشمية فى الحجاز وشرق الأردن والعراق أحاطت ببلاد ابن سعود من كل جانب احاطة السوار بالمعصم ، فخشى ابن سعود مغبة سكوته عن حائل ، ورأى فى بقائها خطراً جسيما يهدده فصمم الآن على انجاز أمرها ، فجهز قوة كبيرة بقيادة أخيه الامير محمد وابنه سعود وعهد الى الاول بحصار حائل والى الثانى بمهاجمة قبائل شمر فى أنحاء الجمل ثم عهد بالحصار أيضاً الى سعود فظل مرابطاً حول حائل أكثر من شهرين فلم يتمكن من احتلالها . إلا أن الظروف ساعدته على قبول استسلام أمير حائل عبد الله المتعب الذى فر الى معسكر سعود خوفاً من محمد بن طلال حين قدم من جهات الجوف لامداد ابن متعب فى الظاهر وللاستيلاء على الامارة فى الباطن وقد تم لابن طلال ماأراد بعد فرار ابن متعب ورجوع سعود عن حائل الى الرياض فشرع فى تأديب القرى المحيطة بحائل ، والتنكيل بالموالين لابن سعود .

وجهز عبد العزيز بن سعود (وكان فى هذا الوقت تلقب بسلطان نجد وتوابعها) قوة جديدة قادها بنفسه وأصدر أمره الى فيصل الدويش بالتوجه الى حائل ومحاصرتها ، فالتقت قوة الدويش بقوة ابن طلال فى محل يدعى الجثامية ووقعت بينهما مناوشات عديدة الى أن قدم السلطان عبد العزيز فى أوائل المحرم سنة ١٣٤٠ (سبتمبر سنة ١٩٢١) فانهزم ابن طلال الى حائل وفاوض ابن سعود فى تسليم المدينة على أن يظل هو أميرها الا أن ما قاساه ابن سعود فى السابق من نكث العهود ونقض المواثيق جعله يرفض أن يشترط عليه المغلوب شروطاً هى من

حتى الغالب فأمر بحصار حائل وتضييق الخناق على من فيها والاستيلاء على الحصون والقرى المحيطة بها .

وفى ٢٩ صفر سنة ١٣٤٠ (٢ نوفمبر سنة ١٩٢١) رضخت حائل للتقادير وسلم محمد بن طلال نفسه للفاتح فأرسل الى الرياض ، وانقضى بتسليمه حكم آل الرشيد من الجبل ، ودخلت البلاد فى حكم ابن سعود .

١٢ — احتلال الجوف ووادى السرحان وعسير

لسنا هنا فى معرض الدخول فى تفاصيل الاحداث التى انتابت الاقطار العربية عقيب الحرب العمومية ولكن سياق الحديث يضطرنا بعض الاحيان الى عطف نظرنا عليها بالنظر لما كان لها من الأثر المباشر فى تكييف التطور السياسى الاخير فى هذا القسم من الجزيرة .

أشرنا فى السابق الى بعض الاسباب التى أدت بابن سعود الى اتخاذ تدابيره النهائية للقضاء على حائل ، وذكرنا من بينها قيام حكومتين هاشميتين فى كل من العراق وشرق الاردن تعضدان حكومة الحسين فى مكة وتسيران بوحيها وإلهامها فى علاقاتها مع نجد وابن سعود . ونزيد الآن على ذلك أن قيام هاتين الحكومتين نشأ عام ١٩٢١ على أثر مؤتمر الشرق الادنى الذى عقده المستر تشرشل وزير المستعمرات البريطانية فى القاهرة والقدس فى مارس وابريل من ذلك العام . فان المسئوليات البريطانية كانت الى ذلك الحين ملقاة على عاتق وزارة الخارجية إلا انها بعد تطور الموقف الحربى والسياسى نهائيا عهد بها الى وزارة المستعمرات فجاء المستر تشرشل الى الشرق مستعينا بجيش من الاخصائيين الحكوميين وقرر فى مؤتمره ثلاثة أمور جوهرية :

الاول : تثبيت السياسة البريطانية فى الشرق وجعلها سياسة هاشمية مثلما

قال اللورد كرزن : Our Policy is a Husein Policy

الثانى : — تنصيب الملك فيصل على العراق .

الثالث : — تنصيب الامير عبد الله على شرق الاردن .

فلما أحيط ابن سعود علماً بما كان ، ولما أدرك بثاقب نظره عواقب ترك أمور حائل فى أيدى النساء والعبيد قام بحملته على شمر وثل عرش آل رشيد وكسر حلقة مهمة من حلقات الاتصال بين الحكومات الهاشمية الثلاثة ، غير انه وجد نفسه بعيد فتح حائل فى مركز لايختلف كثيراً بالنسبة الى الهاشميين عما كان عليه قبل فتحها . فان الهاشميين وجدوا الحلقة فى صلاتهم وضموها الى السلسلة الكبرى بعد ان وسعوا محيطها الى ماوراء بلاد آل رشيد من جهة العراق وشرق الاردن ووجد ابن سعود ان سياسة التطويق قد أحاطت به مرة أخرى يساعدها عاملان قويان ،

أحدهما : قبائل شمر التى لجأت الى العراق بعد فتح حائل وشرعت فى شن الغارة على نجد .

ثانيهما : قبائل الزولا التى كانت تأتمر بأمر ابن شعلان وتخابر الامير عبد الله فى شرق الاردن للقيام بحركات جديدة يقصد بها مد السيطرة الهاشمية - ومن ورائها البريطانية - الى الجوف ومحاربة الوهابيين وابن سعود .

ترددت السياسة البريطانية كثيراً فى موقفها تجاه ابن سعود والهاشميين . ولكن تفاقم الخطر من الغارات والغزوات التى قام بها شمر اللاجئون الى العراق على بلادهم الاصلية ، والغزوات المتقابلة التى قامت بها القبائل النجدية على شمر والعراق ، جعل البريطانيين ينصاعون الى الحق ويعترفون بعدم جواز بقاء تلك الحال ورأوا أيضاً ان من مصلحتهم المستقبلة الشروع فى وضع أساس جديد لتحديد خط الحدود بين المناطق التى لهم فيها نفوذ وبين ممالك ابن سعود . فعقد فى ربيع سنة ١٩٢٢

تصوير ٣٨٤ ٣٨٥

مؤتمر نجدي ـ عراقي ـ بريطاني لحل قضية القبائل ومنع غزوات شمر ووضعت لذلك معاهدة بين نجد والعراق عرفت باسم معاهدة المحمرة[١] ورفض ابن سعود قبول هذه المعاهدة لان مندوبه فيها تجاوز الصلاحية المعطاة له وأقر للعراق بقبائل نجدية مقابل اعتراف العراق بشمر لنجد ولكنه بعد بضعة أشهر صدقها مقابل تعهد العراق لنجد ببعض المنافع والحقوق فى ملحقين وقعا فى شهر ديسمبر ١٩٢٢ فى العقير وعرفا باسم بروتوكولى العقير[٢] وقد نشأ عن اجتماع العقير أمور جوهرية نلخصها فيما يلى :

الاول : قبول مبدأ تخطيط خط للحدود على الارض بين بلاد عربية كانت ولا تزال منذ الخليقة بلاداً واحدة .

الثانى : — تثبيت القبائل العائدة لكل فريق حسبما ورد فى معاهدة المحمرة مع منح الدهامشة حق الانضمام الى الجانب الذى يريدونه .

الثالث : — تعيين خط الحدود بين نجد والعراق ونجد والكويت .

الرابع : — تأسيس منطقتين محايدتين بين نجد والعراق ونجد والكويت ومنع انشاء الابنية والمخافر على أطراف الحدود .

الخامس : — تثبيت تابعية قريات الملح ووادى السرحان لنجد .

كان ابن سعود فى الفترة التى انقضت بين عقد معاهدة المحمرة فى مايو سنة ١٩٢٢ وعقد بروتوكول العقير فى ديسمبر سنة ١٩٢٢ ، قد توسع فى حدوده الشمالية والغربية الموالية لبلاد شمر وضم واحتى تيماء وخيبر فى يوليو سنة ١٩٢٢ والجوف ووادى السرحان فى نفس ذلك الشهر الى بلاده ، وذلك أنه بعد وفاة نواف الشعلان قنع والده النورى بالاقامة فى دمشق وترك فى الجوف حفيده سلطان . وكان موقف ابن شعلان بعد سقوط حائل مذبذباً فانه أرسل ابن عمه مجحم الى

---

(١) انظرها فى مجموعة المعاهدات التي نشرتها وزارة الخارجية فى مكة المكرمة
(٢) انظرهما فى مجموعة المعاهدات

ابن سعود طالباً موالاته كما أنه فاوض الامير عبد الله فى شرق الاردن و كما فاوض الفرنساويين وغيرهم . غير أن أهالى سكاكا — وهى أهم قرى واحات الجوف — أعلنوا ميلهم لابن سعود ورغبتهم فى الانضمام الى بلاده وتألفت لذلك الغرض هيئة برئاسة حمد بن مويشر وثارت على سلطة سلطان الشعلان فرحل سلطان من الجوف الى القريات تاركا وراءه عبداً له . وجاءت قوة من الاخوان الى وادي السرحان واشتبكت مع قوات سلطان بقرب قريات الملح وكانت هذه القوة طليعة لقوات الاخوان الكبيرة التى استولت على الجوف وسكاكا وماجاورهما .

وبعد الاستيلاء على الجوف ووادى السرحان قامت فرقة من الاخوان بمغامرة عجيبة فى بابها فان بعض الحروب هبّوا من هجرتهم النبقى بقيادة ابن نهير وقطعوا المسافات الشاسعة الى أن وصلوا الى أبواب عمّان ولكن مغامرتهم كانت شؤماً عليهم فان الطيارات البريطانية تقفت آثارهم ونكلت بكثير منهم .

أرسل الامير عبد الله بعد الواقعة قوة لاحتلال بلدة كاف أكبر قرى قريات الملح فى أعالى وادى السرحان بموافقة الحكومة البريطانية ولكنه اضطر الى استرجاعها بعد بضعة أشهر وتركها لابن سعود على أثر مؤتمر العقير المشار اليه فيما سبق .

أما فتح عسير فقد أوردنا تفصيله فى الفصل الذى عقدناه على آل عائض والادارسة من هذا القسم وما اعادتنا له هنا إلا سياق البحث فى سيرة الملك عبد العزيز واتماما لبحث نشوء هذه المملكة ذلك النشوء الطبيعى الذى بدأ صغيراً ثم نما وأخصب باضافة المقاطعات الواحدة تلو الاخرى

كانت الصلات بين عسير ونجد ـ الدينية والسياسية والاقتصادية ـ قديمة ، ولكنها قويت بعد الحرب العمومية والحاق تَرَبة والخرمة وبيشة ورنية بنجد . إلا أن الحسن بن عائض الذى استولى على عسير بعد زوال السيطرة العثمانية عنه لم يحسن السيرة بين القبائل ولم ينصع الى نصائح مندوبى ابن سعود اليه وهددهم

قائلا : ان لم يكف ابن سعود رجاله عن المداخلة مع قبائل عسير فانني أجهز على بيشة وأستولى عليها . فأثار تهديده هذا حنق ابن سعود فجهز ابن عمه عبد العزيز ابن مساعد فى مايو ١٩٢١ بقوة من أهل نجد وأنفذه الى عسير . وتم للقوة الاستيلاء على أبها وأسر محمد وحسن ابنى على بن عائض وجابهما الى الرياض ، فأكرم ابن سعود وفادتهما وأعادهما الى بلادهما . ولكن الحسن نكث عهده بعد وصوله الى بلدته حرملة واغتر بتشويق رؤساء قبيلة بنى شهر الموالية للحسين فى مكة وبتشويق الحسين نفسه فهاجم أبها وحاصر الامير المنصوب من قبل ابن سعود فيها واستولى عليها وعلى أكثر بلاد عسير .

فما كاد ابن سعود يفرغ من حرب حائل حتى أنفذ نجله الثانى الامير فيصل على رأس قوة كبيرة من الاخوان فى شهر شوال ١٣٤٠ (يونيو ١٩٢٢) وتمكن بالتدريج من تدويخ بنى شهر وقبائل عسير وفتح حرملة حصن ابن عائض الحصين وشتت شمل قوات ابن عائض والقوة الشريفية التى أنفذها الحسين من الحجاز بقيادة عبد الله بن حمزة الفعر والضابط حمدى حسن وتم بذلك الاستيلاء على منطقة عسير السراة حتى حدود اليمن من الجنوب وحدود الادريسى من الغرب حتى القنفذة وديار غامد وزهران فى الشمال .

١٣ — فتح الحجاز

لفتح الحجاز أسباب ومقدمات قد سردناها متفرقة فى مواضع عديدة من هذا القسم من الكتاب .

ويمكن تلخيص العوامل الاساسية الاصلية فى : (١) ادعاءات الشريف حسين ومحاولاته التى قام بها لجعل امراء البلاد العربية — ومنهم ابن سعود تحت سلطانه . (٢) الخلاف بينه وبين نجد على الحدود الشرقية للحجاز عند تربة والخرمة

وسعي الحسين للاخذ بثارات واقعة تربة . (٣) قلقه من توسع ابن سعود فى عسير وفى بلاد ابن رشيد . (٤) استيلاء ابن سعود على تيماء وخيبر والجوف ووادى السرحان . (٥) تضييق الحسين على أهل نجد ومنعهم من القدوم الى الحجاز . (٦) تكامل حلقات التطويق حول ممالك ابن سعود .

أما الاسباب المباشرة فانها تظهر من سردنا للوقائع الآتية :

بعد انعقاد مؤتمر العقير فى ديسمبر ١٩٢٢ طالبت نجد بانفاذ ما تم الاتفاق عليه من إعادة قبائل شمر اللاجئين الى العراق لنجد والاخذ على أيديهم فتلكأت حكومة العراق فى الأمر ، وكان من نتيجة ذلك حصول غزوات متقابلة من شمر وأحلافهم على نجد ومن القبائل النجدية على شمر والعراق . وزاد تعقد الامور بما لابسها من قيام قبائل شرق الاردن على القبائل النجدية المارة من شرق الاردن الى سوريا ونهب أموالها وقتل رجالها .

فاقترحت الحكومة البريطانية أن يعقد مؤتمر فى الكويت لتسوية المسائل المعلقة بين الممالك العربية المتجاورة على أن يمثل فيه كل من الحجاز والعراق وشرق الاردن ونجد . فوافق ابن سعود على عقد المؤتمر على شرط أن تكون مفاوضات مندوبيه فى الشؤون التى بينه وبين احدى تلك الحكومات على حدة وبدون أن يشترك فيها مندوبو الحكومات كلها . والقصد : الاحتراز من تشكيل مندوبي الحكومات الهاشمية الثلاث جبهة متحدة ضد مندوبيه . وقد قبل اقتراح ابن سعود هذا ، وحضر مندوبو العراق ونجد الى الكويت وعقدوا عدة اجتماعات فى منتصف شهر ديسمبر ١٩٢٣ (أوائل جمادى الاولى ١٣٤٢) ووضعوا بعض القواعد الاساسية التى تسير عليها الحكومتان فى اعادة شمر ومعاملة القبائل على الحدود وتأديب المعتدى . واشترط مندوبو العراق أن لا يصبح الاتفاق نافذاً الا بعد اتفاق نجد والحجاز . فرفض مندوبو ابن سعود هذا الشرط وانفض المؤتمر الذى لم يحضره مندوبو شرق الاردن والحجاز على أن يستشير كل وفد حكومته ثم يعود للكويت فى أوائل السنة الجديدة .

وافق الشريف حسين ـ وكان إذ ذاك فى عمّان ـ على الاشتراك بأعمال مؤتمر الكويت وعين ابنه الامير زيد مندوبا ولكنه لم يحضر الاجتماع ، وأرسل الامير عبد الله وفداً يمثل شرق الاردن الا أن تعليماته كانت على ما يظهر بأمر الحسين نفسه ، ومع أن الاتفاق الاساسى على عقد المؤتمر قضى بأن لا يبحث كل وفد إلا فى الشؤون العائدة لحكومته فان وفد شرق الاردن طالب بامور تعود لشرق الاردن والحجاز أيضاً ، وكانت خطته نفس الخطة المعلومة عن الشريف حسين رحمه الله : ارجاع القديم الى قدمه ـ أى ان كل التطورات التى طرأت على البلاد العربية بعد الحرب العمومية لا يعترف بها الحسين و يجب على ابن سعود أن يعود الى ما كان عليه قبل الحرب وأن يعيد البلاد التى احتلها الى أصحابها ، وتتلخص المطاليب فيما يأتى :

(١) اعطاء الجوف و وادى السرحان لشرق الاردن مع أن السر برسى كوكس تعهد بها لابن سعود فى مؤتمر العقير .

(٢) اعادة تيماء وخيبر الى الحجاز .

(٣) اعادة تربة والخرمة الى الحجاز أيضاً .

(٤) اعادة آل رشيد الى حائل .

٥) اعادة آل عائض الى عسير .

فازاء مطالب شاذة كهذه لم يكن امام المؤتمر أى أمل بالنجاح . وحدث آنئذ أنّ صبر فيصل الدويش نفد فهجم ببعض قومه على عربان العراق فاحتج العراقيون وانسحبوا من المؤتمر وانسحب مندوبو نجد احتجاجا على شطط مطاليب شرق الاردن وفشل المؤتمر فشلا مريعاً وعلم الناس انه لم يبق محيص عن تحكيم السيف فيما عجزت المفاوضات عن حله .

بعد فشل مؤتمر الكويت عقد اجتماع حافل فى الرياض لتقرير السياسة التى يجمل بأهل نجد أن يسيروا عليها فى علاقاتهم مع الحكومات الهاشمية وبحثت مسألة

الحج وامتناع الحسين عن السماح لأهل نجد بها فتقرر الالتجاء الى السيف . فصدر أمر ابن سعود الى بيارق أهل نجد بأن تكون على قدم الاستعداد وجهز عدة حملات لتسييرها الى الاطراف .

ومشت البيارق فى مطلع العام الهجرى الجديد ١٣٤٣ (أغسطس ١٩٢٤) من نجد الى شرق الاردن والعراق والحجاز . أما حملة شرق الاردن فقد كانت عاقبتها الفشل وأما حملة الحجاز فانها سارت من تربة ومرت بمخفر كلاخ فوصلت الاخيضر ومنها الى الطائف فدخلتها بعد مقاومة يسيرة فى ٦ صفر ١٣٤٣ . وكانت قوات نجد بقيادة خالد بن لؤى وسلطان بن بجاد وقوات الحجاز بقيادة الشريف على بن الحسين واشتبكت القوتان بعد الطائف فى معركة الهدى واندحرت قوات الشريف فى ٢٦ صفر (٢٦ سبتمبر ١٩٢٤) .

وفى أوائل شهر ربيع الاول تنازل الشريف حسين بن على عن العرش وانتخب بكره الشريف على فى الخامس منه ملكا دستوريا على الحجاز وسافر الحسين بعد أسبوع الى العقبة . وانسحب الشريف على من مكة الى جدة حينما علم ان قوات الاخوان قد بلغت بلدة الزيمة فى ١٥ من الشهر (١٤ اكتوبر) وفى ١٧ ربيع الاول ١٣٤٣ (الموافق ١٦ اكتوبر ١٩٢٤) دخلت القوات النجدية الى مكة المكرمة محرمة بالعمرة ودخلت عاصمة الحجاز فى حكم آل سعود .

لم يصل السلطان عبد العزيز بن سعود الى مكة حتى اليوم السابع من شهر جمادى الاولى ١٣٤٣ (٤ ديسمبر ١٩٢٤) وبعد وصوله اليها دارت بينه وبين بعض الرسل الساعين فى السلام والوئام مفاوضات لم تثمر الا اطالة الوقت على الشريف على لكى يستعد فى جدة للحرب والكفاح .

احتل جنود ابن سعود القنفذة والليث وفتحوا الطريق منهما الى مكة ، ثم احتل الاخوان رابغ وانفتحت طريق جديدة لتجارة مكة مع الخارج .

ولم تتقدم قوات ابن سعود الى جدة حتى أوائل شهر يناير ١٩٢٥ ومنذ وصولها

أقامت الحصار على جدة ثم أنفذ ابن سعود قوات أخرى لحصار المدينة المنورة .

دام حصار جدة مايقرب من سنة حصلت فى خلالها وقائع عديدة من الجانبين الا ان حالة الحكومة فيها كانت سيئة جداً والجنود الذين أحضروا من سوريا لم يقبضوا رواتبهم فاشتد العسر واستحكمت حلقات الضيق .

وفى ١٩ جمادى الاولى ١٣٤٤ (٥ ديسمبر ١٩٢٥) سلمت المدينة المنورة وبعد ذلك ببضعة أيام طلب الشريف على من المعتمد البريطانى أن يتوسط بينه وبين السلطان ابن سعود فى وضع حد للحرب والحصار . وعقدت بين الجانبين اتفاقية تنازل الشريف على بموجبها عن الحجاز وسافر من جدة فى اليوم السادس من جمادى الثانية . وخضعت الجهات الاخرى لحكم ابن سعود الذى نودى به فى مكة المكرمة فى ٢٢ جمادى الثانيـة ١٣٤٤ الموافق ٨ ينـاير ١٩٢٦ ملكا على البلاد الحجازية .

١٤ — المملكة العربية السعودية

ان الصفحة الجديدة التى افتتحها عبد العزيز بن عبـد الرحمن الفيصل آل سعود فى تاريخه باستيلائه على الحجاز وضمه الى مملكته تستغرق من البحث والاطناب مالا يتسع له المجال فى كتابنا هذا . ولذلك نكتفى بسرد أهم الوقائع بعد اعلان ملكيته على الحجاز مؤملين أن تتيح لنا الظروف فرصة ملائمة للكتابة عن هذا الدور من التاريخ العربى الحديث .

فى ٢٢ جمادى الثانية (٨ يناير ١٩٢٦) انتخب ملكا على الحجاز وأصبح عنوانه ملك الحجاز وسلطان نجد وملحقاتها .

وفى ٢٤ ربيع الثانى ١٣٤٥ (٢١ اكتوبر ١٩٢٦) بسط حمايته على تهامة عسير المعروفة باسم المقاطعة الادريسية .

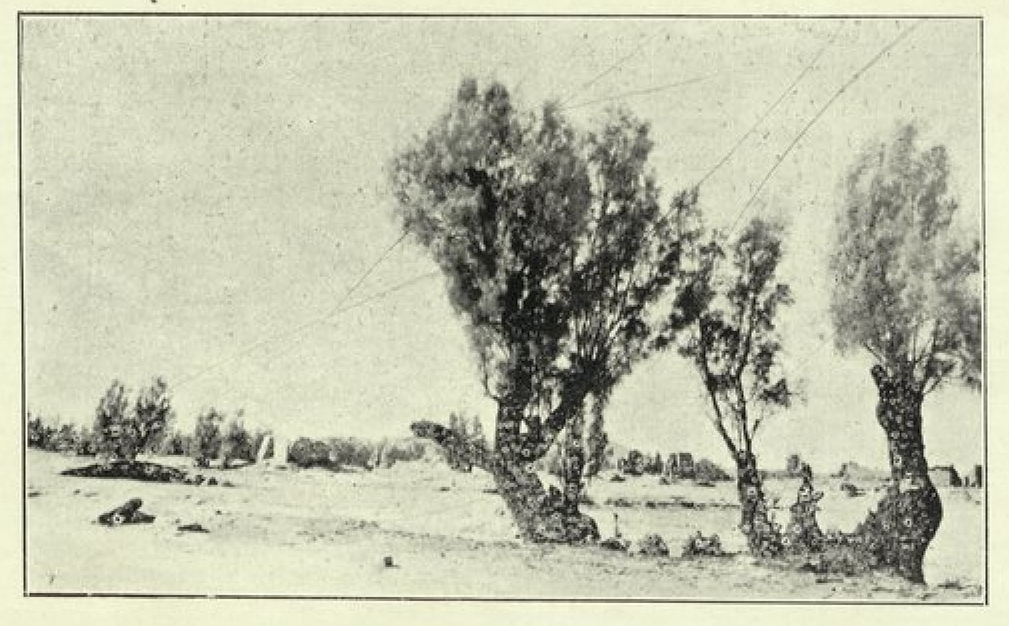
وفى ٢٥ رجب ١٣٤٥ (١٩ يناير ١٩٢٧) غير لقب السلطان بملك وأصبح

اسمه ملك الحجاز ونجد وملحقاتها وأبلغ هذا التغيير الى الدول الاجنبيـة فاعترفت به .

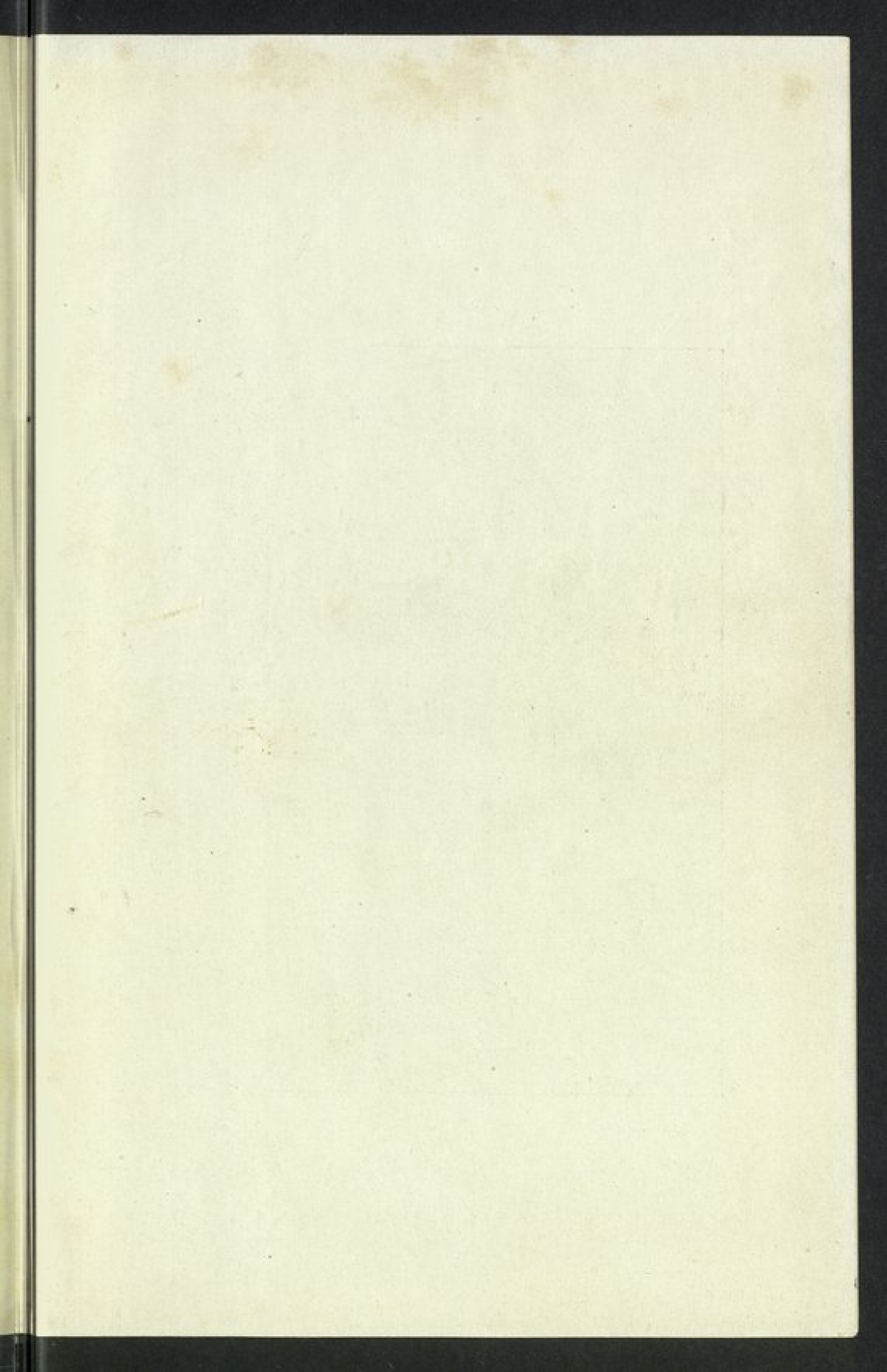
وفى ٢١ جمادى الاولى ١٣٥١ (٢٢ سبتمبر ١٩٣٢) صدر مرسوم ملكى وحدت به أجزاء المملكة الحجازية والمملكة النجدية وملحقاتها وجعلت مملكة واحدة باسم :

— ﴿ المملكة العربية السعودية ﴾ —





خرابات العيينة بلدة الشيخ محمد بن عبد الوهاب



ملحق

يتضمن نتائج رحلة المستر فلبي في الربع الخالى

(اطلعت بعد طبع البحث الخاص بالربع الخالى على الكتاب الذى وضعه المستر فلبي عن رحلته فى الربع الخالى وعلى التقارير الفنية التى وضعها اخصائيو المتحف البريطانى للتاريخ الطبيعى عن النتائج العملية للرحلة ، فوجدت فيها معلومات جديدة ومهمة آثرت أن أضمها الى كتابى هذا . وقد نشرت فى مقتطف ابريل رسالة لخصت فيها الحقائق الجديدة وطلبت من المستر فلبي نفسه أن يتفضل بكتابة فصل مختصر عن نتائج رحلته فتفضل بكتابة ما يأتى :)

أما وقد انتهى درس النتائج الجغرافية والعلمية لرحلتى الاخيرة فى الربع الخالى فمن دواعى سرورى أن أضع هذا الملحق عن هذا الموضوع الهام ليضاف الى مؤلف صديق فؤاد حمزة عن المملكة العربية السعودية . ولن أضيع هذه الفرصة دون أن أرفع الى صاحب الجلالة عبد العزيز خالص شكرى وامتنانى لما أولانى من الشرف العظيم والميزة الكبرى بجعلى عضواً فيما يصح أن يقال انها أول بعثة علمية نظمت تحت اشراف الحكومة الوهابية .

الربع الخالى هو بقعة صحراوية مترامية الاطراف تقع بين نجد وحضرموت من جهة وبين اليمن وعمان من جهة أخرى يحدها من الشمال خط ، يمتد من بلدة سلوى على خليج البحرين ماراً بواحة جبرين والافلاج ووادى الدواسر الى واحة نجران الكبرى الواقعة على الزاوية الشمالية الشرقية من حدود اليمن ، ومن نجران يمتد خط حد الربع الخالى جنوبا على حدود اليمن الشرقية مارا فى الجوف الى

مأرب ، ومن ثم الى الشرق محاذياً المناطق الجبلية فى وادى حضرموت الى مهرة وقارا فرملة مغشن وهذه واحة فيها نخل وعيون ، ثم ينثنى الى الشمال تاركا جبال عُمان الى الشرق الى أن يبلغ سفح رأس (المسندم) فى الخليج الفارسى .

ولما كانت معرفة البدو بأرجاء الربع الخالى ضئيلة فلم نكن لنعلم إلا اليسير عن هذه القفار الواسعة البالغة نحواً من ربع مليون ميلا مربعاً من المساحة حتى كشف الستار عن هذه المجاهل ، كما أشار فؤاد حمزة فى محله بعد رحلة المستر توماس ثم رحلتى المتواليتين .

ويمكننا الجزم الآن أن هاتين الرحلتين قد أظهرتا الشئ الكثير عن طبيعة القسم الأوسط من الربع الخالى الواقع بين خط الطول ٤٧° والخط ٥٢° شرقاً ، إنما لايزال هنالك قطعتان على جانب من السعة لم يجر اكتشافهما وهما : (١) بلاد المناصير بين خط الطول ٥٢° شرقاً وحدود عُمان (٢) البقعة الجنوبية الغربيةالواقعة ضمن الزاوية المؤلفة من وادى الدواسر واليمن وحضرموت انما يمكن الاستخلاص أن هذه البقاع المجهولة كثيرة الشبه بتلك التى اكتشفت ولذلك حق لنا أن ننقل للعالم لأول مرة فى التاريخ صورة جلية عن بقعة من الارض كانت الى الامس مكتنفة بالغموض والاسرار .

يقسم الربع الخالى على وجه التقريب الى قسمين رئيسيين : الاول الى شرق خط الطول ٥٠ والآخر الى غربيه والقسم الشرقى معظمه سلاسل متوازية طويلة من الرمال الكثيفة مع كميات وافرة من المياه الضاربة الى الملوحة على أعماق ضئيلة مختلفة وهذه الاراضى وفيرة المرعى الذى أدى الى الاعتقاد بأنها الموطن الاصلى لاحسن أجناس الابل العربية . أما القسم الغربى الممتد الى وادى الدواسر ونجران فهو مفاوز مقفرة جافة قلما يصيبها المطر ، ينبت فى بعض أقسامها النبات الصحراوى القاسى (كالزهر والابال والعلقة والحض والبركان) ، ويعترض رماله فى بعض

الاماكن مساحات واسعة موحشة من الحصباء المسطحة كأبو بحر وسحمة ورعلا والجليدة وجدة الفرشة ، وفى الجهات الشمالية الشرقية من هذه القفار بعض الآبار الهائلة العمق ولذلك فهى تسمى الطوال كالمغينمة التى يبلغ عمقها ١٧١ قدماً ، وبئر فاضل ١٢٥ قدما ونميلة وطوبرفة وهاتان طُمرتا بالرمال حديثاً وكثير غيرها على شاكلتها كبئر مقرن وبئر المكسر الخ ، أما البدو فقد نسوا أسماء هذه الآبار من عهد بعيد وقد قمنا بالحفر عن فوهاتها وتسميتها من جديد .

ومما ظهر لنا فى رحلتنا هذه أن على الحدّ بين القسم الشرقى والقسم الغربى من الربع الخالى مساحات كبيرة وجدنا بعض أصداف الماء العذبة فى كثير من مواقعها وكان معها أيضاً كثير من الاسلحة الصوانية التى ترجع الى العهد الحجرى الحديث (١٠٠٠٠ عام — ٥٠٠٠ قبل المسيح) ثم بعض قطع من بيض النعام المتحجر وغيره من الآثار .

وتدل هذه الاكتشافات وتثبت أنه فى وقت من الازمنة البعيدة كانت البقاع الغربية من الربع الخالى بلاداً خصبة تجرى اليها الأنهار من جبال اليمن ومرتفعات الحجاز وتصب فى البحر الذى كان فى العهد الميوسينى ساتراً ماهو اليوم القسم الشرقى من الربع الخالى الى خط يمتد من رملة مغشن الى شنة فبئر زكرت ونيفا وعين سالا .

والذى أظنه أنه يمكن الآن تمييز أربعة مجار لأنهار قديمة ويكون مشروع البحث فى (١) مجموعة أودية الافلاج (٢) المجرى الحالى لوادى مقرن (٣) وادى الدواسر ثم (٤) وادى نجران وان صح هذا فان الفيافى الجافة المقفرة الآن كانت حوالى سنة ٥٠٠٠ ق . م . مراعى خصبة ترتادها مواشى الانسان الاول الذى لاشك أنه كان يعيش على صيد الغزلان والايائل والنعام وقام بوضع أساس صناعة تربية الجمال وانتاجها .

كانت هذه الأنهار على مايظهر تجرى على خط الطول ٥٠° أو ٥١° لكن عندما أخذ البحر ينحسر ترك وراءه بحيرات ومستنقعات جفت بالتغيرات الجوية فى أوقات البليستوسين التى نشرت أرديتها الرملية على هذه الاراضى فاضطر الانسان والحيوان الى النزوح الى الاقسام الشرقية ذات الرمال الرقيقة والآبار القليلة العمق وتطلق العرب الآن على هذه البقاع اسم الرمال (أو الرملة) والخبيران بينما نراهم يحتفظون بكلمة الربع الخالى للقسم الغربى الجاف .

يقطن الآن بعض جهات القسم الشرقى أو الرمال قبيلة (المناصير) وواحتها الرئيسية المركزية فى منطقة (الجوا) نحو الحدود العمانية ويوجد أيضا بعض قبائل مرة كالغفران والجرابعة والجابر بينما يقطن الجهات الجنوبية كمزيج من آل كثير والصعر والضروع والعوامر . أما القسم الغربى ففى ملكية الدمنان من آل مرة وهم نفر من الرعاة المشاغبين قسم منهم يتعلق بنجران وقسم بالاحساء . وواحة جبرين الكبرى تخص (جبرين) وهم أيضاً من آل مرة بينما أن قسم البحيح منهم يقطنون صحراء الجافورة وهى قسم من الربع الخالى يبرز الى الشمال بين خليج جيبان وخليج الحسا .

وعلى جوانب هذين الخليجين يرى الانسان شواهق الصخور التى كانت تضم سواعد البحر الميوسينى القديم وقد وجدت على هذه الصخور كثيراً من متحجرات العصر الميوسينى .

وقد قمنا ببحث دقيق عن الاماكن التى وردت فى أساطير البدو وزعموا أنها فى الربع الخالى كما نوهنا سابقا وقد وجدنا بعض الاسلحة الصوانية التى تثبت وجود الانسان فى وقت من الاوقات لكن لاشك أن هذا الانسان سكن أراضى الربع الخالى قبل أن عرف فن البناء والحياة الاجتماعية فى الاصقاع الاخرى لكن ماوجدناه وهو ليس ببعيد العهد فى التاريخ طريق قوافل واضحة الآثار ما بين مغينمة والافلاج وأخرى مابين مغينمة وبئر فاضل وهذه الطرق على مايظهر نشأت

فى أيام الجاهلية كطرق تجارة عمان مع مكة ويثرب ومدائن صالح والبطراء ولا شك أن القوافل كانت تمر من هنا حاملة البهارات والعطور من جنوبى الجزيرة الى شمالها ولا بد أنها بعد ذلك أصبحت طريق الحج من عمان الى مكة المكرمة لكنها على كل حال لم تكن تجتاز الربع الخالى بل كانت تحاذى حده الشمالى مارة بواحة الجوا الى الافلاج .

وقد تكلم البدو عن بعض الآثار وذكروا أن هنالك منازل وأعمدة وقطعاً كبيرة من الحديد وغيره فى موضع يدعى الحديدة وقد قرنوا هذه المشاهد بوبار مدينة عاد التى يقال ان الله أنزل عليها النيران ودمرها إذ أعرض ملكها وأهلوها عن النبى هود .

زرنا المكان وهو يقع بين بئر طوبرفه وفراجة وأم الحديد وابراهيمه وتبين لنا أن المدينة المهدومة لم تكن سوى فوهات بركانية . ذلك ماحسبته لأول وهلة وقد أخذت قطعة من الحديد تزن ١١ كيلوغراماً مع بعض الرمال المحروقة السوداء وبعد فحصها الفنى ظهر أن الحديد من معدن النيازك وان ماظهر كالحريق ليس الا (سلكا) احترقت بالحرارة التى تولدت من وقوع النيزك الى الارض ببضع ثوان وأمثال هذه الفوهات نادرة ولم يعرف البدو غير أربعة أو خمسة قبل اكتشافنا (وبار) وعلى كل فان تلك الآثار لم تكن إلا فوهات نيازك وفى الحقيقة انه لايمكن أن يوجد آثار أى مدينة فى كل الربع الخالى لسبب بسيط وهو أن هذه الاصقاع جفت وصارت كما هى الآن قبل أن عرف الانسان بناء القرى فكيف بالمدن والتمدن . والربع الخالى كان خالياً فارغا من الحياة والمياه لما بدت طلائع التمدن الحميرى والسبأى فى الوديان والسهول حول حدوده الجبلية

استدراك

بينما الكتاب فى الطبع لفت بعض الافاضل نظرى الى ملاحظات على مواضع وردت فيه رأيت أن أشير اليها هنا :

— ١ —

كلمة النفود الوارد ذكرها فى الصفحة ١٦ لم أجد لها ذكراً فى كتب اللغة . وقد تكون مصحفة عن كلمة نهد ج نهود فأبدل البداة الفاء بالهاء . جاء فى تاج العروس مادة نهد : « النهد الشىء المرتفع ، والنهداء الرملة المشرفة كالرابية المتلبدة »

— ٢ —

انظر ما أوردته فى الملحق الخاص بالربع الخالى عن آثار وبار الوارد ذكرها فى الهامش الثانى من الصفحة ١٧ .

— ٣ —

أعلمنى من أطلعته على أصول الكتاب أن ما ورد عن قبيلة الظفير فى الصفحة ١٢٦ قد يوهم كونهم من رتبة الشرارات وغيرهم مع انهم فى الحقيقة أرفع بكثير من ذلك . والحقيقة اننا لم نقصد الحط من كفاءة الظفير ولا من كفاءة غيرهم وانما ذكرنا ماروى لنا عن كونهم بطناً من بطون العرب المتحالفة وفيها أفراد ينتسبون الى أشرف القبائل العربية

— ٤ —

ذكر لى أيضاً أن بين بنى خضير كثيرين من ذوى الانساب العربية الصحيحة وان القول بان أصلهم من الموالى مبالغ فيه . وان الصناع هم فى الاصل من بنى خضير

— ٥ —

لا توجد قبيلة مستقلة باسم بنى ثواب الوارد ذكرها فى الصفحة ١٣٣ وصواب هذه الكلمة « ثوعة » ويوجد فخذ باسم ثواب من الاشراف .

فهرس

الاعلام الواردة فى الكتاب

ألف

(ب)

ت

ث

ج

ح

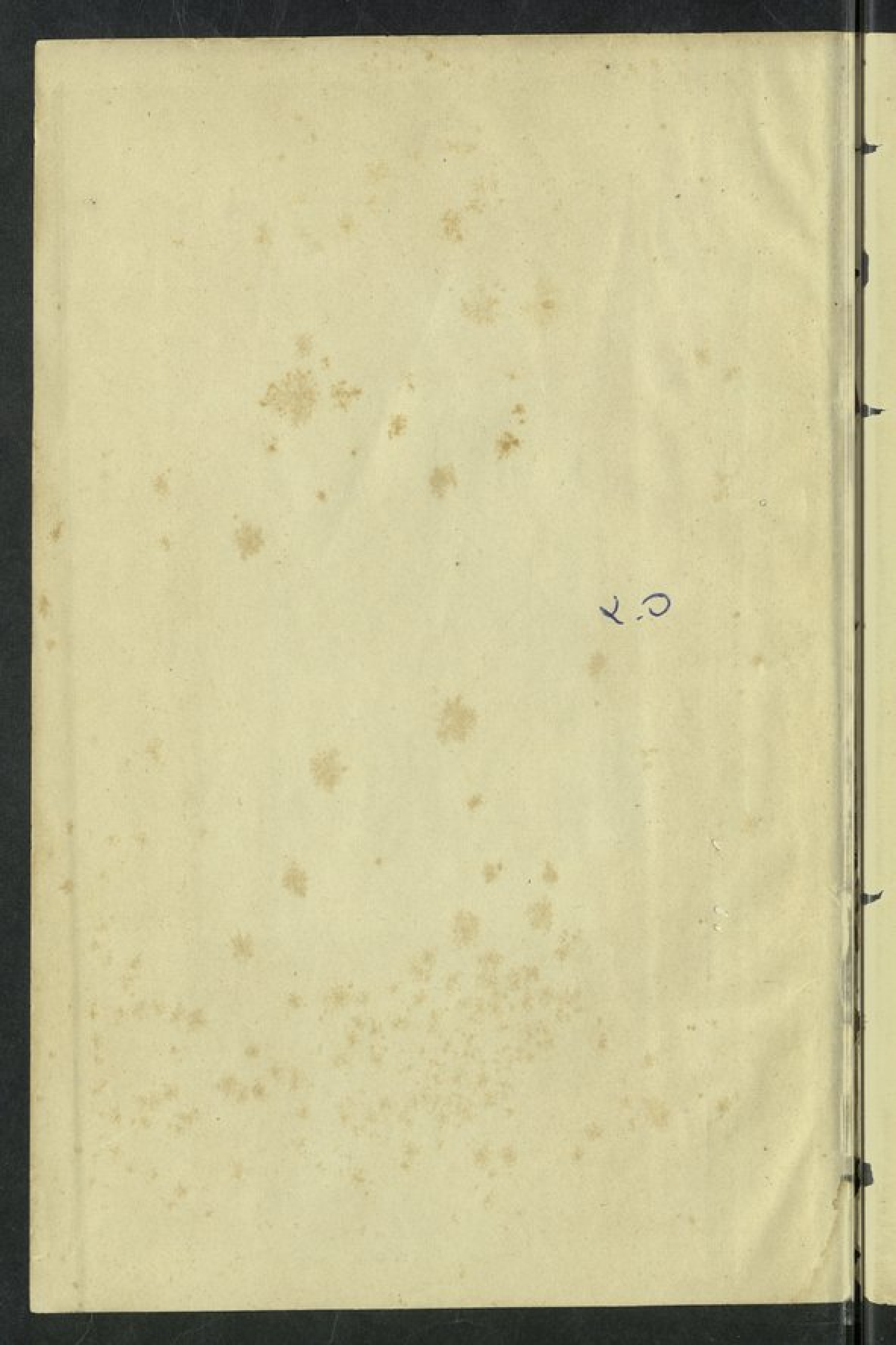
ذ

ص

ض

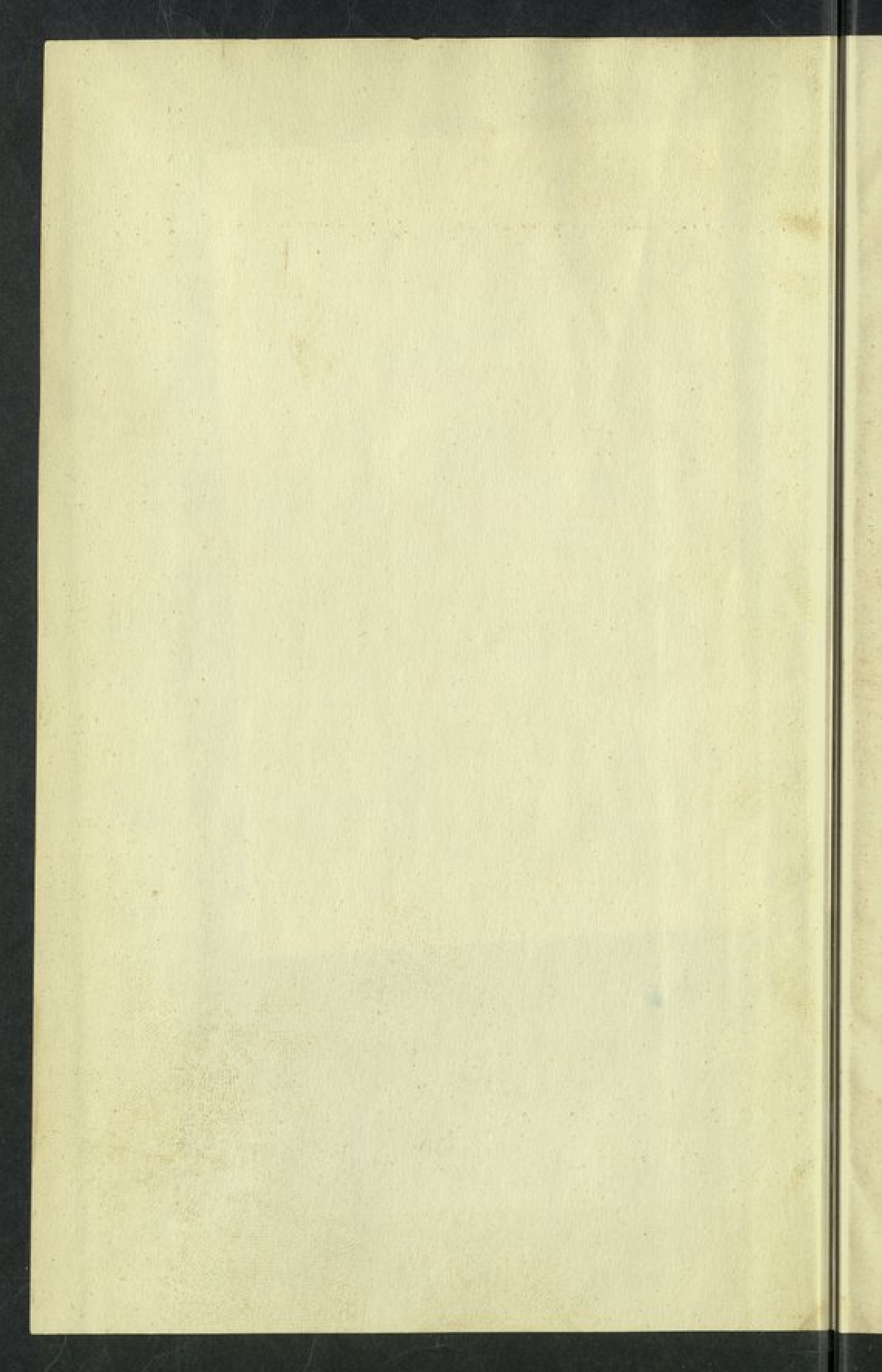
غ

تم

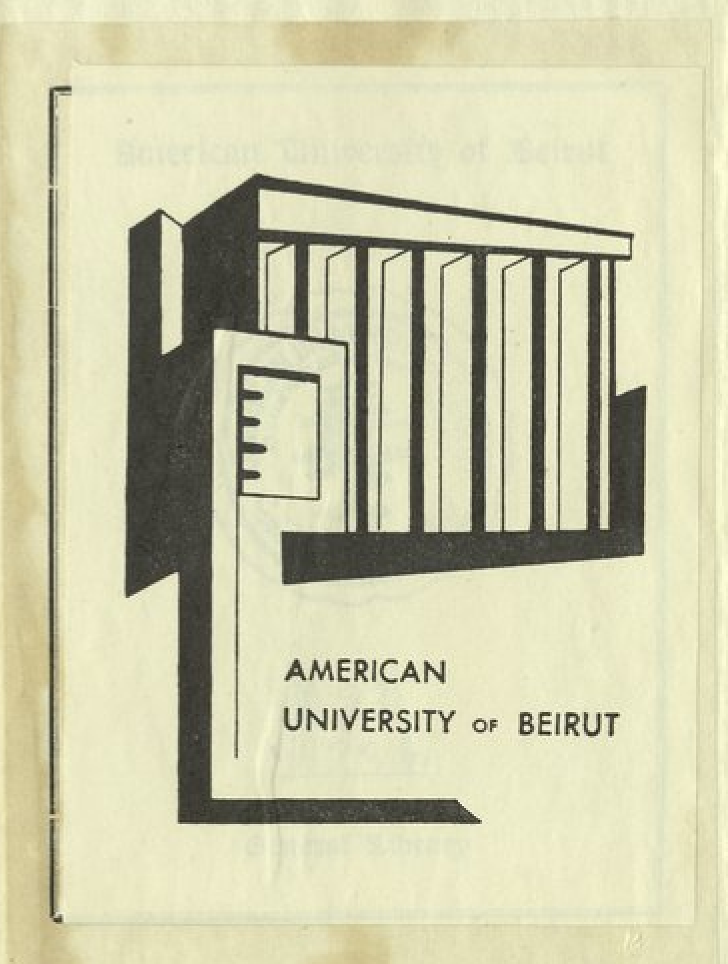


Section on education

see in Tallins pp. 44-7




DATE DUE
JAFET LIB.
18 JUN 2002
Circulation Dept.
JAFET LIB.
26 JUN 2002
Circulation Dept.3


AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

